جامعة الأزهر
كلية الدراسات الاسلامية والعربية
للبنات بالقاهرة

الشفاعة في ضوء القرآن والسنة

أ . د / مهجة غالب عبد الرحمن هاشم

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

المقدمة

الحمد لله مبدع العالمين ، وناصر الحق المبين الى يوم الديـــن ،
وصلى الله على سيدنا محمد شفيع الاولين والاخرين وعلى آله وصحبه أجمعين
وبعـــــد :ـ

فان العلم أفضل ما صرفت اليه الهمه ، وأجمعت عليه علماء الامه ،
وقد دفعني الى اختيار هذا البحث انني بعد تأمل وفكر رأيت الشفاعـــــه
من الموضوعات التي تشغل كثيرا من المسلمين قديما وحديثا واكثر النـاس
لا يعلمون وجه الحق فيها وقد حاولت جهدي أن ابين منها ما يرضـــــى
الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن أبين أنواعها وأصحاب الحق فيهـــا
واثبت ذلك بالايات القرآنيـــه والاحاديث النبويه المطهره في هـــــــذا
المجـــــال .

التعريف

ويشمل :

* مفهوم الشفاعة في اللغة .
* مفهوم الشفاعة في اصلاح العلماء .
* مفهوم الوسيله في اللغه .
* مفهوم الوسيله في اصلاح العلماء .
* العلاقة بين الشفاعة والوسيلة .

بسم الله الرحمن الرحيم

===

تعريف الشفاعة

===

للشفاعه تعريف في اللغه وفي الاصطلاح

فاللغويون يرون أن كلمة شفع : الشين والفاء والعين أصل يدل على مقارنه الشيئين مثل شفع فلان لفلان اذا جاء ثانية ملتمسا مطلبه ومعينا له [1] (واستشفع بفلان على فلان) استعان به عليه – واليه – وفيه اى مسأله أن يشفع له عنده [2] " وشفع لى بالعداوة أعان عليّ ، قال النابغه [3] :

أتاك امرؤٌ مستبطنٌ لى بغْضةً — له مِنْ عدوٍ مثلُ ذلك شافِعُ

وتقول ان فلانا ليشفع لى بعداوه اى يضادنى قال الاحوص[4] .

كأنَّ من لامنى لأَصْرِمَها — كانوا علينا بلومهم شفعوا

معناه انهم كانوا اغرونى بها حين لامونى فى هواها وهو كقوله : ان اللوم اغراء [5] فعندما يقال (شفع) الشيئ – شفعا ضم مثله اليه وجعله زوجا يقال كان وترا فشفعه بآخر اى قرنه به " [6] .

---

(1) مقاييس اللغة جـ ٣ ص ٢٠١ باختصار .

(2) فاكهة البستان ص ٧٣٧ باختصار .

(3) النابغة الذبياني (٠٠ – نحو ١٨ ق هـ = ٠٠ – نحو ٦٠٤ م) وهو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني القطفاني المضرى ، أبو امامة : شاعر جاهلى ، من الطبقة الاولى . من اهل الحجاز ، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها وكان الاعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغه وكان ابو عمرو ابن العلاء يفضله على سائر الشعراء ، وهو أحد الاشراف فى الجاهليه وكان احسن الشعراء العرب ديباجة ، لا تكلف فى شعره ولا حشو ، وعاش عمرا طويلا . ومما كتب فى سيرته " النابغة الذبيانى – ط . " لجميل سليمان ، ومثله لسليم الجندى ، ولعمر الدسوقى ، ولحنا نمر ، وكلها مطبوعه . الاعلام جـ ٣ ص ٥٤ .

(4) الاحوص شاعر اموى ، اسمه عبد الله بن محمد بن عبد الله الانصارى لقب بذلك لحوص كان فى عينيه وهو ضيق فى مؤخرها . انظر ألقاب الشعراء للدكتور سامى العانى ص ١٣ وانظر الشعر والشعراء جـ ١ لابن قتيبه رقم (٩٢) من ص ٥١٨ : ٥٢١ .

(5) لسان العرب جـ ١٠ ص ٥٠ .

(6) المنجد ص ٣٩٥ .

وجـــاء فى لسان العرب مستشهدا على ذلك المعنى بقـــول جرير[١] :

وما يات قوما ضامنين لنا دمـــا   فيشـــفينا الادماء شوافِـــعُ

أى لم نك نطالب بدم قتيل منا قوما فنشتفى الا بقتل جماعه وذلك لعزتنـــا على ادراك الثأر[٢] والبصر الأشباح : رآها شيئين ، ويقول الهرم : شفعـــت الأشخاص : أى بدا الشيء له شيئين وذلك لضعف بصـــره[٣] .

قـــال جريـــر :

لنفسى حديثُ دونَ صَحْبى واُصْبَحَتْ   تَزيدُ لِعَيْنَىَّ الشُخُوصَ الشوافِـــعُ

وقولـــــه :

ما كان أَبْصَرنى بغـــراتِ الصِبـــاَ   فالآن قد شُفِعَتْ لى الأشْـــباحُ

معناه أنه يحسب الشخص اثنين لضعف بصره وعين شافعه تنظر نظرتين[٤] .

ولفلان كان شفيعا له و ـ الى فلان توسل اليه بوسيله (وشُـــفَّعَ) فلانا فى كذا أى قبل شفاعته فيه وهى صيغه مبالغة ويقـــال هو مُشَـــفِّع : يَقْبَلُ الشفاعه . وهو مُشَفَّعُ : مقبول الشفاعه : يقال تشفع لفلان الى فـــلان فى الامر و ـ به اليه : توسل به اليه .

(اسْتَشْفَع) طلب الناصر والشفيع فمثلا يقال استشفع زيدا الى عمرو : سأل زيدا أن يشفع له عند عمرو[٥] " والانضمام أكثر ما يستعمل فى انضمـــام من هو أعلى مرتبه الى من هو أدنى ومنه الشفاعه فى القيامه وقوله تعالـــى " فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ "[٦]. وقوله عز وجل " وَلَا تَنفَعُهَـــا شَفَاعَةٌ "[٧] وكذا قوله تعالى " فيَوْمَئذ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إلَّا مَنْ أَذِنَ لَـــهُ

---

(١) جرير بن عطيه بن حذيفه الكلبى اليربوعى من تميم : أشعر اهل عصره ولـــد ومات فى اليمامه (٢٨ ـ ١١٠ هـ = ٦٤٠ ـ ٧٢٨ م) عاش عمرة كله يناضـــل شعراء زمنه وكان هجاء فلم يثبت امامه غير الفرزدق والاخطل وكان عفيفا ، وقد جمعت نقائضه مع الفرزدق فى ثلاثة اجراء وديوان شعره فى جزأيـــن انظر الاعلام جـ ٢ ص ١١٩ .

(٢) لسان العرب جـ ١٠ ص ٤٩ .

(٣) الوسيط جـ ١ ص ٤٨٧ يتصـــرف .

(٤) لسان العرب جـ ١٠ ص ٤٩ .

(٥) الوسيط جـ ١ ص ٤٨٧ يتصـــرف .

(٦) سورة المدثر آيـــه (٤٨) .

(٧) سورة البقـــرة آيه (١٢٣) .

اَلرَّحْمَنُ وَرَضِىَ لَهُ قَوْلاً " (١) قال ابن عرفه (٢) نفس للشافع أى مالها شافع فتنفعها شفاعته ولم يخص الشفاعة نفسها " (٣) و (الشافع) صاحب الشفاعه والجمع شفعاء وقال الفارسى (٤) استشفعه طلب منه الشفاعه أى قال له كن لى شافعا وقال تعالى : " مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا (٥) وقرأ أبو الهيثم (٦) من يشفع شفاعة حسنه أى يزداد عملا الى عمل (٧) (وقال الراغب من انضم الى غيره وعاونه وصار شفعا له أو شفيعا فى فعل الخير او الشر فعاونه او شاركه فى نفعه وضره ، وقيل الشفاعه هنا أن يشرع الانسان للآخر طريق خير أو شر فيقتدى به فصار كأنه شفع له وذلك كما قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام

---

(١) سورة طه آيه ١٠٩ .

(٢) هو محمد بن عرفه الورعمى نسبة الى ورعمه من قرى افريقيه التونسى المالكى مقرىء ، فقيه أصولى بيانى ، منطقى ، متكلم ، حاسب ، خطيب ، ولد بتونس فى ٢٧ رجب وتوفى بتونس فى ٢٤ جمادى الآخره من تأليفه المبسوط فى الفقه المالكى فى سبعة أسفار ، منظومه فى قراءة يعقوب مختصر الفرائض ، مصنف فى المنطق ، والمختصر الشامل فى أصول الدين انظر معجم المؤلفين ص ٢٨٥ بتصرف .

(٣) تاج العروس ج ٥ ص ٤٠٠ .

(٤) هو الحسن بن الحظيرى بن أبى الحسن النعمان الفارسى نسبة الى النعمانية ، قرية بين بغداد وواسط ، والى جده النعمان بن المنذر ، ويقال له الفارسى لانه تفقه بشيراز على مذهب ابى حنيفه كان مبرزا فى النحو والعروض والقوافى والشعر والاخبار ، عالما بتفسير القرآن والفقه والكلام والحساب والمنطق والهيئة والطب قارئا بالعشر والشواذ ، عالما باللغة العبرانية ويناظر أهلها ، يحفظ فى كل فن كتابا صنف " تفسيرا كبيرا " وشرح الجمع بين الصحيحين " للحميدى و " كتابا فى اختلاف الصحابه والتابعين وفقهاء الامصار " وغير ذلك . انظر طبقات المفسرين ج ١ - رقم ١٢٨ ص ١٣١ : ١٣٣ بتصرف .

(٥) سورة النساء ايه ٨٥ .

(٦) الخضر بن الهيثم ابن جابر أبو القاسم الطوسى ، المقرىء قرأ على ابى حمدون الطيب بن اسماعيل وأبو شعيب السوسى ، وأبو عمر بن شبيه النميرى ، وهبيرة بن محمد ، وعمر دهرا طويلا وكان حيا فى سنة عشر وثلثمائه ، قرأ عليه احمد بن عبد الله الجبنى ، واحمد بن محمد العجلى ، شيخ الاهوازى وعبد الله بن هاشم أبو محمد الزعفرانى المقرىء .
انظر كتاب معرفه القرآء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبى ج ١ رقم ٣٣ ص ٢٠٣ .

(٧) لسان العرب ج ١٠ ص ٥٠ .

" من سن سنة حسنه فله أجرها وأجر من عمل بها " و " من سن سنه قبيحه فله اثمها واثم من عمل بها " (١) .

وروى عن المبرد وثعلب (٢) انهما قالا فى قوله تعالى " مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ " (٣) قالا الشفاعه الدعاء ههنا والشفاعة كلام الشفيع

---

(١) * صحيح الامام مسلم بشرح النووى ـ المجلد السادس ـ ج ١٦ ـ بكتاب العلم باب من سن سنه حسنه أو سيئه نص الحديث " من سن فى الاسلام سنة حسنه فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص عن أجورهم شيئ ومن سن فى الاسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شئ " ص ٢٢٦ و ٢٢٧ .

* سنن النسائى بشرح السيوطى وحاشيه الامام السندى المجلد الثالث ـ ج ٥ ـ كتاب الزكاه ـ باب التحريض على الصدقة ـ ص٧٦ .

* مسند الامام احمد ـ ج ٤ ـ ص ٣٥٧ ـ عن المنذر بن جرير عن ابيه .

* سنن ابن ماجه ـ ج ١ ـ المقدمه باب (١٤) من سن سنه حسنه أو سيئه حديث رقم (٢٠٣) عن المنذر بن جرير عن ابيه وحديث رقم (٢٠٤) عن أبى هريرة وقال فى الزوائد استاده صحيح ص ٧٤ .

* سنن الترمذى ـ ج ٥ (٤٢) كتاب العلم باب (١٥) ما جاء فيمن دعا الى هدى فاتبع او الى ضلالة حديث رقم (٢٦٧٥) قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح ص٤٣ .

* سنن الدرامى ـ ج ١ ـ المقدمه ـ باب (٤٤) من سن سنة حسنه او سيئه حديث رقم ٥١٨ ص ١٠٧ .

* انظر تاج العروس ج ٥ ص ٤٠٠ .

(٢) هو احمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيبانى مولاهم الامام العلامة المحدث شيخ اللغة والعربيه ابو العباس ثعلب ، امام الكوفيين فيهما ، ولد سنة مائتين وابتدأ بالطلب فى العربية والشعر واللغه سنة ست عشرة ، وحفظ كتب الفراء فلم يشذ عنه منها حرف وعنى بالنحو اكثر من غيره ، فلما اتقنه أكب على الشعر والمعانى والغريب . قال بعضهم : انما فضل ابو العباس أهل عصره بالحفظ للعلوم التى تضيق عنها الصدور ، قال أبو الطيب اللغوى كان ثقه متقنا من مصنفاته " معانى القرآن " " معانى الشعر " ، " القراءات " " غريب القرآن " مات أثر صدمة دواب ثانى يوم السبت لعشر خلون وقيل لثلاث عشرة بقيت من جمادى الاول سنة احدى وتسعين ومائتين وذكره الذهبى فى طبقات الحفاظ لحفظه عدد كثير من الاحاديث وقال الخطيب كان ثقه حجه دينا صالحا مشهورا بالحفظ . انظر طبقات المفسرين ج ١ رقم ٨٩ ص ٩٤ : ٩٨ بتصرف .

(٣) سورة البقرة آيه ٢٥٥ .

للملك فى حاجته يسألها لغيره • واسم الطالب شفيع قال الاعشى [١] :

واسْتَشْفَعَتْ من سراةِ الحىّ ذائقَـــهٍ   فقدْ عصَاها أبُوها والذى شَـــفَعاَ

وتشفعت اليه فى فلان فشفعنى فيه تشفيعا •

وقال حاتم [٢] يخاطب النعمـــان :

فَكَكْتَ عَدِياً كُلَّها من اسارهـــا   فأفْضِلْ وشَفِّعْنى بِقَيْسِ بن جَحْـدَرِ

وفى حديث الحدود " اذا بلغ الحد السلطان فلعن الله الشافع والمشفع [٣]

وقد تكرر ذكر الشفاعه فى الحديث فيما يتعلق بامور الدنيا والاخرة ، وناقـــة شافع معها ولدها يتبعها أو فى بطنها ولد وقيل هى التى يتبعها ولد فـــى بطنها ولد اخر • قال الشـــاعر :

وشافِعُ فى بطنهـــا ولَـــدْ   ومعهـــا من خَلْفِهـــا ولَـــدُ

---

(١) شاعر جاهلى ، اسمه ابو بصير ، ميمون بن قيس بن جندل ، سمى بذلـــك لضعف بصره • انظر معجم القاب الشعراء ص ٢١
وقال المفضل : من زعم ان احدا اشعر من الاعشى فليس يعرف الشعر وقال على بن ابى طاهر اشعر الناس هو ما اقدم عليه احدا •
انظر جمهرة أشعار العرب فى الجاهليه والاسلام لابى زيد محمد القـــرشى القسم الاول الفصل الخامس ص ٨٥ وقال فيه ابو سفيان يا معشر قريش هذا اعشى قيس وقد علمتم شعره ولئن وصل الى محمد ليضـــربن عليكـــم العرب قاطبة بشعره فجمعوا له مائه ناقه حمراء فانصرف فلما صـــار ناحيـــه اليمامة ألقاه بعيرى فقتله • انظر الشعر والشعراء جـ ١ رقـــم ٢١ ص ٢٥٧ •

(٢) حاتم بن عبد الله الطائى من طى ، وكان جوادا شاعرا جيد الشعر ، قال ابو عبيده اجود العرب ثلاثة : كعب بن مامة ، وحاتم طى ، وهرم بـــن سنان صاحب زهير • انظر الشعر والشعراء جـ ١ رقم ١٨ ص ٢٤١ •

(٣) * موطا الامام مالك ــ جـ ٢ ــ كتاب الحدود ــ (٩) باب ترك الشفاعه للسارق اذا بلغ السلطان حديث رقم (٢٩) والمشفع اى قابل الشفاعه ص ٨٣٥ •

* وجاء فى مجمع الزوائد " اذ بلغ الامام فلعن الله الشافع والمشفع " كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الطبرانى فى الاوســـط والصغير وفيه ابو غزيه محمد بن موسى الانصارى ضعفه ابو حاتـــم وغيره ووثقه الحاكم وعبد الرحمن ابى الزناد ضعيف جـ ٦ ص ٢٥٩ •

وقـــال :

ما كان فى البطن طَلاَها شافِـعُ   وَمَعَها لهـا وليد تابِـعُ

وفى الحديث (هذه شاة الشافع) [١] ورفض الرسول عليه الصلاة والسلام أن ياخذها للصدقه لان ولدها يشفعها فتصير اثنين . والشافع من الابـل التى تجمع بين محلبين فى حلبة واحده [٢] .

و(الشفائع) المزدوجات مثال شفائع البيت أى ما نبت فيها مزدوجـا . و(الشفاعة) هى كلام الشفيع نفسه (والشفع) ما شفع غيره وجعله زوجا وهـو خلاف الوتر [٣] والشفع تروى بالفتح والضم كالغرفه والغرفه وانما سماها شفعه لانهـا اكثر من واحد قال القتيبى الشفع الزوج ولم أسمع به موءنثا الا ههنـا [٤] . واما فى الايه فقيل الوتـر الله والشفع جميع الخلق لقوله تعالى " وَمِن كُل شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ " [٥] وقيل الوتر هو الله من حيث ما له وهو الوحده من كل وجه والشفع المخلوقات من حيث انها مركبات او الشفع هو الله تعالـى لقوله عز وجل " مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ " [٦] وقيل الوتر آدم عليه السلام والشفع شفع بزوجه وقيل الشفع ولده وقيل الشفـع يومان بعد الاضحى والوتر اليوم الثالث وقيل الشفع والوتر ان الاعداد كلهـا شفع ووتر وقيل الوتر يوم عرفه ويوم الاضحى الشفع [٧] وأما الحديث القائـل " ادخرت دعونى شفاعة لامتى يوم القيامة " [٨] معناها الرغبة وهى مـن

---

(١) عون المعبود سنن ابى داود ـ ج ٤ كتاب الزكاه ٤ باب فى زكاة السائمه ص ٤٦٢ .
* سنن النسائى بشرح السيوطى وحاشيه الامام السندى ـ ج ٥ كتاب الزكاه ـ باب اعطاء السيد المال بغير اختيار المصدق ص ٣٢ .
* مسند الامام احمد ج ٣ ص ٤١٤ وروايه أخرى ص ٤١٥ .
* الفتح الربانى ج ٨ كتاب الزكاة باب عدم اخذ المصدق كرائم الاموال فى الصدقه واستبدالها باقل منها حديث رقم ٣٨ (تخريجه) رواه ابى داود والنسائى وسنده جيد ص ٢٣٠ : ٢٣٢ .

(٢) لسان العرب ـ ج ١٠ ـ ص ٤٩ : ٥٠ بتصـرف .

(٣) الوسيط ـ ج ١ ـ ص ٤٨٧ بتصـرف .

(٤) لسان العرب ـ ج ١٠ ص ٤٩ .

(٥) سورة الذاريات آيـة ٤٩ .

(٦) سورة المجادلة آيـه ٧ .

(٧) تاج العروس ج ٥ ص ٣٩٩ بتصـرف .

(٨) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ـ المجلد الاول ج ٣ كتاب الايمان باب الشفاعه ص ٧٤ .
* صحيح الامام البخارى المجلد الثالث ج ٨ كتاب الدعوات ـ بـاب قوله تعالى " ادعونى استجب لكم " بروايتان الاولى عن ابى هريره والثانيـة عن انس بن مالك ص ٨٢ ، ٨٣ .

الزيادة فى الرغبة ، والكلام شفع أول كلامه بآخره واما قوله فى ابى طالب " لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة " [١] على سبيل التجوز لان الله قد نهى عن الاستغفار لمثله واعلمه أنه لا تنفعهم شفاعة الشافعين ، فلا يشفع فيهم ولا لهم شفعاء ولكن استثنى عم الرسول صلى الله عليه وسلم بسبب موقفه ودفاعه عنه فيخفف عنه العذاب ويكون فى ضحضاح من نار وهو الشىء القليل منه وضحضاح الماء الذى على وجه الارض — وهو كما قال الشاعر :
(فى وجه شافع حو اسامه) أى بحاله وجماله لا بمقاله — بدلا من الدرك الاسفل من النار كما جاء فى الحديث الصحيح "هو فى ضحضاح من نار ، ولولا انا لكان فى الدرك الاسفل من النار " [٢] . وقوله " اشفعوا تؤجروا " [٣] يحتمل انه فى حوائج الدنيا وهو ظاهر بدليل آخر الحديث ويحتمل انه فى المذنبين ما عدا الحدود المحدودة فقد جاء النهى عن

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى — ج ٧ — كتاب مناقب الانصار — ٤٠ — باب قصة ابى طالب حديث رقم (٣٨٨٥) وكذلك فى كتاب الرقاق ج ١١ — ٥١ باب صفه الجنه والنار ص ٤١٧ .
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى — المجلد الاول — ج ٣ — كتاب الايمان — باب شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لابى طالب والتخفيف عنه من ص ٨٥ : ص ٨٦ بخمس روايات .
* مسند الامام احمد ج ٣ ص ٥٠ مسند ابى سعيد الخدرى وكذلك فى ص ٥٥ .
* دلائل البيهقى (دلائل النبوة) ج ٢ باب وفاه ابى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ورد فى امتناعه من الاسلام ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) فتح البارى لصحيح الامام البخارى ٦٣ كتاب مناقب الانصار — ٤٠ باب قصه ابى طالب — ج ٧ حديث رقم (٣٨٨٣) ص ١٩٣ .
* صحيح الامام مسلم بشرح النووى — كتاب الايمان — باب شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لابى طالب والتخفيف عنه بسببه — المجلد الاول — ج ٣ ص ٨٤ .

(٣) فتح البارى شرح احاديث الامام البخارى ج ٣ كتاب الزكاه — باب التحريض على الصدقه والشفاعة فيها — حديث رقم (١٤٣٢) ص ٢٩٩ .
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد السادس ج ١٦ — كتاب البر والصله والاداب باب استحباب الشفاعه فيما ليس بحرام ص ١٧٧ .
* × عون المعبود شرح سنن ابى داود ج ١٤ كتاب الادب ١٢٩ باب فى الشفاعة حديث رقم (٥١٠٩) ص ٤٠ .
* سنن النسائى ج ٥ كتاب الزكاه ص ٧٨ باب الشفاعة فى الصدقه .

الشفاعـــة فيها " [1].

" والأشفع الطويل (وزاد ابن القطاع فى تاج العروس وقد شـــفع شفعا اذا طال والشفع والشفاعه الدعاء وبه فسر المبرد وثعلب قولـــه تعالى " مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ") [2] وشافع وشفيع اسمان وبنو شافع من بنى عبد المطلب بن عبد مناف منهم الشافعى الفقيه المجتهـــد ، رحمه الله ونفعنـــا به " [3] .

وخلاصه ما تقدم ان للشفاعه اطلاقات لغويـــه عديده منها · الشـــفع بمعنى مقارنه الشيئين ، والانضمام للمعاونه والنصـــره ·

∴ ∴

---

(1) مشارق الانوار جـ ٢ ص ٢٥٦ بالمعـــنى ·
(2) سورة البقرة ــ ايه ٢٥٥ وانظر تاج العروس جـ ٥ ص ٤٠١
(3) لسان العرب جـ ١٠ ص ٥١ ·

الشفاعه فى الاصطـــلاح

====

تطلق الشفاعه فى اصطلاح العلماء ويراد بهـــا :

" أن يلجأ صاحب الحاجة الى مقرب عند ذى سلطان ليقضى لـــــه حاجتـــه " (١).

" فالشفاعه تحمل معنى الضم والاعانه للمشفوع له ، ومعنى الجـــاه والحرمه للشفيع عند المشفوع اليه ، فسعيك لاخر فى حاجة له عند عظـــيم شفاعه وانت شفيع وذلك الاخر مشفوع له ، وذلك العظيم مشفوع اليه ، وقضاء تلك الحاجة تشفيع " (٢).

وجاء فى "كتاب مصرع الشرك والخرافه " أن الشفاعه تعنى الانضمام الى اخر للخير او للشر ، للحق او للباطل والشافع هو من يتدخل فى أمـــر من الامور ، ليكـون عونا لشخص فيجلب له الخير أو عونا عليه فيجلب عليـــه الشر (٣) وهنا أحب أن اقف وقفه قصيرة وأوضح ان تعريف الشفاعه بانضمـــام فرد الى آخر عند ثالث ليس فيه اى اعتراض اما الانضمام للباطل فهـــو غير مرغوب فيه بل أن من الشفاعه التى حرمها الشرع هى الشفاعه فى الباطل والله أعلم .

وقال احمد عطيه الله فى القاموس الاسلامى أن الشفاعه فى الاصطـلاح هى " سؤال بعض الصالحين من الله التجاوز عن عقاب بعض أصحاب الذنوب وهو من البدع التى نهى الله عنها لان الشافع والمشفع هو الله ، وان لا احد يغنى عن غيره فتيـلا قال تعالى " مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ (٤) وقوله تعالى " فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ ٱلشَّافِعِينَ " (٥) أى فما يشفع لهم الذيـــن

---

(١) الشرح الجديد لجوهرة التوحيد ص ١٤٠ .
(٢) الايمان وآثاره والشرك ومظاهره ص ١٣٦ .
(٣) مصرع الشرك والخرافه ص ٢٧١ .
(٤) ســورة البقــرة (آيه ٢٥٥) .
(٥) ســورة المدثر (آية ٤٨) .

شفعهم الله في اهل الذنوب من أهل التوحيد فتنفعهم شفاعتهم .
وقوله تعالى " أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ "(١)
أى كيف تتخذون لهم من دون الله وسطاء يشفعون لهم عند الله بينما الشفاعه كلها لله لا يستطيع ان يجرأ عليها أحد الا باذنه " (٢).

وعندما قرأت التعريف السابق للاستاذ احمد عطية الله توقفت عند النقاط الاتيه :

اولا : أن التعريف يقتصر على نوع واحد من أنواع الشفاعة ونحن كما نعرف ان الشفاعه نوعان :-

النوع الاول هو الشفاعه في الدنيا .
النوع الثانى الشفاعة في الاخره.

فالتعريف اقتصر على الشفاعه في الاخره وغفل تماما عن ذكر الشفاعه في الدنيا وهي شفاعه الانسان لاخيه الانسان عند انسان آخر لجلب الخير والمنفعه له ، ومما يجعلنى أشعر بذلك هو ما ذكره الاستاذ عطيه في تعريفه للشفاعة بانها (سؤال بعض الصالحين من الله ....) التعريف . (فمن الله) أوحت لى بأن تلك الشفاعه في الاخره ، حقا أن الشفاعه الى الله في الدنيا واجبه وقد يقال ان التعريف يشمل النوعين ولكن عليه التجاوز عن العقاب عن بعض الذنوب انما تكون في الاخره كما اعتقد. ومما يؤكد ما قلته الايات التي ساقها وهي في شأن الاخره كما هو الظاهر والله اعلم .

ثانيا : ان قوله ان تلك الشفاعه من البدع ، أقول أن الشفاعه ثابته للصالحين والانبياء والملائكة وغيرهم .

فهي ليست بدعه لان الله جعل من عباده من هم من أهل شفاعته فشفاعتهم ليست بدعه اذا اعتقد الانسان ان هؤلاء المشفوع بهم ذو منزله

---

(١) سورة الزمر (آيه ٤٣، ٤٤) .
(٢) القاموس الاسلامى - المجلد الرابع - ص ١٢٣ .

عند الله لانهم من الصالحين أو الانبياء أو غير ذلك ممن تقبل شفاعتهم عند الله بأذنه فيجوز ان يتشفع بهم فى الدنيا وفى الاخرة جائزه ايضا والمولى عز وجل يأذن لمن يشاء من عباده ويقبل لمن يشاء من الشفعاء . فاذا كان هؤلاء الصلحاء من أهل الشفاعه قبلت والا فلا والله اعلم .

ثم ان الايه الاولى تدل على أن الشفاعه لا تكون الا لمن اذن له الرحمن ورضى له قولا وليست دليلا على أن الصالحين غير مأذون لهم فى الشفاعه والصالحون هم اولياء الله فى الارض وقال المولى عز وجل " أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (١) . والله اعلم بالصواب .

ثالثا : ان الايات التى استشهد بها الاستاذ عطية الله تدل على ان الشفاعه ممتنعه للكفار ولن تقبل لهم شفاعه ولن يوءذن لشافعيهم بالشفاعه فيهم فهى خاصة بالكفار وليست فى اهل التوحيد ، وقد ذكر الاستاذ عطية الله نفسه ما يفيد ذلك فى شرح الايات ، والصلحاء المستشفع بهم العصاه من أهل التوحيد لا يعقل أبدا ألا يكونوا من أهل التوحيد والله أعلم بالصواب .

وجاء فى التاج الجامع للاصول أن " الشفاعه هى الالتجاء الى الله تعالى فى ان يعفو عن بعض عصاة الموحدين ويدخلهم الجنه او فى اكرام بعض المؤمنين كشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لبعض المؤمنين فيدخلون الجنه بغير حساب والشفاعة وان كانت من فضل الله تعالى على الشافع ولكن لعل سببها كثرة نفع الناس ولو بالتصميم على نفعهم ومحبه الخير والدعاء لهم ما استطاع " (٢) .

وجاء فى روح المعانى للامام الالوسى أن " الشفاعة هى التوسط بالقول فى وصول الشخص . ولو كان أعلى قدرا من الشفيع ـ الى منفعه من المنافع الدنيويه أو الاخرويه ، أو خلاصه عن مضره ما " (٣) .

وذكر مؤلف " كتاب شرح الاصول الخمسة " أن الشفاعة عبارة عن " مسألة الخير ان ينفع غيره أو أن يدفع عنه مضرة " ثم قال " ولا بد من

---

(١) سورة يونس (آيه ٦٢) .
(٢) التاج الجامع للاصول ص ٣٩٢ .
(٣) روح المعانى للامام الالوسى ـ جـ ٥ ـ ايه (٨٥) من سورة النساء ص ٩٧ .

شافع ومشفوع له ومشفوع فيه ومشفوع اليه " [1] وتلك اركان الشفاعة .

(واحب ان أشير الى أن شفاعه المولى عز وجل عباره عن عفوه فـــان الله تعالى يشفع فيمن قال لا اله الا الله وأثبت الرساله للرسول الكريـــم الذى أرسل رحمة للعالمين ليهدى الناس للتى هى أقوم ، فان هـــذا المؤمن ان لم يعمل خيرا قط فان المولى عز وجل يتفضل عليه بعـــدم دخول النار، او عدم الخلود فيها بلا شفاعه احد ولكن رحمة منه وتفضل [2]

وقال المولى عز وجل " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " [3] .

واخيرا فان الشفاعه فى اصطلاح العلماء تعنى سوءال الخير مـــن الغير للغير سواء كان هذا السوءال فى التجاوز عن الذنوب فى الاخره مثال لذلك تشفع الخلائق يوم القيامه بالرسول عليه الصلاة والسلام مـــن هول الموقف وشفاعه الرسول لهم وقبول المولى عز وجل تلك الشفاعه [4]، أو الشفاعه فى الدنيا بأن يتدخل انسان ليصلح بين شخصين بعد طلـــب احداهما شفاعته ولنذكر هنا اعتياد الناس فى التقرب للامراء والملوك والاغنياء والى ذو الشأن والمكانه فيكونون شفعاء لهم فى ايصال الخيرات مـــن وظائف ومال واصلاح ذات البين وغير ذلك من الامور المادية الـــتى يقدر عليها الناس .

⁂ ⁂

---

(١) انظر هامش شرح الاصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٦٨٧ .

(٢) شرح البيجورى على الجوهره المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٢٢٦ بالمعنى .

(٣) سورة الزمـــر (آيـــه ٥٣) .

(٤) سيذكر الدليل على ذلك بالاحاديث فى البحث الرابع انشاء اللـــه ص ٤٥٢٥٠٥٥٥

الوسيله

===

الوسيله فى اللغه تطلق ويراد بها معان عديده :

فالوسيله هى المنزله والمكانه عند الملك ، وهى الدرجة العالية وهى الوصلة والقربه .

" فعند ما نقول ـ وسل فلان الى الله وسيله ـ أى عمل عملا تقرب به اليه ، قال المولى عز وجل " أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ " [1] وقد فسر الجوهرى الوسيله هنا بمعنى القربه اى يبتغون الى ربهم القربى أو ما يقربهم منه ، اذا فيقصد بالوسيله فى هذه الايه كل ما يتقرب به الى الله .

ونجد ان تلك المعانى المشتركة جاءت مجتمعه فى تفسير الوسيله فى حديث واحد وهو حديث الاذان : ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " اللهم آت محمدا الوسيله ...... " [2] والوسيلة هى القربه ، وقيل هى منزله من منازل الجنه ، وقيل هى الشفاعه يوم القيامة ، وقيل هى الدرجه العاليه .

والواسل هو الراغب الى الله ، قال لبيد [3] :

---

(١) سورة الاسراء (آيه ٥٧) .

(٢) * فتح البارى شرح صحيح الامام البخارى ج ٨ ـ ٦٥ كتاب التفسير ١٧ ـ سورة بنى اسرائيل الباب عسى ان يبعثك ربك مقاما محمدا حديث رقم (٤٧١٩) ص ٣٩٩ .

* عون المعبود شرح سنن ابى داود ج ٢ كتاب الصلاة باب (٣٦) ما جاء فى الدعاء عند الاذان حديث رقم (٥٢٥) ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

* تحفه الاحوذى شرح جامع الترمذى ج ١ أبواب الصلاة (٥١) باب ما جاء ما يقول الرجل اذا سمع المؤذن من الدعاء حديث رقم (١٥٧) ص ٦٢٢ .

* سنن النسائى ج ٢ كتاب الاذان باب الصلاه على النبى صلى الله عليه وسلم بعد الاذان ص ٢٧ .

(٣) لبيد العامرى (٠٠٠ ـ ٤١ هـ = ٠٠٠ ـ ٦٦١ م) ابن ربيعه بن مالك ، أبو عقيل العامرى أحد الشعراء الفرسان ، الاشراف فى الجاهلية ، من اهل عاليه نجد أدرك الاسلام ، ووفد على النبى صلى الله عليه وسلم ويعد من الصحابه ، ومن المؤلفه قلوبهم ، وترك الشعر ، فلم يقل فى الاسلام الا بيتا واحدا ، سكن الكوفه ، وعاش عمرا طويلا . وهو أحد أصحاب المعلقات جمع شعره فى ديوان ـ ط " صغير ، ترجم الى الالمانية ، طالع البدور ، حسن الصحابه ، آداب اللغه . انظر الاعلام للزركلى ج ٥ ص ٢٤٠

" ارى الناس لا يَدْرونَ ماقَدْرَ امْرِهم ـ بلى كُلُّ ذى رأيٍ الى الله واسلُ " (١)

والواسل هو الواجب قال رؤبـه (٢) :

" وأنـت لا تنهر حظـاً واسـلاً "

ولفظ التوسُّل يطلق ايضا على " السرقه " يقال اخذ فلان ابلـــى توسُّلا اى ســرقه ٠

مُوَيْسِل ماء لطيء قال واقد بن القطريـف الطائى :

وكان قد مرض فحمى الماء واللبـن ٠

" يقولون لا تشرب شنيهنـاً فانه ـ اذا كنتَ محموسـاً عليـك وخيمُ

لئنْ لَبَنُ المِعْزَى بماءِ مُوَيْسِـل ـ بغانى داءٌ انَّنى لَسَــقيمُ " (٣)

والجمع الوسل والوسائل والتوسيل والتوسل بمعنى واحد " (٤) .

" (وأم موسل كمنزل هضبة وأوسله) بكسر السين (هى) اســم (همدان) القبيلة المشهورة ٠ ومما يستدرك عليه مواسل بضم الميم وكسر السين جبل (٥) .

ويفهم مما تقدم ان الوسيله يراد بها القربه والمنزله والمكانه العاليه والدرجه الرفيعه عند المولى عز وجل وكلها معان متقاربه تحمل فى طيها معنى واحـد هو كل ما يتقرب به الى الله عز وجل ٠

---

(١) ذكر هذا البيت فى تاج العروس ج ٨ ص١٥٤ مع اختلاف فى لفظه مـن الفاظ الشطر الثانى من البيت وهى لفظه (رأى) فقد ذكر بدلا منهـا لفظة (لب) والب هو العقل ، والعقل هو مركز التفكير والراى لذلـك ارى أن المعنى لا يتغير ٠

(٢) رؤبه بن العجاج (٠٠ ـ ١٤٥هـ = ٠٠ ـ ٧٦٢م) بن رؤبه التيمى السعدى وابو محمد من العظماء المشهورين من مخضرمى الدولتين ، الامويه والعباسيه وكان اكثر مقامه فى البصره ، واخذ عنه اعيان اهل اللغه ، وكانـوا يحتجون بشعره ويقولون بامامته فى اللغه ، انظر الاعلام للزركلى ج ٣ ص ٣٤ بتصـرف ٠

(٣) ذكر تاج العروس البيتين فى ج ٨ ص١٥٤ واكتفى لسان العرب بالبيـت الثانى موضع الاستشهاد ج١٤ ص ٢٥١ ولكنى جمعت بين البيتين ليكتمـل المعنى المراد منهمـا ٠

(٤) لسان العرب ج ١٤ ص ٢٥٠ : ٢٥١ بتصرف ٠

(٥) تاج العروس ج ٨ ص ١٥٤ فصل الواو من باب اللام ٠

الوسيله فى الاصطــــلاح

بعد أن عرضت المعنى اللغوى للوسيله أحب ان أعرض بعض أقـــوال المفسرين فى معنى الوسيله :

فلفظ الوسيله ذكر فى القـــرآن مرتين :

المرة الاولى :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ " (١)

المرة الثانية :

" أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُـــونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُـــمْ أَقْـــرَبُ " (٢)

وفى الحديث قال البخارى عن جابر بن عبد الله أنه صلى اللـــه عليه وسلم قال :

" من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامـــه والصلاة القائمة آت محمدا الوسيله والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته. حلت لى شفاعتى يوم القيامة " (٣).

" فسر حذيفه الوسيله فى الايه الاولى بانها القربه وفسرها قتـــادة بانها الطاعه لله والعمل بما يرضيـــه " (٤).

" وذكره ابن جرير الطبرى وقال اطلبوا القربه اليه بالعمل بما يرضيه وقال البيضاوى ما يوافق نفس المعنى اى هى ما يتوسلون به الى ثوابـــه وقال صاحب تفسير المنار ان الوسيله معناها فى الايه مايتوسل به اليـــه اى مايرجى ان يتوصل به الى مرضاته والقرب منه واستحقاق المثوبه فـــى دار كرامته " (٥).

---

(١) سورة المائده (آيـــه ٣٥).
(٢) سورة الاســـراء (آيه ٥٧).
(٣) سبق ذكـــره ص ١٢
(٤) الايمان وآثاره ص١٣٠ باختصـــار.
(٥) مصرع الشـــرك والخرافه ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ بتصـــرف.

" وقال أبو وائل انها الايمان وقال ابن عباس هى الحاجة والعبارات متواردة على معنى واحد ، فطاعة الله وعمل ما يرضيه تعتبر قربة ، والايمان عند السلف عقد وقول وعمل فآل كذلك الى الطاعة والحاجة من الاحتياج والافتقار ، فان كان ذلك الاحتياج لله تعالى فهو يعتبر ايمان المثمر للطاعة قال الراغب بعد ذكر هذه الايه " وحقيقة الوسيلة الى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة ، وتحرى مكارم الشريعة وهى كالقربة وعند التأمل نجد أن الوسيلة فى كل رجعت الى معنى القربة والطاعة ، وأيد ابن سير ذلك وقال اتفق ائمة المفسرين على هذا المعنى .

٢ـ واما الوسيلة فى الاية الثانية ففسرها البغوى بالدرجة العليا والقربة وليس بين اللفظين تضارب ، لان الدرجة العليا ثمرة للطاعة والقربة .

٣ـ أما الوسيلة فى الحديث فهى اسم لمنزلة فى الجنة وعند التأمل نجد أن الايتين والحديث متقاربان متلازمان ، القربة والطاعة التى نشأ عنها القرب من الله فى دار كرامته [1].

" وقال ابن تيميه أن لفظ (التوسل) فى عرف الصحابة يعنى الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته والتوسل بدعائه وشفاعته ينفع مع الايمان به " فلفظ الوسيلة عند ابن تيميه يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين ويراد به معنى ثالث لم ترويه سنة فالمعنيان الاولان ـ الصحيحان باتفاق العلماء ـ فاحدهما هو أصل الايمان والاسلام وهو التوسل بالايمان به وبطاعته ، والثانى دعاؤه وشفاعته فهذان جائزان باجماع المسلمين .

أما النوع الثالث المحرم فهو الاقسام على الله بذاته والسؤال بذاته فهذا هو الذى لم يكن الصحابة يفعلونه فى الاستسقاء ونحوه ، لا فى حياته ولا بعد مماته لا عند قبره ولا غير قبره " [2].

---

(١) الايمان وآثاره والشرك ومظاهره ص ١٣٠ : ١٣١ بتصرف .
(٢) قاعدة جليله فى التوسل والوسيلة ص ٦ باختصار ص ٤٩ : ٥٠ بتصرف .

وبعد تلك الجوله التى استعرضنا فيها ما قاله ائمة اللغه ونقلتها ورواه بعض ائمة التفسير نستطيع ان نقرر ان لفظ الوسيله يطلق فى الشرع ويراد به " قربه مشروعه توصل الى مرغوب فيه ، والتوسل هو التقرب الى الله بتلك القربه ، وتوسل الداعى هو طلبه المبنى على تلك القربه ، وليس فى الشرع مطلوب ومدعو الا الله وليس فيه من قربه الا ما شرعه فى الكتاب والسنه " (١) .

ما يتقرب به الى الله تعالى والذى يتقرب به الى الله تعالى هو : الواجب والمستحب اما المباح ، والمكروه والحرام فلا يتقرب به اليه سبحانه ولا يمكن معرفه الواجب والمستحب الا عن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم " (٢) .

ومن تعريف معنى الشفاعه ومعنى الوسيله نلحظ الرابطه القويه بينهما ، فان الوسيله طريق موصل الى الشفاعه وظهر ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «واذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علىَّ فانه من صلى علىَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزله فى الجنه لا ينبغى الا لعبد من عباد الله ، وارجوا أن أكون انا هو ، فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة (٣) .

---

(١) الايمان وآثاره والشرك ومظاهره ص ١٣١ .

(٢) من مفردات القرآن للراغب ص ١٣٩ ويوجد نفس المعنى فى كتاب قاعدة جليله فى التوسل والوسيله لابن تيميه ص ٤٨ .

(٣) * فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ ٨ ـ ٦٥ كتاب التفسير ـ ١٧ ـ سورة بنى اسرائيل ـ ١١ باب (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) حديث رقم (٤٧١٩) ص ٣٩٩ .

* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الثانى جـ ٤ كتاب الصلاه باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ص ٨٥ .

* عون المعبود شرح سنن ابى داود جـ ٢ كتاب الصلاة ٢٤ ـ باب ما يقول اذا سمع المؤذن حديث رقم ٥١٩ ـ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .
وكذا فى جـ ٢ ـ كتاب الصلاه باب ٣٦ ما جاء فى الدعاء عند الاذان حديث رقم (٥٢٥) ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

* تحفه الاحوذى شرح جامع الترمذى جـ ١ ـ ابواب الصلاة ١٥١ ـ باب ما جاء ما يقول الرجل اذا اذن المؤذن
من الدعاء ١٥٧ ـ باب منه آخر ص ٦٢٢ ، ٦٢٤ قال ابو عيسى حديث جابر صحيح حسن غريب من حديث محمد بن المنكدرى بسطو الترمذى اخرجه البخارى .

* سنن النسائى جـ ٢ ـ كتاب الاذان ـ باب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد الاذان عن عبد الله بن عمر ص ٢٥ ، ٢٦ وعن جابر وكذلك ص ٢٧ باب ثواب الدعاء عند الاذان .

فقد فسر العلماء الوسيله بكونها ما يتقرب به الى الكبير وخصها النبى صلى الله
عليه وسلم فى نفس الحديث بكونها درجه عاليه من درجات الجنه . وجعل
من سأل الله أن يعطى صلى الله عليه وسلم الوسيله وجبت له شفاعته
يوم القيامه ، اذن الوسيله كانت طريقا موصلا الى الشفاعه ، لذلك قمت
ببيان معناها اللغوى والاصطلاحى لتتمه المعنى .

المبحث الأول

الحث على الشفاعة والترغيب فيها

ويشتمل على :

أولا : حث القرآن الكريم على الشفاعة .

ثانيا : حث السنة النبوية على الشفاعة .

ثالثا : موقف الصحابة رضوان الله عليهم .

المبحث الاول

الحث على الشفاعه والترغيب فيهـــا

بعد ما تعرضت لمعنى الشفاعه فى اللغه ثم فى الاصطلاح ابدأ حديثى بالحث عليها والترغيب فيها ، وانى لا اتحدث من فراغ بل انطلاقا مـــن قاعده قوية صلبه أركانها :
القرآن الكريم والسنة المحمديه السمحاء ، وسيره الصحابه رضوان الله عليهم. لذلك سأقســم هذا البحث الى هذه النقاط الثلاث والله المستعان .

اولا : حث المولى عز وجل على الشـفاعة :

حثنا المولى عز وجل على كثير من الاعمال وحثه هذا ما هو الا تحريض للامة الاسلامية على الفعل الحسن والطاعه الحسنه التى تجلب للانســان الخير والصواب ، الذى سيثاب عليه خير الثواب ؛ ومن تلك الاعمال حثـــه وترغيبه للمؤمن فى الدنيا والاخره ، وحثنا على هذا بل جعل للشافع فيمـــا ينفع الناس نصيبا من الخير .

" مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَـــةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتـــاً " (١) .

والمراد من يشفع شفاعه حسنه اى موافقة للشرع يوجر بسببها ومن يشفـــع شفاعه سيئه اى مخالفه للشرع يكن له نصيبا من هذا الشر ومن تلك المخالفة بأن يعاقب عليها ، والله على كل شئ قدير .

قال الامام ابن كثير عند تفسير هذه الايه (ان من يسعى فى امـــر فيترتب عليه خير كان له نصيا من هذا الخير على سعيه ومن سعى فى وزر يكـن له وزر من ذلك النصيـــب) (٢)

---

(١) ســـورة النسـاء آيه ٨٥ .
(٢) تفسير الامام ابن كثـــير ج ١ ص ٥٣١ بالمعنى .

ويؤكد ما ذهبت اليه قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم " من سن فى الاسلام سنة حسنه فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ومن سن فى الاسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء " (١) فجعل مجرد الفعل الحسن واتباع البعض له سببا فى الخير الطيب والمنفعه الحسنه على واضع ذلك الطريق ومع ذلك لا ينقص هذا من أجور تابعيه شيئا ولا غرابه فالاسلام يكرم المسلم ويدفعه الى الرشد فما أعظمه من دين .

ان الشفاعه من أعظم النعم التى وهبها الله للمؤمنين فهى من المؤمن للمؤمن خير سواء فى الدنيا او فى الاخره وهذا مما يربط المؤمنين بعضهم ببعض ويجعلهم كالجسد الواحد وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله الشريف " ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك أصابعه " (٢).

والمولى عز وجل حثنا على الشفاعه فقال فى كتابه العزيز :

وقال الامام الفخر الرازى ما خلاصته ان هذه الايه متعلقه بما قبلها بوجوه :-

---

(١) سبق تخريجه ص٤

(٢) صحيح الامام البخارى - المجلد الاول - ج ١ - كتاب الصلاه باب تشبيك الاصابع فى المسجد وغيره ص ١٢٩ .

* صحيح الامام مسلم بشرح النووى المجلد السادس ج ١٦ كتاب البر والصله والاداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ص ١٣٩ .
* سنن النسائى بشرح السيوطى وحاشيه السندى - المجلد الثالث ج ٥ - كتاب الزكاه - باب اجر الخازن اذا تصدق باذن مولاه ص ٧٩ .
* مسند الامام احمد ج ٤ ص ٤٠٥ ، ص ٤٠٩ عن ابى موسى الاشعرى .
* سنن الترمذى ج ٤ - كتاب البر والصله باب ١٨ ما جاء فى شفقه المسلم على المسلم قال ابو عيسى : هذا حديث حسن صحيح رقم الحديث (١٩٢٨) ص ٣٢٥ .

الوجـــه الاول :

أن المولى عز وجل امر الرسول عليه الصلاة والسلام بتحريض المؤمنين على الجهاد ، والجهاد بلا شك من الاعمال الحسنه والطاعات الواجبـــــه المشرفه ، فتحريض الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام يعتبر تحريضا علــــى الفعل الحسن والطاعة الحسنة ، فبين المولى عز وجل أن من يشـــفع شفاعه حسنة يكن له نصيب منها اى جزاء المولى عــز وجل على شفاعتــــه الحسنه خير الجزاء . فعلى هذا استحق الرسول صلى الله عليــــه وسلم الجزاء الحسن .

الوجـــه الثانى :

أن الرسول عليه الصلاة والسلام سيرجع عليه أجر عظيم من تحريضهم على الجهاد فكان ترغيب من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يجتهد فى تحريض الامة على الجهـــاد .

الوجـــه الثالث :

يجوز أن يقال : انه صلى الله عليه وسلم لما كان يرغبهم فى الجهاد ويبالغ فى تحريضهم فقام بعض المنافقين بالشفاعه لبعض المؤمنين فى التخلف عن الجهاد فنهى المولى عز وجل عن مثل هذه الشفاعه وبين ان الشفاعـــه لابد ان تكون فى الطاعه اما فى المعصيه فهى محرمه ومنكرة .

الوجـــه الرابع :

يجوز أن يكون بعض المؤمنين راغبا فى الجهاد ولكنه لا يملك وسائلــه فصار غيره من المؤمنين شفيعا له الى مؤمن آخر ليعينه على الجهـــــاد فكانت هذه الشفاعه سعيا فى اقامة طاعه الله عز وجل [1] .

" فالرسول الكريم جعل نفسه شفيعا لهم فى تحصيل الاغراض المتعلقة بالجهاد ، وايضا فالتحريض على الشئ عباره عن الامر به لا على سبيـــل التهديد ، بل على سبيل الرفق والتلطف وذلك يجرى مجرى الشفاعه — ونقـل الواحدى عن ابن عباس رضى الله عنهما معناه — أن الشفاعه الحسنه ههنـا

---

(١) انظر الفخر الرازى — جـ ١٠ ص ٢٠٥ .

هى أن يشفع ايمانه بالله بقتال الكفار ، والشفاعه السيئه أن يشفع كفره بالمحبه للكفار وترك ايذائهم " (١).

وقال الامام الالوسى فى روح المعانى " ومن الشفاعة السيئه الشفاعة فى حد من حدود الله تعالى ، ففى الخبر " من حالت شفاعته دون حد من حدود الله تعالى فقد ضاد الله تعالى فى ملكه ومن أعان على خصومة بغير علم كان فى سخط الله تعالى حتى ينزع " (٢) واستثنى من الحدود القصاص ، فالشفاعه فى اسقاطه الى الديه غير محرمه " (٣)

" وقال مقاتل (٤) الشفاعه الى الله انما تكون بالدعاء ، واحتج بما روى ابو الدرداء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال " ما من عبد مسلم يدعو لاخيه

---

(١) تفسير الفخر الرازى ـ جـ ١٠ من ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ باختصار .

(٢) سنن ابى داود جـ ٢ كتاب الاقضيه (١٥) باب فيمن يعين على خصومه من غير ان يعلم امرها غير أن الروايه فيها اختلاف وهى " من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله ، ومن خاصم فى باطل وهو يعلمه لم يزل فى سخط الله حتى ينزع عنه ومن قال فى مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال " . حديث رقم (٣٥٨٠) ومعنى الخبال الطين وقيل عصارة اهل النار والردغة الطين الحاصل باختلاط العصارة بالتراب انتهى والحديث سكت عنه المنذرى ص ٥ ، ٦ .

* وقد ذكر فى مجمع الزوائد جـ ٦ ص ٢٥٩ كتاب الحدود والديات فى باب الحد يثبت عند الامام فيشفع فيه وكذلك فى جـ ٤ كتاب الاحكام باب فى الشهود ص ٢٠١ وفى باب فيمن اعان فى خصومه ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ وقال رواه الطبرانى فى الاوسط وفيه رجاء بن صبيح صاحب السقط ضعفه ابن معين وغيره ووثقه ابن حبان روايه عن ابى هريره " من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله فى ملكه ومن أعان على خصومة وهو لا يعلم احق او باطل فهو فى سخط الله حتى ينزع ومن مشى مع قوم يرى أنه شاهد وليس بشاهد فهو شاهد زور ومن تحلم كاذبا كلف أن يعقد بين طرفى شعيره وسباب المسلم فسوق وقتاله كفر " .

(٣) تفسير روح المعانى للالوسى ـ جـ ٥ ص ٩٧ .

(٤) مقاتل بن حيان النبطى نسبة الى النبط وهم قوم من المعجم يروى عن مجاهد وعروة والضحاك وعنه علقمه بن مرثد وهو اكبر منه وابن المبارك وهو صدوق فاضل ، أخطأ الازدى فى زعمه أن وكيعا كذبه ، وانما كذب مقاتل ابن سليمان ـ وهو من الطبقه السادسه مات قبيل الخمسين ومائه بارض الهند وخرج له الجماعه الا البخارى وله تفسير ـ طبقات المفسرين للداودى رقم (٦٤١) ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

يظهر الغيب الا قال الملك ولك بمثل " (١) فهذا هو النصيب واما الشفاعة السيئه فهى ما روى أن اليهود كانوا اذا دخلوا على الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا : السام عليكم ، والسام هو الموت ، فسمعت السيده عائشة رضى الله عنها فقالت عليكم السام واللعنة أتقولون هذا للرسول فقال صلى الله عليه وسلم قد علمت ما قالوا فقلت وعليكم ، فنزلت هذه الايـة " (٢) .

وقيل " إن كون التحريض الذى فعله صلى الله عليه وسلم من باب الشفاعه ظاهر فان المؤمنين تخلصوا بذلك من مضره التثبط وتعبير العدو ، واحتمال الذل وفازوا بالاجر الجزيل المخبوء لهم يوم القيامة ، وربحوا أموالا جسيمه بسبب ذلك ، فقد روى أنه عليه الصلاة والسلام لما وافى بجيشه بدراً ولم يربها احدا من العدو أقام ثمان ليال وكان معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيرا كثيرا " (٣) .

" (وقال الحسن ومجاهد والكلبى وابن زيد : المراد هو الشفاعة التى بين الناس بعضهم لبعض)(٤) فما يجوز فى الدين ان يشفع فيه فهو شفاعه حسنه وما لا يجوز ان يشفع فيه فهو شفاعه سيئه ثم ذكر أن خصوصى

---

(١) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ج ١٧ ـ كتاب الذكر والدعاء باب فضل الدعاء بظهر الغيب ص ٤٩ .
* سنن ابى داود ج ١ كتاب الصلاة (الوتر) باب الدعاء بظهر الغيب ص ٣٥٢ .

(٢) تفسير الفخر الرازى ج ١٠ ص ٢٠٧ بتصرف .

(٣) روح المعانى للالوسى ج ٥ ص ٩٧ .

(٤) ما بين القوسين الكبيرين قاله مثله الامام ابن كثير فى تفسيره ج ١ ص ٥٣١ .

(الحسن البصرى) ابن ابى الحسن أبو سعيد مولى زيد بن ثابت وقيل مولى جميل بن قطبه ، وقيل غير ذلك ، وابو يسار من سبى قيسان (بلده بأسفل البصره) اعتقته الربيع بنت النضر. ولد الحسن فى زمن عمر ، شهد الدار وهو ابن اربع عشرة سنة ، وروى عن عمران بن حصين ، وابى موسى ، وابن عباس وجندب ، وخلق وعنه ابن عون ، ويونس وأمم ، وكان اماما كبير الشان ، رفيع الذكر رأسا فى العلم والعمل ، وهو رأس الطبقة الثالثه أخرج له الجماعه ومات فى رجب سنة عشر ومائه ـ تقريب التقريب ج ١ رقم (١٤٤) ص ١٤٧ .

(مجاهد) بن جبر أبو الحجاج المكى المقرى المفسر الامام ولد فى سنة احدى وعشرين فى خلافه عمر بن الخطاب ، روى عن عبد الله ابن عباس ، وقرأ عليه القرآن ثلاث عرضات ، قال مجاهد كنت أقف عند كل آيه أسأله فيم نزلت ؟ وكيف كانت ؟ .
وقال خصيف : كان أعلمهم بالتفسير مجاهد =

السبب لا يمنع عموم اللفظ " (١).

وذكر الامام الجليل سيد قطب فى ظلال القران أن " المبدأ عام فى كل شفاعه خير ، أو شفاعه سوء وقد ذكر المبدأ العام بمناسبة الملابسه الخاصة ، على طريقة المنهج القرآنى فى اعطاء القاعده الكليه من خلال الحادثه الجزئيه وربط الواقعه المفرده بالمبدأ العام كذلك وربط الامر كلـه بالله ، الذى يرزق بكل شىء والذى يمنح القدرة على كل شىء " (٢).

وجاء فى تفسير ابو السعود " أن الشفاعه الحسنة ما كانت فى أمر مشروع روعى فيه حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير أن يتضمن غرضا من الاغراض الدنيويه وقال ان التحيه تعتبر نوعا من أنواع الشفاعه . ففى قوله تعالى " وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ (٣) يقول فيها ترغيب فى فرد شائع من أفراد الشفاعه الحسنة اثر ما رغب فيها على الاطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعه السيئه وارشاد الى توفيه حق الشفيع وكيفيه ادائه فان تحيه الاسلام من المسلم شفاعه منه لاخيه الى الله تعالى والتحيه مصدر حى اصلها تحيية

(=) وقال يحيى بن سعيد القطان : مرسلات مجاهد احب الى من مرسلات عطاء بكثير ، وقال يحيى بن معين وأبو زرعه ثقه وقال سلمه بن كهيل : ما رأيت احدا اراد بهذا العلم وجه الله الا عطاء ، وطاوساً ومجاهدا وعن قتاده : اعلم من بقى بالتفسير مجاهد ، توفى بمكه سنة احدى أو اثنتين او ثلاث او اربع ومائه وهو ساجد وله ثلاث وثمانون سنة روى عنه . (تفسيره) شبل بن عبّاد المكى . طبقات المفسرين ج ٢ ص ٣٠٥ : ٣٠٨ باختصار .

(الكلبى) هو محمد بن احمد بن محمد بن جزى الكلبى المالكى ، يكنى ابا القاسم ، من أهل غرناطه وذوى الاصاله والنباهه وكان على طريقه مثلى من العكوف على العلم ، والاشتغال بالنظر والتدوين ، فقيها حافظا قائما على التدليس مشاركا فى فنون ، من عربيه وأصول وقراءات وحديث وأدب حفظة للتفسير مستوعبا للاقوال .
انظر طبقات المفسرين ج ٢ رقم (٤٤٧) ص ٨١ ص ٨٤ .

(١) تفسير الامام الفخر الرازى (التفسير الكبير) ج ١٠ ص ٢٠٧ .
(٢) فى ظلال القرآن مجلد ٢ ج ٥ ص ٧٢٥ .
(٣) سورة النساء جزء من الايه ٨٦ (واذا حييتم بتحيه فحيوا بأحسن منها أو ردوها) .

كتسميه من سمى أصل الاصل تحيى بثلاث ياءات فحذفت الاخيرة وعوض
عنها تاء التأنيث وأدغمت "[1].

وقال الزمخشرى فى الكشاف " الشفاعه الحسنه هى التى روعى بها
حق مسلم ودفع بها عنه شرأو جلب اليه خير وابتغى بها وجه الله ولا فى
حق من الحقوق ٠

والسيئه ما كان بخلاف ذلك ٠ وعن مسروق انه شفع شفاعه فأهدى
اليه المشفوع جاريه فغضب وردها وقال : لو علمت ما فى قلبك لما تلكمت
فى حاجتك ولا اتكلم فيما بقى منها ٠ وقيل الشفاعه الحسنه هى الدعوة
للمسلم لانها فى معنى الشفاعه الى الله "[2] وجاء فى تفسير الالوسى " ان
التعبير بالنصيب فى الشفاعه الحسنه ، وبالكفل فى الشفاعه السيئه للتفنن
وفرق بينهما بعض المحققين بان النصيب يشمل الزيادة والكفل هو المثل
المساوى ، فاختيار النصيب اولا لان جزاء الحسنة يضاعف والكفل ثانيا لان
من جاء بالسيئه لا يجزى الا مثلها ، ففى الايه اشاره الى لطف الله تعالى
بعباده ، وقال بعضهم : ان الكفل وان كان بمعنى النصيب الا انه غلب
فى الشر وندر فى غيره كقوله تعالى " يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ "[3] .

فلذا خص بالسيئه تطريه وهربا من التكرار "[4] .

ثم قال الامام الفخر الرازى فى ختام تلك الايه " وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ مُّقِيتًا "[5] صدق الله العظيم " المقيت مشتق من القوت ،
يقال : قت الرجل اذا احتفظت عليه نفسه بما يقوته ، واسم ذلك الشىء
هو القوت وهو الذى لا فضل له على قدر الحفظ ، فالمقيت هو الحفيظ الذى
يعطى الشىء على قدر الحاجة ، ثم قال القفال رحمه الله ٠ وأى المعنيين

---

(١) تفسير ابو السعود ج ١ ص ٣٦٦ باختصار ٠
(٢) الزمخشرى فى الكشاف ج ١ ص ٥٤٩ ، وذكره القاسمى ج ٥ ص ١٤٢٠ نقلا عن الزمخشرى ٠
(٣) سورة الحديد (آيه ٢٨) ٠
(٤) تفسير الالوسى المسمى بروح المعانى ج ٥ ص ٩٧ وذكر نفس المعنى فى تفسير القاسمى ج ٥ ص ١٤٢٢ ٠
(٥) سورة النساء (ايه ٨٥) ٠

كان فالتأويل صحيح ، وهو أنه تعالى قادر على ايصال النصيب والكفل من الجزاء الى الشافع مثل ما يوصله الى المشفوع فيه ، ان خيرا فخير وان شرا فشر ، ولا ينتقص بسبب ما يصل الى الشافع شئ من جزاء المشفوع وعلى الوجه الثانى أنه تعالى حافظ الاشياء وشاهد عليها لا يخفى عليه شئ من أحوالنا ، فهو عالم بأن الشافع يشفع فى حق أو فى باطل حفيظ عليه فيجازى كلا بما علم منه " (١).

وجاء فى تفسير ابن كثير ان (مقيتا) بمعنى حفيظا وقيل شهيدا وقيل حسيبا وقيل قديرا وقيل المقيت هو المواظب وقيل هو الرازق (٢) ويتبين من ذلك أن ختام الايه بكلمة " مقيت " اكبر حث واعظم ترغيب على الشفاعه لان المولى عز وجل مطلع على كل شئ وسيرزق الشفيع على شفاعته وهو شهيد على ذلك حفيظ له على أجره وعلى هذا سيحاسبه خير الحساب فما أعظمه من ختام .

والله أعلم بالصواب

⁘ ⁘

---

(١) تفسير الفخر الرازى جـ ١٠ ص ٢٠٨ .
(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥٣١ بالمعنى .

ثانيـــــا

حث السنة النبويه المطهره على الشفاعه

***

انتقل بعد ذلك الى حث السنه النبويه المطهرة ، فقد فرض المولـــى عز وجل علينا محبة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه فى أقوالـه وأفعاله وتقريراته النبويه الشريفه وأمرنا بالاتباع فى السر والعلانيه قال المولى عز وجل " وَمَآ ءَآتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُـــواْ " (١)

ومن أقواله الشريفه فى هذا المجال ما ذكر فى كتاب فتح البارى شـــرح احاديث البخارى " عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كـــان اذا آتاه السائل أو صاحب الحاجة قال " اشفعوا توءجروا وليقضى الله علـى لسان رسوله ما شاء " (٢) وذكر نفس الحديث فى صحيح الامام مسلم غير أنـــه بدل كلمتى " رسوله ما شاء " بكلمتى " نبيه ما أحب " (٣) وذكره النســـائى بلفظ " اشفعوا تشفعوا " (٤) ثم ذكر باقى الحديث كما ذكره البخارى وكذلـك أبو داود فى عون المعبود (٥) وقال الامام النووى فى شرح هذا الحديـث ان " فيه استحباب الشفاعه لاصحاب الحوائج المباحة سواء كانت الشفاعة الـى سلطان ووال ونحوهما أم الى واحـد من الناس وسواء كانت الشفاعـــــة الى سلطان فى كف ظلم او اسقاط تعزير او فى تخليص عطاء لمحتاج او نحو ذلـــك

---

(١) سورة الحشر آيـــه (٧) .

(٢) فتح البارى شرح احاديث البخارى جـ ٣ كتاب الزكاه ـ باب التحريض علـى الصدقه والشفاعه فيها ـ حديث رقم ١٤٣٢ ص ٢٩٩ .

(٣) صحيح الامام مسلم بشرح النووى المجلد السادس جـ ١٦ كتاب البر والصلـه والاداب باب استحباب الشفاعه فيما ليس بحرام ص ١٧٧ .

(٤) النسائى جـ ٥ ص ٧٨ كتاب الزكاه باب الشفاعه فى الصدقـــه .

(٥) عون المعبود شرح سنن أبى داود جـ ١٤ كتاب الادب ٢٩ باب فى الشفاعــــه ص ٤٠ ، ٤١ حديث رقم ٥١٠٩ (مثل ما ذكره البخارى غير انــــه اضاف لفظ (الىّ) بعد (اشفعوا) وأضاف (اللام) فى كلمـــه (توءجـــروا) .

وأما الشفاعه فى الحدود فحرام وكذلك الشفاعه فى تتميم باطل او ابطال حق ونحو ذلك فهو حرام " [١].

فالحديث حث صريح على الشفاعه بين الناس مادامت الشفاعه فى الحلال بل هى مستحبه فالرسول صلى الله عليه وسلم يدعونا الى الشفاعه مادامت فيما يحبه الله ويرضاه فيقول أشفعوا فقد تقبل شفاعتكم ان كنتم من أهل الشفاعه وهى بأن يتكرم المولى عز وجل بقبولها فتكون سببا لقضاء حاجة المحتاج وعلى هذا يكون لكم اجر عظيم من تلك الشفاعه [٢] فهنا يعطينا الرسول صلى الله عليه وسلم درسا من أعظم الدروس " وهو اذا عرض حاجته على الرسول صلى الله عليه وسلم بان يقوم المؤمنون بالشفاعه لاخيهم المؤمن وانهم بشفاعتهم سيحصل لهم الاجر العظيم والثواب الكبير سواء قبلت تلك الشفاعه أم لا " [٣]

وجاء فى كتاب الايمان وآثاره بان " معنى الحديث ترغيبه صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى اعانة الناس عنده سواء استطاع قضاء حاجتهم أم لم يجد اليها سبيلا وفى الحديث الحض على الخير بالعمل وبالسبب اليه بكل وجه ، والشفاعه الى الكبير فى كشف كربه ومعونه ضعيف " [٤] فمعنى كلمة بالعمل اى انيعمل الانسان جاهدا فى تقديم الخير مباشره لاخيه المسلم وبالسبب اى يكون سببا فى ايصال الخير عن طريق غير مباشر وصدق الرسول الكريم فى قوله " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربه فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامه ومن ستر مسلما ستره الله يوم

---

(١) مسلم بشرح الامام النووى المجلد السادس جـ ١٦ كتاب البر والصله والاداب باب ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٢) الشرح من النسائى جـ ٥ ص٧٨ كتاب الزكاة باب الشفاعه فى الصدقه بالمعنى .

(٣) الشرح من عون المعبود جـ ١٤ كتاب الادب ــ باب الشفاعة ص٤٠ بالمعنى .

(٤) الايمان وآثاره ص ١٣٧ باختصار .

القيامـــة "(١) والمعنى ان من أعان اخاه المسلم فى حاجته كان الله فى حاجته وفى هذا الحديث " فضل اعانه المسلم وتفريج الكرب عنه وستر زلاته ويدخـــل فى كشف الكربه وتفريجهـا من أزالها بماله أو جاهه او مساعدته والظاهـــر أنه يدخل فيه من ازالها باشارته ورأيه ودلالته "(٢) ولنذكر هنا حديث شفاعـة الرسول الكريم للرجل المعسرحين تشفع به " فعن جابر رضى الله عنـــه قال أصيب عبد الله وترك عيالا ودينا ، فطلبت الى أصحاب الدين ان يضعوا بعضا من دينه فأبوا ، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فاستشفعت به عليهـم فابوا . فقال : صنف تمرك كل شــيئ منه على حدته عِذْق ابن زيـــد على حدة ، واللين على حدة ، والعجوة على حدة ثم أحضرهم حتى آتيـــك ، ففعلت . ثم جاء صلى الله عليه وسلم فقعد عليه ، وكال لكل رجل حـــتى

---

(١) * فتح البارى شرح البخارى كتاب المظالم جـ ٥ ص ٩٧ باب لا يظلـم المسلم المسلم ولا يسلمه حديث رقم ٢٤٤٢ .
* مسلم بشرح النووى المجلد السادس جـ ١٦ كتاب البر الصلـــه والاداب ص ١٣٤ ، ١٣٥ باب تحريم الظلـــم .
* وذكر فى كتاب الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٣٨٩ وقال رواه البخارى ومسلم وابو داود .
* ابو داود كتاب الادب جـ ١٣ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ ـ ٤٦ بـــاب المؤاخاه حديث رقـــم ٤٨٧٢ .
* وذكر هذا الحديث فى فيض القدير شرح الجامع الصغير للمنـــاوى وذكر فيما معناه أن جلال الدين السيوطى قال ان هذا الحديـــث حسن ، وقال المناوى أن رمز المؤلف لحســـنه ناتج عن فكـــرة عدم وجوده فى الصحيحين وليس الامر كذلك بل هو موجـــود فى البخارى -(وقد اثبت هذا الكلام وخرجته من الصحيحيـــن)- فالعدول الى غيره من ضيق العطن جـ ٦ ص ٢٧٠ حديث رقـــم ٩٢٠٩ ـ المسلم اخـــو المسلم (د) (خ) .

(٢) شـــرح النووى بصحيح الامام مسلم ـ المجلد السادس ـ كتـــاب البر والصله والاداب باب تحريم الظلـــم جـ ١٦ ص ١٣٥ .

استوفى ، وبقى التمر كما هو كأنه لم يمس " (١).

فهذا الحديث يعطينا ان المسلم الخير هو الذى يستشفع لاخيه المسلم فهذا الرجل استشفع من أصحاب الدين ان يضعوا بعضا فأبوا ، فاستشفع بالرسول صلى الله عليه وسلم عليهم فأبوا كذلك . وهنا أحب أن أشير الى أن عدم قبول اصحاب الدين شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى وضع الدين أن هذا لا ينقص من أجر الرسول صلى الله عليه وسلم شيئا كما أنه لا يدل على أن أصحاب الدين قد عصوا الله بعصيانهم الرسول صلى الله عليه وسلم لان هذا الامر يتعلق بحق من حقوقهم فلهم الحق فى قبوله أو رفضه . وقال الامام النووى فى شرح نفس الحديث أن "أما الستر المندوب اليه هنا فالمراد به الستر على ذوى الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفا بالاذى والفساد فأما المعروف بذلك فيستحب ان لا يستر عليه بل ترفع قضيته الى ولى الامر ان لم يخف على ذلك مفسده لان الستر على هذا يطمعه فى الايذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله هذا كله فى ستر معصيه وقعت وانقطعت اما معصيه رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بانكارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك ولا يحل تأخيرها فان عجز لزمه رفعها الى ولى الامر اذا لم تترتب على ذلك مفسده وأما جرح الرواة والشهود والامناء على الصدقات والاوقاف والايتام ونحوهم فيجب جرحهم عند الحاجه ولا يحل الستر عليهم اذا راى منهم ما يقدح فى اهليتهم وليس هذا من الغيبه المحرمه بل من النصيحة الواجبه"(٢) وقول الامام النووى فى الشرح ان المراد بالستر المندوب هنا الستر على ذوى الهيئات يذكرنا بالحديث الشريف المروى عن السيده عائشه رضى الله عنها حين قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اقيلو ذوى الهيئات

---

(١) فتح البارى شرح احاديث البخارى جـ ٥ كتاب الاستقراض ــ ١٨ باب ــ الشفاعه فى وضع الدين الحديث رقم (٢٤٠٥) ص ٦٧ . وذكر فى سنن النسائى كتاب الوصايا ــ باب قضاء الدين قبل الميراث جـ ٨ ص ٢٤٥ مع اختلاف فى اللفظ ــ عِذْق : نوع جيد من التمر بفتح العين وسكون الذال والعذق بالفتح النخله ــ اللين نوع من التمر وقيل الردئ ــ من شرح الحديث رقم ٢٤٠٥ ــ فتح البارى جـ ٥ ص ٦٧ .

(٢) صحيح الامام مسلم بشرح النووى المجلد السادس جـ ١٦ كتاب البر والصله والاداب ــ باب تحريم الظلم ص ١٣٥ .

عثراتهم الا الحدود " (١).

وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " افضل الصدقه صدقة اللسان ، الشفاعه تفك بها الاسير وتحقن بها الدم ، وتجر المعروف والاحسان الى اخيك ، وتدفع عنه الكريهه " (٢) فكأن الرسول لما قال افضل الصدقه صدقة اللسان فسئل وما صدقة اللسان فقال الشفاعه لان الشفاعه لا تكلف الانسان الا الكلمة الطيبه الحسنه التى ينطقها لسانه ليدفع بها مضرة أو يجلب بها خيرا . وجاء هنا فى الحديث لفظى (تفك بها الاسير) اى يتخلص بسببها المأسور من العذاب او الشدة كأنه قيل : أفضل صدقة اللسان الشفاعه لانها تخلص الانسان من الضيق وتمنع الدم ان يسفك وتجر بها المعروف والاحسان الى اخيك فى الاسلام وتوصل اليه بها الجميل وتدفع بها عنه

---

(١) * عون المعبود لابى داود جـ ١٢ ص ٣٨ حديث رقم ٤٣٥٣ ومعنى (الهيئات) اصحاب المروءات والخصال الحميده ـ (العثرات) الزلات ـ (الا الحدود) اى الا ما يجب الحدود ذكر هذا فى الشرح ص ٣٩ ـ وذكر فيه الحافظ سراج الدين القزوينى أن هذا الحديث موضوع ورد عليه الحافظ ابن حجر أنه روى من طريق آخر فى النسائى نقوى : فيتقوى احد الطريقين بالاخر وبهذا يرتفع الحديث من ان يكون متروكا فضلا عن ان يكون موضوعا وقال الحافظ ابن حجر أن ابن عبد الملك المذكور فى روايه ابى داود قال فيه النسائى لا بأس به ووثقه ابن حيان فالحديث حسن ان شاء الله . انتهى .
وذكر نفس الحديث فى مجمع الزوائد جـ ٦ ص ٢٨٢ باب لا تعزير على اهل المروءه والكرام ونحوهما عن طريق عبد الله غير أنه يبدل كلمة (عثراتهم) بـ (زلاتهم) وقال رواه الطبرانى عن محمد بن عاصم عن عبد الله ومحمد بن زيد الرفاعى ولم اعرفهما وبقيه رجاله رجال الصحيح .
* ورواه الامام احمد فى مسنده جـ ٦ ص ١٨١ .

(٢) المعجم الكبير للطبرانى جـ ٧ ص ٢٧٩ حديث رقم ٦٩٦٢ (ابو بكر الهزلى عن الحسن عن سمرة) كنز العمال جـ ٣ ص ٢٦٨ .
وهو ضعيف

ما يكرهه ويشق عليه من النوازل الدنيويـــة " (1) وقال رسول الله صلـــى الله عليه وسلم " من شفع شفاعه بدفع بها مضر ، أو يحيى بها مغنمـــا ثبت الله تعالى قدميه حين تدحض الاقـــدام " (2) .

يعنى الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام أن من يقوم بمساعدة اخيـــه المسلم بالشفاعه له فى ازاله مضرة أو جلب منفعـــه سيكون هـــذا عامـــلا على تثبيت قدميه حين تنزلق الاقدام يوم القيامة .

أما فعله عليه افضل الصلاة والسلام فى الحث على الشفاعه فهـــو يظهر فى كثير من المواقف مثل شفاعته صلى الله عليه وسلم فى زوج بريـــرة فقد جاء عن ابن عباس ان " زوج بريرة كان عبدا ينال له مغيث كأنى أنظـــر اليه يطوف خلفها يبكى ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعباس يا عباس الا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريـــرة مغيثا ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام لو راجعته ، قالت يا رسول اللـــه أتامرنى ، قال انما انا أشفع ، قالت لا حاجة لى فيـــه " (3) وهنـــا

---

(1) فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ٢ ص ٣٩ الحديث رقم ١٢٦٦ والشرح بالمعنى ـ وذكر ان الحديث ضعيف ـ قال الهيثمى فيه ابو بكـــر الهذلى ضعيف ضعفه احمد وغيره وقال البخارى :
ليس بالحافظ ثم اورد له هذا الخبر ـ واقول : فيه أيضا عند البيهقـــى مروان بن جعفر السمرى أورده الذهبى فى الضعفاء ، وقال الازدى يتكلمون فيه .

(2) انظر كنز العمال حديث رقم (٦٤٩٦) وأشار المعجم بانه للعقيـــل عن جابر ـ ومعنى الدحض : جمع داحض وهم الذين لاثبات لهـــم ولا عزيمه فى الامور ص ٢٧٠ .
(وهذا الحديث وسابقه ضعيفان ، ولكن يمكن أن يعمل بهما فى فضائـــل الاعمال فى غير الاحكام والله اعلم) .

(3) * فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٩ ـ كتاب الطلاق باب شفاعـــه النبى صلى الله عليه وسلم فى زوج بريره ص ٤٠٨ واللفظ له .
* سنن النسائى ج ٨ ـ كتاب اداب القضاء ـ باب شفاعه الحاكـــم للخصوم قبل فصل الحكم مع زيادة (فانه ابو ولدك) ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .
* عون المعبود شرح سنن ابى داود ج ٦ ـ كتاب الطلاق ـ ١٩ باب فى المملوكه تعتق وهى تحت حـــر أو عبد حديث رقم (٢٢١٤) مـــع اختلاف فى اللفظ ص ٣١٣ .

نجد أن الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام يشفع لمغيث زوج بريرة مولاة عائشه رضى الله عنها فى أن ترجع الى عصمته وسؤال بريره النبى صلى الله عليه وسلم على طلبه هل هو على سبيل الامر اى أنه امر واجب التنفيذ لا مجال للرأى فيه — أم هو للخيار ؟ واجابة الرسول عليه افضل الصلاة والسلام تفيد ان هذا الامر على سبيل الشفاعه لا على سبيل الحتم والاجبار ها هو فعل الرسول يشفع بين الناس وفعله هذا يعتبر حثا لنا على الشفاعه بين الناس لتاتلف القلوب وتتجمع الصفوف وتعلو رايه الاسلام فيدخل السرور على الجميع • فمن الاشياء التى تكون سببا فى الغفران ادخال السرور والفرح والبشر على المسلم وهو بتفريج كربه او ازالة اذى او ضرر أو غير ذلك • وقد يكون هذا عن طريق الشفاعه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيامه فلينفس عن معسر ، أو يضع عنه " [1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من دل على خير فله مثل آخر فاعله " [2] فعند التامل نجد أن مجرد الدلاله على الخير تمنح المسلم سعاده لا تقدر وان دلالة الشر تحمل الانسان شقاوة اعاذنا الله منها فلنسع ، دائما للخير ولنشفع فى الخير وللخير • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من عبد أنعم الله عليه نعمه ، فاسبغها عليه ، ثم جعل من حوائج الناس اليه فتبرم ، فقد عرض تلك النعمة للزوال " [3] ولنذكر قول

---

(١) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ج ١٠ — كتاب المساقاه — باب فضل انظار المعسر والتجاوز فى الاقتضاء من الموسر والمعسر — ومعنى ينفس يمد ويؤخر المطالبه وقيل معناه ان يفرج عنه ص ٢٢٧ •

(٢) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ج ١٣ كتاب الاماره — فضل اعانه الغازى فى سبيل الله بمركوب وغيره وخلاف اهله بخير ص ٣٨ ، ٣٩ •
* سنن الترمذى ج ٥ كتاب العلم باب ما جاء الدّالّ على الخير كفاعله ص ٤١ •
* الترغيب والترهيب ج ١ — الترغيب فى نشر العلم والدلاله على الخير ص ١٢٠ •

(٣) مجمع الزوائد ج ٨ ص ١٩٢ قال رواه الطبرانى فى الاوسط باسناد جيد عن ابن عباس •

رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان لله قوما يختصهم بالنعم لمنافع العبـاد ويقرها فيهم ما بذلوها فاذا منعوها نزعها منهم فحولها الى غيرهم "(١) فـان المولى عز وجل قد انعم على عباده بالكثير فمن لم يحفظ نعم الله واستكبر فى معاونة لاخيه المسلم فقد عرض تلك النعمه للزوال بان ينتزعها منهم ويعطيها لغيرهم ممن يستحقونها فلعل العاقل الرشيد من يستديم النعمه وذلك بالمداومه على الشكر ومعاونه من يطلب المعاونه • وقال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم " ان لله عبادا " خلقهم لحوائج الناس تقضى حوائج الناس على ايديهم اولئك آمنون من فزع يوم القيامة " (٢) وذكر فى فيض القدير ان الطبرانى ذكر لفظ ان لله خلقا بدل عبادا • والمعنى ان لله عبادا اختصهم المولى عز وجل ليكونوا نيابه عنه فى خلقه وجعلهم خزائن نعمته الدينيه والدنيويه لينفقوا منها على المحتاجين فعليهم أن يبذلوها للطالبين لها الملهوفين عليها ، فهؤلاء آمنون يوم القيامة "(٣).

هذا هو النبى صلى الله عليه وسلم دائما يحثنا على خير الدنيـا والاخـره •

والله اعلـم بالصـواب

⁘ ⁘

---

(١) مجمع الزوائد جـ ٨ ص١٩٢ قال رواه الطبرانى فى الاوسط والكبير وفيه محمد ابن حسان السمتى وثقه ابن معين وغيره وفيه لين ولكن شيخه أبو عثمان عبد الله بن زيد الحمصى ضعفه الازدى • فيض القدير شرح الجامع الصغيـر جـ ٢ ص ٤٧٨ حديث رقم ٢٣٥٢ وقال (طب) عن ابن عمر (حسن) وذكر نفس القول الذى قيل فى مجمع الزوائد •

(٢) مجمع الزوائد جـ ٨ قال رواه الطبرانى وضعفه وحسن حديثه ابن عدى ، واحمد بن طارق الراوى عنه لم أعرفه وبقيه رجاله رجال الصحيح •

(٣) فيض القدير شـرح الجامع الصغير جـ ٢ ص ٤٧٧ فى الشـرح (بالمعـنى) •

ثالثـــا

موقف الصحابه رضوان الله عليهم فى الشفاعـــه

===

ثم انتقل بعد ذلك الى سيرة الصحابه رضوان الله عليهم وتناولهـــم للشفاعه ، فانهم رضوان الله عليهم اقتدوا بالرسول عليه الصلاة والسلام لانهـــم كانوا يؤمنون حقا بان اتباع الرسول الكريم واجب وكانوا دائما يتذكرون قـــول المولى عز وجل وقوله الحق " وَمَآ آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْـــهُ فَٱنتَهُـــواْ " (١) وكذلك فان اتباعهم رضوان الله عليهم واجب . فيما هو واجب وسنة فيما هو سنه . ومما اثلج صدرى ما كتبه الشيخ عبد الحى الكتانى فـــى وصفه لصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم اخترت منها قولـــه (اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا بحارا فى العلوم على اختـــلاف أنواعها من الشرعيات ، والعقليات ، والحسابات ، والسياسيات ، والعلـــوم الباطنيه والظاهره حتى يروى أن عليا ـ (كرم الله وجهه) ـ جلس عنـــد ابن عباس ـ (رضى الله عنه) ـ فى الباء من " بسم الله " من العشاء إلى ان طلع الفجر مع أنهم لم يدرسوا ورقه ولا قرأوا كتابا ولا تفرغوا من الجهاد وقتل الاعداء ومع ذلك كانوا على هذه الحاله حتى قال بعض الاصوليين لـــو لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم معجزه الا اصحابه لكفوه فى اثبـــات نبوته .

وقد أفرد فضائلهم بالتاليف كثير من أئمة السلف وكان العلم الذى تعلمـــوه فى مدرسه القرآن والسنة أصبحوا به لاندلهم فى كل رجال العصر بل والاعصر بعد الذى كانوا فيه سواء فى الحكمة التى ساسوا بها الشعوب او فى القوة التى سادوا بها على الممالك ذلك العلم الصحيح الذى لانت له فى أسرع وقـــت القلوب التى كانت بالامس أقس من الصخر وأوعر من الوعر فحل الوئام محـــل الخصام والاخاء محل العداوة والاحسان بدل التعدى والظلم ، فلم تمـــض تلك المده اليسيرة على تلك الشعله النورية حتى عمت ارجاء الكرة الارضية ، (٢)

---

(١) ســـورة الحشر (آيـــه ٧) .

(٢) نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية ـ للشيخ عبد الحـــى الكتانى ج ١ ص ١٢ باختصـــار .

وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى وصفه لاصحابه رضوان الله عليهم فى قوله " خير امتى قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . قال عمران : فلا ادرى اذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا . ثم أن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يفون ، ويظهر فيهم السمن " (١) .

تلك لمحات مما قيلت عن الصحابه عامة رضوان الله عليهم وأخص بالذكر صاحبه الصديق فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه " لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكنه أخى وصاحبى وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلا " (٢) .

وقال محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه إن امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فأمرها أن ترجع اليه فقالت يارسول الله أرأيت ان جئت فلم أجدك قال أبى كأنها تعنى الموت قال فان لم تجدينى فأتى أبا بكر " (٣) .

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه " رأيتنى دخلت الجنه فاذا أنا بالرميصاء امرأة أبى طلحه وسمعت خشفة (٤) فقلت من هذا فقال هذا بلال ، ورأيت قصرا بفنائه جارية ، فقلت لمن هذا ؟ فقال لعمر فأردت أن ادخله فأنظر اليه ، فذكرت غيرتك ، فقال عمر : بأمى وأبى يا رسول الله أعليك أغار " (٥) وقال ايضا " بينا انا نائم ثم شربت يعنى اللبن حتى انظر الى الريانى يجرى فى ظفرى او فى اظفارى

---

(١) * صحيح الامام البخارى المجلد ٢ ـ ج ٥ ـ كتاب الفضائل باب فضائل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ص ٣ والنص له .

(٢) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ج ١٥ كتاب فضائل الصحابه باب فضائل ابى بكر الصديق ص ١٥٠ : ١٥٢
* صحيح الامام البخارى المجلد ٢ ـ ج ٥ كتاب الفضائل باب لو كنت متخذا خليلا ص ٥ .

(٣) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ج ١٥ كتاب فضائل الصحابة باب فضائل ابى بكر الصديق ص ١٥٤ .
* صحيح الامام البخارى المجلد ٢ ج ٥ كتاب الفضائل باب قول لو كنت متخذا خليلا ص ٥ .

(٤) بالسكون : الحس والحركة ، وقيل هو الصوت وبالتحريك : الحركه وقيل هما بمعنى ، وكذلك الخشف انظر النهاية فى غريب الحديث والاثر لابن الاثير ج ٢ ص ٣٤ .

(٥) * صحيح الامام البخارى المجلد ٢ ج ٥ كتاب المناقب باب مناقب عمر بن الخطاب ص ١٢ والنص له . * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ج ١٥ كتاب فضائل الصحابه باب فضائل عمر رضى الله عنه ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

ثم ناولت عمر فقالوا فما أولته قال العلم " (١) .

هؤلاء هم الصحابه رضوان الله عليهم شموع مضيئه يستنار بها فى طريق الايمان ، وكان معاويه رضى الله عنه يؤخر بعض الامور الغير مهمه حيث أن تأخيرها لا يضر بصاحبها ليأتى الشفعاء فيشفعوا ويؤجروا على ذلك وما هذا الا تعليما للامه الاسلاميه وتطبيقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « اشفعوا تؤجروا " (٢) .

ولا يغفل علىَّ هنا ان استحضر الحديث الذى ذكره الامام البخارى فى كتابه حيث قال " عن عروة بن الزبير قال ، كان عبد الله بن الزبير احب البشر الى عائشة بعد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، وكان أبر الناس بها ، وكانت لا تمسك شيئا مما جاءها من رزق الله تصدقت . فقال ابن الزبير ينبغى ان يؤخذ على يديها ، فقالت : أيؤخذ على يدى ؟ علىَّ نذر ان كلمته . فاستشفع اليها برجال من قريش ، وبأخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، فامتنعت فقال له الزهريون أخوال النبى صلى الله عليه وسلم — منهم عبد الرحمن بن الاسود والمسور بن مخرمه — اذا استأذنا فاقتحم الحجاب ، ففعل ، فأرسل اليها بعشر رقاب ، فاعتقتهم ، ثم لم تزل تعتقهم حتى بلغت أربعين ، فقالت : وددت أنى جعلت — حين — حلفت — عملا أعمله فأفرغ منه " .

وقوله (كان عبد الله بن الزبير أحب البشر الى عائشه) هو ابن اختها اسماء بنت ابى بكر وكانت تتولى تربيته حتى كانت تكنى به ، قوله (كانت لا تمسك شيئا) اى لا تدخر شيئا مما يأتيها من المال . (ينبغى أن يؤخذ على يديها) أى يحجر عليها وصرح بذلك فى حديث المسور بن مخرمه) (٣)

---

(١) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى جـ ١٥ كتاب فضائل الصحابه باب فضائل عمر رضى الله عنه ص ١٦٠ .

(٢) التاج الجامع للاصول كتاب البر والاخلاق ومنها الشفاعه ص ٥٥ — جـ ٥ بالمعنى .
سبق تخريجه الحديث فى ص ٢٧

(٣) فتح البارى شرح احاديث البخارى — جـ ٦ — ٦١ كتاب المناقب — ٢ باب مناقب قريش حديث رقم (٣٥٠٥) من ص ٥٣٣ : ٥٣٦ .

هؤلاء هم القدوة الحسنة والشموع المنيره يُشْفِعُون ويُشَفَّعُون ، حثــا وترغيبا وتطبيقا لامر المولى عز وجل وقول وفعل أشرف الخلق مولانــــا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وطبقا لما تقضى ظهر لنا بوضوح ما قررناه فى أول المبحث مــــن حث ـ المولى عز وجل وكذلك النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك ثبــــت لنا هذا من فعل الصحابه رضوان الله عليهم ـ على الشفاعه فى الدنيــا والاخــره .

والله أعلـم بالصـواب

⁘ ⁘

المبحث الثاني

آراء العلماء في الشفاعة

ويشتمل على :

أولا : أنواع الشفاعة .

ثانيا : النوع الذي اختلفوا فيه .

ثالثا : الادلة التي ذكرها المانعون .

رابعا : ردود أهل السنة عليهم
مع الاستدلال ببعض الادلة
لتأييد مذهبهم .

المبحث الثاني

***

آراء العلماء في الشفاعة

****

أجمعت الامة الاسلامية على ان الشفاعه ثابته وواقعة وهى جائزة عقلا وواجبة شرعا بالكتاب الكريم والسنه النبويه المطهره ، وكذلك اجمعوا على أن النبى صلى الله عليه وسلم يشفع لامته ولكنهم اختلفوا فى نوع واحد من أنواعها وهو " الشفاعه لخروج عصاه المؤمنين من النار " فقد انكرها رهط وهم المعتزله والخوارج وكل من قال ان من يدخل النار يخلد فيها وذهب أهل السنه الى القول بالشفاعه لهم .

لذلك سأبدأ حديثى ان شاء الله بسرد النقاط التى يتضمنها هذا البحث على الوجه التالى :

اولا : بيان أنواع الشفاعه بايجاز .

ثانيا : بيان النوع الذى اختلفوا فيه .

ثالثا : عرض الادله التى ذكرها المانعون .

رابعا : ردود أهل السنه عليهم ، مع ذكر ما استدلوا به من الادله المأخوذه من القرآن الكريم والسنة النبويه الشريفه .

لتظهر الحقيقه واضحه جليه خالصة .

والله الموفق والمعين

اولا : **أما عن بيان أنواع الشفاعه[1] فاقول :**

ذكر القاضى عياض رحمه الله ان الشفاعه خمسة أقسام :

أولها : مختصة بنبينا صلى الله عليه وسلم وهى " للاراحه من هول الموقف وتعجيل الحساب .

الثانية : فى ادخال قوم الجنة بغير حساب وهذه وردت أيضا لنبينا صلى الله عليه وسلم .

الثالثه : الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله تعالى .

الرابعه : فيمن دخل النار من المذنبين فقد جاءت الاحاديث باخراجهم من النار بشفاعه نبينا صلى الله عليه وسلم ، والملائكه واخوانهم من المؤمنين ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا اله الا الله .

الخامسة: فى زيادة الدرجات فى الجنة لاهلها [2] وقد أضاف صاحب "كتاب فتح البارى " شرح أحاديث البخارى وكذلك صاحب كتاب " النشر الطيب " نوعا سادسا من أنواع الشفاعه " وهو فى تخفيف العذاب ممن استحق الخلود فى النار " مثل أبى طالب فى الصحيح " أنا أول شافع وأول مشفع " [3] وانه ذكر عنده

---

(١) سأتعرض باذن الله ــ لبيان أنواع الشفاعه ــ بالتفصيل فى المبحث الرابع

(٢) * صحيح الامام مسلم بشرح النووى ــ المجلد الاول ــ ج ٣ كتاب الايمان ـ باب اثبات الشفاعه واخراج الموحدين من النار ص ٣٥ ، ٣٦ .

* وذكرت نفس الانواع الخمس فى هامش كتاب التاج الجامع للاصول جـ ٥ ص ٣٨٣ تحت عنوان (الشفاعه ثابته) .

* وكذلك ذكرت الانواع الخمس مضافا اليها نوع سادس وهو فى تخفيف العذاب لابى طالب فى كتاب الشرح الجديد لجوهرة التوحيد للشيخ محمد احمد العدوى ص ١٤٠ ، ١٤٧ .

* وكذلك فى كتاب قاعده جليله فى التوسل والوسيله لابن تيميه ص ١٠ ، ١١ وكذلك فى ص ١٤٠ .

(٣) * صحيح الامام مسلم بشرح النووى ــ المجلد الخامس ــ كتاب الفضائل جـ ١٥ باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ص ٣٧ .

* سنن ابن ماجه جـ ٢ (٣٧) كتاب الزهد ٣٧ باب ذكر الشفاعه حديث رقم (٤٣٠٨) ص ١٤٤٠ .

* سنن ابى داود جـ ٢ كتاب السنه باب التخيير بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام ص ٥٢١ .

* سنن الترمذى جـ ٥ كتاب المناقب جزء من حديث طويل باب فى فضل النبى (ص) رقم الحديث ٣٦١٦ قال ابو عيسى . هذا حديث غريب ص ٥٨٧ ، ٥٨٨

عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتى فيجعل فى ضحضاح من نار " وفى رواية " ولولا انا لكان فى الدرك الاسفل من النار " [1].

وزاد بعضهم شفاعه سابعه وهى شفاعته صلى الله عليه وسلم لاهل المدينة فانه قال " لا يثبت على لاوائها احد الا كنت له شهيدا وشفيعا " [2] وكذلك شفاعته لمن مات بها لحديث ابى هريره رفعه " من استطاع ان يموت بالمدينه فليفعل فانى أشفع لمن مات بها " [3] ولمن زار قبره لقوله :

" من زار قبرى وجبت له شفاعتى " [4]، ولمن اجاب المؤذن ثم سأل له الوسيله .

---

(١) سبق تخريجه فى ص ٧

(٢) صحيح الامام مسلم بشرح النووى ـ المجلد ٣ ـ ج ٩ كتاب الحج ـ باب فضل المدينة ودعاء النبى صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة ـ غير ان الروايه فيها تأخير وتقديم فقد ذكر "ولايميت احد على لاوائها وجهدها الا كنت له شفيعا وشهيدا ص ١٣٦ .
* سنن الترمذى ج ٥ (٥٠) كتاب المناقب (٦٨) باب فى فضل المدينة حديث رقم (٣٩١٨) " من صبر على شدتها ولاوائها " اى الشده وضيق المعيشة " كنت له شهيدا " وشفيعا يوم القيامة قال : وفى الباب عن ابى سعيد وسفيان بن أبى زهير وسبيعه الاسلمية . قال : وهذا حديث حسن صحيح غريب من حديث عبيد الله ص ٧١٩ ، ٧٢٠ .
* موطأ الامام مالك ج٢ (٤٥) كتاب الجامع (٢) باب ما جاء فى سكنى المدينة والخروج منها حديث رقم (٣) ص٨٨٥، ٨٨٦ .

(٣) * سنن الترمذى ج ٥ (٥٠) كتاب المناقب (٦٨) باب فى فضل المدينة حديث رقم (٣٩١٧) قال : وفى الباب عن سبيعة بنت الحارث الاسلمية قال : هذا حديث حسن غريب من حديث أيوب السختيانى ص ٧١٩ .
* ابن ماجه ج ٢ (٢٥) كتاب المناسك (١٠٤) باب فضل المدينة حديث رقم (٣١١٢) عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من استطاع أن يموت بالمدينة ، فليفعل ـ فانى أشهد لمن مات بها " وذكر فى الهامش الحديث وقال بان لا يخرج منها الى ان يموت ص ١٠٣٩ له شفاعتى ص٢٧٨ ، ٢٧٩ وجاء فى هامش سنن ابن ماجه ج ٢ كتاب المناسك (١٠٤١) باب فى فضل المدينة ص ١٠٣٩ .

(٤) سنن للدار قطنى ج ٢ كتاب الحج ـ باب المواقيت حديث رقم (١٩٤) فى الهامش (ناموس) بن هلال العبدى شيخ بصرى ، قال ابو حاتم : مجهول وقال العقيلى : لايتابع على حديثه ، وقال ابن عدى ارجو انه لا بأس به ، قال الذهبى : قلت هو صالح الحديث ، وانكر ما عنده حديثه عن عبد الله ابن عمر عن نافع ابن عمر مرفوعا " من زار قبرى وجبت له شفاعتى " (*)

والظاهر ان تلك الانواع لا تخرج عما تقدم فلا حاجة لعدها معهـــا .
وقال ابن حجر (وظهر لى بالتتبع شفاعة اخرى وهى الشفاعة فيمن استوت حسناته وسيآته أن يدخل الجنه ومستندها ما اخرجه الطبرانى عن ابن عباس قال : السابق يدخل الجنه بغير حساب والمقتصد برحمة الله ، والظالم لنفســـه وأصحاب الاعراف الاقوال ان اصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم) (١) .
(واما شفاعته فى تخفيف عذاب القبر لحديث " القبرين "(٢) فهى شفاعه فى البرزخ لا فى القيامه لكونها منجمله احوال الدنيا ، وزاد الشعـــــرانى

(*) ص٢٧٨ ، ٢٧٩ وجاء فى هامش سنن ابن ماجه جـ٢ كتاب المناسك (١٠٤) باب فى فضل المدينة ص ١٠٣٩ . قال الدميرى فائده ، زيادة النبى صلـــى الله عليه وسلم " من زار قبرى وجبت له شفاعتى) رواه الدار قطنى وغيره ، وصححه عبد الحق . ولقوله صلى الله عليه وسلم " من جاءنى زائرا ، لا تحمله حاجه الا زيارتى كان حقا على ان اكون له شفيعا يوم القيامـــــه " رواه الجماعه منهم الحافظ ابو على بن السكن فى كتابه المسمى بالسنـــن الصحاح فهذان امامان صححا هذين الحديثين ، وقولهما اولى مـــــن قول من طعن فى ذلك . نقله السندى .

(١) فتح البارى شرح احاديث البخارى جـ١١ (٨١) كتاب الرقاق (٥١) بـــاب صفه الجنه والنار ص ٤٢٨ .

(٢) * صحيح الامام البخارى المجلد الاول جـ ١ ـ كتاب الوضوء ـ باب مـــن كبائر ان لا يستترض بوله ص٦٤ ، ٦٥ .
* صحيح الامام مسلم بشرح النووى المجلد الاول ـ جـ ٣ ـ كتاب الطهاره باب ـ نجاسه البول ووجوب الاتبراء منه ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .
* سنن ابن ماجه جـ ١ (١) كتاب الطهارة وسننها باب (٢٦) التشديـــد فى البول ـ حديث رقم (٣٤٧) ص ١٢٥ .
* سنن النسائى جـ ١ كتاب الطهارة باب النثره عن البول عن ابن عباس ص ٢٨ : ٣٠ .
* عون المعبود شرح سنن ابى داود جـ١ كتاب الطهارة باب (١١) الاستبراء من البول عن ابن عباس رقم (٢٠) وقال الخطابى فى الهامش هو محمول على انه دعا لهما بالتخفيف مدة بقاء النداوة لا لان فى الجريدة معنى يخصه ولا لان فى الرطب معنى ليس فى اليابس انتهى ص ٤٠ ، ٤٥ . ويؤيده ما ذكره الامام مسلم (فاحببت شفاعتى ان يرفع ذلك عنهما مادام العودان رطبين) ووجدت من واجبى ان اذكر نص الامام البخارى رحمه الله (مـــر النبى (ص) بقبرين فقال انهما يعذبان وما يعذبان فى كبير ، اما احدهمـــا فكان لا يستتره البول واما الاخر فكان يمشى بالنميمه ثم اخذ جريده رطبـــــه فشقها نصفين فغرز فى كل قبر واحده ، قالوا يا رسول الله لم فعلت هـــذا قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبســا " .

على السته المذكورة شفاعتين الاولى فى صلحاء أمته ليتجاوز عنهم فى تقصيرهم فى الطاعات .

وقال مؤلف الكتاب قد يقال أن هذه داخله فى رفع الدرجات والثانيه فى اطفال المشركين ان لا يعذبوا)[١]

وهنا أحب أن أذكر نبذه موجزة عن آراء العلماء فى أطفال المشركين ذكر لنا — قاض القضاه عبد الجبار (أن التعذيب ايصال العذاب الى الغير . والعذاب هو الضرر الخاص المستحق على طريق الاستخفاف والاهانه)[٢] اذا ثبت هذا نستطيع ان نعرض هنا آراء العلماء فى هذا المجال فقد انقسموا الى ثلاث فرق .

الفرقه الاولى :

(ترى) أنهم فى النار تبعا لابائهم واستدلوا بما أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول عن السيدة عائشه رضى الله عنها قالت سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن ولدان المسلمين أين هم ؟ قال فى الجنة وسألته عن ولدان المشركين أين هم ؟ قال : فى النار قلت : يا رسول الله لم يدركوا الاعمال ولم تجر عليهم الاقلام قال : ربك أعلم بما كانوا عاملين والذى نفس بيده ان شئت اسمعتك تضاغيهم فى النار)[٣] .

واخرج الشيخان وأصحاب السنن وغيرهم عن ابن عباس قال :

حدثنى الصعب بن جثامة قلت : يا رسول الله انا نصيب فى البيات من ذرارى المشركين . قال : هم منهم)[٤] .

---

(١) النشر الطيب على شرح الشهنج الطيب ج ٢ ص ٤١٩ ، ٤٢١ باختصار .

(٢) شرح الاصول الخمسة ص ٤٧٧ الاصل الثانى فصل فى أنه تعالى لا يجوز ان يعذب اطفال المشركين بذنوب آبائهم .

(٣) * نوادر الاصول للحكيم الترمذى — الاصل الرابع والستون فى معنى الفطرة الاصليه ص ٨٧ .
(تخريجه) منيه ابو عقيل ضعفه جمهور الائمه احمد وغيره ويحيى بن معين ونقل عنه توثيقه فى روايه من ثلاثه . انظر مجمع الزوائد ج ٧ (باب ما جاء فى الاطفال) ص ٢١٧ .

(٤) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى — المجلد الرابع — ج ١٢ — كتاب الجهاد والسير — باب جواز قتل النساء والصبيان فى البيات من غير تعمد بثلاث روايات عن ابن عباس عن الصعب بن جثامه ص ٤٩ .
* مسند الامام احمد ج ٤ — روايه عن ابن عباس ص ٧٢ واخرى ص ٧٣ .

الفرقــة الثانية :

(ترى) التوقف وقالوا : ان منهم من يدخل الجنه ومنهم من يدخـل النار ومن هوءلاء الامام أبو حنيفه رضى الله عنه واستدلوا ٠

بما أخرجه الحكيم الترمذى فى النوادر عن عبد الله بن شداد ان رسـول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فسأله عن ذرارى المشركين الذيـــــن هلكوا صغارا فوضع رأسه ساعه ثم قال : أين السائل ؟ فقال : ها أنــــذا يا رسول الله فقال ان الله تبارك وتعالى اذا قضى بين أهل الجنة والنــار ولم يبق غيرهم عجــوا فقالوا : اللهم ربنا لم تأتنا رسلك ولم نعلم شيئــا فارسل اليهم ملكا والله تعالى اعلم بما كانوا عاملين فقال : انى رسول ربكم اليكم فانطلقوا فاتبعوا حتى أتوا النار فقال ان الله تعالى يامركم ان تقتحموا فيها فاقتحمت طائفه منهم ثم خرجوا من حيث لا يشعر اصحابهم فجعلوا فـى السابقين المقربين ثم جاءهم الرسول فقال ان الله تعالى يأمركم أن تقتحمــوا فى النار فاقتحمت طائفه اخرى ثم أخرجوا من حيث لا يشعرون فجعلوا فــــى أصحاب اليمين ثم جاء الرسول فقال : ان الله تعالى يأمركم أن تقتحموا فـى النار فقالوا : ربنا لا طاقة لنا بعذابك فأمر بهم فجمعت نواصيهم واقدامهم ثم القوا فى النار) (١) ٠

كما استدلوا بقول انس بن مالك فيهم قال ابو داود الطيالسى حدثنا الربيع عن يزيد وهو ابن ابان قال : قلنا لانس يا أبا حمزه ما تقــــول فى اطفال المشركين فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لـــــم يكن لهم سيئات فيعذبوا بها فيكونوا من أهل النار ، ولم يكن لهم حسـنات

---

(١) الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول ـ الاصل الرابع والستون فى معـــنى الفطره الاصليه ص ٨٨٠
هذا الحديث مرسل لان عبد الله بن شداد بن اسامه بن الهاد الكنانى الليثى المتوارى من قدماء التابعين٠
انظر تجريد اسماء الصحابه ج ١ ص ٣١٧ وجاء فى الاصابه فى تمييــز الصحابه انه ولد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم سئل احمد : اسمع عبد الله من النبى صلى الله عليه وسلم شيئا ؟ قال : لا ج ٥ ص ١٣ ، ١٤٦ ٠

فيجازوا بها فيكونوا من أهل الجنه) (١).

الرأى الثالث :

يرى انهم من أهل الجنه مع أطفال المسلمين وهو الرأى الراجح عند اكثر المحققين واستدلوا بقوله تعالى (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) (٢).

---

(١) * مسند ابى داود الطيالسى ــ ج ٩ ــ حديث رقم (٢١١١) غير ان فى اصل المسند يدل كلمه (فيعذبوا) بكلمه (فيعاتبوا) وأضاف بعد (فيجازوا بها فيكونون الاتى (من ملوك اهل الجنه هم خدم اهل الجنه .) روايه الربيع عن يزيد بن ابان عن انس رضى الله عنهم .

* وذكر الحديث فى منحة المعبود فى ترتيب مسند الطيالسى ج ٢ ــ حديث رقم (٢٨٢٢) ص ٢٣٥ ولم يخرجه .

وبالبحث فى الرواة نجد ان :

أ ــ روى عن الطيالسى راويان كل منهما اسمه ربيع وهما ربيع بن حبيب ابو سلمه (وقال احمد بن حنبل ما أرى به بأسا وقال ابن معين ثقه وقال على ابن المدينى ثقة . وقيل ليس يقوى وأحاديثه عن نوفل بن عبد الملك عن ابيه عن على عن النبى صلى الله عليه وسلم منا كير ونوفل مجهول . قال ابو محمد اتفاق احمد ويحيى على توثيقه يدل على أن انكار حديثه عن نوفل ليس منه وانه من نوفل ابن عبد الملك) .

انظر الجرح والتعديل ج ٣ ص ٤٥٧ رقم (٢٠٦٣) .

أما الثانى فهو ربيع بن عبد الله بن خطاف (قال ابن المدينى سألت يحيى ابن سعيد القطان عنه وقلت له أن عبد الرحمن بن مهدى يثنى عليه ، فقال : انا اعلم به وجعل يضرب فخذه تعجبا من عبد الرحمن وقال : لا ترو عنه شيئا فقلت لا أروى عنه حديثا ابدا .

حدثنا على ابن المدينى قال سألت عبد الرحمن عنه فقال : كان عندى ثقه فى حديثه ، وعن عبد الله بن احمد بن حنبل قال سألت ابى عنه فقال ثقه) الجرح والتعديل ج ٣ ص ٤٦٦ رقم (٢٠٨٧) .

وارجح الاول وهو الربيع بن حبيب ابو سلمه الحنفى . انظر كتاب التاريخ الكبير للامام البخارى ج ٣ رقم (٩٤٦) ص ٢٧٧ والله اعلم .

أما الراوى الاخر وهو يزيد ابن ابان الركاشى تكلم فيه شعبه وقال الفلاسى ليس بالقوى وضعفه ابن معين وله اخبار فى المواعظ والخوف والبكاء رقم (٨٠٩٣) ص ١٦٦ ج ٣ من تذهيب تهذيب الكمال فى اسماء الرجال .

(٢) سوره الانعام (آيه ١٦٤) .

حيث يفيد هذا الدليل ان أطفال المشركين لا يعذبون والا كانوا مؤاخذين بذنب ابائهم وهو خلاف ظاهر الايه الكريمه ٠

كما استدلوا بحديث ابراهيم الخليل عليه السلام حين رآه النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنه وحوله اولاد الناس قالوا : يا رسول الله واولاد المشركين قال واولاد المشركين[1] واخرج الحكيم الترمذى وابن عبد البر عن أنس قال : سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال : هم خدام اهل الجنه[2] ٠ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربى اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم)[3] ٠

قال ابن عبد البر هم الاطفال لان اعمالهم كاللهو واللعب من غير عقد ولا عزم ٠

وقام أصحاب الرأى الثالث القائل بانهم فى الجنه يرد الرأى الاول القائل بانهم فى النار تبعا لابائهم والثانى القائل بالتوقيف اى منهم من يدخل الجنه ومنهم من يدخل النار ٠ قائلين :

---

(١) * صحيح الامام البخارى ــ المجلد الثالث جـ ٩ ــ كتاب التعبير ــ باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ص ٥٥ : ٥٨ ٠
* مسند الامام احمد بن حنبل جـ ٥ ص ٨ ، ٩ ٠

(٢) * رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط والبزار وفيه عباد بن منصور وثقه يحيى القطان وفيه ضعف وبقيه رجاله ثقات عن سمرة بن جندب ٠ اما روايه انس بلفظ (اطفال المشركين) رواها ابو يعلى والبزار والطبرانى فى الاوسط وفى اسناد ابى يعلى يزيد الرقاش وهو ضعيف ، وقال فيه ابن معين رجل صدق ، ووثقه ابن عدى ، وبقيه رجالهما رجال الصحيح ــ مجمع الزوائد جـ ٧ باب فى اولاد المشركين ص ٢١٩ ٠
* وقال الامام ابن حجر فى فتح البارى اسناده ضعيف جـ ٣ كتاب الجنائز باب ٩٢ ما قيل فى اولاد المشركين ص ٢٤٦ ٠

(٣) * نوادر الاصول للحكيم الترمذى ــ الاصل الرابع والستون فى معنى القطره الاصليه ص ٨٨ ٠ غير عبد الرحمن بن المتوكل وهو ثقه جـ ٧ ص ٢١٩ ٠
قال الهيثمى فى مجمع الزوائد رواه ابو يعلى من طرق ورجال احدها رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن المتوكل ٠

اولا : الرد على الـرأى الاول :

١ـ ان هذا الخبر قد ضعفه ابن عبد البر فلا يحتج به وقد صح أنـه عليه الصلاة والسلام (سئل عن أولاد المشركين فقال : الله تعالى أعلـم بما كانوا عاملين) [1] وليس فيه تصريح بأنهم فى النار ، فحقيقه قولـــه بما كانوا عاملين لو بلغوا وهم لم يبلغوا والتكليف لا يكون الا بالبلوغ .

٢ـ اما ما أخرجه الشيخان فهو محمول على الاحكام الدنيويه كالاسترقــاق مثلا .

٣ـ أما سماع الصياح للاطفال فى النار فيجوز أن لفظ الطفل هنا مطلقه على المجاز اى اطلقت عليه بعد البلوغ لقرب العهد به .

ثانيا : الرد على الـرأى الثانـــى :

فقد رد عليه صاحب شرح الاصول لخمسه قائلا :

١ـ لم خصصتم هذا بأولاد الكفـرة ، وهلا قلتم ذلك فى غيرهم مــــن الاطفال ؟ .

٢ـ واذا سلمنا بهذا تكون دار الاخرة دار تكليف وليست دار حســاب والدلاله قد دلت على خلاف ذلك .

اذا نجد ان الرأى الثالث بأنهم فى الجنه مع اطفال المسلمين هــــو الرأى الراجح ، لانه لا يجوز تعذيبهم بذنوب آبائهم فى الاخره بحجـة أن الكافر اذا رأى أفلاذ كبده يعذبون أشد عليه من أن يعذب هو لان هـذا سيكون تعذيبا بلا ذنب والمولى عز وجل يقول (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَـــتَّىٰ

---

(١) * صحيح الامام البخارى المجلد الثالث جـ ٨ كتاب القدر باب اللـــه اعلم بما كانوا عاملين بأربع روايات ص ١٥٣ .

* صحيح الامام مسلم بشرح النووى ـ المجلد السادس جـ ١٦ كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة وحكم موتى اطفال الكفار والمسلمين بأربـــع روايات ص ٢١٠ ، ٢١١ .

* سنن ابى داود جـ ٢ ـ كتاب السنه باب فى ذرارى المشركين ص ٥٣٠ ، ٥٣١ .

* الفتح الربانى لمسند الامام احمد ـ ابواب فى ذكر يوم الحساب وعرض الخلائق على رب الارباب الباب الخامس الفصل الثانى (ما جـــاء فى اولاد المشركين) حديث رقم (٤٣٨) ص ١٧٨ وحديـــــث رقم (٤٣٩) ص ١٧٩ .

نَبْعَثَ رَسُولًا) [1] ويقول عز من قائل (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً) [2] . ثم اذا كان ذلك فى الاخره فكان من باب أولى ان يعذبوا فى الدنيا بذنوب آبائهم ولكن نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يحرم قتل الاطفال والنساء والعجائز فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عبدالله رضى الله عنه اخبره ان امراة وجدت فى بعض مغازى النبى صلى الله عليه وسلم مقتوله فانكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان [3] .

وقد اجمعت الامه على أن اطفال المسلمين فى الجنه الا البعض القليل قد توقفوا مستدلين بقول الرسول صلى الله عليه وسلم للسيده عائشه رضى الله عنها حينما توفى صبى من الانصار فقال (طوبى له عصفور من عصافير الجنه لم يعمل السوء ولم يدركه فقال صلى الله عليه وسلم : أو غير ذلك يا عائشه ان الله تعالى خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم فى اصلاب آبائهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب أبائهم " [4] .

واجاب العلماء على هذا الحديث من وجوه :

١- يجوز ان يكون النهى هنا للمسارعه بالقطع بدون دليل .

٢- ويجوز ان يكون ذلك قبل ان يعلم ان اولاد المسلمين فى الجنه .

---

(١) سورة الاسراء آيه ١٥ .

(٢) سورة الكهف آيه ٤٩ جزء من الايه .

(٣) صحيح البخارى المجلد الثانى ج ٤ كتاب فضل الجهاد والسير باب قتل الصبيان فى الحرب ص ٧٤ .

(٤) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد السادس ج ١٦ - كتاب القدر باب حكم موتى اطفال الكفار والمسلمين ص٢١٢ .
* سنن ابى داود ج ٢ كتاب السنه - باب فى ذرارى المشركين ص ٥٣١ .
* الفتح الربانى لمسند الامام احمد ج ٢٤ - كتاب قيام الساعة والنفخ فى الصور أبواب فى ذكر يوم الحساب وعرض الخلائق على رب الارباب الباب الخامس - الفصل الثالث (فيما جاء فى اولاد المسلمين) حديث رقم (٤٤٥) ص ١٨٠ ، ١٨١ .

٣ـ وجود الادله الكثيرة التى تفيد ذلك مثال قوله صلى الله عليه وسلم (اما من الناس مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغو الحنث الا ادخله الله تعالى الجنه بفضل ورحمته اياهم) (١)

والله اعلم بالصواب

⁘ ⁘

---

(١) * صحيح الامام البخارى ـ المجلد الاول ـ ج ٢ ـ كتاب الجنائز ـ باب فضل من مات له ولد فاحتسبه وقال الله عز وجل وبشر الصابرين ص ٩٢ واللفظ له .

* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد السادس ج ١٦ ـ كتاب القدر باب حكم موتى اطفال الكفار والمسلمين بثلاث روايات ص ٢١٢ .
* سنن بن ماجه ج ١ (٦) كتاب الجنائز ٥٧ باب ما جاء فى ثواب من اصيب بولده ، ثلاث روايات رقم (١٦٠٣) عن أبى هريره رقم (١٦٠٤) عن عتبه بن عبد السلمى قال فى الزوائد فى اسناده ، شرحبيل بن شفعه ، ذكره ابن حيان فى الثقات . وقال ابو داود : شرحبيل وجرير ، كلهم ثقات اهـ وباقى رجال الاسناد ، على شرط البخارى ورقم (١٦٠٥) عن ابى هريره ص ٥١٢ .
* المعجم الصغير للطبرانى ج ٢ ص ٤٦ .
* سنن النسائى المجلد ٢ ج ٣ كتاب الجنائز باب ثواب من احتسب ثلاثه من صلبه ص ٢٤ ، ٢٥ .
* مسند الامام احمد ج ٢ مسند ابى هريره ص ٢٧٦ ، ٥١٠ .
* تلك هى خلاصه ما قاله العلماء فى هذه المساله وقد استخلصتها من الكتب الاتيه :

• شرح الاصول الخمسه ـ فى الاصل الثانى ـ فصل فى اطفال المشركين لا يعذبون بذنوب اباءهم من ص ٤٧٧ ، ٤٨٢ .
• صحيح الامام مسلم بشرح النووى المجلد ٦ ج ١٦ ص ٢٠٧ ، ٢١٣ .
• تفسير الامام الالوسى ج ١٥ عند تفسيره للايه ١٥ من سورة الاسراء ص ٣٥ ، ٣٦ .
• هامش بهجه المحافل ص ١٨٩ .
• مختصر الفتاوى المصرى ـ كتاب العتق المسأله الثالثه ـ اطفال المشركين من ص ٦٤٢ ، ٦٤٤ .
• الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٢٣ .
• تفسير الامام ابن كثير ج ٣ عند تفسيره للايه رقم (١٥) من سورة الاسراء ص ٢٨ ، ٣٢ .

ثانيا : بيـــان النوع الذى اختلفوا فيـــه :

تلك هى انواع الشفاعه فى الاخره ، قد عرضتها بايجاز لاستطيـــع أن أبين النوع الذى اختلف عليه كل من أهل السنه والمعتزلـــه .

" فقد اتفقت المعتزله مع أهل السنة على النوع الاول ، والثانى ، والخامس ، والسادس . وخالفتها فى النوع الثالث والرابع هذا باختصـــار وعند التوضيح نجد أن المعتزله انكروا النوع الثالث القائل " بأحقيـــه الشفاعه لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم فلا يدخلوها ومن شاء الله تعالى كما انكروا النوع الرابع القائل " بخروج قوم مـــن النار بعد أن احترقوا بها " بل قد تورطوا فى انكارهم ذلك النوع مـــن الشفاعه حتى زعموا أن من دخل جهنم يخلد فيها لانه اما كافر واما صاحب كبيره لم يتب منها فاستحق النار بذلك (1).

وبنى المعتزله أدلتهم على اعتقادهم بتخليد الفساق فى النـــار .

" ومذهب هؤلاء أن الفاسق ليس بمؤمن وهو مخلد فى النار وأن العمل داخل فى حقيقه الايمان ، قالوا : ان قلنا إن العبد يدخل الجنه بمجـــرد لا اله الا الله ، يكون هذا باعثا له على الاعتماد والغرور ، وارتكـــاب المعاصى والفجور وهذا الاعتقاد يخرج الناس عن ربقة المله ، وقيـــد الشريعـــه " (2) .

وقد ذكر مؤلف كتاب الدين الخالص العنوان الاتى :

" الرد على المعتزله القائلين بخلود المؤمن العاصى فـــى النـــار ".

وفيه يعرض رأى أهل السنه فى أن الله يخرج أهل القبلة الموحدين من النار ولا يخلدهم . فقال (وليس هذا من هؤلاء صحيح لان التهديدات

---

(1) الشرح الجديد لجوهرة التوحيد ص ١٤١ ، ١٤٢ بتصرف .

(2) * الدين الخالص ـ جـ ٣ ـ تحت عنوان مذهب المعتزله أن الفاسق مخلد فى النار والنص له .

* مقالات الاسلاميين واختلاف المصليين ـ جـ ٢ (٢١٦) تحت عنوان اختلافهم فى تخليد الفساق فى النار ص ١٦٧ .

والوعيدات الواردة في شأن العصاة ، تكفي للانذار والانزجار وان شاء يعذب على معصية واحدة عذابا غير مجذوذ وان شاء عفا عن معاص لا تتناهى وقد ورد أن أدنى مدة عذاب المسلمين الاثيمين ستة آلاف سنة مثل عمر الدنيا ، وفي بعض الروايات : سبعون ألف سنة قال : وصدور هذه الكلمة بالصدق والاخلاص ، والثبات ، والدوام عليها ، من غير عروض ، مناف ، ومخالف لها ، من الشك والتردد ، ليس بسهل ، لاسيما من أهل الفسق والفجور ، المملوءة قلوبهم بالظلمات المحشوة بواطنهم من الشبهات ، وهم واقعون في ورطة الاستخفاف والاستحلال ، فان حصل التصديق اليقيني مع وجود الفسق ويكون صدور المعصية بغلبه الشهوة والنفس وكان الخوف والجزع والعزم على التوبة مقارنا بها ، فالرجا من الله — سبحانه — بمقتضى وعد ، الصادق وكرمه الواثق — ان يغفر له ، ويعفو عنه ، ويدخله الجنة آخرا ، ولو بعد الجزاء والعذاب والعقاب لمن يشاء فانه يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد .

قلت : لا ريب ان الايمان بين الخوف و الرجاء — ولكن ينبغي أن يكون خائفا غير ايس ، وراجيا غير آمن ، وان الله عند ظن عبده به .

ولابد من أن يحسن الظن بالله عند الاحتضار خاصه . اللهم بلغت ذنوبي عنان السماء ، فاغفر لي كلها ، يارب الارض والسماء ، فانه لا يغفر الذنوب الا انت ، ولا رب ولا اله سواك) [1].

وقال السيد سابق في كتابه العقائد الاسلاميه انه (جاء في السنه الصحيحه ان المؤمن لا يخلد في النار) .

فان كان قد ارتكب بعض الكبائر ولم تكفر بحد ، أو توبة نصوح ، أو مصيبه أو مرض ، أو شيء من المكفرات ، فهو محاسب على عمله ، والله يوازن بين أعماله الصالحه وبين جميع معاصيه التي لم يتب منها ، فان رجحت حسناته فهو في الجنه ، وكذلك اذا تساوت حسناته وسيئاته .

" وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ " [2].

---

(١) الدين الخالص — ج ٣ ص ١٤١ : ١٤٣ باختصار .
(٢) سورة الانبياء — آيه ٤٧ .

وان رجحت سيئاته فانه يدخل النار ، فيعذب فيها بقدر ما ارتكب من اثم ، ثم يخرج منها بعد أن يتطهر وبعد أن يوفيه الله جزاءه بمقتضى عدله وحكمته .

فعن أبى سعيد الخدرى ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

" يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى :

" أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان ، فيخرجون منها قد اسودوا ، فيلقون فى نهر الحياء فينبتون كما تنبت الحبه فى جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتويه " (١)

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " يخرج من النار ، من قال : لا اله الا الله ، وفى قلبه وزن شعيره من خير ، ويخرج من النار ، من قال : لا اله الا الله ، وفى قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار ، من قال :

لا اله الا الله ، وفى قلبه وزن ذرة من خير " (٢) .

وقال مؤلف كتاب الانصاف (والدليل على أنه لا يخلد فى النار أحد من المؤمنين بذنب : قوله تعالى : (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ) (٣) وقوله تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا " (٤) .

---

(١) * صحيح الامام البخارى ـ المجلد الاول ـ ج ١ ـ كتاب الايمان باب تفضيل أهل الايمان فى الاعمال ص ١٢ والنص له .
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ـ المجلد الاول ـ ج ٣ ـ كتاب الايمان ـ باب اثبات الشفاعه واخراج الموحدين من النار ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) * صحيح الامام مسلم بشرح النووى ـ المجلد الاول ـ ج ٣ ـ كتاب الايمان ـ باب الشفاعه ص ٥٩ ، ٦٠ واللفظ له .
* تحفه الاحوذى شرح جامع الترمذى ـ ج ٧ ـ ابواب صفه جهنم ـ ٨ باب ما جاء ان للنار نفسين وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد حديث رقم (٢٧٢٠) ص ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٣) سورة النساء جزء من الايه (٤٨) وجزء من الايه (١١٦) .

(٤) سورة الزمر آيه (٥٣) .

فان الكفار لا ينفعهم احسان مع الكفر ، ولا يخرجون من النار ، وكذلك الموحد : لا تضره سيئة مع اثبات التوحيد ، ولا يخلد فى النار) [١] .

٭ ٭

(١) كتـــاب الانصاف ص ٥٤ باختصـــار .

ثالثا : عـــرض الادله التى ذكرها المانعـــون :

ثم انتقل بعد ذلك الى بيان وجهة نظر كل من الفريقين (المانعـــين والمؤيدين) موضحة أدلة كل منهما مع بيان الوجه الراجح وان شاء اللـــه تعالى سيكون هذا الجزء خاص بأدلة المانعين والله الموفق والمعين .

(وقد جاءت الاثار التى بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعـــه فى الاخره لمذنبى المؤمنين وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهـــل السنة عليها ومنعت الخوارج وبعض المعتزله منها وتعلقوا كما قدمنا بمذهبهم فـــى تخليد المذنبين فى النار وقد قمت ببيان ذلك ثم احتجوا بالاتى :

اولا : الايـــات القرآنيـــة :

١ـ بقوله تعالى : " فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشافِعِينَ " (١) . وقولـــه تعالى (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) (٢) و (وَاتَّقُوا يَوْماً لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ) (٣) و (لا يَمْلِكُونَ الشفَاعَـةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْداً) (٤)

٢ـ بتأويلهم أحاديث الشفاعه بكونها فى زيادة الدرجـــات) (٥) .

وقد عرض الامام الجليل الفخر الرازى مذهب كلا من الفريقين بشئ مـــن التوسع قال (اجمعت الامه على أن لمحمد صلى الله عليه وسلم شفاعه فى الاخـــره وحمل على ذلك قوله تعالى " عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً " (٦) وقولـــه :

---

(١) ســـورة المدثـــر آيـــه ٤٨ .
(٢) ســـورة غافـــر آيـــه ١٨ .
(٣) ســـوره البقره آيـــه ٤٨ .
(٤) ســـورة مريم ايـــه ٨٧ .
(٥) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ـ ج ٣ ـ المجلد الاول ـ كتاب الايمان ـ باب اثبات الشفاعه واخراج الموحدين من النار ص٣٥ ، ٣٦ بالمعنى .
وانظر * النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب ـ ج ٢ ص ٤١٩ .
وانظر * الشرح الجديد لجوهرة التوحيد ص ١٤٢ .
وانظر * الفصل فى الاهواء والنحل ج ٤ ص ٦٣ والنص بالمعـــنى من صحيح مسلم بشرح الامام النووى .
(٦) ســـورة الاســـراء جزء من الايـــه (٧٩) .

" وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ " (١) ـ ثم اختلفوا بعد هذا فى أن شفاعته عليه السلام لمن تكون ؟ أتكون للمؤمنين المستحقين للثواب ؟ أم تكون لاهل الكبائر المستحقين العقاب ؟ فذهبت المعتزله على أنها للمستحقين للثواب وتأثير الشفاعه فى أن تحصل زيادة من المنافع على قدر ما استحقوه ، وقال أصحابنا تاثيرها فى اسقاط العذاب عن المستحقين للعقاب اما بان يشفع لهم فى عرصه القيامة حتى لا يدخلوا النار وان دخلوا النار فيشفع لهم حتى يخرجوا منها ويدخلوا الجنه واتفقوا على أنها ليست للكفار ، واستدلت المعتزله على انكار الشفاعه لاهل الكبائر بوجوه :ـ

احدها : قوله تعالى (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) (٢) والظالم هو الاتى بالظلم وذلك يتناول الكافر وغيره لا يقال انه تعالى نفى ان يكون للظالمين شفيع يطاع ولم ينف شفيعا يجاب .

ثانيها : قوله تعالى (مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ) (٣) ظاهر الايه يقتضى نفى الشفاعات باسرها .

ثالثها : قوله تعالى (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) (٤) قالوا أن الرسول الكريم اذا شفع لاصحاب الذنوب فلا شك أن هذا اكبر نصر له لانه سيتخلص بسبب شفاعه الرسول عليه الصلاة والسلام من العذاب .

رابعها : قوله تعالى (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ) (٥)
قالوا ان المولى عز وجل قد أخبر أن لا شفاعه الا لمن ارتضيته والفساق غير مرضى عنهم لذلك ستتخلى عنهم الملائكة وكذلك الانبياء عليهم السلام لانه لا قائل بالفرق فثبت بذلك عدم الشفاعه لفساق الامه .

---

(١) سورة الضحى آيه ٥ .
(٢) سورة غافر آيه ١٨ .
(٣) سورة البقره آيه ٢٥٤ .
(٤) سورة البقره آيه ٢٧٠ .
(٥) سورة الانبياء آيه ٢٨ .

خامسها : قوله تعالى (فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) (١) فقالوا لو سقط العذاب بالشفاعه لنفعتهم والايه تنفى ذلك .

سادسها : قوله تعالى (يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ) (٢) وكذا قوله تعالى (لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَاباً) (٣) وانه تعالى لم يأذن بالشفاعه فى حق أصحاب الكبائر لان هذا الاذن لو عرف لكان مصدره اما بالعقل أو بالنقل فالعقل لا مجال له هنا واما النقل فأما بالتواتر أو بالاحاد . والآحاد لا مجال له فيه لان رواية الاحاد لا تفيد الا الظن والمسألة علمية والتمسك فى المطالب العلمية بالدلائل الظنية غير جائز . وأما بالتواتر فباطل لانه لو حصل ذلك لعرفه جمهور المسلمين ولو كان كذلك لما أنكروا هذه الشفاعه فحيث أطبق الاكثرون على الانكار علمنا أنه لم يوجد هذا الاذن .

سابعها : قوله تعالى (وَاتَّقُوا يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ)

قالوا أن هذه الايه تدل على نفى الشفاعه من ثلاثه أوجه :

الاول : اننا اذا قلنا بجواز الشفاعه فى اسقاط العذاب لكان قد أجزت نفس عن نفس شيئا والايه بخلاف ذلك .

الثانى : قوله تعالى (ولا يقبل منها شفاعه)وهذه نكره فى سياق النفى فتعم جميع انواع الشفاعه .

والثالث : قوله تعالى (ولاهم ينصرون) فهم يقولون أننا لو سلمنا بالشفاعه لأحد العصاه فسيكون محمد صلى الله عليه وسلم ناصرا له والايه تنفى ذلك .

---

(١) سورة المدثر آيه ٤٨ .
(٢) سورة يونس آيه ٣ .
(٣) سورة النبأ آيه ٣٨ .
(٤) سورة البقره آيه ٤٨ .

وثامنها : قوله تعالى (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) [1] ولو كانت الشفاعه حاصله للفاسق لم يكن لتقييدها بالتوبه ومتابعه السبيل معنى .

⁂ ⁂

---

(١) سورة غافر — آيه ٧ .

ثانيا : الاحاديث الدالة على أنه لا توجد الشفاعه فى حق اصحاب الكبائر وهى أربعـــه :

الاول : ما رواه العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة أنـــه عليه الصلاة والسلام دخل المقبره فقال (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانـــا ان شاء الله بكم لا حقون ، وددت انى قد رأيت اخواننا : قالـــوا يا رسول الله السنا اخوانك قال بل انتم اصحابى واخواننا الذين لم يأتـــوا بعد قالوا يارسول الله كيف تعرف من يأتى بعدك من أمتك ؟ قال ارأيـــت ان كان لرجل خيل غر محجلة فى خيل دهم بهم فهل لا يعرف خيله ؟ قالـــوا بلى يا رسول الله ، قال فانهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من الوضـوء وأنا فرطهم على الحوض ، الا فليزادن رجال عن حوض كما يزاد البعـــير الضال أناديهم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فأقول فسحقا فسحقا)[1] .

والاستدلال بهذا الخبر على نفى الشفاعه انه لا يمكن أن يكـــون شفيعا لهم بسبب قوله فسحقا فسحقا لان السحق هو واد بعيد وقيـــل هو اسم لجهنم ومعناها البعد فكيف يبعدهم عنه ويمنعهم شربه ماء .

الثانى : روى عبد الرحمن ابن سابط عن جابر بن عبد الله أن النبـــى صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة " يا كعب بن عجرة أعيذك باللـــه من امارة السفهاء انه سيكون امراء من يدخل عليهم فاعانهم على ظلمهـــم

---

(1) * صحيح الامام مسلم بشرح النووى المجلد الاول جـ ٣ ــ كتاب الطهاره باب استحباب اطالة الغره والتحجيل فى الوضوء ص ١٣٧ ، ١٣٨ ــ والنص له .

* صحيح الامام البخارى ــ المجلد الثالث جـ ٨ كتاب الرقاق ــ ص ١٥٠ وكذلك فى كتاب الفتن جـ ٩ ص ٥٩ .

* سنن ابن ماجه جـ ٢ كتاب الزهد ــ باب ذكر الحوض حديث رقـــم ٤٣٠٦ ص ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ .

* موطأ الامام مالك جـ ٢ ــ كتاب الطهارة (٦) باب جامع الوضـــوء حديث رقم ٣٨ ص ٢٨ ، ٣٠ .

ومعنى (أرأيت) أخبرنى (غر) جمع أغر وغرة وهى البياض فى جبهـــه الفرس (محجلة) من التحجيل وهو البياض فى ثلاث قوائم من قوائم الفرس وأصله من الحجال وهو الخلخال (دهم) جمع أدهم والدهمـــه السواد (بهم) جمع بهيم قيل هو السواد ايضا وقيل هو الـــذى لا يخالط لونه لون سواه سواء كان اسود أو أبيض او غيره (فرطهم) ــ متقدمهم السابق (لا يزادن) لا يطردن من هامش موطأ الامام مالـــك جـ ٢ ص ٢٩ .

وصدقهم بكذبهم فليس مني ولست منه ولن يرد على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه وسيرد على الحوض ، يا كعب بن عجرة الصلاة قربان والصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، يا كعب بن عجرة لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت) (١) .

والاستدلال بهذا الحديث من ثلاثة اوجه احدها : انه اذا لم يكن من النبي ولا النبي منه فكيف يشفع له .

وثانيها : قوله " لم يرد على الحوض " دليل على نفي الشفاعه لانه اذا منع من الوصول الى الرسول حتى لا يرد عليه الحوض فبأن يمتنع الرسول من خلاصه من العقاب اولى .

وثالثها : ان قوله " لا يدخل الجنه لحم نبت من السحت " صريح في أنه لا أثر للشفاعة في حق صاحب الكبيره .

والثالث : عن أبي هريرة قال : قال عليه الصلاة والسلام " لا ألفين احدكم يوم القيامه على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك " (٢) وهذا صريح في المطلوب لانه

---

(١) * سنن الترمذى جـ ٢ ابواب الصلاه باب ما ذكر فى فضل الصلاه حديث رقم ٦١٤ قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث عبيد الله بن موسى ص ٥١٢ ، ٥١٣ .

* مسند الامام احمد جـ ٣ ص ٣٢١ ، ٣٩٩ .

* سنن الدارمى جـ ٢ كتاب الرقاق (١٠) باب فى اكل السحت حديث رقم (٢٧٧٩) وقيل عنه فى الهامش رواه ايضا الترمذى وهو قطعه من حديث رواه ابن حبان فى صحيحه ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

* جاء فى مجمع الزوائد للهيثمى (رواه الترمذى باختصار ـ رواه الطبرانى فى الاوسط ورجاله ثقات جـ١٠ باب جامع فى المواعظ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٢) * صحيح الامام مسلم بشرح النووى مجلد ٤ جـ ١٢ ـ كتاب الامارة ـ باب غلظ تحريم الغلول جزء من حديث طويل من ص ٢١٦ : ٢١٧ واللفظ له .

* صحيح الامام البخارى ـ المجلد الاول ـ جـ ٢ ـ كتاب الزكاة باب اثم مانع الزكاه ص ١٣٢ .

اذا لم يملك له من الله شيئا فليس له فى الشفاعه نصيب .

الرابع : عن ابى هريرة قال قال عليه الصلاة والسلام " ثلاثه انا خصيمهم يوم القيامة ومن كنت خصيمه خصمته رجل اعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فاكل ثمنه ، ورجل استأجر اجيرا فاستوفى منه ولم يوفه اجرته " والاستدلال به أنه عليه الصلاة والسلام لما كان خصيما لهؤلاء استحال أن يكون شفيعا لهم) .

ثم ذكر الامام الفخر الرازى رحمه الله أن المعتزله قالوا ان الحديث القائل " شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى " [1] حديث باطل لانه يدل على أن شفاعته ليست الا لاهل الكبائر وهذا غير جائز لان شفاعته منصب عظيم فتخصيصه بأهل الكبائر فقط يقتضى حرمان أهل الثواب عنه وذلك غير جائز لانه لا اقل من التسوية ، ثم أنه خبر واحد ورد على مضادة القرآن فانا قد اثبتنا بكثير من الايات على بطلان الشفاعه فى عصاة المؤمنين وعلى هذا وجب رد هذا الحديث لمخالفته للقرآن ، وأضاف الامام الجليل الفخر الرازى فى تفسيره بعض الاحتمالات التى أولت بها المعتزله هذا الحديث افترضوا صحته .

احداها : ان يكون المراد منه الاستفهام بمعنى الانكار يعنى اشفاعتى لاهل الكبائر من امتى كما ان المراد من قوله (هذا ربى) [2] اى أهذا ربى ؟

ثانيها : ان لفظ الكبيرة غير مختص لا فى أصل اللغة ولا فى عرف الشرع بالمعصية بل كما يتناول المعصية يتناول الطاعه قال تعالى فى صفه

---

(1) * تحفه الاحوذى شرح جامع الترمذى ـ جـ ٧ ـ أبواب صفة القيامه باب الشفاعه ـ باب منه ـ حديث رقم (٢٥٥٢) ص ١٢٧ .
* سنن ابى داود جـ ٧ كتاب السنه ـ باب فى الشفاعه حديث رقم (٤٥٧٢) ص ١٢٣ .
* سنن ابن ماجه جـ ٢ (٣٧) كتاب الزهد (٣٧) باب ذكر الشفاعه حديث رقم (٤٣١٠) ص ١٤٤١ .
* وجاء فى المستدرك على الصحيحين المجلد الاول وقال على شرطهما ولم يخرجاه واقره الذهبى وله شواهد ص ٦٩ وسوف يذكر هذا بشىء من التفصيل فى ص ٨١ ـ ٨٥

(2) سورة الكهف آيه ٧٨ .

الصلاه (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَاشِعِينَ) [١] واذا كان كذلك فقوله لاهل الكبائر لا يجب ان يكون المراد منه أهل المعاص الكبيرة لكن أهل المعاصى الكبيرة اعم . بل لعل المراد منه اهل الطاعات الكبيرة .

فان قيل : هب ان لفظ الكبيرة يتناول الطاعات والمعاصى ولكن قوله أهل الكبائر صيغة جمع مقرونه بالالف واللام فيفيد العموم فوجب ان يدل الخبر على ثبوت الشفاعه لكل من كان من أهل الكبائر سواء كان من أهل الطاعات الكبيرة أو المعاصى الكبيرة قلنا : لفظ الكبائر وان كان للعموم الا ان لفظ " أهل " مفرد فلا يفيد العموم فيكفى فى صدق الخبر شخص واحد من أهل الكبائر فتحمله على الشخص الاتى بكل الطاعات فانه يكفى فى العمل بمقتضى الحديث حمله عليه .

وثالثها : هب انه يجب حمل اهل الكبائر على اهل المعاصى الكبيرة اعم من اهل المعاصى الكبيرة بعد التوبه أو قبل التوبة فنحن نحمل الخبر على أهل المعاصى الكبيرة بعد التوبة ويكون تأثير الشفاعه فى أن يتفضل الله عليه بما انحبط من ثواب طاعته المتقدمه على فسقه) [٢] وهذه هى النقاط التى تناولت الزوايا الحرجه لادلة المانعين التى ذكرها الامام الجليل الفخر الرازى .

وجاء فى كتاب شرح الاصول الخمسه [٣] " ان شفاعة الفساق الذين ماتوا [٤] على الفسوق ولم يتوبوا يتنزل منزلة الشفاعه لمن قتل ولد الغير وترصد للاخر حتى يقتله ، فكما ان ذلك يقبح فكذلك ههنا ، هذا الذى ذكره قاضى القضاه . والذى يذهب اليه أبوها ، هو أنه تحسن الشفاعه مع اصرار المذنب على الذنب كما فى العفو ، ولعل الصحيح فى هذا الباب ما اختاره قاضى القضاه . وأجد ما يدل على ذلك ايضا ، أن الرسول اذا شفع لصاحب فلا يخلوا إما أن يشفع ، اولا ، فان لم يشفع لم يجز لانه يقدح فى اكرامه ، وان شفع فيه لم يجز ايضا لانه

---

(١) سورة البقره آيه ٤٥ .

(٢) تفسير الامام الفخر الرازى ـ جـ ٣ ـ فى تفسير سورة البقرة آيه ٤٨ ص ٥٥ : ٦٣ بتصرف .

(٣) للقاضى عبد الجبار .

(٤) فى الهامش (يموتون)

لانه قد دلتنا على أن اثابة من لا يستحق الثواب قبيح ، وأن المكلف لا يدخل الجنة تفضلا . وايضا فقد دلت الدلالة على أن العقوبة تستحق على طريق الدوام فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبى عليه السلام والحال ما تقدم " ثم استدل بنفس الايات القرآنيه السابقه وهنا نجد أن القاضى عبد الجبار والمقدم الدكتور عبد الكريم عثمان ينكرون الشفاعة لصاحب الكبيره بينما المعلق ابن ابى هاشم يجوزها .

وقال المحقق " والسبب فى أن البعض أثبت الشفاعة للمذنبين هو تعلقهم بالحديث القائل " شفاعتى لاهل الكبائر من امتى " [1] وقالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم قد نص على صريح ما ذهبنا اليه والجواب ان هذا الخبر لم يثبت صحته اولا ، وان صح فهو منقول بطريق الاحاد عن النبى صلى الله عليه وسلم ومسألتنا طريقها العلم فلا يصح الاحتجاج به ثم انه معارض بأخبار رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى باب الوعيد ، نحو قوله " لا يدخل الجنه نمام " [2] و (لا مد منخمر ولا عاق " [3] . وقوله

---

(١) سبق تخرجه فى ص ٦٠

(٢) * صحيح الامام مسلم بشرح النووى المجلد الاول – ج ٢ – كتاب الايمان باب غلظ تحريم النميمة بثلاث روايات ص ١١٢ ، ١١٣ .
* مسند الامام احمد ج ٥ ص ٣٨٩ من روايه همام بن الحرث ص ٣٩١ من روايه حذيفه ، ص ٣٩٦ من روايه حذيفه كذلك .

(٣) * سنن ابن ماجه ج ٢ – كتاب الاشربه (٣) باب مد من الخمر حديث رقم (٣٣٧٦) عن ابى الدرداء – فى الزوائد اسناده حسن وسليمان بن عتبه مختلف فيه . وباقى الرجال ثقات ص ١١٢٠ .
* مسند الامام احمد ج ١ ص ٢٧٢ عن ابن عباس مد من الخمر ان مات لقى الله كعابد وثن ج ٢ ص ٦٩ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ثلاث روايات عن عبد الله بن عمر ج ٣ ثلاث روايات عن ابى سعيد ص ١٤ ، ٢٨ ، ٨٧ .

" من قتل نفسه بحديده فحديدته فى يده يجأبها بطنه يوم القيامه فى نار جهنم خالدا مخلدا " (١).

ثم يعود ويقول ان ثبت صحة الحديث السابق فيجب حمله على ما يقتضيه كتاب الله وسنة رسوله ونقول المراد به ـ شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى اذا تابوا ـ ومتى قالوا : ان التائب فى غنى عن الشفاعه ولا فائدة منها قلنا ليس كذلك فان ما استحق التائب من الثواب قد انحبط بارتكابه الكبيره ، ولا ثواب له الا مقدار ما قد استحقه بالتوبه ، فيحتاج الى نفع التفضل عليه .

فان قالوا : ان ذلك شىء قد وعده الله به حيث يقول " وَيَزِيدُهُم مِن فَضْلِهِ " (٢) فلا يثبت للشفاعة والحال ما ذكرتموه (٣) تاثير . قلنا : انه تعالى لم يذكر انه يزيدهم من فضله دون شفاعه النبى صلى الله عليه وسلم ، فلا يمتنع تجويز ان يكون التفضل هو هذا الذى قد وعد به ، بل لا يمنع أن يتفضل عليهم نوعا اخر من التفضل ، ففضله أوسع مما يظنونه وقد قال أبو الهذيل ان الشفاعه انما ثبتت لاصحاب الصغائر وذلك لا يصح لان الصغائر تقع مكفرة فى جنب الطاعات .

فان قيل : ان النبى صلى الله عليه وسلم يشفع ليعاد ما قد انحبط بصغيرته من الثواب قيل له : ان ذلك قد انحبط وبطل وخرج من أن يستحق فكيف يصح عودة بالشفاعه ؟ ثم يقال لهؤلاء المرجئة : أليس أن الامه

---

(١) * صحيح الامام مسلم بشرح النووى ـ المجلد الاول ج ٢ ـ كتاب الايمان باب بيان غلظ تحريم قتل الانسان نفسه ص ١١٨ .
* صحيح الامام البخارى ـ المجلد الاول ج ٢ كتاب الجنائز ـ باب ما جاء فى قاتل النفس ص ١٢٠ .
* سنن النسائى ج ٤ كتاب الجنائز (٦٧) باب ترك الصلاه على من قتل نفسه ص ٦٦ ، ٦٧ .
* سنن الترمذى ج ٤ كتاب الطب باب (٧) ما جاء فيمن قتل نفسه بسم او غيره حديث رقم (٢٠٤٣) عن ابى هريره وحديث رقم (٢٠٤٤) عن الاعمش وقد رويت رواية الاعمش عن ابى هريرة قال ابو عيسى حديث صحيح والثانى اصح من الاول والروايه التى لم تذكر (خالدا مخلدا منها ابدا) اصح لان الروايات انما تجىء بأن أهل التوحيد يعذبون فى النار ثم يخرجون منها ولم يذكر انهم يخلدون ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ باختصار .
* سنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الطب ـ باب النهى عن الدواء الخبيث حديث رقم (٣٤٦٠) ص ١١٤٥ (من شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها .

(٢) سورة النساء آيه ١٧٣ .

(٣) فى الهامش بدل من (ذكرتموه) (ذكرناه) .

اتفقت على قولهم : اللهم اجعلنا من أهل الشفاعة ، فلو كان الامر على ما ذكرتموه لكان يجب ان يكون هذا الدعاء (١) دعاء لان يجعلهم الله تعالى من الفساق وذلك خلف .

فان قالوا : اليس ان الامة قد اتفقت على هذا فقد اتفقت على قولهم : اللهم اجعلنا من التوابين ومن أهل التوبة ، ثم لم يلزم ان يكون هذا الدعاء لان يجعلهم فساقا ملعونين ، فهلا جاز مثله ههنا ؟

قلنا : ان بين الموضعين فرقا لان عندكم ان الشفاعة لا تصح ولا يثبت لها معنى الا للفساق ، فسؤال الله تعالى ودعاؤه حتى يجعله من اهل الشفاعة دعاء له حتى يجعله من أهل الفسوق ، وليس كذلك الحال فى قولنا اللهم اجعلنا من التوابين ومن أهل التوبة ، لان هذا القول يحسن من اصحاب الصغائر والكبائر جميعا ، حتى يحسن من الانبياء وأيضا ، فما من شىء نفعله من المباحات الا ويجوز ان يقع فيها ما هو معصية ، واذا كان ذلك مجوزا ، حسن منا الدعاء بهذه الدعوة ولم يتضمن الدعاء بأن يجعلنا الله تعالى من المتعاطين للافعال القبيحة والمخلين بالواجبات فقد ذكرنا ان التوبة قد تحسن حالا لا يقبح اصلا ، وليس هكذا حال الشفاعة عندكم ، فان النبى صلى الله عليه وسلم لابد من أن يعلم انه ان لم يشفع له ، عاقبه الله تعالى بما ارتكبه من الكبائر .

على ان غرض الامة بهذه الدعوة لو ثبت اتفاقهم عليها ، ان يسهل الله لهم السبيل الى التوبة بالالطاف أو ما يجرى مجراها لما هو غرضهم بتلك الدعوة ، ولا يمكنهم ان يكيلوا علينا بهذا الكيل ، فالمرء ما لم يكن من أهل الكبيرة لا تحسن شفاعته على موضوع مقالتهم ، ويقال لهم ايضا : ما قولكم فيمن حلف بطلاق امرأته ، انه ليفعل ما يستحق به الشفاعة ؟ اليس يلزمه ان يرتكب الكبيرة ويصير من أهل الفسوق والعصيان ولابد من بلاء وحسبك من مذهب هذه حاله فسادا فعلى هذه الطريقة يجرى الكلام فى هذا الباب " (٢) .

---

(١) ذكرت فى الهامش (الداعى) .
(٢) شرح الاصول الخمسة ص ٦٨٨ : ٦٩٣ ـ باختصار .

تلك هى الادلة التى ادعى بها المانعون حرمان عصاة المؤمنين من الشفاعه لخروجهم من النار . قد عرضوها متخذين كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم سترا لهم لترويج ما يصبون اليه .

فقد ذكروا مجموعة من الايات وأولوا معناها بما يخدم مذهبهم وكذلك ذكروا عدة احاديث مستشهدين بها فى غير مكانها كما انهم اولوا الحديث الواضح فى دلالته بالشفاعه لعصاة المؤمنين القائل (شفاعتى لاهل الكبائر من امتى) فقد قالوا ان هذا الحديث لم يصح وان صح يجب تأويله باحدى الوجوه الاتيه :

١ــ قالوا انها مشترطه بالتوبه أى شفاعتى لاهل الكبائر من امتى اذا تابوا .

٢ــ قالوا معناه اشفاعتى لاهل الكبائر من امتى على الاستفهام الانكارى.

ذكروا هذا ليتمسكوا بمذهبهم وليعضدوا ما يدعون اليه بصرف النظر عن الحقيقة الجليه الظاهره ولكن نحمد الله لقد وفق علماء الاسلام الذين لا يبغون الا الحق فى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ان يصدوا تلك المزاعم التى لا أصل لها . اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين واحشرنا فى زمرة المسلمين وارزقنا الشفاعه يا ارحم الراحمين .

⁘ ⁘

رابعـــا : ردود أهل السنة على أدلة المانعين

استشهاد المعتزله بالايات القرانيـــه والاحاديث النبويه الكريمه علـــى اثبات مذهبهم القائل بخلود أهل النار فيها حتى لو كانوا مؤمنين وانـــــه لن تقبل فيهم شفاعة شافع باطل ومنكر وسوف أقسم هذه النقطـه الـــــى قســمين :

القســم الاول :

يتناول الرد على الايات القرانيـــة .

القســم الثانى :

يدور حول الادله الحديثيـــه التى استشهدوا بها لتأييـــد مذهبهـــم .

وانشاء الله ســـأجعل من ادلة حكمهم حكما عليهـــم .

والله الموفـــق والمعين

القسم الاول

===

الرد على ما استدلوا به من الايات القرآنيه الكريمه

===

وسوف يكون منهجى فى هذا القسم : هو التعرض لتفسير كل آيه استشهد بها المانعون لتعضيد مذهبهم كل على حده ، وان شاء الله سأثبت ان نفس الايات التى استدلوا بها تعتبر جهدا مشكورا منهم لمساعدتهم لنا عن غير قصد لتكذيب مذهبهم كما قال المولى عز وجل " يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ " (١) .

صدق الله العظيم

الرد على الوجه الاول :

وهو قوله تعالى (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) (٢)

لقد كفانا الامام الجليل الفخر الرازى على الرد باستشهادهم بهذه الايه فقال (فالجواب عنه أن قوله وذكر الايه نقيض لقولنا : للظالمين حميم وشفيع ، لكن قولنا للظالمين حميم وشفيع موجبة كلية ونقيض الموجبه الكليه سالبه جزئيه ، والسالبه يكفى فى صدقها تحقق ذلك السلب فى بعض الصور ولا يحتاج فيه الى تحقيق ذلك السلب فى جميع الصور ، وعلى هذا فنحن نقول بموجبه لان عندنا أنه ليس لبعض الظالمين حميم ولا شفيع يجاب وهم الكفار ، فأما أن يحكم على كل واحد منهم بسلب الحميم والشفيع فلا) (٣) .

---

(١) سورة الحشر آيه ١ .
(٢) سورة غافر آيه ١٨ .
(٣) الامام الجليل الفخر الرازى فى تفسيره لايه ٤٨ من سورة البقرة جـ ٣ ص ٦٥ باختصار .

الرد على الوجه الثانى :

وهو قول المولى عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ) (١) :

تلك الآيه جعلوها دليلا على المنع وعندما نتتبع المفسرين لها لا نجد لاستدلالهم أى وجه . فقد ذكر الفخر الرازى من تفسير تلك الآيه عدة مسائل اخترت منها المسأله الرابعة التى تؤيد ما اهدف اليه . قال " ولا خله ولا شفاعه " عام فى الكل ، الا ان سائر الدلائل دلت على ثبوت المودة والمحبة بين المؤمنين ، وعلى ثبوت الشفاعة للمؤمنين . وقال (ولا خلة ولا شفاعه) أو هم ذلك نفى الخله والشفاعه مطلقا . فذكر تعالى عقيبه (والكافرون هم الظالمون) ليدل على أن ذلك النفى مختص بالكافرين، وعلى هذا التقدير تصير الآية دالة على اثبات الشفاعة فى حق الفساق ، قال القاضى :

هذا التاويل غير صحيح لان قوله (والكافرون هم الظالمون) كلام مبتدأ فلم يجب تعليقه بما تقدم .

(والجواب) أنا لو جعلنا هذا الكلام مبتدأ تطرق الخلف الى كلام الله تعالى ، لان غير الكافرين قد يكون ظالما ، أما اذا اعلقناه بما تقدم زال الاشكال فوجب المصير الى تعليقه بما قبله .

(والتاويل الثانى) أن الكافرين اذا دخلوا النار عجزوا عن التخلص من ذلك العذاب ، فالله تعالى لم يظلمهم بذلك العذاب ، بل هم الذين ظلموا انفسهم حيث اختاروا الكفر والفسق حتى صاروا مستحقين لهذا العذاب، ونظيره قوله تعالى (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً) (٢) .

(التاويل الثالث) ان الكافرين هم الظالمون حيث تركوا تقديم الخيرات ليوم فاقتهم وحاجتهم وانتم ايها الحاضرون لا تقتدوا بهم فى هذا

(١) سورة البقرة آيه ٢٥٤ .
(٢) سورة الكهف آيه ٤٩ .

فى هذا الاختيار الردىء ، ولكن قدموا لانفسكم ما يجعلونه يوم القيامـــــه فدية لانفسكم من عذاب الله ٠

(والتاويل الرابع) الكافرون هم الظالمون لانفسهم بوضع الامور فـــى غير مواضعها ، لتوقعهم الشفاعة ممن لا يشـــفع لهم عند الله فانهـــــم كانوا يقولون فى الاوثان ٠ (هَٰؤُلَآءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ) (١) ، وقالـــــوا أيضا : (ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ) (٢) فمن عبد جمـــــادا وتوقع أن يكون شفيعا له عند الله فقد ظلم نفسه حيث توقع الخير ممـــــن لا يجـــوز التوقع منـه ٠

(والتاويل الخامس) المراد من الظلم ترك الانفاق ، قال تعالى : (آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا) (٣) أى اعطت ولم تمنع فيكون معـــــنى الايه والكافرون التاركون للانفاق فى سبيل الله ، وأما المسلم فلا بد وان ينفق منه شيئا قل أو كثـــر ٠

(والتاويل السادس) (والكافرون هم الظالمون) اى هم الكاملـــون فى الظلم البالغون المبلغ العظيم فيه كما يقال : العلماء هم المتكملـــون أى هم الكاملون فى العلم فكذا هـهنـــا) (٤)

ومن هذا المنطلق نفهم ان الايه واضحة فى اثبات الشفاعه للفســـاق ومما يرجح ذلك عجز الايه القائل (والكافرون هم الظالمون) حيث أن هـــذا التذيل اكد لنا أن نفـى الخلة والشفاعه منصب على الكافرين لظلمهم انفسهـــم باحدى الوجوه التى ذكرها الامام الفخر الرازى ٠

والله أعلـم بالصـــواب ٠

---

(١) ســـورة يونـــس آيه ١٨ ٠
(٢) ســـورة الزمـــر آيه ٣
(٣) ســـورة الكهف آيه ٣٣ ٠
(٤) تفسير الامام الفخر الرازى ــ سورة البقرة ــ آيه ٢٥٤ ــ جـ ٢ ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧ باختصـــار ٠

الرد على الوجـــه الثالث :

وهو قول المولى عز وجل (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) (١)

ورد الامام الجليل الفخر الرازى على الاستدلال بقوله تعالى :
وذكر الايه التى نحن بصددها الان على المنع بقوله (فالجواب عنه أنه نقيض قولنا : للظالمين أنصار وهذه موجبة كلية فقوله (وما للظالمين من انصـار) سالبه جزئيه فيكون مدلول سلب العموم لا يفيد عموم السلب) (٢) .

ونلاحظ ان هذا الوجه نظيره الوجه الاول . وقد أجاب عليه الامـــام الفخر الرازى بالدليل المنطقى حيث ان سلب وجود الانصار كما هو واضـح فى الايه التى نحن بصددها او سلب وجود الحميم والشفيع فى الايه الـتى استشهدوا بها فى الوجه الاول هو سلب جزئى وحكم جزئى والحكم الجزئـى لا نستطيع ان نعممه على الكل اذا السلب فى الايه لا يفيد وقوعه على الكل .

والله اعلم بالصـــواب

الرد على الوجـــه الرابع :

وهو قول المولى عز وجل (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ) (٣)

ثم احتجت المعتزله بهذه الايه على أن الشفاعه فى الاخره لا تكـون لاهل الكبائر لانه لا يقال فى أهل الكبائر ان الله يرتضيهم (والجـــواب) قال ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك (الا لمن ارتضى) أى لمن قال لا اله الا الله . واعلم أن هذه الايه من اقوى الدلائل لنا فى اثبـــات الشفاعه لاهل الكبائر وتقريره هو أن من قال لا اله الا الله فقد ارتضاه تعالـى فى ذلك ومتى صدق عليه أنه ارتضاه الله تعالى فى ذلك فقد صدق عليـــه أنه ارتضاه الله لان المركب متى صدق فقد صدق لا محالة كل واحد مـــن

(١) ســـورة البقرة آيـــه ٢٧٠ .
(٢) تفسير الفخر الرازى ج ٣ سورة البقرة عن تفسير ايه ٤٨ ص ٦٥ باختصار .
(٣) ســـورة الانبيـــاء آيه ٢٨ .

اجزائه واذا ثبت أن الله قد ارتضاه وجب اندراجه تحت هذه الايـــــــه فثبت بالتقرير الذى ذكرناه ان هذه الايه من أقوى الدلائل لنا على ما قرره ابن عباس رضى الله عنهمـــا) [1] .

ثم ذكر الامام الجليل سيد قطب انهم لا يتقدمون بالشفاعه الا لمن ارتضـــاه الله ورضى أن يقبل الشفاعه فيه . وهم بطبيعتهم خائفون الله مشفقون من خشيته على قربهم وطهارتهم وطاعتهم التى لا استثناء فيها ولا انحراف فيها) [2] .

اذن الايه لا تنفى ابدا الشفاعه لعصاة المؤمنين ولا يمكن ان تكـــون حجه على ذلك ولكن يفهم منها ان الشفاعه لا يملكها اى انسان ولكن خصـص المولى عز وجل لها اناسا معينين قد ارتضاهم واهلهم لذلك . وعلى تفســير ابن عباس لمعنى (ارتضى) اى بمن قال لا اله الا الله اى بقول الشهاده يؤكد لنا أن الشفاعه ثابته لاهل الكبائر لانهم من أهل لا اله الا الله محمدا رســول الله . وعند تتبع تفسير هذه الآيه عند كثير من المفسرين أمثال ابو السعـــود وابن كثير والكشاف والقاسمى [3] نجدهم جميعا يؤيدون بتفسيرهم ان تلـــــك الآيه من اقوى الدلائل على اثبات الشفاعه لعصاة المؤمنين .

والله اعلم بالصـــواب

الرد على الوجه الخامس :

وهو قوله عز من قائل (فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) [4]

ذكر الامام الفخر الرازى تحت عنوان :

– القول بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم .

فى حق فساق الامة حق خلافا للمعتزله – قوله تعالى فى صفه الكفـــار وذكر الايه التى نحن بصددها وقال (وتخصيصهم بهذه الحال يدل على أن

---

(١) تفسير الفخر الرازى – ج ٢٢ ص ١٦ – سورة الانبياء آيه ٢٨ .
(٢) تفسير الامام الجليل سيد قطب المجلد ٤ ج ١٧ سورة الانبياء ايه ٢٨ ص ٢٣٧٥ .
(٣) نجد نفس المعنى فى تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٧٦ وتفسير ابو السعود ج ٣ ص ٣٣٩ .
وتفسير الكشاف ج ٢ ص ٥٦٩ وتفسير القاسمى ج ١١ ص ٤٢٦٤ ، ٤٢٦٥ .
(٤) ســورة المدثــر آيـه ٤٨ .

حال المؤمن بخلاف ، وأيضا قال تعالى :

" واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ " (١) أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر للمذنب منهم فاذا أتى بهذا الاستغفار فالظاهر أنه يجب أن يشرفه الله تعالى الاجابة اليه ، واذا اراد ذلك وجب ان يحصل ذلك المراد لقوله تعالى : " وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ " (٢) وايضا قوله صلى الله عليه وسلم " اعددت شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى " (٣) .

و اعلم أن دلائل المعتزله فى نفى الشفاعه يجب أن تكون عامة فى حق الاشخاص وفى حق الاوقات ، والا فلا يفيدهم مقصودهم ودلائلنا فى اثبات الشفاعه مخصوصة فى الاشخاص وفى الاوقات ، فانا لا نثبت الشفاعه فى حق الكل فثبت أن دلائلنا خاصة ودلائلهم عامة ، والخاص مقدم على العام) (٤) .

الرد على الوجه السادس :

وهو قوله عز من قائل (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ) (٥)

وقوله (لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا) (٦)

وقوله (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (٧)

فقد ذكر الامام الفخر الرازى عند التعرض لقوله تعالى :

(من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) ان فيها مسألتان :

---

(١) سورة محمد آيه ١٩ .
(٢) سورة الضحى آيه ٥ .
(٣) سبق تخريجه فى ص ٦٠
(٤) من تراث الرازى ــ اصول الدين للرازى المسمى معالم اصول الدين لشيخ الاسلام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازى ــ الباب التاسع فى أحوال القيامه وفيه مسائل ــ المسالة الثالثه عشر ص ١٢٦ .
(٥) سورة يونس آيه ٣
(٦) سورة النبأ آيه ٣٨ .
(٧) سورة البقره آيه ٢٥٥ .

(المسأله الاولى) قوله (من ذا الذى) استفهام معناه الانكار والنفى ، اى لا يشفع عنده أحد الا بأمره وذلك أن المشركين كانوا يزعمون أن الاصنام تشفع لهم وقد أخبر الله تعالى عنهم بأنهم يقولون (وما نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)[١] وقولهم (هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ) [٢] ثم بين تعالى انهم لا يجدون هذا المطلوب • فقال (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ ولا يَنْفَعُهُمْ) [٣] فأخبر الله تعالى أنه لا شفاعة عنده لاحد الا من استثناه الله تعالى بقوله (الا باذنه) ونظيره قوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكه صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا) •

(وقد ذكر عبد المتعالى الجبرى فى كتابه المسمى بالمصطلحات الاربعه عند ذكر هذه الآيه انها " نزلت قطعا لامل الشافعين والمتكلين على الشفاعه المعروفه التى يغتر بها الكافرون والفاسقون اذ يظنون ان الله تعالى يرجع عن تعذيب من استحق العذاب منهم لاجل اشخاص ينتظرون شفاعتهم • ان الشفاعه تتوقف على اذنه ، واذنه لا يعرف الا بوحى منه تعالى ، أى اذا امكن أن تكون هناك شفاعة بمعنى آخر يليق بجلال الله تعالى كالدعاء ") [٤]ـ انتهى

ثم اكمل الامام الفخر الرازى وقال : (المسألة الثانية) قول القفال :ـ انه تعالى لا يأذن فى الشفاعه لغير المطيعين اذ كان لا يجوز فى حكمته التسوية بين اهل الطاعة وأهل المعصية وطول فى تقريره •

وأقول ان هذا القفال عظيم الرغبة فى الاعتزال وحسن الاعتقاد فى كلماتهم ومع ذلك فقد كان قليل الاحاطة بأصولهم وذلك لان من مذهب البصريين منهم أن العفو عن صاحب الكبيره حسن فى العقول ، الا ان السمع دل على أن ذلك لا يقع ، واذا كان كذلك كان الاستدلال العقلى على المنع من الشفاعه فى حق العصاة خطأ على قولهم ، بل على مذهب الكعبى ان العفو عن المعاصى قبيح عقلا ، فأن كان القفال على مذهب الكعبى ، فحينئذ ا

---

(١) سورة الزمر آيه ٣ •
(٢) سورة يونس آيه ١٨ •
(٣) سورة يونس آيه ١٨ •
(٤) المصطلحات الاربعه بين الامامين المودودى ومحمد عبده ـ الفصل السادس ص ١٨٣ ـ تحت عنوان (الشفعاء ومن لهم الشفاعه) •

يستقيم هنا الاستدلال .

الا ان الجواب عنه يرد ذلك من وجوه : (الاول) ان العقاب حق الله تعالى وللمستحق ان يسقط حق نفسه ، بخلاف الثواب فانه حق العبد فلا يكون الله تعالى ان يسقطه ، هذا الفرق ذكره البصريون فى الجواب عن شبهة الكعبى (والثانى) أن قوله : لا يجوز التسويه بين المطيع والعاصى ان أراد به أنه لا يجوز التسوية بينهما فى أمر من الامور فهو جهل ، لانه تعالى قد سوى بينهما فى الخلق والحياه والرزق واطعام الطيبات والتمكين من المرادات وان كان المراد انه لا يجوز التسوية بينهما فى كل الامور فنحن نقول بموجبه ، فكيف لا يقول ذلك والمطيع لا يكون له جزع ولا يكون خائفا من العقاب ، والمذنب يكون فى غاية الخوف وربما يدخل النار ويتالم مدة . ثم يخلصه الله تعالى عن ذلك العذاب بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم .

واعلم أن القفال رحمه الله كان حسن الكلام فى التفسير دقيق النظر فى تأويلات الالفاظ الا انه كان عظيم المبالغة فى تقرير مذهب المعتزله . مع أنه كان قليل الحظ من علم الكلام قليل النصيب من معرفه كلام المعتزله . أما قوله تعالى : (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) وعلم أن المقصود من هذا الكلام : أنه سبحانه عالم بأحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق العقاب والثواب لانه عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافيه ، والشفعاء لا يعلمون من أنفسهم ان لهم من الطاعة ما يستحقون به هذه المنزله العظيمه عند الله تعالى ، ولا يعلمون ان الله تعالى هل اذن لهم فى تلك الشفاعه وانهم يستحقون المقت والزجر على ذلك ، وهذا يدل على انه ليس لاحد من الخلائق ان يقدم على الشفاعه الا باذن الله تعالى)[1].

اذن الآيات لا تنفى حصول الشفاعه لعصاة المؤمنين بل تثبتها وأن قولهم لم يوجد ما يدل على اذن الله عز وجل فى الشفاعه لهم وكذلك قولهم ان الاكثرين أطبقوا على الانكار فهو غير صحيح وأن الشفاعه لعصاة المؤمنين حاصلة بالادلة الكثيرة التى سأذكرها ان شاء الله عندما اعرض جميع الردود

---

(١) الفخر الرازى — سورة البقرة آيه ٢٥٥ جـ ٧ ص ٩ ، ١١ .

على الادله التى جاء بها المانعون لتكون بمثابة التحليه بعد التخليه .

الرد على الوجه السابع :

وهو قول المولى عز وجل : (وَاتَّقُوا يَوْماً لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ)[1]

وذكر الامام الالوسى عند تفسيره لهذه الآيه الاتى : (تمسك المعتزله بعموم الآية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر – وكون الخطاب للكفار والآيه نازلة فيهم – لا يدفع العموم المستفاد من اللفظ و واجيب بالتخصيص من وجهين الاول بحسب المكان والزمان فان مواقف القيامة ومقدار زمانها فيها سعه وطول ، ولعل هذه الحالة فى ابتداء وقوعها وشدته ثم يأذن بالشفاعه ، وقد قيل : مثل ذلك فى الجمع بين قوله تعالى : (فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ)[2] وقوله تعالى : (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ)[3] وكون مقام الوعيد يأبى عنه غير مسلم ، والثانى بحسب الاشخاص اذ لابد لهم من التخصيص فى غير العصاة لمزيد الدرجات فليس العام باقيا على عمومه عندهم والا اقتضى نفى زيادة المنافع وهم لا يقولون به ، ونحن نخصص فى العصاة بالاحاديث الصحيحة البالغة حد التواتر ، وحيث فتح باب التخصيص نقول أيضا . ذلك النفى مخصص بما قبل الاذن ، لقوله تعالى : (وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ)[4] وهو تخصيص له دليل ، وتخصيصهم لا يظهر له دليل على أن الشفاعه بزيادة المنافع يكاد أن لا تكون شفاعة والا لكنا شفعاء الرسول صلى الله عليه وسلم عند الصلاة عليه مع أن الاجماع وقع منا ومنهم على انه هو الشفيع ، وايضا فى قوله تعالى :

---

(١) سورة البقره آيه ٤٨ .
(٢) سورة المؤمنون آيه ١٠١ .
(٣) سورة الصافات ايه ٢٧ .
سورة الطور ايه ٢٥ .
(٤) سورة سبأ ايه ٢٣ .

(وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) (١) ، يشير الى الشفاعة التى ندعيهـــا (هكذا) ويحث على التخصيص الذى نذهب اليه) (٢) .

وقال الزمخشـــرى عند تفسيره لهذه الآيه (انه لو قيل : هل فى هذه الايه دليل على أن الشفاعه لا تقبل للعصاه ؟ (قلت : نعـــم لانه نفى ان تقضى نفس عن نفس حقا أخلت به من فعل أو ترك ، ثم نفـــى أن تقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنها لا تقبل للعصاة) .

وقد رد عليه الامام احمد بن المنير رحمه الله فى هامش كتابه الكشـــاف بقـــوله : (اما من جحد الشفاعه فهو جدير ان لا ينالها ، وأما من آمن بها وصدقها وهم أهل السنة والجماعه فأولئك يرجون رحمة الله ، ومعتقدهـــم أنها تنال العصاة من المؤمنين . وانما ادخرت لهم ، وليس فى الآيـــة دليل لمنكريها لان قوله يوما أخرجه منكرا ، ولا شك أن فى القيامة مواطـــن ويومها معدود بخمسين ألف سنة ، فبعض أوقاتها ليس زمانا للشفاعـــه وبعضها هو الوقت الموعود وفيه المقام المحمود لسيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام ، وقد وردت آى كثيرة ترشد الى تعدد ايامها واختلاف اوقاتهـــا) . وذكر نفس الايه رقم ٤٨ من سورة البقرة التى استدل بها الامام الالوســـى رحمه الله وقال (فيتعين حمل الآيتين على يومين مختلفين ووقتين متغايرين: احدهما محل للتساؤل والاخر ليس محلا له) وكذلك قال الامام احمد بـــن المنير فى شرح الايه ٢٥٤ ، الايه ٢٥٥ من سورة البقرة (أما القدريـــة فقد وطنوا انفسهم على حرمان الشفاعه وهم جديـــر أن يحرموها ، وما انكرهـــا القدريه الا لايجابهم مجازاة الله تعالى للمطيع على الطاعه وللعاصى على المعصية ايجابا عقليا على زعمهم ، فهذه الحاله فى انكار الشفاعه نتيجه تلك الضلالـــه وقد تقدم جواب عن التمسك باطلاق مثل هذه الآيه فى نفس الشفاعة) (٣) .

---

(١) ســـورة محمد آيـــه ١٩ .
(٢) تفســـير الامام الالوسى ـ سورة البقرة ـ ايه ٤٨ ـ ج ١ ص ٢٥٢ .
(٣) تفســـير الكشاف للزمخشرى ج ١ ســـوره البقره آيه ٤٨ ص ٢٧٩ ثم هامشه ص ٢٧٨ .
وايضا هامش آيه ٢٥٤ ، ٢٥٥ ص ٣٨٤ باختصـــار .

وكذلك قال الامام أبو السعود في تفسيره المسمى باسمه (ان تمسك المعتزلة بهذه الايه على انكار الشفاعه لاهل الكبائر ليس على حق لان الايه خاصة بالكفار ويؤيده ان الخطاب معهم اى مع الكفار ولرد اعتقادهم الفاسد بأن آباءهم وانبيائهم يشفعون لهم) (١) .

الرد على الوجه الثامن :

وهو قول المولى عز وجل (فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ) (٢)

فقد قال الامام الجليل الفخر الرازى رحمه الله " إن استدلال المانعون بتلك الايه على حرمان عصاة المؤمنين من الشفاعة بدليل تقيد الايه بالتوبه واتباع السبيل قول ولا وجهة له من الصحه اذ أن خصوص آخر الايــة لا يقدح ابدا فى عموم أولها) (٣) .

ومما استدل به المانعون قوله تعالى :

" لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا " (٤) ونقول ان تلك الايه من اكبر الادلة على حصول الشفاعه لاهل الكبائر ولا نقول ذلك من سراب ولكن يتتبع تفسير هذه الايه يتضح لنا هذا ، فقد قال الامام الفخر الرازى عند تفسير هذه الايه " اى فليس لهم والظاهر أن المراد شفاعتهم لغيرهم أو شفاعة غيرهم لهم فلذلك اختلفوا وقال بعضهم لا يملكون أن يشفعوا لغيرهم كما يملك المؤمنون وقال بعضهم بل المراد لا يملك غيرهم ان يشفعوا لهم وهذا الثانى اولى لان حمل الاية على الاول يجرى مجرى ايضاح الواضحات (٥) واذا ثبت ذلك دلت الايه على حصول الشفاعة لاهل الكبائر لانه قال عقيبه " الا من اتخذ عند الرحمن عهدا " والتقدير ان هؤلاء لا يستحقون أن يشفع لهم غيرهم الا اذا كانوا قد اتخذوا عند الرحمن

---

(١) تفسير الامام أبو السعود ـ جـ ١ سورة البقرة ـ آيه ٤٨ ص ٧٩ بتصرف .
(٢) سورة غافر آيه ٧ .
(٣) تفسير الفخرا الرازى جـ ٣ ص ٦٦ بتصرف .
(٤) سورة مريم ـ ايه ٨٧ .
(٥) اى انهم اذا كان لا يملك احد ان يشفع لهم فمن باب اولى انهم يقفون مكتوفى الايدى لا يستطيعون ان يشفعوا لاحد .

عهدا التوحيد والنبوة فوجب ان يكون داخلا تحته ومما يؤكد قولنا ما روى ابن مسعود أنه عليه السلام قال لاصحابه ذات يوم " أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا ؟ . قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم قاطر السماوات والارض عالم الغيب والشهادة انى اعهد اليك بانى أشهد أن لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك فانك ان تلكنى الى نفسى تقربنى من الشر وتبعدنى من الخير وانى لا أثق الا برحمتك فاجعل لى عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد " [1] فاذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنه " فظهر بهذا الحديث ان المراد من العهد كلمة الشهادة وظهر وجه دلالة الاية على أن الشفاعة لاهل الكبائر) [2] . وقال الامام القاسمى (اتخاذ العهد هو الايمان والعمل الصالح ، لكن من آمن وعمل صالحا فانه يشفع للعصاة على ما وعد الله تعالى ـ ويجوز أن يكون العهد من أخذ الاذن والامر يقال اخذت الاذن فى كذا . أى لا يشفع الا المأمور بالشفاعه والماذون له فيها) [3] . وعلى هذا يظهر لنا أن النفى فى الايه الكريمة منصب على الكافرين سواء بالنسبة لشفاعتهم لغيرهم او لشفاعة غيرهم لهم ، ثم ان العهد كما وضحه الحديث يكون مع الله من المؤمنين فتعين أن يكون الاستثناء للمؤمنين وتلك رحمة من ربنا وبهذا اصبحت الايه دليلا عليهم وليست دليلا لهم وتوافقها مثيلتها (يومئذ لا تنفع الشفاعه الا من اذن له الرحمن ورضى له قولها) [4] .

---

(١) الدر المنثور للسيوطى جـ ٤ وقال واخرج ابن ابى شيبه وابن ابى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن مسعود . ولكن الاسناد موقوف ص ٢٨٦ .
* الحاكم فى المستدرك جـ ٢ كتاب التفسير وقال صحيح ولم يخرجاه واقره الذهبى ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

(٢) تفسير الامام الفخر الرازى جـ ٢١ سورة مريم آيه ٨٧ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٣) تفسير الامام القاسمى جـ ١١ ايه ٨٧ من سورة مريم ص ٤١٦٣ بتصرف ـ وايده ابن كثير جـ ٣ ص ١٣٨ وذكر نفس الحديث ووافقه كذلك الزمخشرى فى الكشاف جـ ٢ ص ٥٢٥ وذكر ايضا نفس الحديث .

(٤) سورة طه ايه ١٠٩ نجدها فى ابو السعود جـ ٣ ص ٣٠٤ ـ الفخر الرازى جـ ٢٢ ص ١١٨ ـ القاسمى جـ ١١ ص ٤٢١١ ـ الكشاف جـ ٢ ص ٥٥٤ ـ سيد قطب المجلد ٤ جـ ٦ ص ٢٣٥٢ ، ٢٣٥٣ ـ ابن كثير جـ ٣ ص ١٦٦ ـ واتفقوا جميعا على ان تلك الايه معناها يدل على ثبوت الشفاعه لعصاة المؤمنين وانما يكون الكلام ضربا من التكريم لمن يأذن الله له به .

وبعد ان رددت على الادله التى استند اليها المانعون لتأيد مذهبهم فى حرمان عصاة المؤمنين من الشفاعه سأذكر بعض الادلة القرآنيه التى استدل بها الجمهور فى اثبات الشفاعه لعصاة المؤمنين لتكون بمثابة التحليه بعد التخليه • فقد قال الامام الجليل الفخر الرازى فى تفسيره (أما اصحابنا فقد تمسكوا فيه بوجوه (احدها) قوله سبحانه وتعالى حكاية عن عيسى عليه السلام (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [1] وجه الاستدلال ان هذه الشفاعه من عيسى عليه السلام اما أن يقال انها كانت فى حق الكفار او فى حق المسلم المطيع او فى حق المسلم صاحب الصغيرة او المسلم صاحب الكبيرة بعد التوبه او المسلم صاحب الكبيرة قبل التوبه • والقسم الاول باطل لان قوله تعالى (وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) لا يليق بالكفار ، والقسم الثانى والثالث والرابع باطل لان المسلم المطيع والمسلم صاحب الصغيرة والمسلم صاحب الكبيرة لا يجوز بعد التوبه تعذيبه عقلا عند الخصم ، واذا كان كذلك لم يكن قوله (ان تعذبهم فانهم عبادك) [2] لائقا بهم ، واذا بطل ذلك لم يبق الا ان يقال ان هذه الشفاعه انما وردت فى حق المسلم صاحب الكبيرة قبل التوبة واذا صح القول بهذه الشفاعة فى حق عيسى عليه السلام صح القول بها فى حق محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة أنه لا قائل بالفرق •

(وثانيها) قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام (فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [3] فقوله (وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) لا يجوز حمله على الكافر لانه ليس أهلا للمغفرة بالاجماع ولا حمله على صاحب الصغيرة ولا على صاحب الكبيرة بعد التوبه لان غفرانه لهم واجب عقلا عند الخصم فلا حاجة له الى الشفاعه فلم يبق الا حمله على صاحب الكبيره قبل التوبه) [4] •

والله اعلم بالصواب

⁘ ⁘

---

(١) سورة المائده آيه ١١٨ •
(٢) سورة المائدة آيه ١١٨ •
(٣) سورة ابراهيم آيه ٣٦ •
(٤) تفسير الامام الفخر الرازى جـ ٣ ص ٥٩ عند تفسيره للايه ٤٨ •

القسم الثانى

===

" الرد على ما استدل به المانعون من الادلة الحديثية "

====

قال المانعون ان حديث " شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى " لم تثبت صحته ، وعند التتبع نجد أن هذا الحديث موجود فى سنن ابى داود ، والترمذى وابن حنبل وابن ماجه [1] ، فقد جاء فى تحفه الاحوذى شرح جامع الترمذى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى " . وفى الباب عن جابر هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وعند شرح هذا الحديث قال أن (شفاعتى) اى الشفاعه التى وعدنى الله بها لدخرتها (لاهل الكبائر من امتى) أى لوضع السيئات والعفو عن الكبائر / وأما الشفاعه لرفع الدرجات فلكل من الاتقياء والاولياء وذلك متفق عليه بين أهل المله . وقيل ان المراد بها شفاعتى التى تنجى الهالكين مختصه بأهل الكبائر (قوله : (هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه) . أخرجه احمد وابو داود والنسائى وابن حبان والحاكم وقال (محمد بن على) وهو والد جعفر الصادق المعروف بالباقر (محمد) وهو محمد بن على صاحب جابر راوى الحديث (فماله وللشفاعه) يعنى لا حاجه له الى الشفاعه لوضع الكبائر والعفو عنها لعدمها وأما دون الكبائر من الذنوب فيكفرها الطاعات ، نعم له حاجه الى الشفاعه لرفع الدرجات . أما قوله : (هذا حديث غريب) وأخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم والحديث ضعيف لضعف محمد بن ثابت ، ولكنه يعتضد بحديث انس المذكور رواه الطبرانى عن ابن عباس والخطيب عن ابن عمر وعن كعب

---

(1) * تحفه الاحوذى شرح جامع الترمذى ـ جـ ٧ ابواب صفة القيامة ـ باب الشفاعه (١١) باب منه ـ حديث رقم (٢٥٥٢) ص ١٢٧ .
* سنن ابى داود ـ جـ ٧ كتاب السنة ـ باب فى الشفاعه ـ حديث رقم (٤٥٧٢) ص ١٢٩ .
* سنن ابن ماجه ـ جـ٢ (٣٧) كتاب الزهد ـ باب ذكر الشفاعة حديث رقم ٤٣١٠ ص ١٤٤١ .
* وقال الحاكم فى المستدرك صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه واقره الذهبى جـ ١ ص ٦٩ وان شاء الله سيذكر هذا الحديث بشىء من التوسع فى ص ٨١ : ٨٥

ابن عجرة رضى الله تعالى عنهم . وفى رواية للخطيب عن أبى الدرداء . كذا فى الجامع الصغير " (١) .

وقد جاء فى فتح البارى شرح احاديث البخارى عند ذكر حديث (من أسعد الناس بشفاعتك) لعل أبا هريرة سأل عن ذلك عند تحديثه صلى الله عليه وسلم بقوله " أريد أن اختبىء دعوتى شفاعة لامتى فى الاخرة " ومن طرقه " شفاعتى لاهل الكبائر من امتى " (٢) .

وجاء فى كتاب الاعتقاد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر نفس الحديث عن أنس بن مالك ثم تلا قوله تعالى " إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا " (٣) .

وجاء فى الموقف السادس فى السمعيات وفيه مراصد ، المرصد الثانى فى المعاد وفيه مقاصد ، وجاء فى المقصد التاسع من كتاب المواقف فى علم الكلام فى شفاعة محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم " اجمعت الامة على أصل الشفاعه وهى عندنا لاهل الكبائر من الامة لقوله عليه السلام : " شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى " ولقوله تعالى : " وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ " (٤) . أى ولذنب المؤمنين لدلالة القرينه ، وطلب المغفره شفاعه " (٥) .

" وجاء فى كتاب النهايه قول الحافظ البيهقى روايه عن جابر رضى الله عنه أنه قال " عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتى يوم القيامه لاهل الكبائر من أمتى ، فقلت : ما هذا يا جابر ؟ قال : نعم ، يامحمد ، انه من زادت حسناته على سيئاته فذلك الذى يدخل

---

(١) تحفه الاحوذى شرح جامع الترمذى ج ٧ ابواب صفة القيامة ــ باب الشفاعة ١١ باب منه حديث رقم ٢٥٥٢ ص ١٢٧ ــ ١٢٩ بتصرف .
* مختصر شرح الجامع الصغير للمناوى ج ١ ص ٦٦ .

(٢) فتح البارى شرح احاديث البخارى ج ١١ ص ٤٤٣ بتصرف فى الشرح وذكر نفس الحديث فى عون المعبود لابى داود ج ١٣ ــ ٢٣ باب فى الشفاعه حديث رقم (٤٧١٥) روايه عن أنس رضى الله عنه .

(٣) سورة النساء ايه ٣١ ــ الاعتقاد ص ٩٦ بتصرف .

(٤) سورة محمد آيه ١٩ .

(٥) المواقف فى علم الكلام لعضد الله والدين القاضى عبد الرحمن بن احمد الايجى ص ٣٨٠ .

الجنه بغير حساب ، ومن استوت حسناته وسيئاته فذاك الذى يحاسب حسابا يسيرا ، ثم يدخل الجنة ، وأما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم : لمن اوثق نفسه واغلق ظهره " (١) وقد رواه البيهقى ايضا عن الحاكم وقال الحاكم هذا حديث صحيح . وقال البيهقى وظاهره يوجب ان تكون الشفاعه فى أهل الكبائر مختصه برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والملائكة انما يشفعون فى أهل الصغائر واستزادت الدرجات) (٢) .

وذكر صاحب كتاب الانصاف أن من ضمن الادلة على ثبوت الشفاعه الحديث الذى نحن بصدده وأيضا : قوله صلى الله عليه وسلم : " خيرت بين أن يدخل شطر امتى (الجنة) وبين الشفاعة فاخترت الشفاعه لانها اعم واكفأ أترونها للمؤمنين المتقين لا ، ولكنها للمؤمنين الخطائين " (٣) .

---

(١) شدها بالوثاق كأنه جعلها اسيره مقيده بالذنوب .
اثقلها بالذنوب مأخوذ من قول العرب اغلق صاحب البعير ظهره اذا اثقله بالاحمال حتى يصيبه الدبر وهو ان يخرج ظهره من ثقل الحمل . وقد ذكره صاحب كشف الخفاء ومزيل الالباس فى حرف السين ص ١٤ ، ١٥ حديث رقم ١٥٥٧ .
وقال انما الشفاعه شفاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اوثق نفسه واغلق ظهره .

(٢) النهاية للامام إبن كثير جـ ٢ ص ٢٩٣ باختصار .

(٣) * سنن ابن ماجه جـ ٢ (٣٧) كتاب الزهد (٣٧) باب ذكر الشفاعه حديث رقم (٤٣١١) وذكر فى الهامش ان فى الزوائد قال اسناده صحيح ورجاله ثقات ص ١٤٤١ .
* الفتح الربانى لمسند الامام احمد جـ ٢٤ ـ باب فى الشفاعه للمذنبين يوم القيامة وفيه فصول ـ الفصل الاول فى حرصه صلى الله عليه وسلم على الشفاعه لامته يوم القيامة ـ حديث رقم (٢٩٩) (تخريجه) اسناده ضعيف ، لابهام التابعى الراوى عن ابن عمر والحديث فى مجمع الزوائد منسوبا الى عبد الله بن عمرو " وهو تصحيف ، وقال الهيثمى : رواه احمد والطبرانى الا انه قال : أما انها ليست للمؤمنين المتقين ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين ، ورجال الطبرانى رجال الصحيح غير النعمان بن قراد وهو ثقه " ص ١١٨ .
* وجاء فى فيض القدير جـ ٣ حديث رقم ٤١١٩ وذكر مثل قول الهيثمى قال المنذرى بعد ما عزاه لاحمد والطبرانى اسناده جيد ص ٥٠٠ ، ٥٠١ .

ويذكر نفس المؤلف ان المانعون [ان] قالوا : هذه الاخبار تعارض بمثلها ، فانه قد روى الحسن البصرى وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا تنال شفاعتى أهل الكبائر من أمتى " فالجواب من وجهين :

احدهما : أن هذا عن الحسن لم يصح ، ولم يرد فى (خبر) صحيح ولا فى سقيم ، وانما هو اختلاق وكذب ، ولا يعارض الاثار الصحاح المتفق على صحتها ، ثم لو جاز انيكون قد روى فلم يسقط "الصحيح المجمع على صحته بالضعيف السقيم الذى لا اصل له . مع امكان الجمع بين الكل واستعمال الجميع ، فتحمل صحاح الاخبار على ما قلنا ، ويحمل هذا الخبر على أنه أراد به الكبائر التى تخرج من الاسلام ، نحو الكفر بعد الايمان ، أو استحلال ما حرم الله أو تكذيب بعض الرسل أو بعض الكتب ، ونظير هذا كما قلنا انا نجمع بين كل ما ذكر فى القرآن ، وان كان ظاهره يناقض بعضها بعضا عند الجهال . فيحمل قوله : " شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى " فى حق من يبقى على الايمان حتى يخرج من دار الدنيا ، ويحمل ماذكروا — لو كان صحيحا — على من خرج من الدنيا على غير ايمان ، وتكون اسعد وأولى ، لأنانثبت الصحيح بتاويل لشئ باطل لا أصل له أن لو صح ، وهم يسقطون الصحيح المتفق على صحته بشئ باطل لم يصح فان قيل : هذا الا يصح مع قوله عليه السلام : لا ينال شفاعتى أهل الكبائر من امتى والكافر بما ذكر به ثم ليس من أمته ، قلنا : بل يصح ذلك من وجهين :

أحدهما : انه أراد بذلك من كان من أمتى ثم ارتد ، أو نحو ذلك ، فقد يجوز ان يسمى الشئ بما كان عليه أولا ، وان كان فى الحال لا يسمى به ، الا ترى الى ما قال صلى الله عليه وسلم فى النبيذ :

" ثمرة طيبة وماء طهور " (1) لا يريد انه فى الحال ثمرة .

---

(1) * سنن ابن ماجه ج ١ كتاب الطهارة (٣٧) باب الوضوء بالنبيذ حديث رقم (٣٨٤) ومدار الحديث على " ابى زيد " وهو مجهول عند اهل الحديث كما ذكره الترمذى وغيره وكذلك حديث رقم (٣٨٥) فى سنده ابى لهيعه وهو ضعيف ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

* سنن الترمذى ج ١ كتاب الطهاره باب ما جاء فى الوضوء بالنبيذ حديث رقم (٨٨) ص٢٤٧ زاد لفظ (متوضأ منه) .

* سنن ابى داود ج ١ كتاب الطهارة باب الوضوء بالنبيذ ص ٢٠ . =

ونحو ذلك كثير • ويحتمل ان يكون سماهم من أمته ، لانهم كانوا فى عصره ووقته وقرنه ، وكل قرن يسمى امة ، ويكون ذلك فيمن كان آمن به فى وقته ثم ارتد ، فمن ذكر من اهل الردة او كان فى وقته ولم يؤمن ، وسماه من أمته لانه فى قرنه وعصره فصح ما قلنا وبطل تعلقهم بما لا اصل له) [1] •

وقد تتبعت ما يدعون انه حديث وهو قولهم " لا تنال شفاعتى اهل الكبائر من امتى " ، أو أى حديث يفيد نفى الشفاعه لاهل الكبائر فلم أجد لا فى الصحاح ولا فى الحان ولا حتى فى كتب الموضوعات فظهر لى بالبحث انه لا اصل له فى خبر صحيح ولا حتى فى سقيم ومن هذا المنطلق نستطيع ان نبطل هذا الحديث أو بالاصح ما يدعون انه حديث •

والله أعلم بالصواب

كما اننى تتبعت الحديث القائل (شفاعتى لاهل الكبائر من امتى) فوجدته مذكورا فى أكثر من كتاب من كتب الحديث فهو فى جامع الترمذى وفى سنن ابى داود وفى سنن ابن ماجه وفى احمد بن حنبل [2] بل وجدت علماءنا الافاضل رحمهم ورحمنا الله قد حكموا عليه بالصحه بل بالصحه على شرط الشيخين •

فقد جاء فى المعجم الكبير للطبرانى ذكر هذا الحديث تحت رقم (٧٤٩) وقال فى الهامش : " رواه فى الصغير " [3] والاوسط ورواه البزار

(=) * مسند الامام احمد بن حنبل جـ ١ ص ٤٤٩ زاد لفظ (فتوضأ منه وصلى) •
* وجاء فى نصب الرايه ان العلماء ضعفوا هذا الحديث بثلاث علل : احدها : جهالة ابى زيد والثانى : التردد فى أبى فزاره هل هو راشد بن كيسان أو غيره • والثالث : ان ابن مسعود لم يشهد مع النبى صلى الله عليه وسلم ليله الجن وذكر لنا سبعه طرق للحديث نصب الرايه لاحاديث الهدايه للامام الزيلعى • انظر جـ ١ كتاب الطهارة الحديث التاسع والاربعون ص ١٣٧ ، ١٤٨ انتهى • وبتعدد طرق الحديث يتقوى ويرتفع من الضعف الى الحسن لغيره •

(١) الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلانى ص٥٢ : ١٧٢ بتصرف

(٢) سبق تخريجه من تلك الكتب فى ص ٨٠

(٣) المعجم الصغير للطبرانى جـ ١ تحت عنوان من اسمه خير وقال لم يروه عن عاصم الا ابن المبارك تفرد به عروة بن مروان الرقى ص ١٦٠ •

قال في المجمع [١] وفيه الخزرج بن عثمان وقد وثقه ابن حبان وضعفه غير واحد وبقيه رجال البزار رجال الصحيح ولم ينسبه الى الكبير • ورواه البيهقي في البعث والحاكم (١/٦٩) وصححه ووافقه الذهبي ورواه ابن حبان (٢٥٩٦) وقال ابن كثير في التفسير [٢] اسناده صحيح على شرط الشيخين) [٣] •

وقد قمت بتتبع طرقه في المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري وتذيله للحافظ الذهبي رحمهما الله (فقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ وان هذه الشفاعة فيها قمع للمبتدعه المفرقه بين الشفاعه لاهل الصغائر والكبائر (وله شاهد) عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الشفاعه لاهل الكبائر من امتي) •

واما حديث اشعث بن جابر الحداني عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي (وله شاهد) صحيح على شرط مسلم ثنا زهير بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم' شفاعتي لاهل الكبائر من امتي •• واحتجا جميعا بزهير بن محمد العنبري • وقد تابعه محمد بن ثابت البناني عن جعفر (حدثنا) عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي) قال ابو جعفر وقال لي جابر يا محمد من لم يكن من أهل الكبائر فماله وللشفاعه) [٤] انتهى اذن ما ادعاه المانعون من أن هذا الحديث لم يصح , باطل ومنكر بما اثبتناه آنفا •

ثم بعد ذلك ادعوا أن هذا الحديث معارض لاخبار رويت في باب الوعيد مثل :

---

(١) مجمع الزوائد ج ١ كتاب البعث ـ باب منه في الشفاعه ـ ص ٣٧٨•

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ عند تفسيره لقوله تعالى " ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما آيه (٣١) من سورة النساء ص ٤٨٧ •

(٣) المعجم الكبير للحافظ ابي القاسم سليمان بن احمد الطبراني ج ١ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ باختصار •

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ـ المجلد الاول ووافقه الامام الذهبي ص ٦٩ باختصار •

* وكذلك ذكر في كشف الخفاء ومزيل الالباس ج ٢ ص ١٤ ، ١٥ حديث رقم (١٥٥٧) •

أ ـ (لا يدخل الجنة نمام ولا مد من خمر ولا عاق) [1] .

ب ـ (من قتل نفسه بحديده) ثم اكمل صاحب كتاب الانصاف الحديث .

جـ ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " من تحسى سما وقتل نفسه فهو يتحساه فى نار جهنم خالدا فيها أبد " [2]

وقيل أيضا : أليس عندكم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يشفع الا فى مؤمن ، وقد وردت الروايات " لا يزنى الزانى وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن " [3] وكذلك روى أنه قال " من غشنا فليس منا " [4] و " لا ايمان لمن لا امانة له " [5] الى غير ذلك ، فكيف يشفع الرسول عليه السلام فيمن ليس بمؤمن ؟ فالجواب على هذه الاخبار سهل هين اولا أن منها ما صح ومنها ما لم يصح .

ثانيا : يمكن الجمع بين الكل فتحمل هذه الاخبار على من فعل ذلك مستحلا لفعله ، أو فعله على وجه التكذيب للصادق فيما أخبر به أن هذا الفعل كبيره وحرام ، أو أن المراد ليس ايمانه كايمان المؤمن الذى لم يرتكب

---

(١) سبق تخريجه ص ٦٢

(٢) سبق تخريجه ص ٦٣

(٣) * صحيح الامام البخارى المجلد الثالث جـ ٣ كتاب الحدود باب لا يشرب الخمر ص ١٩٥ ، ١٩٦ .
* سنن ابى داود جـ ٢ كتاب السنه باب الدليل على زيادة الايمان ونقصانه ص ٥٢٤ * سنن ابن ماجه جـ ٢ (٣٦) كتاب الفتن (٣) باب النهى عن النهبه ـ حديث رقم (٣٩٣٦) وقال فى الهامش حمله العلماء على التغليظ او على كمال الايمان ص ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ .

(٤) * صحيح الامام مسلم بشرح النووى ـ المجلد الاول ـ جـ ٢ ـ كتاب الايمان باب قول النبى (ص) من غشنا فليس منا ص ١٠٨ .
* سنن ابن ماجه جـ ٢ كتاب التجارات ٣٦ باب النهى عن الغش حديث رقم ٢٢٢٤ فى الهامش اى ليس على خلقنا ص ٧٤٩ .
* سنن الدارمى جـ ٢ كتاب البيوع ١ باب فى النهى عن الغش ص ١٦٤ .
* سنن الترمذى جـ ٣ (١٢) كتاب البيوع ٧٤ باب ما جاء فى كراهيه الغش فى البيوع حديث رقم (١٣١٥) ص ٦٠٦ .
* سنن ابى داود جـ ٢ كتاب البيوع ـ باب فى النهى عن الغش ص ٢٤٤ .

(٥) مسند الامام احمد جـ ٣ عن انس بن مالك ص ١٣٥ ذكره فيض القدير وقال (هم حب) عن انس صحيح حديث رقم ٩٧٠٤ قال الذهبى فى مسنده قوى وقال الهيثمى بعد ما غزاه لاحمد فيه ابو هلال وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائى وغيره انتهى ورواه ايضا ابو يعلى واليقوى والبيهقى فى الشعب عن انس قال خطبنا رسول الله (ص) الا قال ذلك قال العلائى فيه ابو هلال اسمه محمد بن سليم الراسبى وثقه الجمهور وتكلم فيه البخارى ص ٣٨١ .

المعصيه فى كمال البر والطهاره والعفه (فالمقصود نفى الكمال لا نفى حقيقه الايمان وقال القاضى انه وعيد لا يراد به الوقوع وانما يقصد به الزجر والردع ونفى الفضيله والكمال دون الحقيقه فى رفع الايمان وابطاله)[1] ونحو ذلك ويصير هذا كقوله " لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد "[2] أراد الكمال أى لاكمال صلاة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه . اذن فلكل منها وجه لو صرفت اليه لصحت ولم تكن معارضه لاخبار الشفاعة وكذلك لا حجة فيها على حرمان عصاة المؤمنين من الخروج من النار[3] .

وعلى هذا تحمل باقى الادله الحديثيه مثل الحديث القائل (.. فسحقا فسحقا) والحديث القائل (لا يدخل الجنه لحم نبت من سحت) كل

---

(١) فيض القدير ج ٦ ص ٣٨١ .

(٢) فيض القدير ج ٦ حديث رقم (٩٨٩٨) (قط) عن جابر وعن ابى هريرة (ض) قال الدارقطنى اسانيده ضعيفه .
وقال فى المهذب سليمان اليمانى ضعفوه وقال عبد الحق هذا حديث ضعيف قال ابن القطان وهو كما قال فى الميزان فى موضع قال الدارقطنى حديث مضطرب وفى موضع منكر ضعيف وحكم ابن الجوزى بوضعه وقال ابن حجر فى تخريج الرافعى هذا حديث مشهور بين الناس وهو ضعيف .
ليس له اسناد ثابت وفى الباب عن على وهو ضعيف ايضا وفى تخريج الهدايه بعد ما عزاه للدار قطنى فيه سليمان بن حيان عن عائشه وفيه عمر بن راشد يضع الحديث وهو عند الشافعى عن على وزاد وجار المسجد من أسمعه المنادى ورجاله ثقات الى هنا كلامه وقال الزركشى رواه الدار قطنى وقيل لا يحفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الحق أن رواته ثقات وبالجمله هو مأثور عن على ومن شواهد حديث الشيخين من يسمع النداء فلم يجب فلا صلاة له الا من عذر .

(٣) الانصاف فيما يجب اعتقاده للباقلانى ـ انظر ص ١٧٢ : ١٧٣ بالمعنى ص ٤٣١ .

تلك الاحاديث لا دلاله فيها على منع الشفاعة فكلها تدل على انهم بعدوا عن الكمال البشـــرى فى الايمان والطاعة والطهارة والبر ويجوز أن يترتـــب على هذا تأخر مرتبتهم فى الجنه وفى دخولها ولن يكن لهم السبق فـــى دخولهـــا .

وقد ذكر الامام النووى ما يفيد ذلك قال : ١ـ يحمل على المستحل بغيـــر تأويل مع العلم بالتحريم ـ ٢ـ لا يدخلها دخول الفائزين حين يدخلهـــا السابقون والابرار أو يطيل حســـابه)[1] .

ومما يؤكد ذلك ما ذكر فى كتاب الدين الخالص تحت عنـــوان :ـ

(دلالة حديث أبى ذر علـــى أن المؤمن
الفاسق اذا مات علـــى كلمة التوحيد يدخل الجنـــة)

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ثوب ابيض وهو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ ، فقال : " ما من عبد قال : لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة . قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق ؟ قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق على رغم أنـــف أبى ذر "[2] .

ومعنى الحديث واضح وهو أن من قال لا اله الا الله محمد رسول الله ـ لان احد الكلمتين تشير الى الشهاده ـ واستقام على ذلك حتى مات ولـــم يفعل شيء ينافيه أو يعتقد ما يخالف ذلك دخل الجنة وان زنى وان

---

(١) شرح الامام النووى فى صحيح الامام مسلم المجلد الاول ـ جـ ٢ ص ١١٣ وكذلك فى ص ١٢٧ .

(٢) * صحيح الامام البخارى المجلد الثالث جـ ٩ كتاب التوحيد ـ باب كلام الرب مع جبريل ص ١٧٤ روايه عن ابى ذر .
وكذلك فى المجلد الثانى جـ ٤ كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكـــه ص ١٣٨ روايه عن أبى ذر .
وكذلك فى المجلد الاول جـ ٢ كتاب الجنائز باب فى الجنائز ص ٨٩ ، ٩٠ روايه عن ابى ذر .
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ـ المجلد الاول جـ ٢ كتاب ـ الايمان ـ باب من مات لا يشرك بالله دخل الجنه ص ٩٤ .
* مسند احمد بن حنبل جـ ٤ ص ٢٦٠ (من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنه وان زنى وان سرق " عن سلمه بن نعيم رضى الله عنه جـ ٥ عن أبى ذر ص ١٥٢ ، جـ ٦ عن ابى الدرداء ص ٤٤٢ .

سرق وتخصيص الزنى والسرقة فى الحديث لان الذنب اما حق للمولى عز وجـــل ولذلك ضرب له مثلا بالزنى واما حق للعباد وضرب له مثلا باخذ مالا يملكـــون خفيه بغير حق وهو السرقة ٠

وقيل ان سبب تكرار ابا ذر السؤال على سبيل الاستبعاد والاستغـــراب لهذا الحكم فكرره ليتحققه ويتثبته أو على سبيل كمال السرور برحمة المولى عـــز وجل لانه غفور رحيم وشكرا له على كمال نعمته التى انعم بها على عبـــاده بغفرانه مثل هذا العصيان ــ والرغام هو التراب ورغم الانف هو الصاقه بالارض والمراد هنا الذلة والانقياد مع الكراهه وكان أبو ذر رضى الله عنه يذكر ذلـــك تفاخرا وتاكيدا وتحقيقا لها والتذاذا بها ٠

فهذا الحديث وأمثاله يدل ، على ان المؤمن وان فسق ، ارتكب الكبيـــرة ، فانه يدخل الجنة ، ان شاء الله تعالى اما بعفو الله ، ومغفرته وكرمه ، وفضله ٠ واما بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو بعد التعذيـــب بولوج النار على قدر العصيان [١] ٠

وبذلك التوفيق قبلنا جميع الاخبار الصحاح ولم نضـــرب بعضها ببعض ولا اسقطنا بعضها ببعض ، كما يفعل أهل البدع الذين ضاهوا اليهـــود فى قولهم (نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ) [٢] ٠

أما تخصيصهم احاديث الشفاعه بزيادة الدرجات فى الجنة فباطل ومـــردود لتصريح الادله الحديثيه باخراج من دخل النار من المؤمنين منها ولنذكر لذلك مثلا : جاء فى كتاب الاعتقاد (عن عبد الله بن عمر ، قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : خيرت بين الشفاعه وبين ان يدخل شطر امـــتى الجنه فاخترت الشفاعه لانها اعم واكفى اترونها للمؤمنين المتقين ، لا ولكنهـــا للمذنبين المتلوثين الخطائـــين) [٣] ٠

وذكر نفس الحديث فى شرح الشفا فقد قال (كما رواه ابن ماجـــه (خيرت) بصيغة المجهول أى جعلت مخيرا ورواية المصابيح أتانى آت

---

(١) الدين الخالص ــ ج ٣ ص ١٣٧ : ١٣٨ بتصـرف ٠
(٢) ســـورة النســـاء آيه ١٥٠ ٠
(٣) حديث سبق تخريجه ص٨٦

فخيرنى (بين أن يدخل نصف امتى الجنة) أى من غير حساب وعذاب (وبين الشفاعة) اى فى هذا الباب (فاخترت الشفاعة) أى من أول الوهلة (لانها اعم) أى فى المنفعة والظاهر أن هذه الشفاعه دون الشفاعة العظمى مختصة بهذه الامة اما لادخال جماعه الجنه بغير محاسبة أو لمن استحق دخول النار فلا يدخلها او لمن دخلها فيخرج منها وفى الجمله الشفاعه ثابته على ما اجمع عليه أهل السنة واكبر دليل على أن الشفاعه حق لعصاة المؤمنين ما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم (اتُرَونها) بالاستفهام الانكارى بمعنى النفى وبضم التاء وفتح الراء اى لا تظنون الشفاعة التى اخترتها (للمتقين) اى عن المعاصى خاصة (ولكنها) للمذنبين المتلوثين الخطائين) [1] .

وقال صاحب كتاب النهاية عند ذكره انواع الشفاعة ان النوع الثامن من الشفاعه هو شفاعته فى أهل الكبائر من أمتى ممن دخل النار فيخرجون منها وقال ان الاحاديث التى تثبت ذلك كثيره ومتواتره وانما انكر ذلك الخوارج والمعتزله جهلا منهم بصحة الاحاديث وعنادا ممن علم ذلك) [2] .

وجاء فى الفتح الربانى تحت عنوان **الفصل الثانى فى الرد على منكرى الشفاعه** (عن طلق بن حبيب قال كنت من أشد الناس تكذيبا بالشفاعه حتى لقيت جابر ابن عبد الله فقرأت عليه كل آيه ذكرها الله عز وجل فيها خلود أهل النار فقال ياطلق اتراك أقرأ لكتاب الله منّى واعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتضعت له فقلت لا والله بل أنت أقرأ لكتاب الله منى وأعلم بسنته منى قال فان الذى قرأت أهلها هم المشركون ولكن قوم اصابوا ذنوبا فعذبوا بها ثم أخرجوا ، صمتا [3] واهوى بيديه الى أذنيه ان لم اكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرجون من النار ونحن نقرأ ما تقرأ) [4] .

---

(١) شرح الشفا ص ٤٥٩ : ٤٦٠ باختصار .

(٢) النهاية جـ ٢ ص ٢٧٨ بتصرف .

(٣) صمتا : اى اصيبنا بالصمم ـ والضمير على أذنيه ـ دعاء على نفسه الفتح الربانى جـ ٢٤ ـ الفصل الثانى فى الرد على منكرى الشفاعه ص ١١٩ .

(٤) الفتح الربانى لمسند الامام احمد جـ ٢٤ كتاب قيام الساعه والنفخ فى الصور والبعث والنشور ـ الفصل الثانى فى الرد على منكرى الشفاعه حديث رقم (٣٠٢) (تخريج) أورده الحافظ بن كثير فى النهاية عن طريق بن أبى دنيا حدثنا على بن الجعد حدثنا القاسم بن الفضل الحدانى حدثنى سعيد بن المهلب قال طلق بن حبيب بنحوه ، وعبد الصمد بن عبد الوارث صدوق . والقاسم بن الفضل ثقه وسعيد بن المهلب مقبول ، وطلق بن حبيب صدوق عابد ص ١١٩ .

وأكد ذلك صاحب الابانه فى باب الكلام فى الشفاعه والخروج من النـــار حيث قال (ويقال لهم قد أجمع المسلمون أن الرسول الله صلى الله عليـــه وسلم شفاعه ــ فلمن الشفاعه هى للمذنبين المرتكبين الكبائر أو للمؤمنيـــن المخلصين ؟ فان قالوا للمذنبين المرتكبين الكبائر وافقوا وان قالوا للمؤمنيـن المبشرين بالجنة الموعودين بها قيل لهم : فاذا كانوا بالجنة موعودين وبهـــا مبشرين والله عز وجل وعده لا يخلف فما معنى الشفاعه لقوم لا يجوز عندكم أن لا يدخلهم الله جناته ؟ وما معنى قولكن قد استحقوها على الله واستوجبوهـا عليه ؟ واذا كان الله عز وجل لا يظلم مثقال ذره كان تأخيرهم عن الجنـــة ظلما وانما يشفع الشفعاء الى الله عز وجل فى أن لا يظلم على مذاهبكـــم تعالى الله عن افترائكم عليه علوا كبيرا فان قالوا ــ يشفع النبى صلى الله عليه وسلم الى الله عز وجل فى أن يزيدهم من فضله لا فى ان يدخلهم جناته قيـل لهم أو ليس قد وعدهم الله ذلك ؟ فقال " لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ " (١) والله عز وجل لا يخلف وعده فانما يشفع الى الله عز وجل عندكـم فى أن لا يخلف وعده وهذا جهل صحيح قولكم وانما الشفاعه المعقوله فيمن استحق عقابا أن يوضع عنه عقابه أوفى من لم يعده شيئا أن يتفضل به عليه فاما اذا كان الوعد بالتفضل سابقا فلا وجه لهذا) (٢) .

ويذكر لنا الشيخ السيد سابق فى هذا المجال كلاما جميلا وضعـــه تحت عنوان : " **الشــفاعة للعاصى** "

اذ يقول (ثم يشفع الرسول بعد أن يأذن الله له ، وبعد انتهاء ، مدة العذاب فى خروج العاصى من النار ، فقد ثبت فى الاحاديث الصحيحـه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، يشفع لاهل الكبائر بعد دخولهم النار ، فيقبل الله شفاعته فيهم ، ويخرجهم منها . وتكون الشفاعة اظهارا لكرامة الشافـــع عند الله ، واظهار فضله صلى الله عليه وسلم ، فعن أبى هريرة رضـــى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لكل نبى دعوة مستجابـــه يدعو بها ، وأريد أن أختبىء دعوتى شفاعة لامتى فى الاخرة " وزاد مسلـم

(١) ســـورة فاطر آيـــه ٣٠ .
(٢) الابانه ــ باب الكلام فى الشفاعه والخروج من النار ص ٦٤ .

" فهى نائله ان شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا " (١)

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " يخرج قوم من النار بشفاعه محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنه يسمون الجهنميين " (٢)

وكذلك أيد هذا القول صاحب العقيده النظاميه اذ قال (اتفق أهل الحق على اثبات الشفاعه . وهذا يستدعى تقديم قول فى جواز غفران الذنوب فنقول : من استقر فى عقله ان الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ، وتقرر لديه بما قدمناه ، أنه لا يجب على رب الارباب ثواب ولا عقاب لم ينكر جواز غفرانه وعفوه . وان نزلنا على مقدار عقول المخالفين فى تشبيههم احكام فعل الله تبارك وتعالى بأفعال المخلوقين فقد تقرر عند العقلاء قاطبة : ان العفو والصفح والتجاوز عن المجرمين من مكارم الاخلاق ومعالى الامور ، وقد

---

(١) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ـ المجلد الاول جـ ٣ كتاب الايمان باب الشفاعه ص ٧٤ .

* صحيح الامام البخارى المجلد الثالث جـ ٨ كتاب الدعوات ـ باب قوله تعالى " ادعونى استجب لكم " روايتان الاولى عن أبى هريره والثانيه عن أنس بن مالك ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٢) * فتح البارى شرح احاديث البخارى جـ ١١ ـ ٨١ كتاب الرقاق ـ ٥١ باب صفة الجنه والنار حديث رقم (٦٥٦٦) من طريق عمران بن حصين رضى الله عنهما ـ وفى الصحيح المجلد الثالث جـ ٨ كتاب الرقاق ص ١٤٥

* تحفة الاحوذى شرح جامع الترمذى جـ ٧ ـ ابواب صفة جهنم حديث رقم (٢٧٢٧) ص ٣٢٧ .

* سنن ابن ماجه ـ جـ ٢ (٣٧) كتاب الزهد ـ (٣٧) باب ذكر الشفاعه حديث رقم (٤٣١٥) ص ١٤٤٣ .

* الفتح الربانى لمسند الامام احمد جـ ٢٤ الفصل الرابع فى شفاعته لفريق من أمته استوجبوا العذاب قبل دخولهم النار واخراج فريق منها بفضل رحمة الله تعالى وهم الذين يقال لهم الجهنميون ـ حديث رقم (٢١٠) ص ١٢٨ .

* وذكر السيد سابق فى هامش ص ٢٩١ أن سبب تسميتهم بهذا الاسم ليذكروا ما كانوا فيه من عذاب ، وما ادركوه من نعيم فيزدادوا فرحا وسرورا .

أطبقت طبقات الخلق على تفنن ارائهم واختلاف اهوائهم : على تحسين التجاوز والعفو عند القدرة ثم اذا عظم قدر بعض الخدم عند الملك لم يقبح منه تشفيعه فى جمع من المذنبين فاذا تقرر الجواز فى ذلك فالاخبار الواردة فى الشفاعه مدونه فى الصحاح بالغة مبلغ الاستفاضة) [١] .

(وجاء فى صحيح الامام مسلم بشرح النووى تحت عنوان اثبات الشفاعه واخراج الموحدين من النار .

(عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس اصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطايا هم فاماتهم اماته حتى اذا كانوا فحما أذن بالشفاعة فجئ بهم ضبائر ضبائر فبثوا [٢] على انهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنه افيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل فقال رجل من القوم كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية) [٣] انتهى .

وقد وضح لنا الامام النووى رحمه الله عليه معنى هذا الحديث فقال ـ فالظاهر والله أعلم أن معنى هذا الحديث أن الكفار الذين استحقوا الخلود فى النار لا يموتون فيها ولا يحيون ولا يخفف عنهم من عذابها وقال المولى عز وجل وقوله الحق " لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى " [٤] وهو قول اهل الحق اذا قالوا أن عذاب الكفار دائم وان نعيم المؤمنين دائم .

---

(١) العقيدة النظامية ص ٨٢ فصل فى الشفاعة .
(٢) الضبائر معناها الجماعات والبث هو التفرق اى أنهم كانوا جماعات متفرقه فوضعوا فى انهار الجنة شرح النووى لصحيح الامام مسلم المجلد الاول جـ ٣ كتاب الايمان ص ٣٨ .
(٣) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ـ المجلد الاول ـ جـ ٣ ـ كتاب الايمان باب اثبات الشفاعه واخراج الموحدين من النار ص ٣٧ ، ٣٨ .
* سنن ابن ماجه جـ ٢ (٣٧) كتاب الزهد (٣٧) باب ذكر الشفاعه حديث رقم (٤٣٠٩) ص ١٤٤١ .
وقد استشهد به الامام ابن حزم فى كتابه المحلى ضمن استشهاده بالشفاعه لعصاة المؤمنين فى المساله (٣٣) ص ٢٠ ، ٢١ .
(٤) سورة طـه آيه ٧٤ .

وقوله صلى الله عليه وسلم (ولكن ناس أصابتهم النار .. الى اخـــره) المراد بالناس هم المؤمنون المذنبون فانهم سيدخلون النار لعدل المولـــــى عز وجل ثم يعذبوا المدة التى قدرها الله لهم ثم يميتهم الله اماته تذهـــب معها الاحساس ثم يخرجون من النار — وقد صاروا فحما مجموعات متفرقه كما تحمل الامتعه ويلقون فى انهار الجنة فيصب عليهم ماء الحياه بامر المولـــــى عز وجل فينبتون من جديد . وفى روايه أخرى يشبههم الرسول صلى الله عليـــه وسلم بانهم ينبتون كما تنبت الحبة ، صفراء ضعيفه ملتويه ثم تقوى وتشتد ، فما أروعه من تشبيه لقـــوة من بعد ضعـــف) (١) .

فاذا نظرنا الى هذا الحديث وجدناه بلا شك يثبت ان المؤمنـــــين سيخرجون من النار بعد أن يتعذبوا القدر الذى يراه الله لهم ويكـــــون اكبر رد على القائلين بحرمان عصاة المؤمنين من الشفاعه .

فالحديث واضح وصريح بانهم سيخرجون من النار ، والخروج اما بالشفاعه واما رحمـــة منه عز وجل حيث جاء فى الحديث الصحيح (فيقـــول الله عـــز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحميـــن فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنه يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبـــــة فى حميل السيل) (٢) ولكن الحديث صريح بان الخروج سببه الشفاعه .

قال الامام مسلم فى صحيحه تحت عنوان " خروج عصاة المؤمنيـــن مـــن النار " ان يزيد الفقير قال (كنت قد شغفنى راى من رأى الخوارج فخرجنا فى عصابة ذوى عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس قـــــال فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالسا الى ساريه عـــن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاذا هو قد ذكر الجهنميين قال فقلت لـــه يا صاحب رسول الله ما هذا الذى تحدثون والله يقول " انك من تدخـــل

---

(١) * شرح الامام النووى فى صحيح الامام مسلم المجلد الاول — ج ٣ — كتاب الايمان ص ٣٧ ، ٣٨ بتصـــرف .

(٢) مســـلم بشرح النووى ج ٣ ص ٣٢ — اخراج عصاة المؤمنـــين من النـــار .

النار فقد اخزيته " وكلما أرادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها " فما هذا الذى تقولون قال فقال إقرأ القرآن قلت نعم قال فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام يعنى الذى يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذى يخرج الله به من يخرج قال ثم نعت وضع الصراط ومرّ الناس عليه قال وأخاف ان لا اكون أحفظ ذلك قال غير أنه قد زعم ان قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها قال يعنى فيخرجون كأنهم عيدان السماسم [1] قال فيدخلون نهرا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس [2] فرجعنا قلنا ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد) .

ومعنى الحديث واضح فقد شرحه الامام النووى رحمه الله فقال ان يزيد الفقير [3] وجماعة خرجوا لقصد الحج ثم ينتشرون ويدعون لمذهب الخوارج القائل — ان أصحاب الكبائر يخلدون فى النار ولا يخرج منها من دخلها — وعند مرورهم بالمدينة وجدوا جابر بن عبد الله يتحدث عن الجهنميين ودار نقاش بينهما فقال له يزيد — مستنكرا ما قال — ان المولى عز وجل يقول (إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ....) [4] فكيف تقول ما تقول .. وهنا

---

(١) عيدان السماسم : اختلف العلماء فى المقصود بها فقيل انها جمع سمسم وعيدانها تظهر عندما يسقط منها ، وقالوا ان صوابه عيدان السماسم وهو عود أسود وقيل هو الابنوس وقيل كل نبت ضعيف كالسمسم والكزبرة وكل تشبيه لتقريب المعنى للذهن والمختار انه السمسم المعروف .
انظر صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الاول جـ ٣ كتاب — الايمان — المقام المحمود ، واخراج عصاه المؤمنين من النار ص٥١ ، ٥٢

(٢) جمع قرطاس وهو الصحيفه التى يكتب فيها شبههم بالقراطيس لشدة بياضهم بعد اغتسالهم وزوال ما كان عليهم من السواد .
انظر صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الاول جـ ٣ كتاب الايمان — باب المقام المحمود اخراج عصاة المؤمنين من النار ص ٥٢ .

(٣) هو يزيد بن صهيب الكوفى ثم المكى أبو عثمان قيل له الفقير لانه أصيب فى فقار ظهره فكان يالم منه حتى ينحنى له .
صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الاول جـ ٣ كتاب الايمان باب خروج عصاة المؤمنين من النار ص ٥٠ .

(٤) سورة ال عمران آيه ١٩٢ .

يعلمه جابر رضى الله عنه أن القرآن يفسر بعضه بعضا وأن القرآن الكريم يخبرنا بمقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذى يحمده عليه الاولين والاخرين وأن هذا المقام يوءهل له الشفاعه بأن يخرج من النار ما قدره الله له أن يخرج فلذلك نجد أن الحديث واضح وصريح بأن المولى عز وجل ينعم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم باخراج قوم من النار وانعامه عليه انعام لعباده . لذلك نجد فى نهاية الحديث ان يزيد الفقير يقول أنهم رجعوا جميعا ولم يتعرض أحدهم لرأى الخوارج الا رجل واحد لم يوافقهم فى الانكفاف عنه [١] .

ومما يوءكد ما ذهبنا اليه من أن الموءمن لا يخلد فى النار الاحاديث الكثيره الصحيحه المرويه فى صحيح الامام البخارى والامام مسلم . وقد ذكر لنا الامام الفخر الرازى عند شرحه لقوله تعالى " ولا يقبل منها شفاعه ولا يوءخذ منها عدل ولا هم ينصرون " حديث الذهاب الى الانبياء وقال واكثر هذا الخبر مخرج فى الصحيحين [٢] وكذلك استشهد به صاحب كتاب الاعتقاد فى باب القول فى الشفاعه وبطلان قول من قال بتخليد الموءمنين فى النار [٣] وكذلك ذكر فى الشفا لعلى القارىء [٤] وكذلك ذكره الامام البيجورى فى باب الشفاعه فى الاخره وبيان أنواعها المتفق عليها والمختلف فيها [٥] .

واليكم نص الامام مسلم رحمه الله عن أنس بن مالك (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وقال ابن عبيد فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا قال فيأتون آدم صلى الله عليه وسلم فيقولون أنت آدم أبو الخلق خلقك

---

(١) * انظر صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى كتاب الايمان ج ٣ ص ٥٢ والنص له .
* وفى فتح البارى شرح احاديث البخارى ج ١١ (٨١) كتاب الرقاق ٥١ باب صفة الجنه والنار ص ٤٣٦ والشرح من شرح الامام النووى على صحيح الامام مسلم من ص ٥١ ، ٥٢ بالمعنى .

(٢) الفخر الرازى ص ٦٣ ، ٦٤ ج ٣ سورة البقره عند شرح آيه ٤٨ .

(٣) الاعتقاد ص ٨٩ .

(٤) الشفا لعلى القارىء ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

(٥) شرح البيجورى على الجوهره ص ٢٢٦ .

الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربـك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هنا كم فيذكر خطيئته التى اصـاب فيستحى ربه منها ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله قال فياتون نوحـا صلى الله عليه وسلم فيقول لست هنا كم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحى ربـه منها ولكن ائتوا ابراهيم صلى الله عليه وسلم الذى اتخذه الله خليلا فيأتـون ابراهيم صلى الله عليه وسلم فيقول لست هنا كم ويذكر خطيئته التى أصـاب فيستحى ربه منها ولكن ائتوا موسى صلى الله عليه وسلم الذى كلمه الله واعطاه ـ التوراه قال فياتون موسى عليه السلام فيقول لست هناكم ويذكر خطيئتـه التى اصاب فيستحى ربه منها ولكن ائتوا عيس روح الله وكلمته فياتـون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليـه وسلم عهدا قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تاخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فياتونى فاستاذن على ربى فيؤذن لى فاذا انا رايته وقعت ساجدا فيدعـنى ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع راسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفـع راسى فاحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى ثم اشفع فيحد لى حدا فأخرجهم من النار وادخلهم ثم أعـود فاقع ساجدا فيدعى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقال ارفـع راسك يا محمد قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع راسى فاحمد ربى بتحميـد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لى حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنه قال فـلا ادرى فى الثالثه او فى الرابعة قال فاقول يارب ما بقى فى النار الا مـن حبسه القرآن اى وجب عليه الخلود قال ابن عبيد فى روايته قال قتـاده أى وجب عليه الخلـود) (١) .

والحديث واضح فى اثبات الشفاعه لعصاة المؤمنين وهو أن المولـى عز وجل عندما يجمع الناس يوم القيامه فيعتنون بسؤال الشفاعه لازالة ما هـم فيه من الكرب والهم فيصرعون الى الانبياء صلوات الله عليهم طالبين شفاعتهـم

---

(١) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ـ المجلد الاول ج ٣ كتاب الايمان ـ باب الشفاعه ص ٥٣ : ٥٨ والنص له .
* فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١١ (٨١) كتاب الرقاق بـاب حديث الذهاب الى الانبياء من ص ٤٣٢ الى ٤٣٥ .
* الفتح الربانى لمسند الامام احمد ج ٢٤ ـ الفصل الثالث فى اختصاصه بالشفاعه العظمى حديث رقم (٣٠٦) عن انس ص ١٢٣ ، ١٢٤ .
* سنن ابن ماجه ج ٢ (٣٧) كتاب الزهد (٣٧) باب ذكر الشفاعـه حديث رقم (٤٣١٢) ص ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ .

فيقول كل نبى لست لها وقال الامام القاضى عياض رحمه الله (هـــــذا يقولونه تواضعا وآكبارا لما يسئلونه قال وقد تكون اشارة من كل واحد منهـــم الى ان هذه الشفاعه وهذا المقام ليس له بل لغيره وكل واحد منهم يدل على الاخر حتى انتهى الامر الى صاحبه قال ويحتمل انهم علموا ان صاحبهـــا محمد صلى الله عليه وسلم معينا وتكون احالة كل واحد منهم على الاخـــر على تدريج الشفاعه فى ذلك الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأمـــا مبادرة النبى صلى الله عليه وسلم لذلك واجابته لدعوتهم فلتحققه صلى الله عليـه وسلم ان هذه الكرامة والمقام له صلى الله عليه وسلم خاصة)[1] وقوله (ائتـــوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تاخر) وللعلماء هنا وقفة فقد قال البعض ان المراد من هذه العبارة الحديثيه ان المتقـــدم ما كان قبل النبوة والمتاخر عصمته بعدها ، وقيل المراد به ذنوب أمته صلـــى الله عليه وسلم فقال الامام النووى رحمه الله عليه فعلى هذا يكون المراد الغفران لبعضهم او سلامتهم من الخلود فى النار ، وقيل المراد ما وقع منه صلى الله عليه وسلم عن سهو وتأويل وقيل ما تقدم لابيك آدم وما تأخر من ذنوب أمتـــك وقيل المراد انه مغفور لك غير مؤاخذ بذنب لو كان وقيل هو تنزيه له مـــن الذنوب صلى الله عليه وسلم والله أعلم . وقوله صلى الله عليه وسلم (فيأتـــونى فأستاذن على ربى فيوءذن لى) أى يوءذن له فى الشفاعه التى ادخرها اللـــه له . وجاء فى حديث أنس وحديث أبى هريره ابتداء النبى صلى الله عليه وســـلم بعد سجوده وحمده والاذن له فى الشفاعه بقوله امتى امتى وقد جاء فـــى حديث حذيقه بعد هذا فى هذا الحديث نفسه قال (فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم ويوءذن له وترسل الامانه والرحمه فيقومان جنبتى الصراط يمينا وشمالا فيمر اولهم كالبرق وساق الحديث وبهذا اتصل الحديث لان هذه هـــى الشفاعه التى لجأ الناس اليه فيها وهى الاراحة من الموقف والفصل بين العباد ثم بعد ذلك حلت الشفاعه فى أمته صلى الله عليه وسلم وفى المذنبين وحلـــت الشفاعه للانبياء والملائكه وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم كما جاء فى الاحاديث

---

(١) كلام القاضى عياض ذكره الامام النووى فى شرح صحيح الامام مسلم المجلـد الاول جـ ٣ كتاب الايمان ـ باب الشفاعه ص ٥٦ باختصار .

المتقدمه فى الروئية وحشر الناس اتباع كل امه ما كانت تعبد ثم تمييز المؤمنين من المنافقين ثم حلول الشفاعه ووضع الصراط فيحتمل أن الامر باتباع الامم ما كانت تعبد هو اول الفصل والاراحة من هول الموقف وهو أول المقام المحمود وأن الشفاعه التى ذكر حلولها هى الشفاعه فى المذنبين على الصراط وهو ظاهر الاحاديث وأنها لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولغيره كما نص عليه فى الاحاديث ثم ذكر بعدها الشفاعه فيمن دخل النار وبهذا تجتمع متون الحديث وتنرتب معانيها • وقوله صلى الله عليه وسلم (ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن)[1] وفى هذا اكبر دليل على صحه مذهب اهل الحق وما اجمع عليه السلف انه لا يخلد فى النار احد مات على التوحيد •

وقد وضح لنا الامام مسلم رحمه الله أن راوى الحديث وهو قتادة قد فسر لنا المقصود من هذا وهو أن من وجب عليه الخلود فى النار قد أشار عنه القرآن وهم الكفار وهذا تفسير صحيح ومعناه أن من أخبر القرآن الكريم انه مخلد فى النار وهم الكفار كما قال الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ)[2]

وتعددت الروايات فى اثبات ذلك وقد ايد ذلك صاحب العقيده الطحاويه اذا قال (الشفاعة التى ادخرها عليه افضل الصلاة والسلام للمؤمنين حق وأهل الكبائر من أمته لا يخلدون فى النار اذا ماتوا وهم موحدون ، وأمرهم موكل لله ان شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله ، وان شاء عذبهم فى النار بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعه الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم الى جنته ـ اللهم ياولى الاسلام واهله ثبتنا على الاسلام حتى نلقاك بـه)[3] •

(وقد جاء فى تحفه الاحوذى شرح جامع الترمذى عن عمران بن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ليخرجن قوم من أمتى من النار

---

(١) جزء من حديث طويل سبق تخريجه فى ص ٩٧

(٢) سورة النساء آيه ٤٨ ـ صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الاول جـ ٣ كتاب الايمان ـ باب الشفاعة ص ٥٣ : ٥٨ بالمعنى •

(٣) العقيدة الطحاويه ص ٦٨ بتصرف •

بشفاعتى يسمون الجهنميون " [1] وكلمه الجهنميون اسم اطلق عليهم بعد خروجهم من النار وقيل ان المولى عز وجل قال عليهم أنهم عتقاء الله . وهذا الحديث صحيح لانه مخرج فى الصحيحين فقد أخرجه الامام البخارى فى اواخر الرقاق وكذلك أخرجه الامام مسلم رحمهم الله جميعا) .

وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن بره ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن ذرة) [2] .

(وعن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يخرج من النار بالشفاعة كأنهم الثعارير قلت : وما الثعارير ؟ قال الضغابيس وكان قد سقط فمه ، فقلت لعمرو ابن دينار : أيا محمد سمعت جابر بن عبد الله يقول " سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : يخرج بالشفاعه من النار " قال : نعم) [3] .

---

(1) سبق تخريجه فى ص ٩٢

(2) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الاول ج ٣ كتاب الايمان باب الشفاعه ص٥٩ ، ٦٠ .
* تحفه الاحوذى شرح جامع الترمذى ج ٧ ابواب صفة جهنم ٨ باب ما جاء ان للنار نفسين وما ذكر من يخرج من النار من اهل التوحيد حديث رقم (٢٧٢٠) ص٣١٨ ، ٣١٩ .
* الفتح الربانى لمسند الامام احمد ج ٢٤ـ الفصل الثالث فى اختصاصه صلى الله عليه وسلم بالشفاعه العظمى ص ١٢٤ .
* سنن ابن ماجه ج ٢ (٣٧) كتاب الزهد (٣٧) باب ذكر الشفاعة حديث رقم (٤٣١٢) ص ١٤٤٣ .

(3) * فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١١ ـ ٨١ كتاب الرقاق ٥١ باب صفه الجنه والنار حديث رقم (٦٥٥٨) ص ٤١٦ والنص له .
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الاول ج ٣ ـ كتاب الايمان باب خروج عصاة المؤمنين من النار ص ٥٠ .
* ومعنى الثعارير والضغابيس هى القثاء الصغار شبهوا بها لان القثاء ينمو سريعا وقيل هى رؤوس الطراثيث تكون بيضاء ، شبهوا ببياضها ، واحدتها طرثوى وهو نبت يؤكل النهاية فى غريب الحديث والاثر ج ١ ص ٢١٢ . وانظر ج ٣ ص ٨٩ واضاف انه نبات يسلق بالخل والزيت ويؤكل .

وقد ذكر لنا الامام البخارى عنابى هريرة رضى الله عنه انه قـــال : قلت يارسـول الله ،من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : لقـــد ظننت يا ابا هريرة انلا يسالنى عنهذا الحديث احد اوّل منك لما رأيت مـــن حرصك على الحديث ،أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا منقبل نفســه)[1] .

وجاء فى شرح هذا الحديث ان من قال لا اله الا الله باختياره وان المراد بهذه الشفاعه المسئول عنها هنا بعض أنواع الشفاعه وهى التى يقول صلـى الله عليه وسلم أمتى أمتى فيقال اخرج من النار من فى قلبه وزن كذا مـــن ايمان ،فأسعد الناس بهذه الشفاعة من يكون ايمانه أكمل ممن دونه ، واما الشفاعة العظمى فى الاراحة من كرب الموقف فأسعد الناس بها من يســبق الى الجنة ، وهم الذين يدخلونها بغير حساب ، ثم الذين يلونهم وهـــو من يدخلها بغير عذاب بعد أن يحاسب ويستحق العذاب ، ثم مـــن يصيبه لفح من النار ولا يسقط . والحاصل ان فى قوله " أسعد " اشــارة الى اختلاف مراتبهم فى السبق الى الدخول باختلاف مراتبهم فـــى الاخــلاص)[2] .

وجاء فى هامش نسيم الرياض (أنه روى عن على ابن ابى طالب كرم الله وجهه أنه قال ليس آيه فى القرآن ارجى منها اى من آية (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ)[3] وبين سبب ذلك بقوله ولا يرضى رسول الله صلى الله عليـه وسلم انيدخل احد من أمته النار اى انه لا يرضى صلى الله عليه وســلم رضى كاملا الا اذا وقعت شفاعته لجميع أمته كاملة وهذا امر فى المستقبـل كلا ينافى دخول بعض الامة النار فى الماضى . لذلك نجد ان عدم رضـاه من حيث هو فى ذاته لا من حيث انه مراد الله)[4] .

---

(١) * فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١١ ـ ٨١ كتاب الرقاق ـ ٥١ باب صفه الجنه والنار حديث رقم (٦٥٧٠) ص ٤١٨ .
(٢) كتاب فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١١ ـ ٨١ كتاب الرقاق ـ ٥١ باب صفة الجنه والنار فى الشرح ص ٤٤٣ باختصــار .
(٣) ســورة الضحى آيــه ٥ .
(٤) هامش نسيم الرياض ص ٢٠٧ بتصـرف .

ثم نجد بعد كل هذه الدلائل يتصدى القوم المزعومون بنفى الشفاعــــه لعصاة المؤمنين للاحاديث الصريحه بذلك مثل (حديث الذهاب الـــى الانبياء السابق فى ص٩٦، ٩٧ المذكور فى الصحيحين وغيره) . فقالت المعتزله (الكلام على هذا الخبر وأمثاله من وجوه أحدها : أن هذه الاخبـــار اخبار طويلة فلا يمكن ضبطها بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالظاهر أن الراوى انما رواها بلفظ نفسه ، وعلى هذا التقدير لا يكون شـــىء منها حجـــه .

وثانيها : انها خبر عن واقعه واحده وانها رويت على وجوه مختلفـــه مع الزيادات والنقصانات وذلك أيضا مما يطرق التهمه اليها .

وثالثها : انها مشتمله على التشبيه وذلك باطل ايضا يطرق التهمـــه اليهـــا .

ورابعها : انها وردت على خلاف ظاهر القرآن وذلك ايضا يطـــرق التهمـــه اليها .

وخامسها : انها خبر عن واقعه عظيمه تتوافر الدواعى على نقلها فلـــو كان صحيحا لوجب بلوغه الى حد التواتر وحيث لم يكن كذلك نقذ تطرقـــت التهمه اليها .

وسادسها : ان الاعتماد على خبر الواحد الذى لا يفيد الا الظن فـــى المسائل القطعية غير جائز) [1] .

(وقال الامام الفخر الرازى رحمه الله الجواب على جميع ادلـــــه المعتزله بحرف واحد وهو أن ادلتهم على نفى الشفاعه تفيد نفى جميـــع أقسام الشفاعات ، وأدلتنا على اثبات الشفاعة تفيد اثبات شفاعه خاصة والعـــام والخاص اذا تعارضا قدم الخاص على العام فكانت دلائلنا مقدمه علـــــى دلائلهـــم) [2]

---

(١) تفسير الامام الفخر الرازى جـ ٣ سورة البقرة آيه ٤٨ ص ٦٤ ، ٦٥ باختصـــار .

(٢) التفسير الكبير للامام الفخر الرازى جـ ٣ ص ٦٥ .

واذا خصصنا كل واحدة من الوجوه على حدة فبالاتى :

الوجــه الاول : يمكن الرد عليه بقولنا من أين لكم بهذا الحكم ، فان كلامهم بدون دليل وكلامنا بدليل فلا يمكن أن يحتج بكلامهم الذى لا دليل له أمام ما ثبت فى الصحيحين والله أعلم .

الوجــه الثانى : أن ورود الخبر الواحد بعدة روايات لا يكــو ن ابدا سببا فى الطعن وخاصة اذا لم تكن بين هذه الروايات تعارض ، أما تناولها بالزيادة والنقصان فهذا ايضا يمكن الرد عليه بأن الصحابه رضوان الله عليهم كانوا يتناوبون المجالس عند المصطفى صلى الله عليه وسلم وكل سمع من النبى صلى الله عليه وسلم مع تعدد المجالس فيجوز أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم ذكرها مره بطولها ثم ذكر جزء منها فى جلسة آخرها ، ولأمانــة الصحابى فى نقل الحديث ولعلمه بتحذير الرسول صلى الله عليه وسلم القائــل (من كذب على متعمدا فليتبوء مقعده من النار) [1] ، لاحاطته بكل هــذا لم ينقل الصحابى الا ماسمع من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا دليــل لكم فى هذا .

الوجــه الثالث : ورود التشبيه لا يثبت بطلان الحديث لان الرسول الكريم قد ظهر فى قوم بلاغة وفصاحة فكانت معجزته من جنس ما برع فيه قومــه ، والتشبيه كما نعلم يقرب المعنى ويوضحه فلا يقدح ذلك فى الحديث ولنتذكر هنا أن المولى عز وجل قد شبه نوره جل جلاله بنور المشكاة حيث قــال (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) [2] وما هى الا لتقريب المعنى لنا بشــئ ملموس ولا وجة لنور المولى عز وجل ونور المشكاة تعلى الله علوا كبيرا .

الوجــه الرابع : تلك الاحاديث بجملتها وفيها الحديث الذى نحــن بصدده لا تخالف الايات كما يدعون وقد قمت ببيان أن تلك الايات لا تمنــع الشفاعه لعصاة المؤمنين فى القسم الاول من هذا الفصــل .

الوجــه الخامس : نقول لهم يكفى أنها مدونه فى الصحيحــين وان كانت مرويه بالاحاد الا انها كثيرة جدا ومشتركه فيما بينها على قــدر معين وهو خروج عصاة المؤمنين من النار فيصير هذا المعنى مرويا على سبيــل

---

(١) حديث انظر الباب [illegible] ص ٣٩٤
(٢) سورة النور آيــه ٣٥ .

التواتر وهو الذى يعنينا والله اعلم بالصواب .

هذا كل ما اشتمل عليه هذا البحث وقد شغفتنى كلمة لصاحب كتاب الانصاف قالها لوجه الحق فقال (اعلموا رحمنا الله واياكم : ان اهل البدع والضلال من الخوارج والروافض والمعتزله قد اجتهدوا أن يدخلوا على اهل السنة والجماعة شيئا من بدعهم وضلالهم فلم يقدروا على ذلك لذب اهل العلم ودفع الباطل ، حتى ظفروا بقوم فى آخر الوقت ممن تصدى للعلم ولا علم له ولا فهم ، ويستنكف ويتكبر ان يتفهم وأن يتعلم ، لانه قد صار متصدرا معلما بزعمه فيرى بجهله ان عليه فى ذلك عارا وغضاضه ، وكان ذلك منه سببا الى ضلاله وضلال جماعته من الامه .

واعلم أن أخبث من ذكرنا من المبتدعه ، وأكثرهم شبها وأعظمهم استجلابا لقلوب العوام . المعتزله ، فجعلوا يتطلبون ان يضلوا من ذكرنا فى مسألة القدر ، فلم يقدروا ، وكذلك فى مسألة الرؤية فلم يقدروا ، وكذلك فى مسألة الشفاعة والصراط والميزان وعذاب القبر ، وجميع ما انكروه مما صحت فيه الاثار فلم يقدروا عليهم فى شئ من ذلك ، ولم يظفروا به ، فجاءوا الى مسألة القرآن وعقدهم فيه أنه مخلوق محدث موصوف بصفات المخلوقين ، فما قدروا ان يصرحوا بكونه مخلوقا ، فمازالوا يحسنوا لهم أمورا حتى قالوا : بأن القرآن يتصف بصفات الخلق ، وذلك اكبر عدة لهم فى كونه مخلوقا فرضوا منهم بأن يقولوا بخلق القرآن معنى وان لم يصرحوا به نطقا وكان اكبر غرض هؤلاء الجهلة ممن يتصدى للعلم وليس من أهل ذلك أن ينفروا العوام من أهل التحقيق والذين يعرفون مغزاهم فى ذلك ، حتى لا يسمع كلامهم ولا يتعلم منهم حتى ينقرضوا شيئا فشيئا ويتم لهم ما أرادوا فى الجهال والعوام) [1] .

وخلاصة ماتقدم ان العلماء اتفقوا جميعا على جميع أنواع الشفاعه الا بعض من الرهط فقد هللوا وكبروا وتمدوا للنوع القائل بخروج عصاة المؤمنين من النار بعد الدخول فيها . وقد قمت بعرض أدلتهم لتأييد مذهبهم وقولهم بأن من يدخل النار يخلد فيها وحشدوا لذلك الادلة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . وقد فندت أقوالهم بالادلة المدعمة بأقوال العلماء القائلين بأن من يدخل النار من المؤمنين لا يخلد فيها بل يعذب حسب ما قدر الله عز وجل له ثم يخرج من

---

(١) الانصاف ص ٧٠ .

النار بالشفاعة ، فكانت بمثابه الرد القاطع على قولهم • لذلك نستطيع أن نقول أن الركيزة الكبرى التى اقاموا عليها بناءهم قد انهارت وبانهيارها انهارت جميع الادلة التى احتجوا بها ومع ذلك قمت بعرضها ومناقشتها دليلا تلو الاخر واثبت أن الايات الكريمة والاحاديث الشريفه التى استندوا عليها ليست فى محلها فصرفت كل منها الى مكانها موضحة المراد بها لتصفو وتجلو امام الناظرين تلك الحقيقة القائله بأن المؤمن العاصى لا يخلد فى النار بنص القرآن الكريم والاحاديث النبويه الشريفه وأن المولى عز وجل سيخرجهم من النار تحقيقا لوعده فى القرآن الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم •

⁘ ⁘

المبحث الثالث

الشفاعة في الدنيا

ويشتمل على :

أولا : ما يحل من الشفاعة .

ثانيا : ما يحرم من الشفاعة .

ثالثا : نوع مختلف فيه وهو التوسل :

- أصحاب الحق فيها .
- آثارها .

المبحث الثالث

الشفاعة في الدنيا

ان الدين الاسلامى الحنيف الذى جعله المولى عز وجل خاتم الاديان لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا وقد رشف فيها رشفة ليرتوى منها المؤمنون .

ولقد حثنا المولى عز وجل على قضاء حوائج الناس وجعل ثواب من يقضى حاجة أخيه المسلم فى الدنيا سببا فى قضاء حاجته فى الاخرة فما أعظمه من أجر ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :- "من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة " (١). وتفريج الكربة هى الشفاء لما يجيش فى صدر المفرج عنه لان المؤمنين كالجسد الواحد ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى " (٢).

---

(١) * صحيح الامام البخارى المجلد الاول ج ٣ كتاب المظالم باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ص ١٦٨ والنص له .
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ــ المجلد السادس ــ ج ٦ كتاب البر والصله باب تحريم الظلم ص ١٣٥ .
* مسند الامام احمد ج ٢ ص ٩١ .
* عون المعبود شرح سنن ابى داود ج ١٣ ــ كتاب الادب ــ ٦٨ باب فى المعونه للمسلم حديث رقم (١٩٢٥) ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .
* سنن الترمذى ج ٤ كتاب الحدود باب ما جاء فى الستر على المسلم حديث رقم (١٤٢٥) ورقم (١٤٢٦) ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) * صحيح الامام البخارى ــ المجلد الثالث ج ٨ كتاب الادب باب رحمه الناس والبهائم ص ١٣ .
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ــ المجلد السادس ج ١٦ كتاب البر والصله باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ص ١٤٠ .
* مسند الامام احمد ج ٤ ص ٢٧٠ .

فجعل المودة والرحمة بينهم ، لان المؤمنين جميعا جسدا واحدا يألم بألم واحد ويفرح بفرح واحد .

والشفاعه التى يقوم بها الانسان لاخيه الانسان لدفع ضر أو جلب نفع ما هى الا تفريج كربه من كربات الدنيا .

وقد قسم لنا صاحب كتاب الدين الخالص أنواع الشفاعه فى الدنيا وقارن بينها وبين الشفاعه عند المولى عز وجل فقال (شفاعة الوجاهة :ـ فاعلم أن الشفاعه عبارة عن السعى فى حق احد بالخير ، وهو فى الدنيا على انحاء : منها ثبوت السرقه ـ مثلا . على ذمة احد عند السلطان فيشفع له أمير أو وزير او كبير ، فيعفو عنه ولا يحده ، ويبقى سليما من العذاب .

وهذه الصورة ، فيها أن السلطان يريد بغلبه الأخذ عليه ، ومن سرق مستحق للجزاء الذى هو معين فى قانونه وديوانه .

ولكن قبل السلطان شفاعه ذلك الأمير ، نظرا الى شوكته وشأنه وعفا عن تقصير السارق لكون الشافع فيه ركنا من أركان سلطنته ، وناصحا لمملكته ، فيظن السلطان أن كظم الغيظ فى موضع واحد والعفو عن سارق خير من أن يسخط على أمير كبير ، تخرب المملكة وتفسد السلطنة بسخطه ، ويذهب رونق الدولة باغتصابه .

فمثل هذه الشفاعة يقال لها شفاعه الوجاهة ، يعنى قبلت هذه الشفاعه بناء على وجاهه ذلك الامير ، أو الكبير ونحوها ولولا هذه الوجاهه لم تقبل .

فمثلها من الشفاعه لا تتمشى فى حضرة الواحد القهار ، ولا تقبل ولا يقدر أحد أن يشفع مثل هذه الشفاعة عنده سبحانه أبد الآباد .

ومن اعتقد ان احدا من الانبياء ، والاولياء ، والائمه ، والشهداء والملائكة والكبراء ، والكرامات يشفع عند الله مثل هذه الشفاعة ، فهو مشرك على الحقيقه ، وجاهل عظيم لم يفهم معنى الالهية ، وما قدر مالك الملك حق قدره بل الله هو مالك الملوك وشأنه الرفيع .

ان يشأ خلق آلافاً وألوفا من الاولياء والجن والملائكة ومثل جبريل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه واله وسلم بلفظة " كن " فى آن واحد ويقلب العالم كله من العرش الى الفرش فى ساعة واحدة ، ويقيم عالما آخر

مقامـــه .

كيف ، واذا أراد شيئا أن يقول له : كن ، فيكون . لا يحتاج فى صفة تكوينه الى اسباب وآلات ومـــواد .

ولو فرض ان الاوليين والاخرين من الجن والانس اجمعين يصيـــرون كجبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام لا يزيد روتق فى سلطنه هذا المالك ، مالك الملك ، وملك الملوك . وإن صار كلهم اجمعون كالشيطان والدجال ، لا ينقص فى ملكه ومملكته شئ ، ولايذهب رونقـــه اصلا .

فانه تعالى شانه اكبر الكبراء ، وأعظم العظماء ، وسلطان السلاطين ومالك المالكين ، واحكم الحاكميـــن .

ليس لاحد انيفسد شيئا منه أو يصلح أمرا له) فبين لنا الســـيد محمد صديق انمثل هذه الشفاعه لا تكون مع حضره الذات الالهيه ولا يجرء اى انسان مهما بلغ منمنزلة أن يقدم عليها ثم واصل حديثه فقال (شفاعـــه المحبـــة) .

الصورة الثانية : أن يشفع فى ذلك السارق ، محبوب لسطـــان ومعشوق له ، ويمنعه عن عقابـــه .

فيقبل السلطان شفاعته حبا للشفيع ، وكرامة له ، ويعفو عن ذنـــب السرقه بهذا العجـــز .

وهذه الشفاعة يقال لها شفاعة المحبة ، يعنى أن السلطان قبـــل هذه الشفاعة بناء على حب الحبيب .

وظن ان كظم الغيظ مرة واحدة ، والعفو عن السارق حفظاً لحبـــه ، خير منهم وغم يلحقه من ذهاب المحبوب من عنـده .

فمثل هذه الشفاعة ايضا لا تمكن فى حضرته المقدسة . ومن زعـــم أن مثلها تقبل فى جناب الله ويقدر احد على مثلها فيه ، فهو مشـــرك بالله ، وجاهل به سبحانه كما تقدم سواء بسواء بل الله تعالى ، وإن اكرم احد منعباده واتخذه حبيبا له او خليلا أو كليما أو روحا او وجيهـــا أو يخاطب احدا منهم بالرسول الكريم ، او الروح الامين ، أو روح القدس او المكين فالمالك مالك ، والمملوك مملوك ، ما للتراب ورب الارباب ؟

الرب رب وان تـــنزَّلَ والعبد عبد وان ترقـــى

لا يستطيع احد ان يضع قدمه خارجه عن دائرة العبودية أو يتجاوز عن حـــد المملوكية والرقية .

بل كما يذوق رحمته فى كل آن مع الفرح والنشاط ، فكذلك يشق كبده فى كل حال وزمان). وأيضا هذه الشفاعة كسابقتها لا تحق مع المولى عز وجل لانه لا يلحقه هم ولا غم من ذهاب المحبين فهو غنى عن هذا ثم واصل حديثه قائلا (الشفاعة بالاذن) .

الصورة الثالثة : إن السرقة ثبتت على السارق ، لكن ليست السرقة من شنشنته القديمة ،وأنه لم يجعل السرقة حرفه لنفسه ولكن وقع هذا الذنب منه بشؤم النفس الامارة بالسوء .

فهو عليه نادم ويخاف منه ليلا ونهارا ، ويقبل قانون السلطان فى حقه بالرأس والعين ، ويرى ذاته ذات خطأ وقصور مستحقه للعقاب والجزاء .

ولا يلتجىء ويلوذ بأحد من الامراء والوزراء ،فرارا من جناب السلطان ولا يعول على حماية احد منهم فى مقابلته .

بل يرى وجه الملك ليلته ونهاره ، ماذا يحكم فى حقه ، وبماذا يقضى عليه ؟ فيرحم عليه السلطان ، ويلين له فؤاده . ولكن لا يتجاوز عنه لقانون سلطنته بلا سبب صحيح ، ووجه سائغ ، لئلا يخف قدر هذا القانون فى أعين الناس ويستخفونه .

فيدرك امير أو وزير مرضاته فى العفو عن ذلك السارق ، فيشفع له ويسعى فيه ، والسلطان يعفو عن ذنبه زيادة فى عزة ذاك الامير فى الظاهر باسم الشفاعة .

وذاك الامير لم يشفع فيه لكونه من ذوى قرباء أو صديقا له أو حماية عنده تعالى . بل انما يشفع بعد ما وجد مرضاة الملك الكبير فيه ، كيف وهو أمير السلطان ، ليس بحام للسارق ؟!

فلو شفع فيه حماية ، لصار سارقا بنفسه لاشفيعا فى غيره وهذه الشفاعة يقال لها " الشفاعة بالاذن " يعنى تكون هذه الشفاعة بإذن من مالكها .

فحضرة الله سبحانه تكون فيها مثل هذه الشفاعة (١)

---

(١) الدين الخالص ج ٢ من ص ١٦ الى ١٩ .

وقال الامام ابن تيميـــة (فالمخلوق يشفع عند المخلوق سواء كان نظـــيره فى المرتبه أو اعلى منه أو أقل منه بدون اذن المشفوع اليه ٠ ويقبـــل المشفوع اليه شفاعته : اما لرغبته اليه أو فيما عنده منقوة أو سبب ينفعه به او يدفع عنه ما يخشاه ، واما لرهبته منه ، واما لمحبته اياه ، واما للمعارضه بينهما والمعاونه ، واما لغير ذلك من الاسباب ٠ وتكون شفاعة الشفيـــع هى التى حركت ارادة المشفوع اليه وجعلته مريدا للشفاعة ، بعد أن لـم يكن مريدا لها) (١) ٠

وجاء فى (مصرع الشرك والخرافه) (٢) ان الشفاعه تنقسم الى الشفاعه فى الدنيا والشفاعه فى الاخره ٠

والشفاعه فى الدنيا خاصة بالعباد وتقع لبعضهم من بعض لانهـــم يملوكنها وتدخل فى قدرتهم وتنقسم الى حسنه وسيئه ٠

والشفاعه الحسنه : مثالها اذا ظلمك شخص وتدخل آخر وانضـــم اليك ، فاظهر الحق وأزال عنك الضرر فهذه الشفاعه ينال عليها فاعلهـــا الثواب من الله (مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا) (٣) ٠

والشفاعه السيئه : مثالها انينضم شخص الى عدولك ليعينه علـــى وقوع الشر بك أو ابعاد الخير عنك فهذه الشفاعه يكون لصاحبها أثر منهـــا (مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا) (٤) ٠

وان شاء الله سوف اقسم هذا البحث الى عدة نقاط :

اولا : ما يحـــل من الشـــفاعة ٠

ثانيا : ما يحـــرم من الشفاعـــة ٠

ثالثا : نوع اختلـــف فيه وهـــو (التوســـل) ٠

مع بيـــان اصحاب الحق فيها وأثارها ٠

⁘ ⁘

---

(١) الحسنه والسيئه لابن تيميه ص ١٢٩ ، ١٣٠ بتصـرف ٠

(٢) للشيخ خالد محمد على الحـــاج ٠

(٣) ســـورة النســـاء آيـــه ٨٥ ٠

(٤) سورة النساء آيه ٨٥ ـ مصرع الشرك والخرافـه ص ٢٧١ ، ٢٧٢ بالمعـــنى ٠

اولا : ما يحـل من الشـفاعة :

وهى الشفاعة الموافقه للشرع وسماها الله بالشفاعة الحسنه فى قوله عز وجل من قائل " من يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا "[1] (اى من يتوسط فى أمر فيترتب عليه خير من دفع ضر أو جلب نفع ، ابتغاء لوجـه الله تعالى ، ومنه حمل المؤمنين على قتال الكفار ، يكن له ثواب الشفاعـه والتسبب الى الخير الواقع بها)[2] .

وقال الامام الزمخشرى (انالشفاعة الحسنه هى التى روعى بها حـق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه خيروا يتغى بها وجه الله ولم تؤخـذ عليها رشوة وكانت فى أمر جائز لافى حد من حدود الله ولا فى حق مـن الحقوق)[3] ولا شك ان تلك الايه تعتبر مدحا للشفاعه وقد ذكر الامـام الجليل الفخر الرازى عند تفسيره لهذه الايه بعض صور من الشفاعه الحسنة ومنها انبعض المؤمنين كان يشفع لمؤمن آخر عند مؤمن ثالث فى أن يحصل له ما يحتاج اليه من آلات الجهاد . أو أن يشفع ايمانه باللـه بقتال الكفار ، أو تكون الشفاعه حسنه بالدعاء اى (ما من عبد مسلم يدعـو لاخيه يظهر الغيب الا قال الملك ولك بمثل)[4] .

وكذلك تتمثل فيما نقله ابو موسى الاشعرى رضى الله عنه عـن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان النبى صلى الله عليه وسـلم اذا اتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال اشفعوا تؤجروا ويقضـى الله على لسان نبيه ما أحب "[5] .

---

(١) سورة النساء ايـه ٨٥ .
(٢) تفسير الالوسى جـ ٥ آيه ٨٥ سورة النساء ص ١٤١٩
(٣) الكشاف ـ جـ ١ ـ سورة النساء آيه ٨٥ ص ٥٤٩ .
(٤) سـبق تخريجـه ص ٤٧
(٥) سبق تخريجـه ص ٤٧

فالرسول صلى الله عليه وسلم يبين لنا ان الشفاعه مستحبه لاصحاب الحوائج المباحة سواء كانت الى سلطان أو وال أو نحوهما ام الى واحد عن الناس وسواء كانت الشفاعه الى سلطان فى كف ظلم او اسقاط تعزير أو تخليص عطاء لمحتاج او نحو ذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم بين لنا اننا من المستحب لنا مساعدته على قضاء طلبه بتكليم الرسول عليه الصلاة والسلام فاننا نؤجر وما اراده الله سيكون ، اذاً على المؤمنين أن يتوسطوا فى ايصال الخير للاخرين (وعن معاويه رضى الله عنه قال : اشفعوا تؤجروا فانى اريد الامر فأؤخره كيما تشفعوا متؤجروا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكر الحديث السابق ، فكان معاويه رضى الله عنه يؤخر حاجة بعض الناس حتى يشفع الشافعون فيؤجرون) (١) .

وعن ابى موسى عمران بن موسى قال : كتب الحسن بن وهب الى اخ له شافعا لرجل : كتابى هذا بعد أن جمعت له ذهنى فما ظنك بحاجه هذا موقعها منى فان أحسنت لم أغفل الشكر وان أسأت لم اقبل العذر) (٢) .

والشفاعه الحسنه لها صور شتى سأذكر ان شاء الله بعضا منها على سبيل الامثله ويحمل كل فعل أو قول حسن على ذلك

---

(١) التاج الجامع للاصول ـ ج ٥ ـ كتاب البر والاخلاق ومنها الشفاعه ص ٥٤ ، ٥٥ بتصرف .

(٢) مكارم الاخلاق ص ٧٧ .

وعمران بن موسى بن ميمون الهوارى السلاوى ابو موسى اندلسى قال ابن الزبير . كان مفسرا حافظا اديبا نحويا ، أقرأ العربيه بغرناطه ، وروى عن ابى القاسم بن سمجون ، وابى عبد الله بن الفخار ، المالكى ، وعنه ابن ترثون ، مات فى حدود سنة أربعين وستمائه . وأورده شيخنا فى طبقات النحاه .

انظر طبقات المفسرين للداودى ج ٢ قسم (٣٩٧) ص ١٨ .

الشفاعة للزوج مع زوجته (١)

(عن ابن عباس ان زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث ، كأنى انظر يطوف خلفها يبكى ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعباس يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريره مغيثا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو راجعته ، قالت يارسول الله تأمرنى ، قال انما انا أشفع ، قالت لا حاجة لى فيه) [1] ودلالة الحديث واضحه فقد اعتقت السيده عائشه ام المؤمنين رضى الله عنها أمتها بريره وكانت آنذاك زوجا لعبد يدعى مغيثا فكان لها الخيار فى فسخ النكاح ، ان شاءت ظلت زوجا له وان شاءت فرق بينهما ، وقد اجمعت الامة الاسلاميه على أن الأمة اذا اعتقت وكانت زوجا لعبد كان لها الخيار فى فسخ النكاح ، فان كان حرا فلا خيار لها عند مالك والشافعى والجمهور ـ فاختارت بريرة الفراق فألح عليها مغيث أن تظل معه زوجة له فأبت فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم شافعا لمغيث انه زوجك وابو أولادك . كما ورد ذلك فى رواية اخرى وطلب منها ان تراجعه فسألته يارسول الله (أتامرنى) أى هل طلبك هذا على سبيل الامر والحتم ـ لان الصحابه كانوا يعلمون جيدا ان امر الرسول عليه الصلاة والسلام واجب الاذعان والطاعة فقد قال المولى عز وجل (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) [2]

فهى لعلمها بهذا كان سؤالها فاجابها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مبينا ان طلبه اليها على سبيل الشفاعه فقال (انما انا اشفع) فقالت (لا حاجة لى فيه) اى اختارت الفراق . وهنا يتعجب الرسول صلى الله عليه وسلم عن مدى حب مغيث لبريره ومدى بغض بريرة له ، لان

---

(١) * صحيح البخارى ـ المجلد ٣ ـ ج ٧ ـ كتاب الطلاق ـ باب شفاعه النبى صلى الله عليه وسلم فى زوج بريرة ص ٦٢ .
* عون المعبود شرح سنن ابى داود ـ ج ٦ كتاب الطلاق ـ ١٩ باب فى المملوكة تعتق وهى تحت حرا أو عبد ـ وحديث رقم ٢٢١٤ ص ٣١٣ ، ٣١٤ .
* سنن النسائى ـ ج ٨ كتاب آداب القضاء ـ شفاعه الحاكم للخصوم قبل فصل الحكم ص ٢٤٥ .

(٢) سورة الحشر آيه ٧ .

الغالب فى العادة أن المحب لا يكون الا محبوبا أى أن الحب يكـــــون متبادلا من الطرفين • ومن هنا نرى كيف قام رسول الله صلى الله عليـــــه وسلم بالشفاعه بين بريرة ومغيث ولكن الله يفعل ما يريد ، ولا ينقص عــــــدم اذعان بريرة للشفاعة فى نقص أجر الشافع وهو الرسول صلى الله عليه وســــــلم وقد ذكر لنا الامام ابن تيميه ما يفيد ذلك فقال " وأما الشافع فسائل لا تجب طاعته فى الشفاعه وان كان عظيما ، ولهذا لم يلمها النبى صلى الله عليـــــه وسلم على ترك قبول شفاعته ، فشفاعة غيره من الخلق أولى أن لا يجـــب قبولهـــــا " (١) .

وليستمد المسلمون من تلك القصه الحديثيه ولتكن دافعا لهم فى كيفيـــــه التدخل بالشفاعه لاصلاح ما يقع بين الازواج من خلاف وشقاق وخاصـــــــه فى مجتمع كمجتمعنا هذا وقد فشـــت فيه تلك الظاهرة •

وعن أبى رهم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســــــلم " من أفضل الشفاعة ان يشفع بين الاثنين فى النكـاح " (٢) .

---

(١) قاعدة جليله فى التوسل والوسيله لابن تيميـــــه ص ١٣٩ •

(٢) سنن ابن ماجه جـ ١ (٩) كتاب النكاح ــ (٤٩) باب الشفاعـــه فى التزويج حديث رقم (١٩٧٥) فى الزوائد : هذا اسناد مرســـــل أبورهم هذا ، أسمه احزاب بن أسيد (بفتح الهمزه ، وقيل بضمهـــا قال البخارى : هو تابعى • وقال ابوحاتم : ليس له صحبـــــــه وذكره ابن حبان فى الثقات ص ٦٣٥ •

(٢) الشـــفاعة فى وضع الديــن

والتحريض على الصدقة والشفاعة فيها

عن جابر رضى الله عنه " أصيب عبد الله وترك عيالا ودينا فطلبت إلى أصحاب الدين أن يضعوا بعضا من دينه فأبوا ، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فاستشفعت به عليهم فأبوا . فقال : صنف تمرك كل شئ منه على حدته : عِذق ابن زيد على حدةٍ ، واللين على حدة ، والعجوة على حدة ثم احضرهم حتى آتيك . ففعلت . ثم جاء صلى الله عليه وسلم فقعد عليه ، وكال لكل رجل حتى استوفى ، وبقى التمر كما هو كأنه لم يمس " (١)

والمقصود هو (بيان الشفاعه فى وضع الدين) أى فى تخفيفه فقد توفى عبد الله الصحابى الجليل وترك عيالا ودينا فحاول جابر رضى الله عنه أن يستشفع من أصحاب الدين بأن يتنازلوا عن بعض هذا الدين فرفضوا فاستشفع بالرسول صلى الله عليه وسلم فأبوا كذلك فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصنف تمره (اى تمر عبد الله المتوفى) بان يجعل كل صنف منه على انفراد وقوله (عِذق ابن زيد) هو اجود أنواع التمر والعذق بالفتح النخله ، واللين نوع ثان من أنواع التمر وقيل هو الردئ والنوع الثالث هو العجوة وفعل جابر رضى الله عنه ما أمره به الرسول صلى الله عليه وسلم وحضور الرسول الكريم حلت البركه وجلس صلى الله عليه وسلم وسط التمر وكال لاصحاب الدين حتى استوفى الجميع كيله وبقى التمر كما هو كأنه لم يمس بفضل بركة الرسول صلى الله عليه وسلم) (٢) .

(وزعم عروة انمروان بن الحكم والمسور بن مخرمة اخبراه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه ان يرد

---

(١) * فتح البارى لصحيح البخارى جـ ٥ ـ ٤٣ كتاب الاستقراض ـ ١٨ باب الشفاعه فى وضع الدين ـ حديث رقم (٢٤٠٥) ص ٦٧ .
* سنن النسائى ـ جـ ٨ كتاب الوصايا ـ باب قضاء الدين قبل الميراث ص ٢٤٥ واللفظ للبخارى .

(٢) انظر جـ ٥ ـ ٤٣ كتاب الاستقراض ـ ١٨ ـ باب الشفاعة فى وضع الدين فتح البارى شرح صحيح البخارى ص ٦٧ بالمعنى .

اليهم اموالهم وسبيهم ،فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحب الحديث اليَّ اصدقه فاختاروا احدى الطائفتين : إما السبى وإما المال . فقد كنت استأنيتُ بهم — وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليله حين قفل من الطائف فلما تبين لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راد اليهم الا احدى الطائفتين قالوا نختار سبينا . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فان اخوانكم هؤلاء قد جاؤنا تائبين ، وانى رأيت أن أرد اليهم سبيهم ، فمن احب منكم ان يطيب بذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول ما يفئ الله علينا فليفعل . فقال الناس : قد طيبنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا لا ندرى من اذن منكم فى ذلك ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفعوا الينا عرفاؤكم امركم ،فرجع الناس ، فكلمهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا)[1] وموضع الاستشهاد فى هذا الحديث هو موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيامه شفيعا للوفد بين المؤمنين وبهارته (فان اخوانكم هؤلاء قد جاؤنا تائبين ، وانى رأيت ان ارد اليهم سبيهم ، فمن احب منكم ان يطيب بذلك فليفعل ، ومن أحب منكم ان يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول ما يفئ الله علينا فليفعل) قال ابن بطال : كان الوفد رسلا من هوازن ، وكانوا شفعاء فى رد سبيهم فشفعتهم النبى صلى

---

(١) * صحيح الامام البخارى بشرح ابن حجر العسقلانى — ٤٠ كتاب الوكالة ٧ — باب اذا وهب شيئا لوكيل أو شفيع قوم جاز لقول النبى صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن حين سألوه المغانم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم نصيبى لكم — حديث رقم ٢٣٠٧ ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ والنص له .

* سنن ابى داود ج ٢ كتاب الجهاد باب فى فداء الاسير بالمال ومعنى (العرفاء) اى الرؤساء والنقباء ص ٥٧ .

الله عليه وسلم فيهم ، فاذا طلب الوكيل او الشفيع لنفسه ولغيره فأعطى ذلك فحكمة حكمهم)[(١)]

وجاء فى فتح البارى شرح احاديث البخارى فى كتاب الزكاه باب ـ التحريض على الصدقة والشفاعه فيها ثلاثة احاديث أولها ١٤٣١ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال " خرج النبى صلى الله عليه وسلم يوم عيد فصلى ركعتين لم يصل قبل ولا بعد . ثم مال على النساء ومعه بلال ـ فوعظهن وأمرهن ان يتصدقن ، فجعلت المرأة القُلْبَ والخرص "[(٢)] . وثانيها ١٤٣٢ـ عن ابى موسى عن ابيه رضى الله عنه قال " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه السائل أو طلبت اليه حاجة قال : اشفعوا توءجروا ، ويقضى الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ماشاء "[(٣)] وثالثها ١٤٣٣ ـ عن أسماء رضى الله عنها قالت : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم " لا توكى فيوكى عليك " وفى روايه اخرى " لا تحصى فيحصى الله عليك "[(٤)] .

وقوله (باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها) قال الزين بن المنير " يجتمع التحريض والشفاعه فى أن كلا منهما ايصال الراحة للمحتاج ، ويفترقان فى أن التحريض معناه الترغيب بذكر ما فى الصدقه من الاجر ، والشفاعه فيها معنى السوءال والتقاضى للاجابة " انتهى " وكذلك قد تكون الشفاعه بغير تحريض . وبالنسبة للحديث الاول أن لفظ (القلب) يعنى السوار وقيل هو مخصوص بما كان من عظم و (الخرص) هى الحلقة .

---

(١) فتح البارى لصحيح البخارى جـ ٤ ـ ٤٠ كتاب الوكاله ـ ٧ ـ باب اذا وهب شيئا لوكيل أو شفيع قوم جاز لقول النبى صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن حين سالوه المغانم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم نصيبى لكم شرح الحديث رقم ٢٣٠٧ ـ ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ بتصرف .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ـ جـ ٣ (٢٤) كتاب الزكاه ـ ٢١ باب التحريض على الصدقه والشفاعة فيها حديث رقم ١٤٣١ ص ٢٢٩ .

(٣) سبق فى المبحث الاول ص ٢٧

(٤) * صحيح الامام البخارى بشرح ابن حجر العسقلانى ـ جـ ٣ ـ ٢٤ ـ كتاب الزكاه ـ ٢١ باب التحريض على الصدقه والشفاعه فيها حديث رقم (١٤٣٣) ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

* سنن النسائى جـ ٥ كتاب الزكاه باب الاحصاء فى الصدقه ص ٧٣ ، ٧٤ .

اما الحديث الثانى فقد ذكر قبل ذلك مبسوطا . أما الحديث الثالث فقد تخفى مناسبته للترجمه ولكن لودققنا النظر فيه لوجدناه يحمل معنى التحريض والشفاعه معا فانه يصلح ان يقال فى كل منهما لهذا السبب ختم الامام البخارى رضى الله عنه به هذا الباب) (١)

❖ ❖

(١) فتح البارى شرح احاديث البخارى ـ جـ ٣ (٢٤ كتاب الزكاة) ٢١ باب التحريض على الصدقه والشفاعة فيها ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ والشرح بالمعنى .

(٣) الشفاعة لازالة خصومة

(عن عروة بن الزبير قال " كان عبد الله بن الزبير أحب البشر الى عائشة بعد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، وكان أبر الناس بها ، وكانت لا تمسك شيئا مما جاءها من رزق الله تصدقت . فقال ابن الزبير : ينبغى ان يؤخذ على يديها ، فقالت : أيؤخذ على يدى ؟ على نذر ان كلمته . فاستشفع اليها برجال من قريش ، وبأخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، فامتنعت فقال له الزهريون أخوال النبى صلى الله وسلم — منهم عبد الرحمن بن الاسود بن عبد يغوث والمسور بن مخرمة — اذا استأذنا فاقتحم الحجاب ، ففعل ، فارسل اليها بعشر رقاب ، فاعتقتهم ، ثم لم تزل تعتقهم حتى بلغت اربعين ، فقالت : وددت أنى جعلت — حين حلفت — عملا أعمله فافرغ منه " (١).

فهذا الحديث يعتبر منقبه من مناقب السيدة عائشه أم المؤمنين رضى الله عنها ، وكان عبد الله بن الزبير احب البشر الى قلبها بعد المصطفى عليه افضل الصلاة وأتم السلام فهو ابن اختها اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنهم اجمعين وكانت قد تولت تربيته . وكانت ام المؤمنين عائشه رضى الله عنها لا تدخر شيئا مما رزقها الله فكانت تصدق بكل ما ترزق به فاستنكر عليها عبد الله بن الزبير هذا وقال ينبغى أن يحجر عليها فغضبت السيدة عائشة رضى الله عنها من مقالة ابن اختها وقالت (على نذر إن كلمته) فاستشفع الزبير برجال من قريش وبأخول المصطفى صلى الله عليه وسلم خاصة فرفضت ان تكلمه فقال له أخوال النبى صلى الله عليه وسلم عندما يسمح لنا بالدخول عليها أقتحم الحجاب ، ففعل ذلك وأرسل اليها بعشر رقاب — لانها قالت على نذر فاعتقتهم ولم تكلمه حتى وصل عددهم أربعين فانها رضى الله عنها ودت ان تجعل بين حلفها هذا عملا نبيلا وما اعظمه من عمل فقد قدمت بين حلفها عتاق اربعين رقبة ووفت بنذرها .

---

(١) صحيح الامام البخارى بشرح ابن حجر العسقلانى ج ٦ — ٦١ كتاب المناقب (٢) باب مناقب قريش — حديث رقم (٣٥٠٥) ص ٥٣٣ ، ٥٣٤ .

فنرى فى هذا الحديث كيفيه لجوء عبد الله بن الزبير للقرشيين عامة وأخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليشفعوا له عند خالته أم المؤمنين لازالة ما وقع بينهما من خصومة ومن استجابه من تشفع بهم لهذه الشفاعه وقيامهم بها على خير وجه وما أدت اليه هذه الشفاعه من عتق الرقاب واصلاح ذات البين فما أعظمها من شفاعه .

٤) الشــفاعة لتلقى العلــم

جاء فى كتاب التاج الجامع للاصول فى كتاب القيامة والجنة والنار (عن معبد بن هلال رضى الله عنه قال : انطلقنا ومعنا ثابت البُنَانِيُّ شفيعـــا الى انس بن مالك رضى الله عنه فانتهينا اليه وهو يصلى الضحى فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه فأجلس ثابتا معه على سريره ، فقال له : يا أبا حمزة ان اخوانك من أهل البصره جاءوا يسألونك عن حديث الشفاعه قال)[1] وذكر حديث الشفاعة الطويل وهرولة الناس الى الانبياء يوم القيامة .

ونحن نعلم مدى حرص الصحابه رضوان الله عليهم على تلقى العلــم وانهم يبذلون اقصى ما فى وسعهم لتلقيه ولو كلفهم ذلك الكثير من الجهـــد والمال . وهنا نلحظ ان بعضا من الصحابه رضوان الله عليهم قد غـــاب عنهم حديث الشفاعه فانطلقوا الى ثابت مستشفعيــن به طالبين منه ان يستشفـــع لهم إلى انس بن مالك رضى الله عنه ، فذهب ثابت ومعه الصحب الـــى انس رضى الله عنه وهـو يصلى الضحى وبعد الانتهاء من الصلاة استـأذن ثابت من أنس لدخول الصحب فاذن لهم وقام ثابت رضى الله عنه بالتشفـع للصحب فى تلقى العلم عما غاب عنهم من حديث الشفاعه ، فقبل انس رضـى الله عنه تشفع ثابت وبدأ يحدثهم عما جاء فى الشفاعة وذكر لهم الحديـــث بطولـــه .

∴ ∴

---

(١) * التاج الجامع للاصول ـــ جـ ٥ ـ كتاب القيامة والجنه والنار ص ٣٨٦ .
* سند لحديث طويل ذكر فى صحيح الامام مسلم بشرح الامـــام النووى ـ المجلد الاول جـ ٣ ـ كتاب الايمان باب (الشفاعـة) ص ٦١ .

(٥) الشفاعة فى الحدود مالم تبلغ السلطان

عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغنى من حد فقد وجب [١] وهنا يعلمنا الرسول صلى الله عليه وسلم كعادته درسا من دروس التسامح والعفو وهو استحباب الشفاعه فيما بيننا للعفو عما يستحق اقامة الحد ، بشرط ان تكون الشفاعه قبل أن ترفع الى الامام لانها لو رفعت لوجب على الامام ان يقيم الحد عليها ولا يحل هنا شفاعة شافع حتى ولو تنازل صاحب الحق عنها وتصبح شفاعه محرمه كما سيتضح ذلك فيما بعد [٢] (وجاء فى مشكاه المصابيح عن ابن عباس ، قال : شرب رجل فسكر ، فلقى يميل فى الفج [٣] ، فانطلق به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حاذى دار العباس انفلت فدخل على العباس ، فالتزمه [٤] فذكر ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فضحك وقال : " افعلها ؟ " ولم يامر فيه بشئ) [٥] .

⁘ ⁘

---

(١) * عون المعبود شرح سنن ابى داود ـ ج ١٢ ـ كتاب الحدود (٥) بساب يعفى من الحدود ما لم تبلغ السلطان حديث رقم (٤٣٥٤) ص ٤٠ .
* سنن النسائى ج ٨ ـ كتاب قطع السارق باب ما يكون حرزا وما لا يكون بروايتان ص ٧٠ .
* وجاء فى فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ٣ ـ رواه ابى داود ، والنسائى والحاكم وصححه واخره الذهبى وقال ابن حجر سنده الى عمرو ابن شعيب صحيح ١ هـ مع ان فيه اسماعيل ـاس وفيه كلام كثير وخلاف طويل وسببه كما فى مسند ابى يعلى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل سرق فأمر بقطعه ثم بكا فسئل فقال كيف لا ابكى وامتى تقطع بين اظهركم قالوا أفلا عفوت قال ذلك سلطان سوء الذى يعفو عن الحدود ولكن تعافوا الخ . حديث رقم ٢٣٠٨ ص ٢٤٩ .
* الحاكم فى المستدرك ج ٤ كتاب الحدود ص ٣٨٣ صحيح على شرط الشيخان ولم يخرجاه .

(٢) عند ذكر ما يحرم من الشفاعه ص ١٢٨ ، ١٣٦

(٣) الفج : الطريق الواسع بين الجبلين .

(٤) التجأ اليه الشارب وتمسك به مستشفعا به .

(٥) الحاكم فى المستدرك ج ٤ ـ كتاب الحدود قال : هذا الحديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبى ص ٣٧٣ .
انظر مشكاة المصابيح ج ٢ ص ٣٠٦ .

(٦) الشفاعة للميت فى الصلاة وعند القبر

وجاء فى كتاب " اغاثه اللهفان من مصايد الشيطان " لابن قيم الجوزيه الحديث على الشفاعة للميت فقال :

١ـ قال عوف بن مالك " صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة ، فحفظت من دعائه وهو يقول : اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه وعاف عنه ، واكرم نزله ووسع مدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس ، وابدله دارا خيرا من داره ، واهلا خيرا من اهله ، وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنه ، واعذه من عذاب القبر ، أو من عذاب النار " حتى تمنيت أن اكون انا الميت ، لدعاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على ذلك الميت)(١).

٢ـ وقال أبو هريره رضى الله تعالى عنه : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول فى صلاته على الجنازة :

" اللهم انت ربها ، وأنت خلقتها وأنت هديتها للاسلام ، وانت قبضت روحها وأنت اعلم بسرها وعلانيتها جئنا شفعاء فاغفر له " (٢).

٣ـ وفى سنن ابى داود عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : " اذا صليتم على الميت فاخلصوا له الدعاء " (٣).

---

(١) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الثالث ج ٧ كتاب الجنائز باب الدعاء للميت فى الصلاة ص ٣٠ ، ٣١ .
* سنن النسائى المجلد الثانى ج ٤ كتاب الجنائز ـ باب الدعاء ـ روايتان ص ٧٣ ، ٧٤ .
* سنن ابن ماجه ج ١ (٦) كتاب الجنائز (٢٣) باب ما جاء فى الدعاء فى الصلاة على الجنازه حديث رقم (١٥٠٠) ص ٤٨١ .

(٢) * سنن ابى داود ـ ج ٢ ـ كتاب الجنائز باب فى الدعاء للميت ص ١٨٨
* وذكره البيهقى فى السنن الكبرى ج ٤ كتاب الجنائز باب الدعاء فى صلاة الجنازه وذكر ثلاث روايات فقال أصحهم روايه عبد الوارث عن عقبه بن سيار ابو الجلاس عن على بن شماخ قال شهدت مروان يسأل ابا هريره ص ٤٢

(٣) * سنن ابى داود ـ ج ٢ ـ كتاب الجنائز ـ باب فى الدعاء للميت ص ١٨٨
* سنن ابن ماجه ج ١ (٦) كتاب الجنائز باب ٢٣ ما جاء فى الدعاء فى الصلاة على الجنازة رقم (١٤٩٧) ص ٤٨٠ .
* وجاء فى فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ١ حديث رقم (٧٢٩) أخرجه ابو داود وابن ماجه وابن حبان عن ابى هريره وحسنه أعله المناوى بمحمد ابن اسحاق وتبعه ابن حجر فقال فيه اسحاق وقد عنعن لكن اخرجه ابن حبان من طريقين آخرين مصرحا بالسماع ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

٤ـ وقالت عائشه وانس (رضى الله عنهما) عن النبى صلى الله تعالى عليه واله وسلم " ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائه كلهم يشفعون له ، الا شفعوا فيه " (١) .

٥ـ وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه واله وسلم يقول " ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا ، لا يشركون بالله شيئا ، الا شفعهم الله فيه " (٢) . فهذا هو مقصود الصلاة على الميت ، وهو الدعاء له والاستغفار ، والشفاعه فيه . ومعلوم انه فى قبره اشد حاجه منه على نعشه فانه حينئذ معرض للسؤال وغيره اللهم امتنا على الاسلام وذكرنا بالشهادتين يا ارحم الراحمين .

وقد كان النبى صلى الله تعالى عليه واله وسلم يقف على القبر بعد الدفن فيقول : " سلو له التثبيت ، فانه الان يسأل " (٣) . فعلم أنه أحوج الى الدعاء له بعد الدفن ، فاذا كنا على جنازته ندعو له ، لا ندعو به ، ونشفع له ، لا نشفع به . فبعد الدفن أولى واحرى " (٤) .

---

(١) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ـ المجلد الثالث جـ ٧ كتاب الجنائز ـ باب من صلى عليه مائه ص ١٧ والنص له .
* سنن ابن ماجه جـ ١ (٦) كتاب الجنائز (١٩) باب ما جاء فيمن صلى عليه جماعه من المسلمين حديث رقم (١٤٨٨) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من صلى عليه مائه من المسلمين غفر له) فى الزوائد قد جاء عن عائشه فى الترمذى والنسائى مثله واسناده صحيح ورجاله رجال الصحيحين ص ٤٧٧ .
* سنن النسائى جـ ٤ كتاب الجنائز فضل من صلى عليه مائه ص ٧٦ .

(٢) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ـ المجلد الثالث جـ ٧ ـ كتاب الجنائز باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه ص ١٨ والنص له .
* سنن ابى داود ـ جـ ٢ ـ كتاب الجنائز ـ باب فضل الصلاة على الجنائز وتشييعها ص ١٨١ .

(٣) * سنن ابى داود جـ ٢ ـ كتاب الجنائز باب الاستغفار عند القبر للميت فى وقت الانصراف ص ١٩٢ .
* الفتح الربانى لمسند الامام احمد جـ ٨ ـ كتاب الجنائز
* وقال اخرجه ابو داود والحاكم وصححه ، وأقره الذهبى ص ٦٥ (تتمه فيما ورد فى الدعاء للميت بعد دفنه وما جاء فى تلقينه) .
* الحاكم فى المستدرك جـ ١ كتاب الجنائز صحيح على شرط الشيخان ولم يخرجاه واقره الذهبى ص ٣٧٠ ، ٣٧١ .

(٤) اغاثه اللهفان ـ جـ ١ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ بتصرف .

(وحدثنا أبو بكار الحكم بن فروخ قال صلى بنا أبو المليح على جنازة فظننا أنه قد كبر فأقبل علينا بوجهه فقال أقيموا صفوفكم ولتحسن شفاعتكم ـ ولتحسن شفاعتكم اى لتكن شفاعتكم على وجه حسن لائق)[١] .

(وقوله صلى الله عليه وسلم " ما من ميت يصلى عليه أمةَ من المسلمين يبلغون مائه كلهم يشفعون له الا شفعوا " اى قبلت شفاعتهم فيه ، وفى روايه اربعون رجلا وفى أخرى ثلاث صفوف فلا يوجد تعارض بينهم ويمكن التوفيق بينهم بان النبى صلى الله عليه وسلم اخبرا اولاً بشفاعة المائه ثم بقبول شفاعه الاربعين ثم ثلاث صفوف وان قل عددهم أو يحتمل أن يقال أن هذا عدد ولا عبرة به)[٢] .

ولا تضاد بين هذه الاحاديث لان السبيل فى امثال هذا المقام أن يكون الاقل من العددين متأخرا عن الاكثر . وعلى هذا تعتبر كل الاحاديث دالة على فائدة واحدة وهى حصول الشفاعه بها .

تلك مجموعه من الاحاديث التى أرشدت الى الشفاعه للميت فى الصلاة وعند القبر وتفيد أن الغرض من صلاة الجنازة هو الدعاء للميت والشفاعه له وأن الدعاء والشفاعه وطلب الرحمه والمغفره وقراءة القرآن واخراج الصدقه هى اعظم الاشياء وصولاً للميت ، لذلك على كل مسلم علم بتلك الاحاديث واجب ابلاغ الاخرين بفضل الدعاء وحاجة الميت له حتى تحل الشفاعه : لموتى المسلمين محل ما نراه وما نسمعه من أقوال تقال وأفعال تقام فى هذا المجال ، وما هى الا من أقوال وأفعال الشيطان واعوانه اعاذنا الله واياكم منها ومنه .

⁂ ⁂

---

(١) سنن النسائى جـ ٤ كتاب الجنائز فضل من صلى عليه مائه ص ٧٦ .
(٢) شرح الامام النووى صحيح الامام مسلم جـ ٧ ص ١٧ بتصرف .

ثانيا : ما يحرم من الشفاعة :

قال المولى عز وجل وقوله الحق " وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا " (١) اذا الشفاعه التى حرمها الله سبحانه وتعالى هى التى وصفها فى الايه الكريمة بكونها سيئة وقد جعل المولى عز وجل لمن يقدم على مثل هذه الشفاعه كفلا منها لينفر النفوس عن الاقدام على مثل هذه الشفاعه التى يبغضها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد قال المولى عز وجل " وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (٢) فالمولى عز وجل يخبرنا بصفات المؤمنين المحموده فهم اولياء بعض ينصر بعضهم بعضا ويعاضده وهم الذين يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر كما قال المولى عز وجل فى سورة اخرى " وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ " (٣) وكذلك من صفات المؤمنين أن يقيموا ما فرض الله عليهم من الصلوات وأن يؤدوا ما عليهم من الزكاة ويطيعوا المولى عز وجل فيما أمر أن يتركوا ما نهى عنه فمن اتصف بتلك الصفات سيرحمهم المولى عز وجل فان المولى يعز من اطاعه فان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين) (٤) ففى تفسير تلك الايه علمنا ان المؤمنين حقا هم الذين يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الله ورسوله والشفاعه فيما حرم الله عز وجل وفيما نهانا عنها رسوله صلى الله عليه وسلم تخرج المؤمنين عن طاعة الله ورسوله عليه أفضل الصلاة واتم السلام ومن يعص الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد خسر الدنيا والاخره والعياذ بالله .

(وقد سمى الامام القاسمى الشفاعه السيئه بالسعاية قال وهى مثلا ذكر الناس عند السلطان بالسوء وهى معدودة من الكبائر) (٥) . والغرض

(١) سورة النساء ايه ٨٥ .
(٢) سورة التوبه آيه ٧١ .
(٣) سورة ال عمران ايه ١٠٤ .
(٤) تفسير ابن كثير ـ ج ٢ ص ٣٦٩ بالمعنى .
(٥) الامام القاسمى فى تفسيره ج ٥ ص ١٤١٩ الايه ٨٥ من سورة النساء بالمعنى .

من الايه ٨٥ من سورة النساء التنبيه على أن الشفاعه المؤدية الى سقوط الحق وقوة الباطل تكون عظيمه العقاب عند الله تعالى ويجوز ان يراد من الشفاعه السيئه هنا ما قام به بعض المنافقين من الشفاعه لمنافق فى ان يأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم فى التخلف عن الجهاد او يكون المراد بها أن يشفع كفره بالمحبه للكفار وترك ايذائهم او يكون المقصود بها ان اليهود كانوا اذا دخلوا على الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام كانوا يقولون : السام عليكم والسام هو الموت فكانت ام المؤمنين عائشه رضى الله عنها ترد عليهم بقولها وعليكم السام واللعنه ، أتقولون هذا للرسول (فقال صلى الله عليه وسلم : قد علمت ما قالوا فقلت وعليكم)[1]

وسأذكر ان شاء الله بعض الصور التى يحرم فيها الشفاعه على سبيل المثال .

والله الموفق والمعين

∴ ∴

---

(١) تفسير الفخر الرازى ج ١٠ آيه ٨٥ ص ٢٠٦ ، ٢٠٨ بالمعنى .
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الخامس ج ١٤ — كتاب السلام باب النهى عن ابتداء اهل الكتاب بالسلام ص١٤٦ ،١٤٧
* صحيح الامام البخارى المجلد الثالث ج ٨ كتاب الاستئذان باب كيف يرد على أهل الذمه السلام ص ٧٠ ، ٧١ .
* موطأ الامام مالك ج ٢ (٥٣) كتاب السلام (٢) باب ما جاء فى السلام على اليهودى والنصرانى حديث رقم (٣) ص ٩٦٠ .

(١) الشفاعه فى حد من حدود الله

أحب اولا أن اوضح معنى كلمة حـد :

(أصل الحد ما يحجز بين الشيئين فيمنع اختلاطهما ، وحد الدار مـا يميزها ، وحد الشئ وصفه المحيط به المميز له عن غيره . وسميت عقوبة الزانى ونحوه حدا لكونها تمنعه المعاودة أو لكونها مقدرة من الشارع ، وللاشارة الى المنع سمى البواب حدادا . قال الراغب : وتطلق الحدود ويراد بهـا نفس المعاصى كقوله تعالى (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا) (١) وعلى فعل فيه شئ مقدر ، ومنه (وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) (٢) وكما انهـا لما فصلت بين الحلال والحرام سميت حدودا . فمنها ما زجر عن فعله ومنها مازجر من الزيادة عليه والنقصان منه . واما قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (٣) فهو من الممانعه ، ويحتمل ان يراد استعمال الحديـد اشارة الى المقاتلـه .

ثانيا : ظهر المؤمن حمى الا فى حد أو حق :

قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع . الا اىُّ شهر تعلمونه أعظم حرمة ؟ قالوا : الا بلدنا هذا قال : الا اىُّ يوم تعلمونه أعظم حرمه ؟ قالوا الا يومنا هذا قال : فان الله تبـارك وتعالى قد حَرّم عليكم دماءكم واموالكم واعراضكم ـ ألا بحقها ـ كحرمة يومكـم هذا ، فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا ، الاهل بلغت (ثلاثا) ؟ كـل ذلك يجيبونه : الا نعم . قال : ويحكم ـ أو ويلكم ـ لا ترجعن بعـدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " ومعناه أن ظهر المؤمن حمى معصوم من الايذاء الا فى حالة اقامة الحد عليه والتعزير تأديبا فيجب أن يضرب ويذل حسب ما قدر الشرع فى توجيه الحد) (٤).

---

(١) سورة البقرة آيـه ١٨٧ .

(٢) سورة الطـلاق آيـه ١

(٣) سـورة المجادلـه ايه ٥

(٤) صحيح الامام البخارى بشرح ابن حجر العسقلانى جـ ١٢ (٨٦) كتاب الحدود ص ٥٨ : ٨٥ باختصـار .

وقد فرض علينا المولى عز وجل وجوب اقامة الحدود فقال (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (١) .

فالمولى عز وجل يأمرنا باقامة الحد على الزانية أو الزانى والايه هنا صرحت بالحد وهو الجلد وفسر لنا الفقهاء ان اقامه الحد هنا بالجلد بالنسبة للزانية والزانى غير المحصنين اى اللذين لم يسبق لهما الزواج اما من سبق لهم الزواج فقد بينت السنة الشريفه ان اقامة الحد على المحصن أو المحصنه هو الرجم حتى الموت ماخوذ من الاية الشريفه المنسوخه تلاوتا لا حكما " الشيخ والشيخه اذا زنيا فارجموهما البته " ـ وقد علم ذلك من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رجم الزانى فى حالة الاحصان مثال لذلك ماعزا والغامديه . (وهنا يحذرنا المولى عز وجل ان تأخذنا رأفة بهما فى شرع الله وأن تعطل احكام المولى عز وجل ونتغافل عنهما ونتسامح فيهما وقال عز وجل (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر) وان الايمان يقتضى الصلابة فى الدين والاجتهاد فى اقامة احكامه) (٢) .

وقال عز من قائل (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٣) .

ففى الايه الكريمه امرنا المولى عز وجل بتطبيق الحد على السارق أو السارقه وهو قطع اليد وذلك (مجازا على صنيعهما السيء فى أخذهما أموال الناس بايديهم فناسب ان يقطع ما استعانا به فى ذلك نكالا من الله أى تنكيلا من الله بهما على ارتكاب ذلك والله عزيز فى انتقامه حكيم فى امره ونهيه وشرعه وقدره) (٤) .

---

(١) سورة النور آيه ٢
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ـ جـ ٨ ص ٢٤٥ بالمعنى .
(٣) سورة المائده آيه ٣٨ .
(٤) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٥٦ .

ولذلك اذا رفع الى الامام ما يوجب الحد لابد من اقامته ولا تحـــل هنا شفاعة شفيع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "ومن حالت شفاعتـــه دون حد من حدود الله فقد ضاد الله) (١) .

والحديث واضح الدلالة بأن من شفع لاخيه لمنع تنفيذ حد من حـدود الله بعد ان يبلغ الامام فقد ضاد الله بمخالفة ما امر به وهو وجوب اقامـــه الحد عليه بعد بلوغه للامام ، ومن يأمن الدنيا والاخره بعد أن صـــار لله ضدا والعياذ بالله ،فالحديث ينفر المؤمنين الذين يتقون الله حـــق تقاته من الشفاعه فى حد من حدود الله . " وقد قالت لنا السيده عائشـــه (رضى الله عنها) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال " اقيلوا ذوى ــ الهيآت عثراتهم الا الحدود " (٢) .

فالحديث صريح فى مناشده المؤمنين بتقديم المعونه ومساعدتهم علــى قضاء حوائجهم بالمال او بالكلمه الطيبه التى تعتبر شفاعة منه لاخيه ولكـــن استثنى عليه الصلاة والسلام الشفاعه فى الحدود كأنه قال اشفعوا فيما بينكم ولكن قد وضع بينكم وبين الحدود حدا فلا تقربوها .

(وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اقيموا حدود الله فى القريب والبعيد ولا تأخذكم فى الله لومة لائم) (٣) .

---

(١) * عون المعبود لسنن ابى داود ج ١٠ بكتاب القضاء ــ باب الشهادات (١٥) باب فى الرجل يعين على خصومه من غير ان يعلم امرها ص ٥ .
* الفتح الربانى لمسند الامام احمد ج ١٦ كتاب الحدود باب (الحث على اقامة الحد والنهى عن الشفاعه فيه اذا بلغ الامام) رقم (١٦٤) وقال رواه ابو داود والحاكم وصححه واخرجه ابن ابى شيبه عن ابـــن عمر من وجه آخر صحيح موقوفا عليه واخرج نحوه الطبرانى فى الاوسط عن ابى هريرة مرفوعا وقال فيه (فقد ضاد الله فى ملكه) ص ٦٢ .
* واخرجه الحاكم فى المستدرك وذكره الذهبى عن ابن عمر مرفوعا وتوقف المستدرك للحاكم ج ٤ ــ كتاب الحدود ص ٣٨٣ .

(٢) سبق تخريجـــه فى ص

(٣) مشكاة المصابيح ج ٢ ص ٢٩٦ .
(تخريجه) *سنن ابن ماجه ج ٢ (٢٠) كتاب الحدود باب اقامة الحدود حديث رقم (٢٥٤٠) وقال فى الزوائد : هذا اسناد صحيح على شرط ابن حيان . فقد ذكر جميع رواته ، فى ثقاته ص ٨٤٩ .

وهذا الحديث يذكرني بالحادثه التي وقعت بين عمرو بن العاص أثناء ولايته على مصر وبين الخليفه الثاني عمر بن الخطاب رضى الله عنه وتطبيق الحد على عبد الرحمن ابن عمر ، وقد قرأت عن تلك الحادثه في كتاب تاريخ عمر بن الخطاب في ذكر ضربه لولده على شرب الخمر جاء (عن محمد بن عمر قال حدثني أسامه بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال : سمعت عمرو بن العاص انه ذكر يوما عمر فترحم عليه ثم قال : ما رأيت أحدا بعد نبي الله وأبي بكر اخوف لله من عمر لايبالي على من وقع الحق على ولد أو والد ، ثم قال : والله اني لفي منزلي ضحى بمصر اذ أتاني آت فقال : قدم عبد الله وعبد الرحمن ابنا عمر غازيين . فقلت للذى اخبرني : أين نزلا ؟ فقال : في موضع كذا وكذا لأقصى مصر . وقد كتب الى عمر : اياك ان يقدم عليك احد من أهل بيتي فتحبيوه بامر لا تصنعه بغيره فافعل بك ما انت أهله . فاننا لا استطيع ان اهدى لهما ولا آتيهما في منزلهما لتخوفي من أبيهما . فوالله انى لعلى ما انا عليه الى ان قال قائل : هذا عبد الرحمن بن عمرو وأبو سروعة على الباب يستاذنان ، فقلت : يدخلان ، فدخلا وهما متنكران فقالا : اقم علينا حد الله فانا قد اصبنا البارحة شرابا فسكرنا ، قال : فزبرتهما وطردتهما ، فقال عبد الرحمن : ان لم تفعل اخبرت أبي اذا قدمت عليه ، قال : فحضرت رأى وعلمت انى ان لم أقم عليهما الحد غضب على عمر في ذلك وعزلني وخالفه ما صنعت ، فنحن على ما نحن عليه اذ دخل عبد الله بن عمر فقمت اليه فرحبت به واردت أن اجلسه في صدر مجلس فابى على ، وقال : ان ابى نهاني ان ادخل عليك الا ان لا اجد بدا ، وانى لم اجد بدا من الدخول عليك ، ان اخي لا يحلق على رؤوس الناس أبدا فاما الضرب فاصنع مابدا لك ، قال : وكانوا يحلقون مع الحد ، قال : فاخرجتهما الى صحن الدار فضربتهما الحد ودخل ابن عمر بأخيه عبد الرحمن الى بيت من الدار فحلق راسه ورأس ابى سروعه فوالله ما كتبت الى عمر بحرف مما كان حتى اذا تحينت كتابه اذ اهو فيه ، " بسم الله الرحمن الرحيم " : من عبد الله عمر امير المؤمنين الى العاص بن العاص عجبت لك يا ابن العاص ولجرأتك على وخلاف عهدى . أما أنى قد خالفت فيك أصحاب بدر ممن هو خير منك واخترتك لجدالك عني وانفاذ عهدى فاراك قد تلوثت بما قد تلوثت ، فما اراني الا عازلك فمسيء عزلك ، تضرب عبد الرحمن بن عمر في بيتك وقد عرفت

ان هذا يخالفني انما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ولكن قلت : هو ولد امير المؤمنين . وقد عرفت أن لا هوادة لاحد من الناس عندي في حق يجب الله عليه فاذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءة على قتب حتى يعرف سوء ما صنع " فبعثت به كما قال أبوه ، واقرأت ابن عمر كتاب ابيه وكتبت الى عمر كتابا اعتذر فيه واخبره اني ضربته في صحن داري على الذمي والمسلم ، وبعثت بالكتاب مع عبد الله بن عمر قال اسلم : فلما قدم بعبد الرحمن على ابيه فدخل عليه وعليه عباءة ولا يستطيع المشي من مركبه . فقال ياعبد الرحمن فقلت ، وفعلت .. السياط ، فكلمه عبد الرحمن بن عوف . وقال : يا امير المؤمنين قد اقيم عليه الحد مرة ، فلم يلتفت الى هذا عمر وزبره (١) فجعل عبد الرحمن يصيح انا مريض وانت قاتلي فضربه وحبسه ثم مرض فمات.

عن الزهري ذكر ما يشبه القصة حتى قال فلما قدم عبد الرحمن على عمر جلده وعاقبه من أجل مكانه منه ثم أرسله فلبث شهرا صحيحا ثم اصابه قدره فيحسب عامة الناس انه مات من جلد عمر ولم يمت من جلده . قلت : ولا ينبغي أن يظن بعبد الله بن عمر أنه شرب الخمر وانما شرب النبيذ متأولا وظن أن ما شرب منه لا يسكر وكذلك أبو سروعه ، وأبو سروعة من اهل بدر فلما خرج بهما الامر الى السكر طلبا التطهير بالحد وقد كان يكفيهما مجرد الندم على التفريط غير انهما غضبا لله سبحانه على أنفسهما المفرطة فاسلماها الى اقامة الحد ، واما كون عمر أعاد الضرب على ولده فليس ذلك حدا وانما ضربه غضبا وتاديبا والا فالحد لا يكرر) (٢) .

---

(١) (نهره وزجره) انظر لسان العرب لابن منظور جـ ٥ ص ٤٠٣ .

(٢) تاريخ عمر بن الخطاب ـ الباب السابع والسبعون ص ٢٦٧ : ٢٧٠ بتصرف . ـ في ذكر ضربه لولده على شرب الخمر تنبيه قد اخذ هذا الحديث قوم من القصاص فأبدوا فيه واعادوا فتارة يجعلون هذا الولد مضروبا على شرب الخمر ، وتارة على الزنا ويذكرون كلاما مرققا يبكي العوام لا يجوز ان يصدر من مثل عمر .

وهنا نجد أن عمر رضى الله عنه يعلمنا ان لا هوادة ولا شفاعة ولا رأفة لاحد من الناس مهما بلغت مكانته فى حد من حدود الله ، واعتبر ان تصرف عمر وابن العاص بضرب ابنه فى صحن داره (رغم اقامة الحد عليه) قد تكون شائبة بأن يقال ان عمرو بن العاص قد جعل مكانة عمر بن الخطاب شافعا لابنه فى اقامة حد الله فكره ذلك عمر وغضب لحدود الله وفعل ما فعل على ما اوضحته الرواية السابقة .

(وعن صفوان بن عبد الله بن صفوان ، أن صفوان ابن امية قيل له : انه من لم يهاجر هلك . فقدم صفوان بن امية المدينة . فنام فى المسجد وتوسد رداءه فجاء سارق فأخذ رداءه . فأخذ صفوان السارق . فجاء به الى الرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " اسرقت رداء هذا ؟ " قال : نعم . فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم تقطع يده . فقال له صفوان : انى لم أرد هذا يارسول الله هو عليه صدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فهلا قبل أن تأتينى به " (١)

وقد ذكر صاحب المطالب العاليه عن الحسن ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم برجل يقوده وقد سرق بردة ، فامر ان يقطع يده ، فقال الرجل : يا رسول الله ما كنت ادرى أن يبلغ بردى ما يقطع فيه يد رجل مسلم ،

---

(١) * موطأ الامام مالك جـ ٢ ـ (٤١) كتاب الحدود (٩) باب ترك الشفاعه للسارق اذا بلغ السلطان رقم (٢٨) قال ابن عبد البر : هكذا رواه جمهور اصحاب مالك مرسلا . قلت : وقد وصله النسائى وابن ماجه ص ٨٣٤، ٨٣٥

* سنن النسائى جـ ٨ كتاب قطع السارق ـ باب الرجل يتجاوز للسارق عن سرقته بعد أن ياتى به الامام ، باب ما يكون حرزا وما لا يكون ص ٦٨ ، ٧٠ .

* سنن ابن ماجه جـ ٢ كتاب الحدود ـ باب من سرق من الحرز رقم (٢٥٩٥) ص ٨٦٥ .

* وقد اورده الحاكم فى المستدرك تفسيرا لحديث ابن عباس الذى صححه واقره الذهبى (أن صفوان بن اميه اتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم برجل قد سرق حلة له ثم قال يا رسول الله هبه لى فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهلا قبل ان تاتينا به جـ ٤ كتاب الحدود ص ٣٨٠ .

قال " فلو لا كان هذا قبل " (١)

وذكر النسائى عدة روايات منها أن صاحب البردة قال (هوله قـــال فهلا قبل الان) فحاول صاحب البردة ان يرفع اسم السرقة عن الرجـــل حتى لا يطبق فيه الحد بأن يجعله هبة له أو أنه قد باعه اياه ولكـــن الرسول صلى الله عليه وسلم وضح للشافع انكل هذا كان يجوز قبل أن ياتيه بالرجل والبرده فان اتيانه بالرجل والبرده لا معنى له الا اقامة حـد اللـــه عليه ، فاما بعد ذلك فالحق للشرع لا لك .

(وعن مالك عن ربيعه بن أبى عبد الرحمن ان الزبير بن العوام لقـــى رجلا قد أخذ سارقا . وهو يريد انيذهب به الى السلطان فشفع له الزبيـــر ليرسله . فقال : لا حتى ابلغ به السلطان . فقال الزبير : اذا بلغـــت به السلطان . فلعن الله الشافع والمشفع) (٢)

وعن عائشه رضى الله عنها ان قريشا اهمتهم المرأة المخزومية الـــتى سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجـــترئ عليه الا اسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكلم رسول الله صلـــى الله عليه وسلم فقال : أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقـــال : يا ايها الناس انما ضل من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركـــوه ، واذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد . وايم الله لو أن فاطمة بنـــت محمد سرقت لقطع محمد يدها " (٣)

ولهذا الحديث قصه هى ان امرأة تدعى فاطمة بنت الاسود عبـــد الاسد بن عبد الله بن عمر وبن مخزوم قبيله فى قريش قد سرقت متاعا او حليـا

---

(١) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر ج ٢ قال البوصيرى رواه " الحارث " مرسلا بسند صحيح ص ١١٨ .

(٢) سبق تخريجـــه فى ص ن

(٣) * فتح البارى لصحيح البخارى ج ١٢ كتاب الحدود ١٢ باب كراهـة الشفاعه فى الحد اذا رفع الى السلطان حديث رقم ٦٧٨٨ ص ٨٧ واللفظ لـــه .

* مسلم بشرح النووى المجلد الرابع ج ١١ كتاب الحدود باب النهى عن الشفاعه فى الحدود ص ١٨٦ .

* الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢٤٧ .

* عون المعبود لسنن ابى داود ج ١٢ كتاب الحدود ٤ باب فى الحـد يشفع فيه — حديث رقم (٤٣٥١) ص ٣١ ، ٣٢

* تحفه الاحوذى شرح جامع الترمذى ج ٤ كتاب الحدود ٥ باب ما جاء فى كراهيه ان يشفع فى الحدود وحديث رقم ١٤٥٢ ص ٦٩٨ ، ٦٩٩

* رياض الصالحين باب تحريم الشفاعه فى الحدود ص ٦١٧ .

على الاختلاف فصيرهم هذا العمل المخزى مهمومين محزونين لعلمهم بـــأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيطبق عليها حد الله وهو قطع اليـــد وأنه لا يرخص فى الحدود وكان قطع يد السارق يعرفونه فى الجاهليه وأقــــره الاسلام .

ففكروا فيمن يشفع لها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعفـــوا عنها او يقبل فداء فيها ووقع اختيارهم فى النهاية على اسامة لانه كان ذا منزله ومكانة ودلال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل اسامة ذلك وذهــب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شافعا لفاطمه المخزومية فما كان من رســول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يسأله على سبيل الاستفهام الانكارى للتوبيخ (اتشفع فى حد من حدود الله) ثم قام وخطب الناس وذكر لهم ان من قبلهم هلكوا لانهم كانوا يفرقون فى اقامة حدود الله فكان اذا سرق الغنى تركـــوه واذا سرق الفقير اقاموا عليه الحد . وحلف ليؤكد تغليظ الامر أن لو كانـــت السارقه فاطمه ابنته لقطع يدها واختارها بالذكر كمثال لانها اعز اهلـــه عنده واحب البشر اليه . فاراد المبالغة فى تثبيت اقامة الحدود على كل مكلـف وترك المحاباه فى ذلك .

وقد افادت بعض الروايات ان اسامة رضى الله عنه قال لرســـول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لى يا رسول الله ثم امر رسول الله صلـــى الله عليه وسلم فقطع يدها تنفيذا لحد الله .

(وقد ذكرت بعض الروايات ان المرأة استعارت وجحدت ما استعارته ولـم تسرق وتلك الروايات صحيحه وموجوده فى صحيح الامام مسلم والامام البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه) [1] .

قال الامام النووى المراد انها قطعت بالسرقة وانما ذكرت العاريـــــه تعريفا لها ووصفا لانها سبب القطع وان سائر الطرق صرحت بالسرقه) [2] .

---

(١) قاله الامام المنذرى : فى عون المعبود شرح سنن ابى داود جـ ١٢ كتاب الحدود ــ باب فى الحد يشفع فيه ص ٣٣ .

(٢) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الرابع جـ ١١ كتـــاب الحدود باب النهى عن الشفاعه فى الحدود ص ١٨٨ .

" وقال ابن القيم لا تنافى بين جحد العاريه وبين السرقة فان ذلك داخل فى اسم السرقة ، ثم قال : ولم يذكر لفظ السرقة لان المقصود منها عند الراوى ذكر منع الشفاعة فى الحدود لا الاخبار عن السرقة [1] .

وعلى هذا يجب حمل رواية الاعارة والجحد على أنها سرقة ، لان اكثر الطرق مصرحة على السرقة وذلك للتوفيق بين الروايات ، ولان قطع اليد لا يكون الا فى السرقة وليست فى الاعارة . والله اعلم .

فالحديث واضح الدلالة على حرمة الشفاعة فى حد من حدود الله وهو هنا السرقة [2] . " وقال ابو عمرو بن عبد البر (لا اعلم خلافا ان الشفاعه فى ذوى الذنوب حسنه جميله ما لم تبلغ السلطان وأن على السلطان أن يقيمها اذا بلغته وذكر الخطابى وغيره عن مالك انه فرق بين من عرف بأذى الناس ومن لم يعرف فقال : لا يشفع للاول مطلقا سواء بلغ الامام ام لا وأما من لم يعرف بذلك فلا بأس أن يشفع له مالم يبلغ للامام) [3] .

(١) عون المعبود بشرح سنن ابى داود حـ ١٢ ص ٣٤ ، ٣٥ بتصرف
(٢) * للمزيد من الشرح (فتح البارى جـ ١٢ ـ كتاب الحدود ـ باب كراهية الشفاعه فى الحد اذا رفع الى السلطان ص ٨٧ : ٩٦ .
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى جـ ١١ كتاب الحدود ـ باب النهى عن الشفاعه فى الحدود ص ١٨٦ : ١٨٨ .
* تحفه الاحوذى شرح الترمذى جـ ٤ كتاب الحدود باب ٥ ما جاء فى كراهية ان يشفع فى الحدود ص ٦٩٨ : ٦٩٩ .
* عون المعبود شرح سنن ابى داود جـ ١٢ كتاب الحدود باب ٤ فى الحد يشفع فيه ص ٣١ : ٣٦ .
(٣) الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٧٠ تحت عنوان كراهية الشفاعة فى الحد اذا رفع الى السلطان .

(٢) الشفاعه المعكوسة (لا يستشفع بالله على خلقه)

نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن مثل هذه الشفاعه فعن جبير بن مطعم قال : جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله انهكت الانفس ، وجاع العيال ، وهلكت الاموال ، فاستسق لنا ربك ، فانا نستشفع بالله عليك وبك على الله . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : " سبحان الله ! سبحان الله ! " فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه اصحابه ، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : ويحك ، اتدرى ما الله ؟ ان شأن الله أعظم من ذلك ، انه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه " [1] وفيه مسائل :

الاولى : انكاره على من قال نستشفع بالله عليك .

الثانية : تغيره تغيرا عرف فى وجوه اصحابه من هذه الكلمه .

الثالثة : انه لم ينكر عليه قوله : " نستشفع بك على الله " .

الرابعة : ان المسلمين يسألونه الاستسقاء

وقد اطلقت على تلك الشفاعه الشفاعة المعكوسه لان الاعرابى قد جعل المولى عز وجل هو الواسطه (الشافع) بين المؤمنين والرسول صلى الله عليه وسلم فبين له الرسول عليه أفضل الصلاة واتم السلام ان المولى عز وجل

---

(١) * التوحيد لابن تيميه باب الا يستشفع بالله على خلقه ص ٢٢٠ والنص له .
* الدين الخالص جـ ٢ فصل فى رد الاشراك بالاستشفاع بالله على احد من مخلوقاته ص ١٧١ ، ١٧٢ وكذلك ص ١٧٦ .
* (تخريجه) رواه ابو داود جـ ٢ كتاب السنه ـ باب فى الجهمية وقال ابن بشار فى حديثه " ان الله فوق عرشه ، وعرشه فوق سمواته وساق الحديث ، وقال عبد الاعلى وابن المثنى وابن بشار عن يعقوب بن عتبه وجبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده . قال ابو داود : " والحديث باسناد احمد بن سعيد هو الصحيح ، وافقه عليه جماعه منهم يحيى بن معين وعلى بن المدينى ، ورواه جماعه عن ابن اسحاق كما قال احمد ايضا ، وكان سماع عبد الاعلى وابن المثنى وابن بشار من نسخه واحدة فيما بلغنى " انتهى .
انظر ص ٥٣٣ ، ٥٣٤ .

امره أجل واعظم منهذا ، بل هو سبحانه أعلى شانا من ان يشفع احد عنده الا باذنه (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ)[1] وانه لم يقدر الله حق قدره . وظل رسول الله يسبح ويسبح تمجيدا لله واستغفارا اليه . وقال للاعرابى لا يستشفع بالله على احد وهو الذى يشفع الشافع اليه وليس هو بشافع لاحد الى أحد ، بل ، هو يشفع وشفاعته رحمة من قبل نفسه لمن يشاء سبحانه فهو مالك الملك اذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون فالخير كله بيده لا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع ولا راد لما قضى .

واذا نظرنا لهذه الشفاعه فاننا نجدها مرفوضه لابسط قواعد الاثبات ، ففى اللغة العربية يعتبر التشبيه ضعيفا اذا كان المشبه به أدنى فى الشبه من المشبه مثال لذلك تشبيه الاسد بالرجل فى القوة والشجاعه ، فهل يعقل أن يتشفع خالق السماوات والارض بمن خلق كيف وهو القوى الخبير تعالى الله عن هذا علوا كبيرا . فمنهنا جاء الانكار .

وقد جاء فى كتاب الايمان وآثاره أن شفاعة الخالق الى المخلوق ممتنعه، محظور طلبها وذكر نفس الحديث وعلق عليه ببيان سبب الامتناع والحظر بقوله : (وانما امتنع الاستشفاع بالله لان الشفيع سائل والله مسئول ولا سائل ، ثم الشفيع ليس على المشفوع اليه أن يطيعه بقبول شفاعته)[2] اعاذنا الله من معصيته وذكر الامام ابن تيميه ما يفيد ذلك بقوله (لان الشفيع يسأل المشفوع اليه أن يقضى حاجة الطالب والله تعالى لا يسأل احدا من عباده أن يقضى حوائج خلقه وان كان بعض الشعراء ذكرا استشفاعه بالله تعالى فى مثل قوله :

شفيعى اليك الله لا رب غيره ... وليس الى ردّ الشفيع سبيل

وكذلك بعض الاتحاديه[3] ذكر انه استشفع بالله سبحانه الى النبى صلى الله عليه وسلم وكلاهما خطأ وضلال ، بل هو سبحانه المسئول المدعو الذى يسأله كل من فى السموات والارض ولكنه تبارك وتعالى يأمر عباده فيطيعونه وكل من وجبت طاعته من المخلوقين فانما وجبت لان ذلك طاعه الله تعالى فالرسل يبلغون عن الله أمره فمن اطاعهم فقد اطاع الله ، ومن بايعهم

---

(١) سورة الانبياء آية ٢٨ .
(٢) الايمان واثاره والشرك ومظاهره ص ١٣٧ بالمعنى .
(٣) قال الامام ابن تيميه فى هامش قاعده جليله فى التوسل والوسيله انهم الذين يقولون بوحده الوجود ، اى ان واجب الوجود وجائز الوجود واحد . ومعنى هذا أن الكون هو الله وهذا انكار لوجود الله ، والعياذ بالله من الكفر بعد الايمان ص ١٣٨ .

فقد بايع الله . قال تعالى (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ)[١] وقال تعالى (مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)[٢] وأولو الامر من أهل العلم واهل الامارة وانما يجب طاعتهم اذا امروا بطاعة الله ورسوله ، قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح " على المسلم السمع والطاعة فى عسره ويسره وَمَنْشَطه ومَكْرهه ، مالم يؤمر بمعصية الله ، فاذا امر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعه "[٣] . وأما الشافع مسائل لا تجب طاعته فى الشفاعة وان كان عظيما)[٤]

⁘ ⁘

---

(١) سورة النساء آيه ٦٤ .

(٢) سورة النساء آيه ٨٠ .

(٣) * صحيح الامام البخارى المجلد الثالث ج ٩ كتاب الاحكام باب السمع والطاعة للامام ما لم تكن معصيه ص ٧٨ .
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الرابع ج ١٢ كتاب الامارة باب وجوب طاعة الامراء فى غير معصية ص ٢٢٦ .
* مسند الامام احمد عن ابن عمر ج ٢ ص ١٧ .
* سنن ابى داود ج ٢ وكتاب الجهاد باب فى الطاعة ص ٣٨ .
* سنن الترمذى ج كتاب الجهاد باب ما جاء لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق حديث رقم (١٧٠٧) ص ٢٠٩ .
* سنن النسائى ج ٧ كتاب البيعه باب البيعة على السمع والطاعه ص ١٣٧ : ١٤٠ .
* موطأ الامام مالك ج ٢ (٥٥) كتاب البيعة ـ باب ما جاء فى البيعة حديث رقم (١) ص ٩٨٢ .

(٤) قاعدة جليله فى التوسل والوسيله لابن تيميه ص ١٣٨ ، ١٣٩ ـ باختصار .

(٢) انكار الشفاعة لاهل الذمـــه

فقد جاء فى فتح البارى لصحيح البخارى (عن ابن عباس رضـــى الله عنهما أنه قال " يوم الخميس وما يوم الخميس . ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء ، فقال : اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعـــه يوم الخميس فقال : أئتونى بكتاب اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا .

فتنازعوا ولا ينبغى عند نبى تنازع . فقالوا : هجر رسول الله صلـــى الله عليه وسلم . قال : دعونى ، فالذى أنا فيه خير مما تدعونى اليـــه . وأوصى عند موته بثلاث : اخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، واجيـــزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ، ونسيت الثالثـــة " .

قوله (باب جوائز الوفد) ، (باب هل يستشفع الى أهل الذمة ؟ ومعاملتهم ؟) كذا فى جميع النسخ من طريق الفربرى ، الا ان فى روايـــه أبى على بن شبويه عن الفربرى تأخر ترجمه " جوائز الوفـد " عن الترجمـــه " هل يستشفع " وكذا هو عند الاسماعيلى وبه يرتفع الاشكال ، فـــان حديث ابن عباس مطابق لترجمه جوائز الوفد لقوله فيه " واجيزوا الوفـــد " بخلاف الترجمه الاخرى ، وكأنه ترجم بها وأخلى بياضا ليورد فيها حديثـــا يناسبها فلم يتفق ذلك ، ووقع للنسفى حذف ترجمة جوائز الوفد اصـــلا ، واقتصر على ترجمه (هل يستشفع) واورد فيها حديث ابن عباس المذكور وعكسه رواية محمد بن حمزه عن الفربرى وفى مناسبته لها غموض ، ولعلـــه من جهة أن الاخراج يقتضى رفع الاستشفاع ، والحض على اجـــــازه الوفد يقتضى حسن المعامله ، أو لعل " الى " فى الترجمه بمعنى اللام ، اى هل يستشفع لهم عند الامام وهل يعاملون ؟ ودلالة " أخرجوهـــم من جزيرة العرب " و " أجيزوا الوفد " لذلك ظاهرة والله اعلم " (١) .

---

(١) فتح البارى شرح احاديث البخارى ج ٦ كتاب الجهاد (٥٦) ــ ١٧٥ باب جوائز الوفد ــ ١٧٦ ــ باب هل يستشفع الى اهل الذمة ؟ ومعاملتهم حديث رقم (٣٠٥٣) ص ١٧٠ .

فنجد أن الحديث يعلمنا بحرمانيه الشفاعه لاهل الذمة لان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصى فى الحديث باخراجهم والاخراج يترتب عليه رفع الاستشفاع ولكن هذا يختلف عن المعامله فاجازة الوفد تقتضى حسن المعامله او أن عنوان الترجمه الثانى جئ به على طريقه السؤال فتكون الى بمعنى اللام ويكون العنوان هل يستشفع لهم عند الامام وهل يعاملون ؟ ففرق بين الاستشفاع وحسن المعامله للوفد فى الحديث . والله اعلم .

وقد يقعنا فى اشكال ما روى (عن مسروق قال : أتيت ابن مسعود فقال " ان قريشا ابطأوا عن الاسلام ، فدعا عليهم النبى صلى الله عليه وسلم ، فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها ، واكلوا الميته والعظام .
فجاءه أبو سفيان فقال : يا محمد ، جئت تامر بصلة الرحم ، وان قومك هلكوا ، فادع الله . فقرا (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ)[1] ثم عادوا الى كفرهم ، فذلك قوله تعالى (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ)[2] يوم بدر — قال وزاد أسباط عن منصور — فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث ، فاطبقت عليهم سبعا — وشكا الناس كثرة المطر فقال : اللهم حوالينا ولا علينا . فانحدرت السحابة عن رأسه ، فسقوا الناس حولهم " .

قوله (باب اذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط) قال الزين بن المنير : ظاهر هذه الترجمه منع أهل الذمة من الاستبداد بالاستسقاء كذا قال ، ولا يظهر وجه المنع من هذا اللفظ ، واستشكل بعض شيوخنا مطابقة حديث ابن مسعود للترجمه ، لان الاستشفاع انما وقع عقب دعاء النبى صلى الله عليه وسلم عليهم بالقحط ، ثم سئل ان يدعو برفع ذلك)[3]

---

(١) سورة الدخان آيه ١٠ .
(٢) سورة الدخان آيه ١٦ .
(٣) فتح البارى لصحيح البخارى جـ ٢ (١٥ كتاب الاستسقاء) ١٣ ـ باب اذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط — حديث رقم ١٠٢٠ ص ٥١٠ .

فقد ذكر الحديث تحت عنوان (باب اذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط) وهو عام بسبب حذف جواب اذا ، فقد يقال ما بال هذا الحديث يثبت الشفاعه للمشركين . وقد قام الامام ابن حجر العسقلاني بشرح هذا الحديث قائلا (ومحصله أن الترجمة أعم من الحديث ، ويمكن أن يقال ، هي مطابقة لما وردت فيه ، ويلحق بها بقية الصور ، اذ لا يظهر الفرق بين ما " اذا استشفعوا بسبب دعائه او ابتلاء الله لهم بذلك ، فان الجامع بينهما ظهور الخضوع منهم والذلة للمؤمنين في التماسهم منهم الدعاء لهم ، وذلك من مطالب الشرع . ويحتمل ان يكون ما ذكره شيخنا هو السبب في حذف المصنف جواب " اذا " من الترجمة ويكون التقدير في الجواب مثلا : اجابهم مطلقا ، أو اجابهم بشرط ان يكون هو الذي دعا عليهم ، او لم يجبهم الى ذلك اصلا . ولا دلالة فيما وقع من النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة على مشروعية ذلك لغيره ، اذا الظاهر ان ذلك من خصائصه لاطلاعه على المصلحة في ذلك بخلاف من بعده من الائمه ، ولعله حذف جواب " اذا " لوجود هذه الاحتمالات .

ويمكن ان يقال : اذا رجا امام المسلمين رجوعهم عن الباطل او وجود نفع عام للمسلمين شرع دعاؤه لهم والله اعلم . وقوله (جئت تأمر بصله الرحم) يعني والذين هلكوا بدعائك من ذوي رحمك فينبغي أن تصل رحمك بالدعاء لهم)[1] .

وقد قال الامام ابن تيميه عند توضيحه ان الشفاعه للكفار او الاستغفار لهم لا تنفع مع كفرهم وانما رواه ابو داود انه صلى الله عليه وسلم استسقى لبعض المشركين لما طلبوا منه أن يستسقي لهم فاستسقى لهم ، وكان ذلك احسانا منه اليهم يتألف به قلوبهم كما كان يتألفهم بغير ذلك[2] .

⁘ ⁘

---

(١) فتح الباري لصحيح البخاري ج ٢ ص٥١٠ ، ٥١١ باختصار .

(٢) انظر قاعده جليله في التوسل والوسيله لابن تيميه ص٦ ، ٧ .

(٤) الشفاعة مما لا يضر ولا ينفع

(الشفاعه بالعاجز) ـ الاصنام

لقد حرم المولى عز وجل هذا النوع من الشفاعة بل أعلمنا انه شرك وقد جاء فى كتاب الوحى المحمدى ما يؤكد ذلك فقال (اما مسألة الشفاعة التى كان مشركوا العرب يثبتونها لمعبوداتهم فى الدنيا فقد نفاها القرآن الكريم وأبطلها ، وأثبت أن الشفاعة لله جميعا وانه لا يشفع عنده أحد الا باذنه وان الشفاعه الثابته بالايات القرآنيه الكريمة والاحاديث النبويه الشريفه غير الشفاعة الوثنيه الشركيه التى ضل بها المشركون بالله وتشفعوا للخالق بما لا يملك ضرهم ولا نفعهم بل لا يملك لنفسه شيئا بل هم اعظم منه لان صفة العجز محيطة به لنفسه فما باله لغيره)[1].

فاللجوء الى هذا الشافع الذى لا يضر ولا ينفع قد نهى عنه المولى عز وجل فقال عز من قائل (أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ . قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا)[2].

(أى أن المولى عز وجل هو مالك الشفاعه ولا يستطيع أحد ان يشفع الا أن يكون المشفوع له مرتضى والشفيع ماذونا له بالشفاعه وكلاهما مفقود ههنا)[3] لان المشفوع لهم وهم الكفار قد عصوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فغضب عليهم المولى عز وجل والشفيع لهم وهم الاصنام فقد عبدوا من دون الله وهم عجزة لا يملكون رد العبادة بهم فكيف لهم أن يدافعوا عن غيرهم بالشفاعه لهم ، أيشفعون وهم لا عقل لهم ، فهم جمادات لا تعقل ولا تبصر ولا تسمع فقد اتخذوها آلهه وهى لا تملك شيئا من الامر ، فقد ساء ما يفعلون .

---

(١) الوحى المحمدى (٣) مسألة الشفاعة ص ١٧٥ ، ١٧٦ .
(٢) سورة الزمر آيه ٤٣ ، ٤٤ .
(٣) تسفير القاسمى ج ١٤ تفسير للايه ٤٣ ، ٤٤ من سورة الزمر ص٥١٤٣ بالمعنى .

(فانه سبحانه نفى الشفاعه الشركيه التى كانوا يعتقدونها وامثالهم من المشركين ، وهى شفاعه الوسائط لهم عند الله فى جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم بذواتها وأنفسها بدون توقف ذلك على اذن الله ومرضاته لمن شاء أن يشفع فيه الشافع ، فهذه الشفاعه التى ابطلها الله سبحانه ونفاها وهى أصل الشرك كله وقاعدته التى عليها بناؤه وأخيته التى يرجع اليها ، واثبت سبحانه الشفاعة التى لا تكون الا باذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع قوله وعمله ، وهى الشفاعة التى تنال بتجريد التوحيد كما (قال صلى الله عليه وسلم : أسعد الناس بشفاعتى من قالا لا اله الا الله خالصا من قلبه)[1] والشفاعة الاولى هى الشفاعة التى ظنها المشركون وجعلوا الشرك وسيله اليها)[2] .

وقد جاء فى كتاب قاعده جليله فى التوسل والوسيله أن المشركين الذين جعلوا معه آلهة اخرى كانوا مقرين بأن الهتهم مخلوقه ، ولكنهم كانوا يتخذونهم شفعاء ويتقربون بعبادتهم اليه كما قال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض؟ سبحانه وتعالى عما يشركون)[3] وقال تعالى : (تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ، إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ، وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)[4] وكانوا يقولون فى تلبيتهم :

---

(١) سبق تخريجه فى ص(١٠١)
(٢) مفتاح دار السعادة جـ ٤ ص ١٨٦ .
(٣) سورة يونس آيه ١٨ .
(٤) سورة الزمر آيه (١ ، ٢ ، ٣) .

لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك .
وقد قال كذلك: فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة والانبياء والصالحين ، ويصورون تماثيلهم فيستشفعون بها ويقولون : هؤلاء خواص الله ، فنحن نتوسل الى الله بدعائهم وعبادتهم ليشفعوا لنا ، كما يتوسل الى الملوك بخواصهم لكونهم اقرب الى الملوك من غيرهم ، فيشفعون عند الملوك بغير اذن الملوك ، وقد يشفع أحدهم عند الملك فيما لا يختاره فيحتاج الى اجابه شفاعته رغبه ورهبه . فانكر الله هذه الشفاعة فقال تعالى : (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [1] وغير ذلك من الايات الكثيرة .

* *

---

(١) سورة البقرة آيه ٢٥٥ .
قاعدة جليله فى التوسل والوسيله لابن تيميه ص ١١ ، ١٥ مع التقديم والتاخير .

(٥) قبـــول الهدية على الشفاعـــة

الهديه فى حد ذاتها حلال فقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلـــم انه قال (... لو أهدى الىَّ ذراع أو كراع لقبلت) (١) . وقال صلـــى الله عليه وسلم (يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاه) (٢)

فكل هذه الاحاديث تحثنا على قبول الهدية وترغبنا فى اخذها مهمـــا كان الشىء المهدى كثيرا او قليلا ولكن النهى منصب هنا على قبول الهدية نظيـــر الشفاعة قال عمر بن عبد العزيز كانت الهديه فى زمن رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم هدية واليوم رشوة . فمن هنا نعلم ان قبول الهدية لعلــه منهـــى عنه وقد جاء فى صحيح الامام مسلم (استعمل رسول الله صلى الله عليـــه وسلم رجلا من الاسد يقال له ابن اللُّتْبِيَّة . قال عمرو وابن ابى عمر علـــى الصدقه فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدى لى قال فقام رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم على المنبر محمد الله واثنى عليه وقال ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم

---

(١) صحيح الامام البخارى ـ المجلد الاول ـ ج ٣ كتاب الهبه وفضلها ـ باب القليل من الهبـــة ص ٢٠١ .

(٢) * صحيح الامام البخارى المجلد الاول ج ٣ كتاب الهبه ـ باب فى فضلها والتحريض عليها ص ٢٠١ والنص لــه .

* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الثالث ج ٧ كتاب الزكاة باب الحث على الصدقه ولو بالقليل ومعنى (فرسن) بكسر الفاء والســـين وهو الظلف قالوا وأصله فى الابل وهو فيها مثل القدم فى الانسان ويطلـــق على الغنم استعاره . ص ١١٩ ، ١٢٠ .

* سنن الترمذى ج ٤ كتاب (٣٢) الولاء والهبه باب (٦) فى حث النبى صلى الله عليه وسلم على التهادى رقم (٢١٣٠) قال ابو عيسى هذا حديث غريب من هذا الوجه ص ٤٤١ .

* مسند الامام أحمد ج ٢ ص ٢٦٤ ، ٣٠٧ عن أبى هريره ، ج ٤ ص ٦٤ عن عمر بن معاذ الاشهلى عن جدته ، ج ٥ ص ٣٧٧ عن عمرو بـــن معاذ الاشهلى عن جدته .

* موطأ الامام مالك ج ٢ كتاب الصدقه ـ باب الترغيب فى الصدقـــه ص ٩٩٦ .

* سنن الدارمى ج ١ كتاب الزكاة (٣٣) باب كراهيه رد السائل بغير شىء رقم (١٦٧٩) ص ٣٣٢ .

وهذا اهدى لى افلا قعد فى بيت ابيه او فى بيت امه حتى ينظر ايهدى اليه ام لا والذى نفس محمد بيده لا ينال احد منكم منها شيئا الا جاء به يوم القيامة بحمله على عنقه ...) فقد بين لنا صلى الله عليه وسلم فى نفس الحديث السبب فى تحريم الهدية وهو ان تلك الهدية مهداة له بسبب الولاية وبين له صلى الله عليه وسلم انها بخلاف الهديه لغير العامل فانها مستحبة . ويفهم هذا من قوله صلى الله عليه وسلم (افلا قعد فى بيت ابيه او فى بيت امه حتى ينظر ايهدى اليه ام لا) (١) .

(وعن ابى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من شفع لاخيه (لاحد) شفاعة (بشفاعة) فاهدى له هدية عليها فقبلها فقد اتى بابا عظيما من أبواب الربا " (٢) .

---

(١) صحيح الامام مسلم بشرح النووى ج ١٢ كتاب الامارة ص ٢١٨ ، ٢١٩ تحت عنوان هدايا العمال والشرح ص ٢١٩ بالمعنى .

(٢) * سنن ابى داود بشرح عون المعبود ج ٩ كتاب الاجاره ٤٩ ــ باب فى الهديه لقضاء الحاجة ــ حديث رقم (٣٥٢٤) وقال المنذرى القاسم هو ابن عبد الرحمن ابو عبد الرحمن الاموى مولاهم الشافى وفيه مقال ص ٤٥٦ مسند الامام احمد ج ٥ ص ٢٦١ روايه عن خالد بن ابى عمران ص

* وجاء فى الجرح والتعديل رقم (٦٤٩) ثنا ابو بكر الاثرم قال سمعت ابا عبد الله احمد بن حنبل ذكر حديثا عن القاسم الشامى عن ابى امامه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ان الدباغ ـــ طهور فانكره وحمل على القاسم وقال يروى على بن يزيد عنه اعاجيب وتكلم فيهما وقال ما أرى هذا الا من قبل القاسم ج ٧ ص ١١٣ .

* وجاء فى مجمع الزوائد ج ١ كتاب الطهارة باب التوضىء من جلود الميته والانتفاع بها اذا دبغت . وقال انه فيه كلام وقد وثق ص ٢١٧ وفى باب (اسباغ الوضوء) انه فيه ضعف ص ٢٣٦ . وفى باب (الوضوء مما مست النار) انه مختلف فى الاحتجاج به ص ٢٤٨ .

* وقد رواه الامام الطبرانى فى المعجم الكبير ج ٨ ص ٢٥١ رقم (٧٨٥٣) من على بن يزيد عن القاسم وفى ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ ورقم (٧٩٢٨) بسند اخر عن خالد بن ابى عمران عن القاسم عن ابى امامه وحكم عليه بالحسن .

(والمعنى واضح فيخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بان من شفع لاخيه فى الاسلام بشفاعة فقدم له هديه نظير تشفعه فقبلها فانه بذلك يعتبر قد أتى بابا عظيما من أبواب الربا .

وذلك لان الشفاعة الحسنة مندوب اليها ، وقد تكون واجبه ، فاخذ الهدية عليها يضيع أجرها كما ان الربا يضيع الحلال والله تعالى أعلم)[١].

وجاء فى مختصر الفتاوى المصرى لابن تيميه ذكر نفس الحديث وجاء فيه ايضا (وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن السحت ، فقال " هو أن تشفع لاخيك شفاعة بشفاعة فيهدى لك هديه فتقبلها ، قيل له : ارأيت هدية فى باطل ؟ فقال ذلك كفر (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)[٢] .

ولهذا قال العلماء : ان من اهدى هدية لولى الامر ليفعل معه مالا يجوز كان حراما على المهدى والمهدى اليه ، وهى من الرشوة التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم " لعن الله الراشى والمرتشى والرائشى "[٣]

---

(١) عون المعبود جـ ٩ ص ٤٥٦ ، ٤٥٧ بالمعنى .

(٢) سورة المائدة آيه (٤٤) .

(٣) * سنن ابى داود جـ ٢ كتاب الاقضية باب فى كراهية الرشوة ص ٢٧٠ كتاب الاحكام (٢) باب التغليظ فى الحيف والرشوة (الراشى) هو المعطى للرشوة (المرتشى) هو الاخذ لها والرشوة بالكسر والضم وصله الى حاجته بالمصانعة ، من الرشاء المتوصل به الى الماء حديث رقم (٢٣١٣) ص ٧٧٥ .

* مسند الامام احمد جـ ٢ ص ١٦٤ ، ١٩٠ ، ٢١٢ كلهم عن ابن عمر ، ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ عن ابى هريره ،جـ ٥ ص ٢٧٩ عن ثوبان .

* وقال الحاكم فى المستدرك صحيح ولم يخرجاه واقره الذهبى ـ وله شاهدان . انظر جـ ٤ كتاب الاحكام (والرائشى) الذى يمشى بينهما ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

ويسمى البرطيل و والبرطيل فى اللغة : الحجر المستطيل فاما اذا اهدى له هديه ليكف ظلمه عنه . أو ليعطيه حقه الواجب فهذه الهدية تكون حراما على الاخذ ، وجاز للدافع ان يدفعها ، وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال عمر يا رسول الله لقد سمعت فلانا وفلانا يحسنان الثناء يذكران انك اعطيتهما دينارين قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم والله ان احدكم ليخرج بمسألته من عندى يتأبطها يعنى يكون تحت ابطه يعنى نارا قال قال عمر يا رسول الله لم تعطيها اياهم قال فما أصنع يابون إلا ذاك ويابى الله لى البخل " (١) .

ومثل ذلك اعطاء من اعتق عبدا وكتم عتقه ، أو أسر حراً ، او كان ظالما للناس ، فاعطاء هؤلاء جائز للمعطى ، حرام على الاخذ . واما الهدية فى الشفاعة : مثل ان يشفع لرجل عند ولى امر أن يرفع عنه مظلمة او يوصل اليه حقه ، أو يوليه ولايه يستحقها او يستخدمه فى الجند المقاتله وهو يستحق ذلك ، او يعطيه من المال الموقوف على الفقراء او الفقهاء او القراء او النساك اوغيرهم ، وهو من أهل الاستحقاق ، ومثل هذه الشفاعة على فعل واجب او ترك محرم ، فهذه ايضا لا يجوز فيها قبول الهدية ، ويجوز للمهدى ان يبذل ما يتوصل به الى اخذ حقه او دفع الظلم عنه ، هذا هو المنقول عن السلف والائمة والاكابر وقد رخص فيه بعض المتاخرين من الفقهاء ، وجعل هذا من باب الجعالة ، وهو مخالف للسنة وأقوال الصحابة رضى الله عنهم والائمة . فهو غلط ، لان مثل هذا العمل من المصالح العامة التى يكون القيام فيها فرضا ، اما فى الاعيان ، واما على الكفاية ، ومتى سوغ اخذ الجعل على مثل هذا لزم ان تكون الولاية واعطاء اموال الفيء والصدقات وغيرها وكف الظلم عمن يبذل فى ذلك والذى لا يبذل لا يولى ولا يعطى ، وان كان أحق وانفع للمسلمين من هذا . والمنفعه فى هذا ليست لهذا الباذل حتى يؤخذ من الجعل كالجعل على الآبق والشارد ،

---

(١) * مسند الامام احمد ج ٣ ص ٤ عن عمر رضى الله عنه .
* وجاء فى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٣ كتاب الزكاه باب ماجاء فى السؤال وقال رواه احمد وابو يعلى والبزار بنحوه ورجال احمد رجال الصحيح ص ٩٤ .

وانما المنفعة لعموم الناس اعنى المسلمين ، فانه يجب أن يولى فى كل مرتبه أصلح من يقدر عليها ، وان يرزق من رزق المقاتلة والائمة والموءذنين ، واهل العلم والذين احق المسلمين وانفعهم للمسلمين ، وهذا واجب على الامام ،وعلى الائمه أن يعاونوه على ذلك ،فمن اخذ جعلا من شخص معين على ذلك افضى الى ان تطلب هذه الامور بالعوض ، ونفس طلب الولاية • نهى عنه ، فكيف بالعوض ؟ ويلزم على ذلك تولية الجاهل والفاسق والفاجر ويترك العالم العادل القادر ، وان يرزق فى ديوان المقاتلة : الفاسق والجبان العاجز عن القتال ، ويزل العدل والشجاع النافع للمسلمين ، وفساد هذا كثير ، بل يشفع ولا يأخذ ،هذا هو المامور به واما ذانك الامران فكلاهما منهى عنه ، ولكن اذا كان لابد من اخذ فقد يرجح هذا تارة وهذا تارة اخرى ، فاذا أخذ وشفع لمن هو الاحق والاولى ، فهذا ترك الشفاعة والاخذ اضر من الشفاعة والاخذ ، ويقال لهذا الشافع ذى الجاه الذى تقبل الشفاعة بجاهه : عليك أن تكون ناصحا لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ولو لم يكن لك هذا الجاه والمال ، فكيف اذا كان لك هذا الجاه والمال ؟ فانت عليك ان تنصح للمشفوع اليه ، فتبين له من يستحق الولاية والاستخدام والعطاء ومن لا يستحق ذلك وتنصح للمسلمين بفعل مثل ذلك ، وتنصح لله ورسوله بطاعتهما فان هذا من أعظم طاعتهما وتنفع اخاك هذا المستحق بمعاونته على ذلك كما عليك أن تصلى وتصوم وتجاهد فى سبيل الله •

واما الرجل المقبول الكلام : فاذا أكل قدرا زائدا عن الضيافة الشرعية فلابد ان يكافىء المطعم مثل ذلك ، ولا يأكل القدر الزائد ، والا فقبوله الضيافة الزائدة مثل قبوله الهدية ، وهو من جنس الشاهد والشافع اذا ادى الشهادة ، وقام بالشفاعة ومن زكى أو خرج بضيافة او جعل كان هذا من أسباب الفساد ومن اشترى عبدا فوهبه شيئا حتى أثرى • ثم ظهر انه كان حرا • فله ان يأخذ منه ما وهبه لما كان ظاناً انه عبده • ومجرد التمليك بدون القبض الشرعى لا يلزم به عقد الهبة وللورثه انتزاعه ، وكذلك الهبة الملجئه بحيث يوهب فى الظاهر ويقبض مع اتفاق الواهب والموهوب له على أنه ينتزعه منه اذ شاء ، ونحو ذلك من الحيل التى تجعل

طريقا الى منع الوارث والغرباء حقوقهم ، فاذا كان الامر كذلك كانت هبـــة باطلة ، واذا عرف ذلك حكم ببطلانـــه .

واذا اعاد اليه العين الموهوبة فلا شيء له غيرها ، لا أجرتهـــا ولا مطالبه بالضمان ، فانه كان ضامنا لها ، وكان بطعمها بانتفاعه بهـــا مقابلة لذلك) (١) .

وجاء فى تفسير الزمخشرى (عن مسروق أنه شفع شفاعة فأهدى اليـــه المشفوع جارية فغضب وردها وقال : لو علمت ما فى قلبك لما تكلمت فى حاجتك ولا اتكلم فيما بقى منهـــا) (٢) .

** ** ** **

تلك بعض النماذج للشفاعة السيئة التى نهانا المولى عز وجل ورسولـه صلى الله عليه وسلم عن القيام بها ، وما ابلغه منهى فقد جعل المولـى عز وجل للشافع نصيبا من تلك الشفاعة بعد ان وصفها بأنها سيئة ، فماذا يكون نصيب الشافع فى مثل هذه الشفاعة ... أعاذنا الله منها ومنه .

ربنا أرنا الحق حقا فنتبعـــه وأرنا الباطل باطلا فنجتنبـــه .

---

(١) مختصر الفتاوى المصرية كتاب الهبه ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ بتصـــرف .
(٢) الكشاف جـ ١ عند تفسير الايه رقم ٨٥ من سورة النساء ص ٥٤٩ .

ثالثا : نوع مختلف فيه وهو (التوسل)

ورد في القرآن الكريم قول المولى عز وجل " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ "(١) ومعنى التوسل (أي جعل ما بينه وبين المتوسل اليه سببا موصولا ، ووشيجه مربوطة وقربى قريبة ، ومودة ملحوظة ، ونسبا مرعيا ، وحبا مقدسا)(٢) .

والتوسل انواع منها مااتفق علماء المسلمين على جوازه ومنها ما اختلفوا فيه بين الجواز وعدمه .

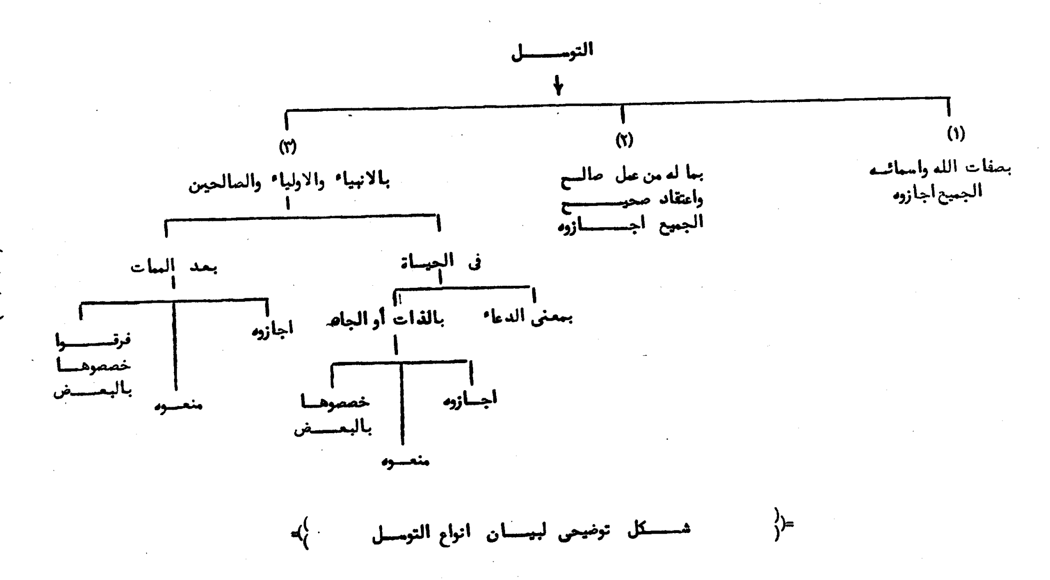
وقد قمت بعمل شكل توضيحي لبيان تلك الانواع وسوف اتناولها ان شاء الله بشيء من التفصيل .

والله الموفق والمعين .

---

(١) سورة المائدة آية ٣٥ .

(٢) اولياء الله الصالحون - لعلي يوسف - تحت عنوان التوسل بالاولياء ص ٣٣ .



شكل توضيحى لبيان انواع التوسل

النوع الاول : التوسل بصفات الله وأسمائه الحسنى :

اتفق ائمه المسلين وعلماؤهم على أن هذا النوع جائز ومشروع لقول المولى عز وجل وقوله الحق (وَلِلَّهِ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا)[(١)] وقد فسر لنا الامام الجليل ابن كثير هذه الايه مستندا الى ماروا ه أبو هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان لله تسعا وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو ترحيب الوتر "[(٢)] . وليعلم ان الاسماء الحسنى غير متحصرة فى تسعة وتسعين بدليل ما رواه الامام احمد فى مسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال " ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته فى كتابك او علمته أحدا من خلقك[(٣)] او استأثرت به فى علم الغيب عندك ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ، ونور صدرى وجلاء حزنى ، وذهاب همى ، الا اذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحا ، فقيل[(٤)] يارسول الله افلا نتعلمها ؟ فقال بلى ينبغى لكل من سمعها أن يتعلمها "[(٥)] وذكر الفقيه الامام ابو بكر بن

---

(١) سورة الاعراف آيه ١٨٠ .

(٢) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد السادس ج ١٧ كتاب الذكر والدعاء والتوبه والاستغفار باب اسماء الله تعالى وفضل من احصاها ص ٥ ، ٦ والنص له .

* صحيح الامام البخارى المجلد الثالث ج ٩ كتاب التوحيد باب ان لله مائه اسم الا واحدا ص ١٤٥ .

* سنن الترمذى ج ٥ كتاب الدعوات باب ٨٣ حديث رقم (٣٥٠٦) ص ٥٣٠ .

* مسند الامام احمد ج ٢ ص ٢٥٨ ، ٢٦٧ ، ٣١٤ ، ٤٢٧ ، ٥١٦ كلهم عن ابى هريره .

(٣) فى مسند الامام احمد تقديم جمله (علمته احدا من خلقك) على جمله (انزلته فى كتابك) ج ١ ص ٣٩١ .

(٤) فى مسند الامام احمد ذكر كلمه (قال) قبل كلمة (فقيل) ج ١ ص ٣٩١ .

(٥) * مسند الامام احمد ج ١ ص ٣٩١ عن (عبد الله) .

* قال الهيثمى رواه احمد وابو يعلى والبزار الا انه قال وذهاب (غمى) مكان (همى) ، والطبرانى ورجال احمد وابى يعلى رجال الصحيح غير ابى سلمه الجهنى وقد وثقه ابن حبان . انظر مجمع الزوائد ج ١٠ كتاب الاذكار باب مايقول إذا أصابه هم ص ١٣٦ .

العربى احد ائمة المالكية أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من اسماء الله ألف اسم فالله أعلم)[١] .

وقد ايد ذلك الرأى الامام النووى بقوله " إن المراد الاخبار عن دخول الجنة باحصائها لا الاخبار بحصر الاسماء وقيل أن المقصود بالاحصاء الحفظ بدليل ان بعض الروايات قد صرحت بذلك وقيل عدها فى الدعاء بها وقيل أحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضية وصدق معانيها وقيل العمل بها والطاعة بكل اسمها وقيل حفظ القرآن وتلاوته وهو ضعيف والاول أصح)[٢] .

وكذلك روى الترمذى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : ياذا الجلال والاكرام فقال " استجيب لك فسل "[٣] وله أمثله منها : عن أنس انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو " اللهم انى اسألك بان لك الحمد لا اله الا انت المنان بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام يا حى يا قيوم " فقال صلى الله عليه وسلم " لقد سأل الله باسمه الاعظم "[٤] ومنها ما رواه مسلم عن عائشة عن النبى صلى

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ باختصار عند تفسيره للايه رقم ٨٠ من سورة الانعام .

(٢) الامام النووى فى شرح صحيح الامام مسلم المجلد السادس ج ١٧ كتاب الذكر والدعاء والاستغفار باب اسماء الله تعالى وفضل من احصاها ص ٥ ، ٦ .

(٣) * رواه الامام الترمذى ج ٥ (٤٩) كتاب الدعوات باب (٩٤) رقم (٣٥٢٧) وقال ابو عيسى هذا حديث حسن ص ٥٤١ .

(٤) * سنن النسائى المجلد الثانى ج ٣ كتاب السهو باب الدعاء بعد الذكر ص ٥٢ .

* سنن ابن ماجه ج ٢ (٣٤) كتاب الدعاء ــ باب اسم الله الاعظم رقم (٣٨٥٨) ص ١٢٦٨ .

* سنن الترمذى ج ٥ (٤٩) كتاب الدعوات (٦٤) باب جامع الدعوات عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث رقم (٣٤٧٥) . قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب ص ٥١٥ ، ٥١٦ .

* رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه واقره الامام الذهبى ج ١ كتاب الدعاء ص ٥٠٤ .

الله عليه وسلم " اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل " [١].

فان اضافة لفظ الرب الى تلك المخلوقات العظيمة مشعر بعظيم قدرته وكمال حكمته [٢].

وقال محمد بن احمد فى كتابه المنحه المحمديه فى بيان العتاقة الشرعيه واليدعيه ان (من أعظم الطاعات ، دعاء الله تعالى والتضرع اليه بالادعيه المأثورة وذكره بآياته وكلماته وأسمائه وصفاته) [٣].

⁘ ⁘

(١) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الثانى جـ ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ودعائه بالليل ص ٥٦ .
* سنن الترمذى جـ ٥ كتاب الدعوات ـ باب ٣١ ما جاء فى الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل حديث رقم (٣٤٢٠) قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب ص ٤٨٤ ، ٤٨٥ .
* سنن ابن ماجه جـ ١ (٥) كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها (١٨٠) باب ما جاء فى الدعاء اذا قام الرجل من الليل حديث رقم (١٣٥٧) ص ٤٣١
* سنن ابى داود جـ ١ كتاب الصلاة ص ١٧٧ .

(٢) الايمان والآثاره والشرك ومظاهره ص ١٣٢ بتصرف .

(٣) المنحه المحمديه فى بيان العتاقه الشرعيه والبدعيه (الفائدة العشرون) ص ١٠٤ .

النوع الثانى : التوسل بما للانسان من عمل صالح واعتقاد صحيح :

(ان من التوسل المشروع الذى شرعه الله على لسان نبيه المتبوع ، انما هو التقرب اليه تعالى بما شرعه من علم وعمل نفسى قلبى أو بدنى أو ترك ، وكف من عمل محظور فيدخل فيه فعل جميع الطاعات وترك جميع المعاصى امتثالا لامر الشارع . قال صاحب الايمان وآثاره ان سؤال الله تعالى بصالح الاعمال كالتوحيد والايمان والصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك من الطاعات والقربات كما جاء ذلك صريحا فى الايات البينات ، محكيا عمن ارتضاهم رب الكائنات (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)[1] (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ)[2] وحينئذ يجوز لك ان تقول فى توسلك : اللهم انى أسألك واتوسل اليك بايمانى واقتدائى وطاعتى ومحبتى للنبى محمد صلى الله عليه وسلم أن تفعل بى كذا وكذا ، أو اللهم انى اسألك واتوسل اليك باقتدائى بالخلفاء الراشدين والصحابه الهادين المهديين ، ومحبتى لعبادك الصالحين وآل بيت نبيك الطاهرين ، أن تفعل بى كذا وهلم جرا . ولك أيضا أن تقول : أتوسل اليك ببغضى وكراهيتى للكفر وللكافرين بك وبما انزلت والعاصيين لاوامرك ونواهيك ان تفعل بى كذا (ولكن) يشترط فى كل ذلك أن يكون قائله صادقا فيه غير مدع ولا مغرور كما كان حال أصحاب الغار الثلاثة)[3] — وقد ذكر حديثهم فى صحيح الامام البخارى وصحيح الامام مسلم فعن (عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فأووا الى غار فى جبل فانحطت على فم غارهم صخره من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا اعمالا عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم فقال احدهم اللهم انه كان لى والدان شيخان كبيران وامراتى ولى صبية صغار أرعى عليهم فاذا ارحت عليهم حلبت فبدأت بوالدى فسقيتهما قبل بنى وانه نأى بى ذات يوم الشجر فلم آت حتى امسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت احلب فجئت بالحلاب

(١) سورة آل عمران (٥٣) . (٢) سورة آل عمران آية (١٩٢) .
(٣) الايمان واثاره والشرك ومظاهره (ص١٣٢ : ١٣٣) بتصرف .

فقمت عند رؤسهما اكره ان أوقظهما من نومهما واكره ان أسقى الصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمى فلم يزل ذلك دأبى ودأبهم حتى طلع الفجر فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء وقال الاخر اللهم انه كانت لى ابنة عم احببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وطلبت اليها نفسها فابت حتى اتيها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها فلما وقعت بين رجليها قالت يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم الا بحقه فقمت عنها فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فيها فرجة ففرج لهم وقال الاخر اللهم انى كنت استأجرت اجيرا بفرق ارز فلما قضى عمله قال اعطنى حقى فعرضت عليه فرقه فرغب عنه فلم أزل ازرعه حتى جمعت منه بقرا و رعاءها فجاءنى فقال اتق الله ولا تظلمنى حقى قلت اذهب الى تلك البقر ورعائها فخذها فقال اتق الله ولا تستهزىء بى فقلت انى لا أستهزىء بك خذ ذلك البقر ورعاءها فأخذه فذهب به فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي ففرج الله ما بقى) (١) .

(وقد استدل اهل الحق بقول الرجل فى الحديث (انظروا اعمالا عملتموها صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها) على أنه يستحب للانسان أن يدعو فى حال كربه وفى دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل الى الله تعالى به لان هؤلاء — فعلوه فاستجيبت لهم وذكره النبى صلى الله عليه وسلم فى معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم) (٢) .

والحديث واضح الدلاله على هذا فقد اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ثلاثه من النفر كانوا يتجولون فى الصحراء فاذا بهم وقد

---

(١) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد السادس ج ١٧ — كتاب الرقاق قصه اصحاب الغار الثلاثه والتوسل بصالح العمل ص ٥٥ : ٥٧ والنص له .

* صحيح الامام البخارى المجلد الاول ج ٣ كتاب الاجاره باب من استاجر اجيرا فترك اجره ، فعمل فيه المستاجر فزاد او من عمل فى مال غيره فاستفضل ص ١١٩ ، ١٢٠ .

* مسند الامام احمد بن حنبل ج ٢ ص ١١٦ (عن ابن عمر) .

(٢) شرح الامام النووى على صحيح الامام مسلم المجلد السادس ج ١٧ كتاب الرقاق — باب قصة اصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح العمل ص ٥٦ .

قامت ريح عاصف اعقبها مطر غزير فالتجاوا الى غار ليحتموا من المطر حتى
يهدأ فاذا بصخره ضخمه قد سدت فم الغار اى الثقب فى الجبل حتى حجبت
عنهم الرؤيه فصاح احدهم يطلب من اصحابه ان يتذكر كل نفر منهم عمل عمله
ابتغاءا لوجه الله وخوفا منه وليقدمه متوسلا به الى الله ليفرج عنهم
ما هم فيه من الكرب والشدة فقام الاول وذكر انه كان له أبوان وزوجه
وصبيه وكان كل يوم يذهب للمرعى وعندما يرد الماشية من المرعى يحلبها ليسقى
والديه وصبيته وزوجته وكان يبدأ بأبويه وفى ذات يوم تخوط فى الرعى بين الاشجار
حتى حضر متأخرا بالليل فحلب المرعى وأحضر الحليب فوجد أبواه قد ناما
فكره ان يوقظهما من نومهما وكره كذلك ان يبدأ بصبيته دون ابواه وظل
هذا حاله جالس بجوار ابويه وصبيته يبكون من الم الجوع حتى طلع الصبح .
وما فعل هذا الا ابتغاء رضا الله ففرج الله عليهم فرجه اى جزء من الصخره
رأو منه نور الله ، وقال الاخر اللهم كانت لى ابنه عم وكانت بها حاجه
فطلبت منى المعاونه فاشترط عليها نفسها فقبلت لشدة حاجتها ولكنها قالت لى
اتق الله ولا تقربنى الا بنكاح فانصرفت عنها واعطيتها حاجتها فان كنت تعلم
انى فعلت ذلك خوفا منك وطمعا فى رضاك ففرج لنا فرجه من الصخرة ،
ففرج الله لهم فرجه اخرى من الصخره . وجاء دور الثالث وقال انه كان
قد استأجر اجيرا واتفق معه على فرق أرز والفرق هو اناء يسع ثلاثه آصع
فرغب الاجير ان يأخذ وبعد مضى عدة سنوات حضره الاجير وطلب حقه
فاعطاه الرجل بقرورعاءها لانه كان قد استثمر حق هذا الرجل فنما . فقال
الرجل اللهم ان كنت تعلم انى ما فعلت هذا الا ابتغاء وجهك ففرج لنا
ما بقى من الصخره . فانفرجت الصخره وصعد الثلاثة من الفجوه . فما حدث
ذلك الا بتوسلهم بصالح اعمالهم الى المولى عز وجل . وقال صاحب كتاب
التوسل والزيارة فى الشريعة الاسلامية (لقد ادى هذا الحديث الرائع
باحلى معانى الروعة رسالته عن توسل رجال الغار بالدعاء بالاعمال التى اتوها
قبل أن ينسد عليهم الغار بالصخرة التى حالت بينهم وبين الخروج منه .
والجدير بالذكر انهم لم يقوموا باعمال مطلقا وهم بالغار حتى يتوسلوا بها
اليه تعالى اذن : فما نالوه من الفرج وحصلوا عليه من الانقاذ ليس مسببا
عن نفس العمل ، وانما كان سببه الدعاء بالعمل والعبرة فى القبول والمعول

عليه فى الاستجابه انما يرجع الى مكانه المتوسل به وعظم شانه ورفع قدره عند التوسل اليه)[١].

(وذكر صاحب كتاب الايمان وآثاره (ان التوسل بالايمان الصحيح الصادق مشروع لما فيه من تقويه التوحيد ، وله أمثله وذكر نفس الايه السابقة[٢] وقال منها قول تميم بن المعز بن باديس الامير الصنهاجى المالكى :

فكرت فى نار الجحيم وحدها : يا ويلتاه ولات حين مناصى
فدعوت ربى ان خير وسيلتى يوم المعاد شهادة الاخلاص

ومنها قول محمد بن عبد الله العبدوى المالكى :

توسلت يا ربى باتى مؤمن وما قلت انى سامع ومطيع
ايصلى بحر النار عبد موحد وانت كريم والرسول شفيع[٣]

وقال ابن تيميه من قال : أسألك بايمانى بك وبرسولك ونحو ذلك ، او بايمانى برسولك ومحبتى له ونحو ذلك فقد احسن فى ذلك كما قال تعالى فى دعاء المؤمنين (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[٤] وقال تعالى (إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ)[٥].

وقال تعالى (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)[٦]

وكان ابن مسعود (يقول : اللهم امرتنى فاطعت ، ودعوتنى فاجبت ، وهذا

---

(١) التوسل والزيارة فى الشريعة الاسلامية لمحمد الفقى ص ١٤٢ .
(٢) سورة البقره آيه (١٩٣) " ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فامنا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار " .
(٣) الايمان واثاره والشرك ومظاهره ص ١٣٢ ، ١٣٣ بتصرف .
(٤) سورة ال عمران آيه ١٦ .
(٥) سورة المؤمنون ايه ١٠٩ .
(٦) سورة آل عمران آيه ٥٣ .

سحر فاغفر لى — ومن هذا الباب حديث الثلاثة الذين اصابهم المطر ، فاووا الى الغار ، وانطبقت عليهم الصخره ، ثم دعوا الله سبحانه باعمالهم الصالحة ، ففرج عنهم [١] وقال ابو بكر بن أبى الدنيا :

حدثنا خالد بن خراش العجلانى واسماعيل ابن ابراهيم قالا حدثنا صالح المرى [٢] عن ثابت عن أنس قال : دخلنا على رجل من الانصار وهو مريض ثقيل ، فلم نبرح حتى قبض ، فبسطنا عليه ثوبه ، وله أم عجوز كبيرة عند رأسه ، فالتفت اليها بعضنا وقال : يا هذه احتسبى مصيبتك عند الله . قالت : وماذاك ، مات ابنى ؟ قلنا : نعم . قالت : أحق ما تقولون قلنا : نعم . فمدت يديها الى الله فقالت : اللهم انك تعلم أنى اسلمت وهاجرت الى رسولك رجاء ان تعقبنى عند كل شده فرجا ، فلا تحمل على هذه المصيبه اليوم قال : فكشفت الثوب عن وجهه فما برحنا حتى طعمنا معه) [٣] .

٭ ٭

(١) قد ذكر هذا الحديث بتمامه فى ص من نفس الفصل وقال ابن تيميه فى الهامش عند ذكره هذا الحديث أن هناك زيادات على هذا الخبر هى من الاسرائيليات ولم تثبت .

(٢) وضحه ابن تيميه فى الهامش بانه هو صالح بن بشير المتوفى سنه ١٧٦ بصرى من قدماء الزاهدين ضعفه ابن المدائنى .

(٣) قاعدة جليله فى التوسل والوسيله — لابن تيميه — ص ١٥٨ : ١٥٩ باختصار .

النوع الثالث : <u>التوسل بالانبياء والصالحين والاولياء :</u>

ان المولى عز وجل طلب (الينا انتتودد الى اهل العقيدة السليمه، والنزعه القويمه ، والايمان الصحيح " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ " [1] .... وجعل حياتنا متشابكة ،ومصالحنا مشتركه ،وارتباط بعضنا ببعض لابد منه " وتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ " [2] . فنحن لهذا تربطنا ضرورة البقاء ، وتصل اسبابنا حاجات العيش وتجمع ما بيننا اواصر لا يمكن أن تقطع ... وعلى ذلك فتوسل المخلوق بالمخلوق ،وافتقار الانسان الى اخيه الانسان ، وبخاصه اذا كانت هنالك من الدوافع الماسة ما يجعل الفرد فى هذا المحيط اشبه بالعضو من الجسد الذى يكمله ويقوم به بناؤه) [3]

وهذا النوع من التوسل ينقسم الى قسمين فى حال حياتهم وبعد الممات وسوف أتناول كل قسم على حده والله المستعان .

∴ ∴

---

(١) سورة آل عمران ايه ١١٨ .
(٢) سورة المائدة آيـــه (٢) .
(٣) اولياء اللـــه الصالحون ص ٣٣ .

القسم الاول : التوسل بهم فى حياتهم

ان توسل المخلوق بالمخلوق سواء كان نبيا أو وليا او انسانا فى حال حياتهم فيه شقان :

الشق الاول : التوسل بهم بمعنى التوسل بدعائهم .

الشق الثانى : التوسل بهم بمعنى التوسل بذواتهم .

وتفصيل ذلك على النحو التالى :

الشق الاول : التوسل بهم بمعنى التوسل بدعائهم :

فقد اتفق علماء المسلمين وائمتهم على جواز التوسل بالانبياء والصالحين فى حال حياتهم بمعنى الدعاء لان الدعاء مشروع من المؤمن للمؤمن وقد قال الامام ابن تيميه (وقد نصت السنة ان الحى يطلب منه الدعاء كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه — ولكن هذا الاستسقاء والاستشفاع والتوسل به وبغيره كان يكون فى حياته بمعنى انهم يطلبون منه الدعاء فيدعو لهم فكان توسلهم بدعائه ،والاستشفاع به طلب شفاعته والشفاعة دعاء — فالاستسقاء اذا هو من جنس الاستشفاع به وهذا جائز ومشروع فما زال المسلمون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته أن يدعوا لهم ونحن نقدمه بين ايدينا شافعا وسائلا لنا بأبى هو وامى صلى الله عليه وسلم)[1] وايد ذلك الامام الجليل الالوسى فى تفسيره فقال (وتحقيق الكلام فى هذا المقام أن الاستغاثة بمخلوق وجعله وسيلة بمعنى طلب الدعاء منه لا شك فى جوازه ان كان المطلوب منه حيا ولا يتوقف على أفضليه من الطالب بل قد يطلب الفاضل من المفضول منه . ومثال ذلك طلب الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) قاعدة جليله فى التوسل والوسيله — لابن تيميه ص ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٥٩ باختصار .

من عمر بن الخطاب رضى الله عنه الدعاء له لما استاذنه للعمرة ، وأمره ايضا أن يطلب من أويس القرنى رحمه الله تعالى عليه أن يستغفر له . وكذلك أمره لامته صلى الله عليه وسلم بطلب الوسيله له وبأن يصلوا عليه)[١] .

وقد جاء فى تحفه الاحوذى انه قال (الحق عندى ان التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته بمعنى التوسل بدعائه وشفاعته جائز وكذلك التوسل بغيره من أهل الخير والصلاح فى حياتهم بمعنى التوسل بدعائهم وشفاعتهم أيضا جائز)[٢] .

تلك بعض آراء العلماء على جواز توسل المخلوق بالمخلوق فى حال حياتهم بمعنى الدعاء والجواز هنا مأخوذ من القرآن الكريم والسنة النبويه المطهره والاجماع السابق :

اولا : القرآن الكريم :

قال المولى عز وجل وقوله الحق (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ)[٣] والمقصود بالوسيله هذا هو كل ما يتوسل به الى الله (اى تقرب به من قرابه أو صنيعة او غير ذلك واستعيرت لما يتوسل به الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاص وأنشد للبيد :

أرى الناس لا يدرون ما قدر امرهم الاكل ذى لب الى الله واسل[٤]

---

(١) تفسير الامام الالوسى جـ ٦ اثناء تفسير للايه ٣٥ من سورة المائده ص ١٢٥ باختصار وسوف اذكر ان شاء الله الاحاديث الثلاثة المستشهد بها بالتفصيل فى ص ١٧٢

(٢) تحفه الاحوذى لجامع الترمذى جـ (١) ابواب الدعوات (٧ ـ بـاب) ص ٣٧ .

(٣) سورة المائده آيه ٣٥ .

(٤) تفسير الزمخشرى المسمى الكشاف جـ ١ ص ٦١٠ .

والوسيله يعمومها تشمل التوسل بالاشخاص وبالاعمال بل المتبادر من التوسل فى الشرع هو هذا . وقال الامام الالوسى رحمه الله فى تفسيره أن (الوسيله بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل الى كذا اى تقرب اليه بشىء ولعل المراد بها الاتقاء المامور به كما يشير اليه كلام قتاده ، فانه ملاك الامر كله ، والذريعه لكل خير والمنجاه من كل ضهر ، والجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتاكيد ، وقيل : الجمله الاولى امر بترك المعاصى ،والثانية امر بفعل الطاعات وأخرج ابن الانبارى وغيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الوسيله الحاجة وانشد له قول عنترة :

ان الرجال لهم اليك (وسيله) ان ياخذوك تكحلى وتخضبى

وفسر بعضهم – الوسيلة – بمنزله فى الجنة ، وكونها بهذا المعنى غير ظاهر لاختصاصها بالانبياء عليهم الصلاة والسلام بناءا على ما رواه مسلم ، وغيره " فانها منزلة فى الجنه لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجوا أن اكون انا هو فمن سأل لى الوسيله حلت عليه الشفاعه "[1].

وكون الطلب هنا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مما لا يكاد يذهب اليه ذهن سليم ، وعليه يمتنع تعلق الظرف بها كما لا يخفى ، وذكر أن فى الاية دليل على مشروعية استغاثه المخلوق بالمخلوق بمعنى طلب الدعاء منه اذا كان حيا)[2].

---

(١) سبق تخريجه فى ص ١٧
(٢) تفسير الامام الالوسى ج ٦ سورة المائدة آيه (٣٥) ص ١٢٤ ، ١٢٥ باختصار .

وذكر الامام ابن كثير عند تفسيره لهذه الايه قوله (قال سفيان الثورى عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس أى القربة . وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدى وابن زيد وغير واحد وقال قتادة اى تقربوا اليه بطاعته والعمل بما يرضيه ، وقرأ ابن زيد (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) (١) وهذا الذى قاله هؤلاء الائمة لاخلاف بين المفسرين فيه وأنشد عليه ابن جرير قول الشاعر :

اذا غفل الواشون عدنا لوصلنا ... وعاد التصافى بيننا والوسائل

والوسيله هى التى يتوصل بها الى تحصيل المقصود ،والوسيلة ايضا علم على اعلى منزلة فى الجنة وهى منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره فى الجنة وهى اقرب امكنة الجنة الى العرش وقد ثبت فى صحيح البخارى من طريق محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته الا حلت له الشفاعة يوم القيامة ") (٢) .

⁂ ⁂

(١) سورة الاسراء آيه ٥٧ .
(٢) * تفسير الامام ابن كثير جـ ٢ ص ٥٢ ، ٥٣ .
* سبق تخريجه الحديث فى ص

ثانيا : السنه النبويه :

عن عثمان بن حنيف : " ان رجلا ضرير البصر أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله ان يعافينى ، قال ان شئت دعوت ، وان شئت صبرت فهو خير لك ، قال فادعه ، قال فأمره ان يتوطأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللهم انى أسالك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة انى توجهت بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى ، اللهم فشفعه فىّ "[1] وتفسير الحديث:

ان رجلا كان ضعيفا النظر او اعمى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ادع الله ان يعافينى) من ضررى فى نظرى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخترت الدعاء دعوت لك وان أردت الصبر والرضا فهذا خير لك فان الله تعالى قال : اذا ابتليت عبدى بحبيبتيه (عيناه) ثم صبر عوضته عنها الجنه . فقال الرجل (فادعه) بالضمير أى ادع الله واسأله العافية ، ويحتمل ان تكون الهاء للسكت . قال الطيبى أسند النبى صلى الله عليه وسلم الدعاء الى نفسه وكذا طلب الرجل أن يدعو هو صلى الله عليه وسلم ثم امره صلى الله عليه وسلم ان يدعو هو أى الرجل كأنه صلى الله عليه وسلم لم يرض منه اختياره الدعاء لما قال الصبر خير لك لكن فى جعله شفيعا له ووسيلة فى استجابة الدعاء ما يفهم انه صلى الله عليه وسلم شريك فيه ـ فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسن وضوءه . أى ياتى بكما لاته من سننه وآدابه ، ـ وزاد فى رواية ابن ماجه ويصلى ركعتين ـ (اللهم انى اسألك) اى أطلبك مقصودى فالمفعول مقدر (وأتوجه اليك بنبيك) والباء للتعديه (محمد نبى الرحمة) اى المبعوث رحمه للعالمين

---

(١) * تحفه الاحوذى ـ شرح جامع الترمذى ـ ج ١٠ ـ ٧ ـ باب ـ حديث رقم (٣٦٤٩) ص٣٢ ، ٣٣ وقال حسن صحيح غريب لا يعرف الا من هذا الوجه من حديث جعفر وهو غير الخطمى .
* سنن ابن ماجه ج ١ (٥) كتاب اقامه الصلاة والسنة فيها (١٨٨) باب ما جاء فى صلاة الاستخاره رقم ١٣٨٥ ص٤٤١ .
* واخرجه الحاكم من طريقه وله تابع وقال هذا الحديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه واقره الذهبى ج ١ كتاب الدعاء ص ٥٢٦ ، ٥٢٧ .

(انى توجهت بك) اى استشفعت بك يارسول الله صلى الله عليه وسلم (لتقضى لى) اى لتقضى حاجتى بشفاعتك فاخرج الفعل على طريقه المبنى للمجهول (فشفعه) أى اللهم اقبل شفاعته (فىّ) فى حقى .

وقال الشوكانى : فى الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله عز وجل مع اعتقاد ان الفاعل هو الله سبحانه وتعالى وأنه المعطى المانع ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن انتهى . وقال : ويتوسل الى الله بأنبيائه والصالحين ما لفظه ومن التوسل بالانبياء هذا الحديث الذى نحن بصدده)[1] .

يقول ابن تيميه " ان هذا الحديث دليل على جواز التوسل بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم وأنه على تقدير حذف المضاف اى يتوسل الرجل الضرير بدعاء أو بشفاعة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، ففيه جعل الدعاء وسيلة وهو جائز — بل مندوب والدليل على هذا التقدير قوله فى آخر الحديث : " اللهم فشفعه فى " بل فى أوله ايضا ، يدل على ذلك " [2]

(١) تحفه الاحوذى شرح جامع الترمذى — جـ ١٠ — ٧ باب من ٣٢ : ٣٤ — بالمعنى .

(٢) رأى الامام ابن تيميه ذكر فى تفسير الامام الالوسى عند تفسيره للايه (٣٥) من سورة المائدة جـ ٦ ص ١٢٥ واستشهد به صاحب كتاب الايمان واثاره والشرك ومظاهره ص ١٣٤ .

(٢) الاستشفاع للاستسقاء :

اولا : الاستسقاء برسول الله صلى الله عليه وسلم

عن انس بن مالك انه قال " جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، هلكت المواشى وتقطعت السبل ، فادع الله . فدعا الله فمطرنا من الجمعه الى الجمعه ، فجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله تهدمت البيوت وتقطعت السبل ، وهلكت المواشى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم على ظهور الجبال والاكام وبطون الاوديه ومنابت الشجر . فانجابت عن المدينة انجياب الثوب " (١)

وقال ابن حجر فى فتح البارى (ان معنى الاستسقاء لغه طلب سقى الماء من الغير للنفس او للغير ، وشرعا طلبه من الله عند حصول الجدب على وجه مخصوص) (٢) .

ومعنى (هلكت المواشى) لعدم وجود ما تعيش به من الاقوات لحبس المطر ، (وتقطعت السبل) لان الابل ضعفت ، لقله القوت ، عن السفر ـ (تهدمت البيوت) من كثرة المطر . (وانقطعت السبل) لتعذر سلوك الطريق من كثره الماء . (وهلكت المواشى) ـ للمره الثانية ـ من عدم المرعى ، أو لعدم ما يكنها من المطر . (ظهور الجبال) اى على ظهورها ، فنصب توسعا . (والاكام) جمع أكمه ، وهو التراب المجتمع : (وبطون الاودية) اى ما يتحصل فيه الماء لينتفع به . (ومنابت الشجر) أى ما حولها

---

(١) * صحيح الامام البخارى بشرح ابن حجر العسقلانى ـ ج ٢ ـ ١٥ كتاب الاستسقاء (١٢) باب اذا استشفعوا الى الامام ليستسقى لهم لم يردهم ـ حديث رقم (١٠١٩) ص ٥٠٩ والنص له .
* صحيح الامام مسلم بشرح النووى ـ ج ٦ ـ كتاب الاستسقاء باب الدعاء فى الاستسقاء ص ١٩١ .
* موطأ الامام مالك ج ١ ـ كتاب الاستسقاء (٢) باب ما جاء فى الاستسقاء حديث رقم (٣) ص ١٩١ .
* سنن ابن ماجه ج ١ ـ كتاب اقامه الصلاه والسنة فيها (١٥٤) باب ما جاء فى الدعاء فى الاستسقاء حديث رقم (١٢٦٩ ص ٤٠٤ .
* سنن النسائى المجلد الثانى ـ ج ٣ كتاب الاستسقاء ـ متى يستسقى الامام ص ١٥٤ ، ١٥٥ .
* السنن الكبرى للبيهقى (فى ذيلها الجوهر النقى) ج ٣ كتاب صلاة الاستسقاء ص ٣٤٤

(٢) ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى شرح صحيح البخارى ج٢ (١٥) كتاب الاستسقاء وخروج النبى صلى الله عليه وسلم فى الاستسقاء ص ٤٩٢ .

مما يصلح أن ينبت فيه . (انجابت عن المدينة انجياب الثوب) أى خرجت عنها كما يخرج الثوب من لابسه . وقال ابن القاسم ، قال مالك : معناه تدورت عن المدينة كما يدور جيب القميص) (١) .

وذكره ابن تيميه وقال (وهذا الاستشفاع والتوسل حقيقته التوسل بدعائه ، فانه كان يدعو للمتوسل به المستشفع به والناس يدعون معه) (٢) .

ثانيا : الاستسقاء بالعباس :

جاء فى صحيح البخارى (عن أنس ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا . فقال : فيسقون) (٣) .

وقد قال لابن حجر اثناء شرحه لهذا الحديث (ان عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا) أى اصابهم القحط ، استسقوا بالعباس وقد بين الزبير ابن بكار صفة ما دعا به العباس فى هذه الواقعة والوقت الذى وقع فيه ذلك ، فاخرج باسناد له ان العباس لما استسقى به عمر قال " اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ، ولم يكشف الا بتوبة ، وقد توجه القوم بى اليك لمكانى من نبيك وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث فارخت السماء مثل الجبال حتى اخصبت الارض ، وعاش الناس " واخرج ايضا من طريق داود وعن عطاء عن زيد بن اسلم عن ابن عمر قال (استسقى عمر ابن الخطاب عام الرمادة بالعباس بن عبد المطلب " فذكر الحديث وفيه

---

(١) الشرح من موطأ الامام مالك ـ ج ١ ص ١٩١ بحديث رقم (٣) فى باب الاستسقاء .

(٢) قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة لابن تيميه ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٣) صحيح الامام البخارى بشرح الامام ابن حجر العسقلانى (فتح البارى) ج ٢ ١٥ كتاب الاستسقاء ـ (٣) ـ باب سؤال الناس الامام الاستسقاء اذا قحطوا حديث رقم (١٠١٠) ص ٤٩٤ .

" فخطب الناس عمر فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد ، فاقتدوا أيها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمه العباس واتخذوه وسيله الى الله " وفيه " فما برحوا حتى سقاهم الله " .

ويستفاد " من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة ، وفيه فضل العباس وفضل عمر لتواضعه للعباس ومعرفته بحقه " [1] .

وقد استشهد به لكل من صاحب تحفه الاحوذى ، الامام الالوسى ، وابن تيميه ، وصاحب كتاب الايمان وآثاره على استحباب الاستشفاع الى أهل الخير والصلاح [2] .

ثالثا : الاستسقاء بيزيد الجرشى :

وكذلك استسقى معاويه (بن ابى سفيان – مثل عمر ابن الخطاب رضى الله عنه – يحضره من معه من الصحابه والتابعين – لما أجدب الناس بالشام – استسقى بيزيد ابن الاسود الجرشى فقال " اللهم انا نستشفع او نتوسل – بخيارنا يا يزيد ! ارفع يديك " فرفع يديه ودعا ، ودعا الناس حتى سقوا . ولهذا قال العلماء : يستحب أن يستسقى بأهل الدين والصلاح ، واذا كانوا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أحسن .

وكذلك ذكر الفقهاء من اصحاب الشافعى وأحمد وغيرهم) [3] وهذا التوسل ليس من باب الاقسام بل هو من جنس الاستشفاع وهو أن يطلب من الشخص الدعاء والشفاعة ، ويطلب من الله تعالى ان يقبل دعاءه وشفاعته .

---

(١) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٢ – ١٥ كتاب الاستسقاء ص ٤٩٧ . باختصار .

(٢) * تحفه الاحوذى لجامع الترمذى ج ١٠ – ٧ باب ص ٣٤ .
* الالوسى ج ٦ عند تفسيره لايه ٣٥ من سورة المائده ص ١٢٦
* ابن تيميه فى التوسل والوسيله ص ٦٦ ، ٦٧ ، ١٣٧ .
* الايمان وآثاره ص ١٣٤ .

(٣) قاعدة جليله فى التوسل والوسيله لابن تيميه ص ١٣٧ بتصرف واستدل به فى تحفه الاحوذى لجامع الترمذى ج ١٠ اثناء شرح الحديث رقم (٣٦٤٩) ص ٣٨ .

فيكون التوسل والتوجه فى الحقيقة بدعائه وشفاعته ، وذلك مما لا محذور فيه) [١]

طلب النبى صلى الله عليه وسلم من عمر رضى الله عنه الدعاء عندما ذهب للعمرة فقد قال الامام الالوسى (قد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضى الله تعالى عنه لما استأذنه فى العمرة . " لاتنسنا يا اخى من دعائك " وأمره صلى الله عليه وسلم أن يطلب من اويس القرنى ان يستغفر للطالب وان كان الطالب أفضل من أويس بكثير) [٢].

(وذكر لنا الامام مسلم رحمه الله عن اسير بن جابر ان اهل الكوفة وفدوا الى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر هل ههنا احد من القرنيين فجاء ذلك الرجل فقال عمر (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له قد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه الا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم) وقال الامام النووى اثناء شرحه لهذا الحديث أنه قيل أن كنية أويس ابو عمر وقد قتل بصفين وهو القرنى من بنى قرن [٣] وقال وفيهم رجل يسخر باويس اى يحتقره ويستهزئ به وهذا دليل على انه يخفى حاله ويكتم السر الذى بينه وبين الله عز وجل ولا يظهر منه شئ يدل لذلك وهذه طريق العارفين وخواص الاولياء رضى الله عنهم . قوله صلى الله عليه وسلم (فمن لقيه منكم فليستغفر لكم) وفى روايه اخرى قال لعمر فان استطعت ان يستغفر لك فافعل هذه منقبه ظاهرة لاويس رضى الله عنه وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وان كان الطالب أفضل منهم) [٤]

⁘ ⁘

---

(١) تفسير الامام الالوسى جـ ٦ ص ١٢٦ باختصار .

(٢) * تفسير الامام الالوسى جـ ٦ عند تفسيره للايه ٣٥ ص١٢٥ والنص له .
* وذكره صاحب مصرع الشرك والخرافه تحت عنوان الاستغاثه بغير الله ودعاء غيره نقلا عن ابن تيميه ص ٢٢٥ .
* قاعده جليله فى التوسل والوسيله لابن تيميه ص ١٤٧ .

(٣) وذكر ذلك عنه ايضا فى كتاب الاعلام للزركلى جـ ٢ ص٣٢ وكذلك قال عنه كلا من ابن منده وابو نعيم فى كتاب تجريد اسماء الصحابه وأضافا انه كان سيد التابعين . انظر جـ ١ رقم (٣٤٦) ص٣٨ .

(٤) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى جـ ١٦ كتاب الفضائل ـ فضائل اويس القرنى رضى الله تعالى عنه ص ٩٤ ، ٩٥ والشرح بتصرف .

الشق الثاني : التوسل بذواتهم في حياتهم :

انقسم العلماء في هذا النوع الى ثلاث فرق :

الفرقة الاولى : صرحت بالجواز على الاطلاق .
الفرقة الثانية : اتخذت جانبا وسطا بان خصصت هذا النوع للنبي صلى الله عليه وسلم وبعض من الصالحين .
الفرقة الثالثة : صرحت بالمنع على الاطلاق .

وهذا مجمل ما قيل في هذا الشق أما التفصيل فهو كما يلي :-
الفرقة الاولى : (المجوزه)

هناك من جوز التوسل بذوات الاحياء على الاطلاق سواء كان المتوسل به هو النبي صلى الله عليه وسلم او غير من الصالحين والاولياء .

قال الامام الشوكاني رحمه الله بجواز التوسل بالذات ورد رأي الشيخ عز الدين بن عبد السلام القائل بتخصيص التوسل بالذات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (وعندي أنه لاوجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم كما زعمه الشيخ عز الدين ابن عبد السلام لأمرين الاول : ما عرفناك به من اجماع الصحابه رضي الله عنهم ، والثاني ان التوسل الى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضله اذ لا يكون الفاضل فاضلا الا بأعماله ، فاذا قال القائل اللهم اني اتوسل اليك بالعالم الفلاني ، فهو باعتبار ما قام به من العلم وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخره [1] فلو كان التوسل بالاعمال الفاضله غير جائز أو كان شركا كما يزعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبد السلام ومن قال بقوله من اتباعه لم تحصل الاجابه لهم ولسكت النبي صلى الله عليه وسلم عن انكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم وبهذا نعلم أن ما يورده المانعون

---

(١) ذكر الحديث في ص . .

من التوسل بالانبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) [١] ونحو قوله تعالى (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً) [٢] ونحو قوله تعالى (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ) [٣] ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو اجنبى عنه فان قولهم (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) مصرح بانهم عبدوهم لذلك والمتوسل بالعالم مثلا لم يعبده بل علم أن له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك ، وكذلك قوله ولا تدعوا مع الله احدا فانه نهى عن أن يدعى مع الله غيره كأن يقول بالله وبفلان ، والمتوسل بالعلم مثلا لم يدع الا الله فانما وقع منه التوسل عليه بعمل صالح عمله بعض عباده ، كما توسل الثلاثه الذين انطبقت عليهم الصخره بصالح اعمالهم وكذلك قوله (والذين يدعون من دونه) الآيه فان هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذين يستجيب لهم والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع الا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه . واذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الادلة الخارجة عن محل النزاع خروجا زائدا على ما ذكرناه كاستدلالهم بقوله تعالى (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) [٤] فان هذه الايه الشريفه ليس فيها الا انه تعالى المنفرد بالامر فى يوم الدين وانه ليس لغيره من الامر شئ والمتوسل بنبى من الانبياء أو عالم من العلماء هولا يعتقد ان لمن توسل به مشاركة لله جلال جلاله فى أمر يوم الدين ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبيا أو غير نبى فهو فى ضلال مبين ، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) [٥] و (لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً) [٦] فان هاتين الايتين مصرحتان بانه

---

(١) سورة الزمر آيه ٣ .
(٢) سورة الجن آيه ١٨ .
(٣) سورة الرعد آيه ١٤ .
(٤) سورة الانفطار آيه ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .
(٥) سورة آل عمران آيه (١٢٨) .
(٦) سوره الاعراف آيه (١٨٨) .

ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر الله شيء وأنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا . فكيف عليك بغيره ، وليس فيها منع التوسل به أو بغيره من الانبياء او الاولياء أو العلماء ، وقد جعل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم المقام المحمود لمقام الشفاعة العظمى وأرشد الخلق الى أن يسالوه ذلك ويطلبوه منه وقال له سل تعطه واشفع تشفع وقيل ذلك فى كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون الا باذنه ولا تكون الا لمن ارتضى ، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) [1] يا فلان بن فلان لا أملك لك من الله شيئا ، يا فلانه بنت فلانه لا املك لك من الله شيئا ، فان هذا ليس فيها الا التصريح بانه صلى الله عليه وسلم لا يستطيع نفع من أراد الله ضره ولا ضر من اراد الله تعالى نفعه ، وأنه لا يملك لاحد من قرابته فضلا عن غيرهم شيئا من الله ، وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه أنه لا يتوسل به الى الله فان ذلك هو طلب الامر ممن له الامر والنهى وانما اراد الطالب أن يقدم بين يدى طلبه ما يكون سببا للاجابه ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين) [2]

وقد رد صاحب الدين الخالص على الامام الشوكانى القائل بالجواز على الاطلاق على عدة نقاط قد استشهد بها فقد رده عليه فى الاستدلال بحديث الصخره (توسل المرء بعمله الصالح مشروع وجائز بالاجماع ولكن المردود هو التوسل بالذوات لانه شرك محض ووثنية خالصة . والشوكانى يقول بذلك ايضا واستدلال الشوكانى بحديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخره لا ينتج ما يدعيه من جواز التوسل على الاطلاق ، اذ ليس فى الحديث الا توسل المرء بعمله فقط ، لا بعمل غيره .

وقال ان الاجابه حصلت لهم لانهم (لم يتجاوزوا المشروع الذى هو التوسل بأعمالهم فقط . وأقر النبى صلى الله عليه وسلم عملهم لانه لم يتجاوز المشروع ، لا لانهم توسلوا بأعمال غيرهم . فقياس الشوكانى جواز التوسل على الاطلاق على توسل المرء بعمله فقط قياس مع الفارق ، وكذلك رد عليه فى قوله ان ما يورده المانعون من التوسل الى الله تعالى بالانبياء والصالحين

---

(١) سورة الشعراء ايه (٢١٤) .

(٢) تحفه الاحوذى جـ ١٠ ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ باختصار .

من نحو قوله تعالى : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ) [١] ليس في محل النزاع بقوله (بل هو استدلال على محل النزاع بما هو من صميم الموضوع فانه مشاكله حال مشركى هذا الزمان باسم التوسل بحال أهل الجاهليه امر اصبح من البديهيات . بل حال الجاهليه التى فى هذا الزمان أسوء من حال الجاهليه الاولى) .

وكذلك رد عليه عقد قوله (المتوسل بالعالم مثلا لم يعبده ، بل علم أن له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك) فقال هذه المزية التى يحملها العالم والصلاح الذى هو من مزايا الصالحين كل هذا قاصر على صاحبه لا يتعداه الى غيره بدليل قوله تعالى : (مَّنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا) [٢] .
وقوله : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) [٣] والايات فى هذا المعنى كثيره فى القرآن . ولم يجعل الله عمل الغير وما قام به من الامتيازات سببا عاديا لنجاح الاخرين وفلاحهم) . وكذلك رد على قوله : (ولا تدعوا) الخ فانه نفى من أن يدعى مع الله غيره كأنه يقول بالله وبفلان . والمتوسل بالعلم مثلا ـ لم يدع : لا الله ، وانما وقع منه التوسل اليه بعمل صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلاثه الذين انطبقت عليهم الصخره بصالح اعمالهم . (هذا قياس من اغرب الاقيسه . كيف والنص خاص والخاص قطعى الدلالة لا يتجاوز مدلوله ؟ ولم يقل أحد من الاصوليين بجواز القياس فى العقائد ولا فى العبادات .

ولا تجد هنا عله يمكن تعديتها الى الفرع ابدا لعدم وجود الجامع وهو اتحاد المعنى فان المعنى الموجود فى الاصل هو توسل المرء بعمله ، والمعنى الموجود فى المقيس هو توسل المرء بعمل غيره . ولا شك أن اجراء القياس بينهما ـ والحالة هذه ـ يكون عقيما لعدم الروابط بينهما وبالتالى يكون من أشنع الاقيسه وأفسدها . ولا يذهب الى هذا القياس من له

---

(١) سورة الزمر آيه (٣) .
(٢) سورة فصلت آيه (٤٦) .
(٣) سورة المدثر آيه (٣٨) .

ادنى معرفة بعلم الاصول فضلا عن العلماء الراسخين) .

ثم قال (لم يجعل الله السوال بصلاح الصالحين سببا للاجابـــــه ولا مشروعا فى الدعاء . بل الذى اذن الله لنا بأن ندعوه به هو أن تسأله بأسمائه الحسنى وقد ادرك ذلك اول الائمة ابو حنيفه رضى الله عنه . فقـال كما يرويه أبو يوسف عنه ــ لا يسال الله : إلا بالله . والدعاء المأذون فيه ما استفيد من قوله تعالى : (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا)[1] . واجمعت كتب الفقه الحنفى على ذلك)[2] .

∴ ∴

---

(١) سـورة الاعراف آيـه (١٨٠)

(٢) الدين الخالص ص ١٨٠ ، ١٨٣ باختصـار .

الفرقـــة الثانية : التى اتخذت جانبا وسـطا

تلك الفرقه قد قصرت التوسل بذات المخلوق على رسول الله صلـــى الله عليه وسلم ومنعته بالنسبة لغيره ويمثلهم الشيخ عز الدين عبد الســـلام فقد نقل عنه انه قال (اما القسم على الله تعالى بأحد من خلقـــه مثل ان يقال : اللهم انى اقسم عليك او أسألك بفلان الا ما قضيت لى حاجتى فقد صرح الشيخ ابن عبد السلام بجواز ذلك فى النبى صلى الله عليـــه وسلم لانه سيد ولد آدم ، ولا يجوز ان يقسم على الله تعالى بغيره مـــن الانبياء والملائكة ، والاولياء لانهم ليسوا فى درجته ، وقد نقل عن احمـــد مثل ذلك واستدل بما رواه الترمذى من حديث عثمان بن حنيف رضى اللـــه تعالى عنه أن رجلا ضرير البصر .. وذكر الحديث بطوله)(١) .

(ونقل ذلك عنه فى تحفه الاحوذى شرح جامع الترمذى مستشهدا بنفس الحديث ذاكرا (ان صح هذا الحديث) . وقال الشيخ عبد الغنى : ذكر شيخنا عابد السندى فى رساله . والحديث يدل على جواز التوسل والاستشفاع بذاته المكرمه فى حياته)(٢) .

(وقد قال التاج السبكى — ويحسن التوسل والاستغاثه بالنبى صلـى الله عليه وسلم الى ربه ولم ينكر ذلك احد من السلف والخلف حتى جاء ابـــن تيميه فانكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم وابتدع ما لم يقله عالم وصار بـــين الانام مثله)(٣) .

(ومن كلام السجاد رضى الله تعالى عنه انطلب المحتاج من المحتاج سفه فى رأيه وضلة فى عقله ، ومن دعاء موسى عليه السلام — وبك المستغـــاث —

---

(١) تفسير الامام الالوسى جـ ٦ ص ١٢٥ بتصـرف .
(٢) تحفه الاحوذى لجامع الترمذى جـ ١٠ ص ٣٤ ، ٣٥ بالمعنى .
(٣) ذكره الامام الالوسى فى تفسيره اثناء شرحه للايه ٣٥ من سورة المائدة ص ١٢٦ .

وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله تعالى عنهما : " اذا استعنت فاستعن بالله تعالى "[1] الخبر ، وقال تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[2] وبعد هذا كله أنا لا أرى بأسا فى التوسل الى الله تعالى بجاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند الله تعالى حيا وميتا ويراد من الجاه معنى يرجع الى صفه من صفاته تعالى ، مثل أن يراد به المحبه التامه المستدعيه عدم رده وقبول شفاعته ، فيكون معنى قول القائل : الهى أتوسل بجاه نبيك صلى الله تعالى عليه وسلم أن تقضى لى حاجتى ، الهى اجعل محبتك له وسيلة فى قضاء حاجتى ، ولا فرق بين هذا وقولك : الهى أتوسل برحمتك ان تفعل كذا اذ معناه ايضا الهى اجعل رحمتك وسيله فى فعل كذا ، بل لا ارى بأسا ايضا بالاقسام على الله تعالى بجاهه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا المعنى ، والكلام فى الحرمة كالكلام فى الجاه ، ولا يجرى ذلك — فى التوسل والاقسام بالذات — البحث ، نعم لم يعهد التوسل بالجاه والحرمه عن أحد من الصحابه رضى الله تعالى عنهم . ولعل ذلك كان تحاشيا منهم عما يخشى ان يعلق منه فى أذهان الناس اذ ذاك — وهم قريبو عهد بالتوسل بالاصنام — شئ ، ثم اقتدى بهم من خلفهم من الائمه الطاهرين ، وقد ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هدم الكعبه وتأسيسها على قواعد ابراهيم لكون القوم حديثى عهد بكفر وهو الذى ذكرته انما هو لدفع الحرج عن الناس والفرار من دعوى تضليلهم — كما يزعمه البعض — فى التوسل بجاه عريض الجاه صلى الله عليه وسلم لا للميل الى ان الدعاء كذلك أفضل من استعمال الادعية المأثورة التى جاء بها الكتاب .

---

(١) جزء من حديث طويل رواه الامام الترمذى جـ ٤ كتاب القيامه باب (٥٩) رقم (٢٥١٦) وقال حسن صحيح ص ٦٦٧ .

(٢) سورة الفاتحه آيه (٥) .

وصرحت بها السنة السنة ، فانه لا يستريب منصف فى أن ما علمه الله تعالى ، ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ودرج عليه الصحابه الكرام ، رضى الله تعالى عنهم . وتلقاه من بعدهم بالقبول أفضل واجمع وانفع وأسلم ، فقد قيل ان حقا وان كذا وقال ان التوسل بجاه غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأس به أيضا ان كان المتوسل بجاهه مما علم أن له جاها عند الله تعالى كالمقطوع بصلاحه وولايته ، وأما من لا قطع فى حقه بذلك فلا يتوسل بجاهه لما فيه من الحكم الضمنى على الله تعالى عالم بعلم تحققه منه عز شأنه ، وفى ذلك جرأة عظيمه على الله تعالى) (1)

وهنا ترى ان السجاد رضى الله تعالى عنه يرخص بالتوسل لذات النبى صلى الله عليه وسلم وبعض صالحى المؤمنين . المقطوع بصلاحهم والمعلوم أن لهم عند الله جاه .

أما الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقد قصرها على ذات المصطفى صلى الله عليه وسلم .

⁂ ⁂

---

(1) تفسير الالوسى ج ٦ ص ١٢٨ باختصار .

ثالثا : الفرقـــة المانعـــة :

ومن الناس من منع التوسل بالذات والقسم على الله تعالى بأحد مـــن خلقه مطلقا وهو الذى يرشح به كلام المجد بن تيميه ، ونقله عن الامام أبـــى حنيفه رضى الله تعالى عنه وأبى يوسف وغيرهما من العلماء الاعلام وأجـــاب عن حديث الرجل الضرير المستشهد به بأنه على حذف مضاف ، أى بدعاء أو شفاعه نبيك صلى الله عليه وسلم ففيه جعل الدعاء وسيلة وهو جائز بـــل مندوب ، والدليل على هذا التقدير قوله فى آخر الحديث اللهم (فشفعـــه فىّ) بل فى أوله أيضا وما يدل على ذلك ، وأنت تعلم أن الادعيه المأثـــورة عن اهل البيت الطاهرتين وغيرهم من الائمة ليس فيها التوسل بالذات المكرمة صلى الله تعالى عليه وسلم . ولو فرضنا وجود ما ظاهره ذلك فمؤول بتقدير مضاف كما سمعت او نحو ذلك ــ ومن ادعى النص فعليه البيان . وما رواه ابو داود فى سننه وغيره من أن رجلا قال لرسول الله عليه وسلم : انا نستشفع بك الى الله تعالى ونستشفع بالله تعالى عليك ، فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رؤى ذلك فى وجوه اصحابه فقال : ويحك أتدرى ما اللـــه تعالى ؟ ان الله تعالى لا يشفع به على أحد من خلقه شأن الله تعالـــى أعظم من ذلك " (١) .

لا يصح دليلا على ما نحن فيه حيث انكر عليه قوله " انا نستشفع بالله تعالى عليك " ولم ينكر عليه الرسول صلىّ الله عليه وسلم مضمون الجملـــة الثانية دون الاولى وعلى هذا الا يصلح الخبر ولا ما قبله دليلا لمن ادعـــى جواز الاقسام بذاته صلى الله تعالى عليه وسلم حيا وميتا ، وكذلك بذات غيره من الارواح المقدسة مطلقا قياسا عليه الصلاة والسلام بجامع الكرامـــة وان تفاوت قوة وضعفا ، وذلك لان ما فى الخبر الثانى استشفاع لا اقســـام ، وما فى الخبر الاول ليس نصا فى محل النزاع ، وعلى تقدير التسليم ليـــس فيه الا الاقسام بالحى والتوسل به) (٢) .

---

(١) سبق ذكره فى ص ١٢٧

(٢) تفسير الامام الالوسى فى معرض شرحه للايه ٣٥ من سورة المائـــدة ص ١٢٦ .

(وقال الامام ابن تيميه فاذا توسلنا الى الله تعالى بايماننا بنبيه ومحبته وموالاته واتباع سنته فهذا من أعظم الوسائل ، وأما التوسل بنفس ذاته مع عدم التوسل بالايمان بـه وطاعته فلا يجوز ان يكون وسيله فالمتوسل بالمخلوق اذا لم يتوسل بايمان المتوسل به ولا بطاعته ، فبأى شئ يتوسل ؟ والانسان اذا توسل الى غيره بوسيلة فاما أن يطلب من الوسيله الشفاعة له عند ذلك ، مثل ان يقال لابى الرجل أوصديقه أو من يلزم عليه : اشفع لنا عنده ، وهذا جائز . واما ان يقسم عليه ، والاقسام على الله تعالى بالمخلوق لا يجوز ولا يجوز الاقسام على مخلوق بمخلوق . واما ان يسأل بسبب يقتضى المطلوب، كما قال الله تعالى : (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) [1] فمعنى قوله أسألك بالرحم ليس اقساما بالرحم ولكن بسبب الرحم أى لان الرحم توجب لاصحابها بعضهم من بعض حقوقا كسؤال الثلاثه لله تعالى بأعمالهم الصالحة ، وكسؤالنا بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم وشفاعته ومن هذا الباب ما روى عن أمير المؤمنين على ابن ابى طالب ان ابن اخيه عبد الله ابن جعفر كان اذا سأله بحق جعفر اعطاه ، وليس هذا من باب الاقسام ، فان الاقسام بغير جعفر اعظم ، بل من باب حق الرحم ، لان حق الله انما وجب بسبب جعفر ، وجعفر حقه على علىّ) [2] .

(وقال ابن تيميه عن حديث الرجل الضرير انه لا حجة فيه على التوسل بذات النبى صلى الله عليه وسلم بل هو حجه على التوسل بدعائه ، ولو توسل غيره من العميان الذين لم يدع لهم النبى صلى الله عليه وسلم بالسؤال به لم تكن حالهم كحالة ودعاء امير المؤمنين عمر رضى الله عنه فى الاستسقاء المشهور بالعباس رضى الله عنه يدل على أن التوسل المشروع عندهم هو التوسل بدعائه وشفاعته لا السؤال بذاته) [3]

---

(١) سورة النساء ايه (١) .

(٢) اى بسبب الرحم . وصلة الرحم ورعايتها من الاعمال التى يتقرب بها الى الله . انظر قاعدة جليله فى التوسل والوسيله لابن تيميه ص١٥٥ ، ١٥٦ باختصار .

(٣) قاعده جليله فى التوسل والوسيله لابن تيميه ص ٦٥ ، ٦٦ بالمعنى .

وجاء فى تفسير الامام الالوسى رحمه الله أن (ما يذكره بعض العامة من قوله صلى الله عليه وسلم : اذا كانت لكم الى الله تعالى حاجة فاسألوا الله تعالى بجاهى فان جاهى عند الله تعالى عظيم ـ لم يروه احد من اهل العلم . ولا هو شئ فى كتب الحديث ، وما رواه القشيرى عن معروف الكرخى قدس سره ـ انه قال لتلاميذته : ان كانت لكم الى الله تعالى حاجة فاقسموا عليه بى فانى الواسطة بينكم وبينه جل جلاله ـ الان لا يوجد له سند يعول عليه عند المحدثين واما ما رواه ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعاء الخارج الى الصلاة اللهم انى اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا فانى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياءا ولا سمعة ولكن خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أن تنقذنى من النار وأن يدخلنى الجنة) [1] ، ففى سنده العوفى ـ وفيه ضعف ـ وعلى تقدير ان يكون من كلام النبى صلى الله عليه وسلم يقال فيه : ان حق السائلين عليه تعالى أن يجيبهم ، وحق الماشين فى طاعته أن يثيبهم ، والحق بمعنى الوعد الثابت المتحقق الوقوع فضلا لا وجوبا كما فى قوله تعالى : (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) [2] وفى الصحيح من حديث معاذ ـ (حق الله تعالى على عبادة أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحقهم عليه ان فعلوا ذلك ان لا يعذبهم) [3] ـ فالسؤال حينئذ بالاثابه والاجابه وهما

---

(١) سنن ابن ماجه جـ ١ (٤) كتاب المساجد والجماعات (١٤) باب المشى الى الصلاة حديث رقم (٧٧٨) وقال محمد فؤاد عبد الباقى فى الزوائد (هذا اسناد مسلسل بالضعفاء ، عطيه وهو العوفى ، وفضيل بن مرزوق والفضل بن الموفق كلهم ضعفاء ، لكن رواه ابن خزيمه فى صحيحه عن طريق فضيل بن مرزوق ، فهو صحيح عنده) ص ٢٥٦ .

(٢) سورة الروم ايه (٤٧) .

(٣) صحيح الامام البخارى المجلد الثالث جـ ٧ كتاب اللباس باب ارداف ـ الرجل خلف الرجل ص ٢١٨ ، جـ ٨ كتاب الاستئذان باب من اجاب بلبيك وسعديك ص ٧٤ .

* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الاول جـ ١ كتاب ـ الايمان باب حق العباد على الله ص ٢٣٢ (ونص الحديث) (يا معاذ بن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك قال هل تدرى ما حق الله على العباد قال قلت الله ورسوله أعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ثم سار ساعه ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك قال هل تدرى ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قال قلت الله ورسوله اعلم قال أن لا يعذبهم)

من صفات الله تعالى الفعلية ، والسؤال بها مما لا نزاع فيه فيكون هـــذا السؤال كالاستعاذة في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم " أعوذ برضـــاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ، واعوذ بك منك ") (١) فمتى صحـــت الاستعاذة بمعافاته صح السؤال باثابته واجابته .

وعلى نحو ذلك يخرج سؤال الثلاثة لله عز وجل بأعمالهم ، على أن التوسل بالاعمال معناه التسبب بها لحصول المقصود ، ولا شك أن الاعمـــال الصالحة سبب لثواب الله تعالى لنا ، ولا كذلك ذوات الاشخاص أنفسهـــا ، والناس قد افرطوا اليوم في الاقسام على الله تعالى ، فأقسموا عليه عز شانـــه بمن ليس في العير ولا النفير وليس عنده من الجاه قدر قطميـــر) (٢) .

(وذكر صاحب الدين الخالص في هامشه (ان حق السائلين هـــو الاجابه التي وعدها الله تفضلا منه لهؤلاء . فيكون سؤال الله بهذا الحـــق سؤالا بما هو من صفاته تعالى وهو " المجيب " فلا حجه في ذلك للمتوسلـــين بذات المخلوقات وصفاتهـــم) (٣) .

⁂ ⁂

---

(١) * سنن الترمذى جـ ٥ (٤٩) كتاب الدعوات باب (٧٦) حديث رقـــم (٣٤٩٣) قال : هذا حديث حسن قد روى من غير وجه عن عائشه . حدثنا قتيبه . حدثنا الليث عن يحيى بن سعيد بهذا الاسناد نحوه وزاد فيه : واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك ص ٥٢٤ .
* سنن النسائي المجلد الاول جـ ١ كتاب الطهاره باب ترك الوضوء مـــن مس الرجل امرأته من غير شهوة ص ١٠١ ، ١٠٢ .
* سنن ابى داود جـ ١ كتاب الصلاة باب في الدعاء في الركوع والسجود ص ٢٠٣ .

(٢) تفسير الامام الالوسى جـ ٦ ص ١٢٧ وذكرها ابن تيميه في ص ١٥٦ ، ١٥٧

(٣) هامش الدين الخالص جـ ٢ ص ١٨٤ .

التوسل بالانبياء والصالحين والاولياء بعد الممات

وأيضا نجد العلماء قد انقسموا في هذا القسم الى ثلاث فرق :

الفرقة الاولى : وهى تجوز التوسل بهم على الاطلاق بعد الممات وأهم ما استدلوا به :

أ ـ حديث عثمان بن حنيف •

ب ـ ان بعد الموت تكون الحياه اكمل •

والفرقه الثانية : القائله بتخصيص التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم وببعض الاولياء والصالحين محتجين بأن ليس الجميع يقدر على هذا بعد الممات •

أما الفرقه الثالثه والاخيره تمنع التوسل بهم بعد الممات على الاطلاق ومن المؤيدين لهذا الرأى ابن تيميه والامام الالوسى وصاحب تحفه الاحوذى وصاحب كتاب من مفردات القرآن مستدلين به :

أ ـ العدول عن التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم الى التوسل بالعباس رضى الله عنه •

ب ـ انقطاع الاسباب بالموت •

جـ ـ فعل ابن عمر رضى الله عنه عند زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وقبر ابى بكر الصديق وقبر عمر رضى الله عنه •

د ـ التشبيه بالكفار •

هـ ـ بيان كذب الحكايه المرويه عن الامام مالك •

هذا هو مجمل ما قيل فى التوسل بالانبياء والصالحين والاولياء أما التفصيل •

الفرقـــه الاولى القائله بالجواز على الاطلاق

فقـد قالت بجواز التوسل بالانبياء والاولياء والصالحين بعد المـــات وقبل أن يذكر الطبراني حديث الرجل الضرير وتشفعه بالرسول صلى الله عليـه وسلم ذكر قصه وهى (أن رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان رضى الله عنــــه فى حاجه له وكان عثمان لا يلتفت اليه ولا ينظر فى حاجته فلقى عثمان بــــن حنيف فشكا ذلك اليه فقال له عثمان بن حنيف أئت الميضأة فتوضأ ثم أئت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد صلى اللـــه عليه وسلم نبى الرحمه يا محمد انى أتوجه بك الى ربى فيقضى حاجتى وتذكـر حاجتك ورح الى حتى أروح معك . فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم اتـــى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلســه معه على الطنفسة وقال ما حاجتك فذكر حاجته فقضاها له ثم قال ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة . وقال ما كانت لك من حاجة فائتنا . ثم ان الرجـــل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظـــر فى حاجتى ولا يلتفت الى حتى كلمته فى . فقال عثمان بن حنيف والله مـــا كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل ضرير فشكا اليه ذهاب بصره فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أو تصبر ؟ فقال يا رســـول الله انه ليس لى قائد وقد شق على فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات فقال عثمان بن حنيـــف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكـــن به ضر قط .

وكذلك قال الشيخ عابد السندى مجوزا التوسل بعد الممات مستشهدا بما رواه الطبراني فى الكبير من القصه السابقة) [1] .

وجاء فى كتاب اولياء الله الصالحون تحت عنوان التوسل بالاوليـــاء أن (انكار التوسل بالاموات مطلقا يخيل لمن ينظر فى دعواهم هذه أنهـــم

---

(١) تحفه الاحوذى لجامع الترمذى ج ١٠ ـ ٧ باب ص ٣٣، ٣٤ باختصار.

لا يعترفون بأن هنالك حياة وراء تلك الحياة الدنيا .... مع أن الاجماع منعقد على أن هنالك حياة وان كانت تختلف عن هذه الحياة .

لا تظنوا الموت موتا انه لحياة وهو غايات المنى
لا ترعكم هجمة الموت فما هو الا نقلة من ها هنا

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)(١) ولعلهم تبعا لذلك كله لا يدينون بدعوى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فى قبره ، ويكذبون حديث عرض اعمالنا عليه وسروره بنا ، واستغفاره لنا(٢) .

وقال المرحوم الشيخ (الدجوى) (ان عمر لم يقصد بهذا الصنيع(٣) الاعلان عن ان التوسل لا يكون الا بالاحياء فقط ، ولكنه قصد الى أن التوسل يجوز بالمفضول والفاضل بدليل أن المسلمين كان فيهم على فى هذا الوقت وهو خير من العباس ، ومنهم عمر أيضا وهو أفضل بولايته امر المسلمين ... على أن عمر كان يهدف دائما ابدا الى عدم شيوع الفتنه فى صفوف المسلمين .

وهذه الصلاة التى يرجو الناس بها المطر ، خاف ان ابطأ عليهم الغيث ان ينزل ذلك بقدر النبى عندهم فيظنوا ان جاهه عند ربه قد تولى بموته ، ولم يعد له من المزيه ما كان له من قبل " وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ

---

(١) سورة آل عمران آيه (١٦٩) .

(٢) (عرضت على اعمال امتى حسنها وسيئها فوجدت من محاسن اعمالها الاذى يماط عن الطريق) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الثانى ج ٥ كتاب المساجد ومواضع الصلاه باب النهى عن البصاق فى المسجد ص ٤٢ ، مسند الامام احمد ج ٥ ص ١٧٨ .

(٣) المقصود به العدول عن التوسل للاستسقاء بالرسول صلى الله عليه وسلم الى العباس عمر رضى الله عنه .

خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ " [1] . وقد ذكر صاحب كتاب التوسل والوسيله على ضوء الكتاب والسنة تعليلان لتوسل عمر رضى الله عنه بالعباس وعدوله عن التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال (ولعل توسل عمر بالعباس لامرين :

الاول : ان التوسل الذى آشار امير المؤمنين الى انقضائه بوفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : " كنا نتوسل " فهو التوسل باخراجه الى المصلى ليباشر الاستسقاء بالصلاة والدعاء على مرأى منهم ومسمع ، بحيث يأتمون بـه ، ويؤمنون على دعائه ، وذلك انما يكون عادة ممن هو حى بهذه الحياة الدنيويه .

والثانى : أنه من جملة من يستسقى وينتفع بالسقيا ، وهو محتاج اليهـا ، بخلاف النبى صلى الله عليه وسلم ، فى هذه الحالة ، فانه مستغن عنها ، فاجتمع فى العباس الحاجة وقربه من النبى صل الله عليه وسلم وشيبه . والله تعالى يستحى من ذى الشيبه المسلم ، فكيف من عم نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى يجيب دعاء المضطر ، فلذلك استسقى عمر بشيبته) [2] .

وكلمه الفصل فى ذلك كله ان الذى يتوسل برجل طيب له عند الله منزلة لا يجعله شريكا لله فى الخلق والتكوين والقدرة والارادة ولكنه يتوسل بمكانته الملحوظة ، وقدره المرموق ، لانه عمل ما يستحق به أن يكون له عند ربـه هذا الجاه فضلا عن كون ذلك اغراء باقتفاء آثاره ، وتتبع أخباره ، والاقتداء به ، والمحاكاه له ... والدين الاسلامى لم يحظر القدوة الصالحة بحال من الاحوال ، وهذا هو الرسول الكريم يحث عليها ، ويغرى بها ، اذ يقول " اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " [3] ... وكذلك الترييـه

---

(١) سورة آل عمران آيه ١٤٤ .

(٢) التوسل والوسيله على ضوء الكتاب والسنة ص ٤٥ .

(٣) قال الالبانى هذا حديث موضوع رواه ابن عبد البرقى جامع العلم ج ٢ ص ٩١ وابن حزم فى الاحكام ج ٦ ص ٨٢ عن طريق سلام بن سليم قال : حدثنا الحارث بن غصين عن الاعمش عن ابى سفيان عن جابر مرفوعا به ، وقال ابن عبد البر هذا اسناد لا تقوم به حجه لان الحارث بن غصين مجهول . انظر سلسلة الاحاديث الضعيفه للالبانى ج ١ رقم ٥٨ ص ٧٣ .

الحديثه تقول بها ، وترجع الفضل الاول فى نبوغ التابعين وعلم المخترعين ، الى اتخاذ القدوه والجرى وراء المثل العليا من رجال الفكر والمعرفه ، والاجتهاد والسبق من هؤلاء الذين دوى بهم التاريخ وطنطنت [1] باسمائهم الصحف والمجلات وكان لهم بين معاصريهم امتياز جعلهم اهلا لهذا الفضل الذى نالوه والدرجات التى حصلوا عليها .

لسنا وان احسابنا كرمت يوما على الاباء نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل مثل ما فعلوا [2]

وقال الشعرانى (ان الله وكل ملائكته لقبور الاولياء تقض حوائج الشائلين . وقال بعض الصوفيه : قبر معروف الكرخى ترياق مجرب . وقال بعضهم ما معناه : لا خير من يحجب بينه وبين أصحابه شبر من التراب .

ومعناه انه حى فى قبره ، يسمع كلامهم ويجيب نداءهم ، ويقضى حوائجهم بل صرح بعضهم أن بعد الموت يكون الانسان أكمل من حال الحياه ولا سيما الاولياء ، أى يقدرون ان يتصرفوا اكمل مما كانوا فى حياتهم) [3] .

وجاء فى القول المختار الحلبى (ويكفى فى هوان منكر ذلك حرمانه اياه ، والتوسل به صلى الله عليه وسلم حاصل فى حياته وبعد وفاته ، لما ثبت بالبراهين القاطعه ، وقد استعمل السلف الصالح هذا الدعاء ، الذى رواه عثمان بن حنيف فى حاجاتهم ، وقد علمه عثمان بن حنيف لمن كان له حاجة عند سيدنا الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه زمن امارته ، وعسر عليه قضاؤها منه ، ففعله فقضاها منه ، ويجوز أن يطلب منه صلى الله عليه وسلم الدعاء بحصول الحاجات بعد موته صلى الله عليه وسلم ، كما تطلب منه فى حياته

---

(١) صخبت بهم الكتب وامتلاءت ، والطنطنة ايضا ضرب العود ذى الاوتار انظر تهذيب اللغة لابن منصور باب الطاء والنون ج ١٣ ص
(٢) اولياء الله الصالحون ـ التوسل بالاولياء ـ ص ٣٥ ، ٣٦ باختصار .
(٣) مصرع الشرك والخرافه (تقديس وقضاء حوائج السائلين) ص ٥٧٤ .

عليه الصلاة والسلام ، لعلمه بسؤال من يسأله لحياته صلى الله عليه وسلم فى قبره الشريف ، وانه يتوسل به فى كل خير قبل بروزه لهذا العالم وبعده ، فى حياته وبعد موته ، وكذا فى عرصات [1] القيامة فيشفع الى ربه تبارك وتعالى كما ثبت فى الصحيح ، وهذا مما قام عليه الاجماع ، وتواترت به الاخبار فكيف لا يتشفع ويتوسل بمن له هذا الجاه الواسع ، والقدر المنيف عند سيده ومولاه ، المنعم عليه بما حباه واولاه ، وما رواه سيدنا عثمان بن حنيف فانه كاف فى جواز التوسل به بعد موته صلى الله عليه وسلم ، ولا يعارضه ما رواه سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بقوله : كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام ! الى ان قال : اذا سألت فاسأل الله " [2] الحديث لان المسئول فى الحقيقة هو الله تعالى والنبى صلى الله عليه وسلم متقرب به الى الله تعالى فى قبول السؤال واجابه الدعاء قال شارحه : محمد بن عبد الله الجرواني : نعم ان كان مشهده ، يعنى السائل ، ان اعانة الخلق له من الله ، فاستعان بالله فى الباطن ، وبالخلق فى الظاهر فلا يضره ذلك ، لان الله أجرى عادته بأنه يعين عبده بواسطة وبغير واسطة ـ ا هـ . كما ان الاخذ فى الاسباب لاينافى التوكل كما فى حديث : " اعقلها وتوكل " [3] ولا مانع من أن يسأل العبد مولاه جل وعلا فى قضاء حوائجه الدنيوية والاخرويه ، بلا واسطة أو بواسطة انبيائه وأوليائه

---

(١) الاماكن الواسعة قال سميت ساحة الدار عرصه الاعتراص الصبيان فيها . انظر تهذيب اللغه لابن منصور جـ ٢ ص ٢١ .

(٢) سنن الترمذى جـ ٤ ـ (٣٨) كتاب صفة القيامة (٥٩) باب حديث رقم (٢٥١٦) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح ص ٦٦٧.

(٣) سنن الترمذى جـ ٤ ـ (٣٨) كتاب صفة القيامة (٦٠) باب حديث رقم (٢٥١٧) قال ابو عيسى . وهذا حديث غريب من حديث انس لا نعرفه الا من هذا الوجه ، وقد روى عن عمرو بن امية الضميرى عن النبى صلى الله عليه وسلم نحو هذا ص ٦٦٨ .

الصالحين ، لما علمته مما تقدم ، والله المسئول ، ومنه الاجابه ، والله الموفق للصواب ، واليه المرجع والمآب .

وقد توسل الامام الشافعي رضى الله عنه بآل بيت نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال :

آل النبى زخيرتى[1] وهمو اليه وسيلتى
أرجو بهم أعطى غدا بيدى اليمين صحيفتى

وان كثيرا من الناس وقع فى أمر عظيم ضاق به ذرعا وعدم الحيلة فيه ، فلما توسل بهذه الابيات فرج الله كربه ، وزال عنه همه منها

اذا ضاقت بك الاحوال يوما نثق بالواحد الفرد العلىّ
توسل بالنبى فكل عبد يغاث اذا توسل بالنبى

هذا ، وأما ما يشاهد من بعض العوام فى اثناء زيارتهم للاولياء من الفاظ غير مرضى عنها ، فانما هى من باب العجز عن التعبير الصحيح عما يريدون ، أو من قبيل المجاز العقلى ، فانك لو سألت واحد من هولاء عما يريد ، لاجابك اجابه تدل على أن قلبه ممتلىء بالايمان الصحيح ، الذى لا مرية فيه ، والله يقول : " وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ "[2] . ولو سألت بعضهم : هل النبى او الولى يخلق النفع او الضر ؟ لقال لك : لا وقال : الذى يخلق النفع والضر ، هو الله تعالى لا غيره ، والنبى او الولى وسيله اليه تعالى ، فعلى العلماء ان يعلموا العامة كيفية التوسل بالانبياء والاولياء ، ليقع توسلهم على وجه صحيح ، كأن يقول له : اى لبعض العامة قبل : اللهم انى أسألك وأتوسل اليك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، أو بجاه نبيك سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، أو بجاه

---

(١) الزخيره هى العده لوقت الحاجه ، اذا جاء القوم للتغير قيل : زخروا انظر تهذيب اللغة لابن منصور ج ٧ ص ٣٠٢ .
(٢) سوره البقره آيه (٢٢٥) .

وليك فلان ، أن تشفى مريضى او ترزقنى او تشفينى أو تقضى لى حاجتى ، فان المسئول حقيقة هو الله تعالى .

اللهم ! اجعلنا هادين مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين سلما لاوليائك، وعدوا لاعدائك نحب بحبك من أحبك ،ونعادى بعداوتك من خالفك اللهم هذا الدعاء ، وعليك الاجابة ،وهذا الجهد وعليك التكلان . اللهم ارزقنى حبك وحب من ينفعنى حبه عندك . اللهم ما رزقتنى مما احب ، فاجعله قوة لى فيما تحب وما زويته عنى ، فاجعله فراغا لى فيما تحب . اللهم انا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنت المستعان ،وعليك البلاغ ، ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم انى أسألك بحبك لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبحب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لك وبالسر الذى بينك وبينه أن يتيسر لى اليسر الذى يسرته على كثير من خلقك وان تغنينا بك عمن سواك ، وان تجرى ذلك على وفق رضاك ، فانك حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وقال ، سيدى محمد زاهد الكوثرى بعد كلام تقدم (وهم فى انكارهم التوسل محجوجون بالكتاب والسنه والعمل المتواتر والمعقول .

اما الكتاب ، فمنه قوله تعالى : (وَابْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)[1] والوسيله بعمومها تشمل التوسل بالاشخاص ، والتوسل بالاعمال . بل المتبادر من التوسل فى الشرع هو هذا ، رغم تقول كل مختر افاك ، والفرق بين الحى والميت فى ذلك ، لا يصدر الا ممن ينطوى على اعتقاد فناء الارواح ، المؤدى الى انكار البعث ، وعلى ادعاء انتفاء الادراكات الجزئية من النفس ، بعد مفارقتها البدن ، المستلزم لانتفاء الادلة الشرعية فى ذلك الى ان قال : بل هو المأثور عن عمر الفاروق رضى الله عنه ، حيث قال بعد ان توسل بالعباس رضى الله عنه فى الاستسقاء ، هذا والله الوسيلة الى الله عز وجل .

---

(١) سوره المائده آيه (٣٥) .

اما السنة ، فمنها حديث عثمان بن حنيف بالتصغير رضى الله عنــه ، وفيه " يا محمد انى أتوجه بك الى ربى " (١) .

وعلى التوسل بالانبياء والصالحين أحياء وأمواتا ، جرت الامة طبقــة بعد طبقة .

وكذلك توسل الامام الشافعى بالامام ابى حنيفه وتمسح الحافظ عبــد الغنى المقدسى الحنبلى بقبر الامام احمد للاستشفاء لدمل أعيا الاطبــاء اهـ .

وقد تقدم ان التوسل بالانبياء والاولياء والصالحين ، جائز بالنصــوص المتقدمه فقد ضل من تمسكوا بشبه أو هى من جبال العنكبوت فضلوا وأضلــوا عن الطريق الواضح ولم يفهموا معنى التوسل ، حتى اقاموا القيامة على التوسل بالانبياء والصالحين . واجازه اهل الحق ، وعلماء الامة المحمدية سلفــا وخلفا ، الا شرذمه قليلة كأمثال ابن تيميه . وقد صرح بجواز التوسل بالانبيـاء والاولياء احياء وامواتا ، علماء الاصول والفروع .

كالعلامة سعد الدين التفتازانى ، والعلامة السيد الشريف الجرجـانى ، والعلامة فخر الدين الرازى ، وغيرهم من كبار علماء أصول الدين الذين يفــزع اليهم فى حل المشكلات ، واليهم تفزع الامة فى معرفة الايمان والكفر والتوحيد والاشراك والدين الخالص ، فاى صفيف يستطيع ان يرميهم بعبادة القبــور والدعوة الى الاشراك بالله تعالى ، كلا فلا يستطيع أحد أن يرميهم بذلك ، الا معاند او جاهل ، لا يعرف التعاليم الدينية ، فهم اهل الحق والمعرفــة بالله تعالى وهم اهل الحل والعقد رحمهم الله تعالى وبالله التوفيق ، لا ربّ غيره ، ولا معبود سواه) (٢) .

⁂ ⁂

---

(١) سبق تخريجه فى ص ١٦٧

(٢) القول المختار الجلى ص ٤٠ ، ٤١ باختصــار .

يقول اذا سألتم الله حاجة فاسألوه بمحمد صلى الله عليه وسلم وقولوا اللهم انا نسألك بحق محمد ان تفعل لنا كذا وكذا . فان لله ملكا يبلغ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول له ان فلانا سأل الله تعالى بحقك فى حاجه كذا وكذا فيسأل النبى صلى الله عليه وسلم ربه فى قضاء تلك الحاجة فيجاب لان دعاءه صلى الله عليه وسلم لا يرد قال وكذلك القول فى سؤالكم الله تعالى بأوليائه فان الملائكة يبلغهم فيشفعون له فى قضاء تلك الحاجة والله عليم حكيم اهـ.

وقال العلامة ابن حجر الهيثمى مما يدل لطلب التوسل به صلى الله عليه وسلم وان ذلك هو سيره السلف الصالح الانبياء والاولياء وغيرهم ما اخرجه الحاكم وصححه " انه صلى الله عليه وسلم قال " لما اقترف آدم الخطيئه قال يا رب اسألك بحق محمد الا ما غفرت لى فقال يا آدم كيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال يا رب انك لما خلقتنى بيدك ونفخت فىّ من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت انك لم تضف لاسمك الا احب الخلق اليك فقال له الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الىّ واذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد لما خلقتك "[1].

وقال وقد صح فى حديث طويل ان الناس أصابهم قحط فى زمن عمر فجاء رجل الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لامتك فاتاه فى النوم واخبره انهم يسقون فكان كذلك انتهى كلام ابن حجر.

ومن لطيف ما نقله الشهاب المقرى عن اديب الاندلس ابى بحر صفوان ابن ادريس[2] انه رحل الى مراكش فى جهاز بنت له بلغت التزويج وقصد

---

(١) قال الحاكم فى المستدرك ـ كتاب التاريخ جـ ٢ أنه حديث صحيح الاسناد ولم يقره الذهبى بل قال انه حديث موضوع ص ٦١٥.

(٢) ابو بحر صفوان بن ادريس التجيبى المرسى (٥٦٠ ـ ٥٩٨) شاعر كاتب اندلسى له شعر ونثر هو صاحب كتاب زاد المسافر وغره محيا الادب السافر وله قصيدة اشتهرت عندهم فى رثاء الحسين بن على انظر اعلام المغرب والاندلس ص ٤٢٤.

الفرقـــة الثانيـــة

وقد اتخذت جانبا وسطا بأن قصرت التوسل بالانبياء والصالحين والاولياء على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى بعض الصالحين والاولياء أمثال الامام الحسين والامام الشافعى والامام البدوي فقد جاء فى كتاب سعادة الدارين فصل فى الاستغاثه به صلى الله عليه وسلم مع الصلاة عليه وغيرها القضاء الحوائج الدنيويه والاخرويه (قال العارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى سمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول اياكم ان تسألوا فى حوائجكم الاولياء الذين ما توافان غالبهم لا تصرف له فى القبر واما غير الغالب كالامام الشافعى رضى الله عنه والامام الليث رضى الله عنه وسيدى احمد البدوى رضى الله عنه واضرابهم فربما جعل الله تبارك وتعالى لهم التصريف فى قبورهم بحسب صدق من توجه اليهم قال اى الخواص رضى الله عنه وقد استدارت ابواب جميع الاولياء رضى الله تعالى عنهم لتغلق وما بقى مفتوحا الا باب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا اليه فمن كان له حاجة فليصل على النبى صلى الله عليه وسلم الف مره بتوجه تام ثم يسأله فى قضاء حاجته فانها تقضى ان شاء الله تعالى ا هـ .

وقال الامام الشعرانى رضى الله عنه اخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا تسأل الله تعالى شيئا الا بعد أن تحمد الله تعالى وتصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وذلك كالهديه بين يدى الحاجة وقد قالت عائشة رضى الله عنها مفتاح قضاء الحاجة الهدية بين يديها فاذا احمدنا الله تعالى رضى عنا واذا صلينا على النبى صلى الله عليه وسلم شفع لنا عند الله فى قضاء تلك الحاجة وقد قال تعالى (وابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) (1) .

وتأمل بيوت الحكام تجدها لا بد لك فيها من واسطة من له قرب عند الحاكم وادلال عليه ليمشى لك فى قضاء حاجتك ولو انك طلبت الوصول اليه بلا واسطة لم تصل الى ذلك وايضاح ذلك ان من كان قريبا من الملك فهو اعرف بالالفاظ التى يخاطب بها الملك واعرف بوقت قضاء الحوائج ففى سؤالنا للوسائط سلوك للادب معهم وسرعة لقضاء حوائجنا ومن اين لامثالنا ان يعرف ادب خطاب الله عز وجل وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله

(1) سورة المائده آيه (٣٥)

دار الخلافة مادحا فماتيسر له شى منأوله ففكر فى خيبة قصده وقال لو كنت أملت الله سبحانه وتعالى ومدحت نبيه صلى الله عليه وسلم وآل بيتهالطاهرين لبلغت املى بمحمود عملى ، ثم استغفر الله تعالى من اعتماده فى توجهه الاول وعلم أن ليس على غير الثانى معول فلم يكن الا انصوب نحو هذا المقصد سهما وانفى فيه عزما واذا به قد وجه اليه فادخل على الخليفة فسأله عن مقصده فأخبره مفصما به فأتقده وزاده عليه واخبره ان ذلك لرؤياه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم بامره بقضاء حاجته فانفصل موفى الاغراض واستمر فى مدح اهل البيتحتى اشتهر بذلك ا هـ .

ومن احسن الاستغاثات بالنبى صلى الله عليه وسلم قصيدى سيدى محمد بن ابى الحسن البكرى المصرى رضى الله عنه ومنها

فلذيه من كل ما تختشى ... فانه المرجع والموئل
وحط احمال الرجا عنده ... فهو شفيع دائما يقبل

ومنكلام ابن الوردى(١) :

يا رب بالهادى البشير محمد ... وبدينه العالى على الاديان
ثبت على الاسلام قلبى واهدنى ... للحق وانصرنى على الشيطان

وقال اللقانى ومما جرب فى ذلك قصيدتى الملقبة بكشف الكروب بملاجاه الحبيب والتوسل بالمحبوب التى أنشاتها باشارة وردت على لسان الخاطر الرحمانى عند نزول بعض الملمات فانكشفت باذن خالق الارض والسموات وكاشف المهمات لا اله غيره ولا خير الاخيره ومنها :

يا اكرم الخلق قد ضاقت بى السبل ... ودق عظمى وغابت عنى الحيل
ولم اجد من عزيز استجير به ... سوى رحيم به تستشفع الرسل

---

(١) عمر بن مظفر بن عمربنمحمد بن ابى الفوارس المعرى ، الحلبى الشافعى المعروف بابنلوردى فقيه ،اديب ، ناثر ، ناظم ، لغوى ، نحوى ، مؤرخ ولد بمعرة النعمان بسورية توفى بحلب وقد جاوز الستين من تصانيفه (منظومه النفخة الورديه فى النحو ، نظم الحاوى الصغير للغزوينى فى فروع الفقه الشافعى وسماه البهجه الورديه وديوان شعره فى مجلدين انظر معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية ج ٨ ص ٣ .

محمد ابن عبد الله ملجؤنا　　　يوم التنادى اذا ما عمنا الوهل
كن للمعنى مغيثا عند وحدته　　　وكن شفيعا له ان زلت النعل

وقال الشهاب محمود[1] الحلبى صاحب دواوين الانشاء بالشام :

يا من اليه بعزه اتشفع　　　وبذلتى اعنوا اليه واخضع

وقال الشيخ العروسى المغربى رحمه الله .

وخير البريه البدر طه　　　جئت مستشفعا لكشف كروبى
احمد المصطفى عادى وفخرى　　　صاحب الحوض واللواو القضيب[2]

∴　　　∴

---

(١) محمود الحلبى (٦٤٤ ـ ٧٢٥ هـ : ١٢٤٦ ـ ١٣٢٥ م) محمود بن سلمان بن فهد الحلبى ، ثم الدمشقى الحنبلى (ابو الثناء شهاب الدين) اديب لغوى ، كاتب ناظم شاعر ولد بحلب سمع الحديث ـ وتعلم الفقه والعربية .
وحديث وروى عنه الذهبى وتوفى بدمشق فى ٢٢ شعبان من تصانيفه حسن التوسل فى صناعة الترسل . انظر معجم المؤلفين ج ١٢ ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٢) اللوا تعنى اللواء .
انظر سعادة الدارين ـ فصل فى الاستغاثه به صلى الله عليه وسلم مع الصلاة عليه وغيرها لقضاء الحوائج الدنيويه والاخرويه ص ٥٣١ : ٥٤٤ باختصار .

الفرقة الثالثة :

التى تقول بان التوسل بالانبياء والاولياء والصالحين بعد مماتهم بدعه وشرك .

وقد قال الامام الالوسى اثناء تفسيره للايه ٣٥ من سورة المائدة ، (واستدل بعض الناس بهذه الايه على مشروعية الاستغاثه بالصالحين وجعلهم وسيله بين الله تعالى وبين العباد والقسم على الله تعالى بهم بأن يقال : اللهم انا نقسم عليك بفلان ان تعطينا كذا ، ومنهم من يقول للغائب او الميت من عباد الله تعالى الصالحين : يافلان ادع الله تعالى ليرزقنى فى كذا وكذا ، ويزعمون ان ذلك من باب ابتغاء الوسيله ، ويروون عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال " اذا اعينكم الامور فعليكم بأهل القبور " (1) ، او فاستغيثوا باهل القبور وكل ذلك بعيد عن الحق بمراحل .

وكذا قال : واما اذا كان المطلوب منه ميتا او غائبا فلا يستريب عالم أنه غير جائز وانه من البدع التى لم يفعلها احد من السلف ، نعم السلام على أهل القبور مشروع ومخاطبتهم جائزة ، فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه اذا زارو القبور ان يقولوا : " السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين وانا انشاء الله تعالى بكم لاحقوق يرحم الله تعالى المستقدمين منا ومنكم والمستاخرين نسأل الله تعالى لنا ولكم العافيه ، اللهم لا تحرمنا اجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم " (2) ولم يرد عن احد من الصحابه رضى الله تعالى عنهم ، وهم أحرص الخلق على كل خير – أنه طلب من ميت شيئا ، بل صح عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه كان يقول اذا دخل الحجرة النبوية زائرا : السلام عليك يا رسول الله : السلام عليك يا ابا بكر ،

---

(1) بحثت عنه فلم أجده فى خبر صحيح ولا سقيم .

(2)
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الثالث جـ ٧ كتاب الجنائز – باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لاهلها ص٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ .
* سنن النسائى المجلد الاول جـ ١ كتاب الطهاره باب حلية الوضوء ص ص ٩٣ ، ٩٤ .
* مسند الامام احمد جـ ٢ ص ٣٠٠ ، ٣٧٥ ، ٤٠٨ كلهم عن ابى هريرة جـ ٥ ص٣٥٩ ، ٣٦٠ عن سليمان بن بريده عن ابيه جـ ٦ ص٧١ ، ٧٦ عن عائشه رضى الله عنها .
* سنن ابن ماجه جـ٢ (٣٧) كتاب الزهد باب (٣٦) ذكر الحوض – حديث رقم (٤٣٠٦) ص ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ .

السلام عليك يا أبت ، ثم ينصرف ولا يزيد على ذلك ولا يطلب من سيد العالمين صلى الله تعالى عليه وسلم أو من ضجيعيه المكرمين رضى الله تعالى عنهما شيئا وهم اكرم من ضمته البسيطة وارفع قدرا من سائر من احاطت به الافلاك المحيطه نعم الدعاء فى هاتيك الحضرة المكرمه والروضه المعظمة مشروع فقد كانت الصحابة تدعوا الله تعالى هناك مستقبلين القبلة ولم يرد عنهم استقبال القبر الشريف عند الدعاء مع أنه أفضل من العرش ، واختلف الائمة فى استقباله عند السلام ، فعن ابى حنيفه رحمه الله تعالى أنه لا يستقبل بل يستدير ويستقبل القبلة ، ويجعل القبر المكرم عن اليمين او اليسار ، فاذا كان هذا المشروع فى زيارة سيد الخليقه وعلة الايجاد على الحقيقة صلى الله تعالى عليه وسلم ، فماذا تبلغ زيارة غيره بالنسبة الى زيارته عليه الصلاة والسلام ليزاد منها ما يزاد ، أو يطلب من المزور بها ما ليس من وظيفة العباد ؟؟) .

ثم ذكر ان النصوص بخلاف التوسل بالذات سواء فى حالة الحياة او فى حالة الممات واستشهد بحديث توسل عمر رضى الله عنه بالعباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته [1] — وقال (فانه لو كان التوسل به عليه الصلاة والسلام بعد انتقاله من هذه الدار لما عدلوا الى غيره ، بل كانوا يقولون : اللهم انا نتوسل اليك بنبيك فاسقنا وحاشاهم أن يعدلوا عن التوسل بسيد الناس الى التوسل بعمه العباس ، وهم يجدون ادنى مسانح ، لذلك فعدولهم هذا — مع أنهم السابقون الاولون ، وهم اعلم منا بالله تعالى . ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وبحقوق الله تعالى . ورسوله عليه الصلاة والسلام ، وما يشرع من الدعاء وما لا يشرع ، وهم فى وقت ضرورة — ومخمصة يطلبون تفريج الكربات وتيسير العسير ، وانزال الغيث بكل طريق — دليل واضح على ان المشروع ما سلكوه دون غيره) .

الى ان قال (واعظم من ذلك انهم يطلبون من اصحاب القبور نحو اشفاء المريض واغناء الفقير . ورد الضالة . وتيسير كل عسير ، وتوحى اليهم شياطينهم خبر — اذا اعتبكم الامور .. الخ [2] وهو حديث مخترى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باجماع العارفين بحديثه ، لم يروه

---

(١) سبق ذكر الحديث وتخريجه فى ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) سبق ذكره وتخريجه فى ص ١٩٨ .

أحد من العلماء ، ولا يوجد فى شىء من كتب الحديث المعتمدة قد نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : عن اتخاذ القبور مساجد ولعن على ذلك فكيف يتصور منه عليه الصلاة والسلام الامر بالاستغاثه والطلب من أصحابها ؟! سبحانك هذا بهتان عظيم . وعن ابى يزيد البسطامى قدس سره انه قال : استغاثه المخلوق بالمخلوق كاستغاثه المسجون بالمسجون) .

وقال (ومن وقف على سر ما رواه الطبرانى فى معجمه من أنه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين فقال الصديق الله تعالى عنه : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فجاءوا اليه ، فقال : انه لا يستغاث بى انما يستغاث بالله تعالى لم يشك فى ان الاستغاثه بأصحاب القبور — الذين هم بين سعيد شغله نعيمه وتقلبه فى الجنان عن الالتفات الى ما فى هذا العالم ، وبين شقى ألهاه عذابه وحبسه فى النيران عن اجابة مناديه والاصاخة الى أهل ناديه — أمر يجب اجتنابه ولا يليق بأرباب العقول ارتكابه ، ولا يغرنك المستغيث بمخلوق قد تقضى حاجته وتنجح طلبته فان ذلك ابتلاء وفتنه منه عز وجل ، وقد يتمثل الشيطان للمستغيث فى صورة الذى استغاث به فيظن ان ذلك كرامه لمن استغاث به هيهات هيهات انما هو شيطان أضله وأغواه وزين له هواه ، وذلك كما يتكلم الشيطان فى الاصنام ليضل عبدتها الطغام ، وبعض الجهله يقول : ان ذلك من تطور روح المستغاث به ، او من ظهور ملك بصورته كرامة له ولقد ساء ما يحكوون لان التطور والظهور وان كان ممكنين لكن لا فى مثل هذه الصوره وعند ارتكاب هذه الجريرة ، فسأل الله تعالى بأسمائه ان يعصمنا من ذلك ، ونتوسل بلطفه ان يسلك بنا وبكم احسن المسالك) [1] .

وجاء فى تحفه الاحوذى (اما التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد مماته وكذا التوسل بغيره من اهل الخير والصلاح بعد مماتهم فلا يجوز ، وعرض لنا راى ابن تيميه فى عدم الجواز واستدلاله بالعدول عنه صلى الله

---

(١) تفسير الامام الالوسى جـ ٦ ص ١٢٤ ، ١٢٩ بتصرف .

عليه وسلم واللجوء الى عمه العباس وكذلك اللجوء الى يزيد بن الاسود ، فاللجوء عن المفضول للفاضل لا يقع وخاصة اذا كان المفضول هو المصطفى صلى الله عليه وسلم الا لما تعذر ان يتوسلوا به على الوجه المشروع الذى كانوا يفعلونه) [1] .

وجاء فى كتاب مصرع الشرك والخرافه رأى شيخ الاسلام ابن تيمية (قال طائفه من السلف : كان أقوام يدعون الملائكة والانبياء فقال الله تعالى : هؤلاء الذين تدعونهم هم عبادى كما انتم عبادى ، يرجون رحمتى كما ترجون رحمتى ويخافون عذابى كما تخافون عذابى ، ويتقربون الى كما تتقربون الى . فنهى سبحانه عن دعاء الملائكة والانبياء ، مع اخباره لنا أن الملائكة يدعون لنا ويستغفرون ، ومع هذا فليس لنا ان نطلب ذلك منهم وكذلك الانبياء والصالحون وان كانوا احياء فى قبورهم وان قدر أنهم يدعون للاحياء ، وان وردت به آثار فليس لاحد ان يطلب منهم ذلك ، ولم يفعل ذلك احد من السلف ، لان ذلك ذريعه الى الشرك ، وعبادتهم من دون الله تعالى ، بخلاف الطلب من احدهم فى حياته فانه لا يفضى الى الشرك ، ولان ما تفعله الملائكة ويفعله الانبياء والصالحون بعد الموت هو بالامر الكونى ، فلا يؤثر فيه سؤال السائلين ، بخلاف احدهم فى حياته ، فانه يشرع اجابه السائل ، وبعد الموت انقطع التكليف عنهم .

قال تعالى : (وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ) [2] .

فبين سبحانه ان من اتخذ الملائكة والنبيين اربابا فهو كافر ولو كان من أعبد الناس ، ومهما ادعى انه من اصحاب الخير والقربات .

والذى يجب التنبيه عليه ، وان لا يفعله المسلم ، ان مالا يقدر عليه الا الله تعالى ، لا يجوز الا ان يطلب منه سبحانه : فلا يطلب ذلك من الانبياء ، ولا من الملائكة ولا من الصالحين وغيرهم . ولا يجوز أن يقال لغير الله : اغفر لى . واسقنا الغيث ، وانصرنا على

---

(١) تحفه الاحوذى ج ١٠ ص ٣٧ ، ٣٨ بالمعنى .

(٢) سورة ال عمران آيه ٨٠ .

القوم الكافرين أو احد قلوبنا أو نحو ذلك . ولهذا روى الطبراني في معجمه قصة ايذاء المنافق للمؤمنين واستغاثتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان امير المؤمنين عمر يقول في دعائه : اللهم اجعل عملى كله صالحا ، واجعله لوجهك خالصا ، ولا تجعل لاحد فيه شيئا .

وفي دعاء موسى ، عليه السلام : اللهم لك الحمد ، واليك المشتكى وبك المستغاث وانت المستعان ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة الا بك)[١] .

وقال صاحب الايمان وآثاره (ان الدعاء مأذون فيه ما لم يكن ذريعة الى منهى عنه ، كسؤال الدعاء من الميت والغائب لما فيه من مظنة الاعتقاد بعلم الغيب .

وقال اما من كان في العالم الغيبي فكل شئ منه غائب علينا فلا تعلم هل دعا لنا ولم يرد الشرع بدعائهم لنا .

وقال قد غلب الجهل بالدين وضعفنا الثقة برب العالمين ، واعتمد الناس من سموهم اولياء صالحين ، وعدلوا على التوسل بهم في قضاء مطالبهم ، وغالوا في اعتباره وتشددوا في التمسك به وبادروا الى الانكار على اراد بيان المشروع منه لهم ولم تزل مسألة الوسيلة حديث المجالس منذ ازمنه طويلة)[٣].

وقال الشيخ الامام ابن تيميه (واما دعاء غير الله والاستعانة بغيره فلا يجوز وان جاز ان يتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم - اى في حال حياته لا بعد موته[٤] - ولهذا لم يرد عن السلف انهم توصلوا به بعد موته . ولا يجوز ان يقول : يا رسول الله اغفر لى ، ولا يارسول الله ارحمنى ولا تب على ولا اعنى ، ولا انصرنى ، ولا اغثنى ، ولا افتح عينى من العمى لابصر بهما ولا يدعى الا الله وحده ، ولا يعبد الا الله وحده لا شريك له (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)[٥] ولا يجوز

---

(١) مصرع الشرك والخرافه - تحت عنوان الاستغاثه بغير الله ودعاء غيره ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
(٣) الايمان وآثاره ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ باختصار .
(٤) وضرب لنا مثل بحديث الرجل الضرير السابق ذكره في ص ٦٧
(٥) سورة الجن آيه ١٨ .

أن يدعى احد من الملائكة ولا النبيين ، فكيف بالمشايخ والملوك والامـــراء : لهم حقوق ، كل بحسبه فيما امر الله به ورسوله .

وأما العبادة والاستعانه وتوابعها فلله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)(١)

وجاء فى كتاب مسائل الجاهلية التى خالف فيها رسول الله صلى الله عليـــه وسلم أهل الجاهليه انمنها (الغلو فى الصالحين من العلماء والاوليـــاء ، كقوله تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّـــهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُـــونَ . اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ . عَمَّا يُشْرِكُونَ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)(٢) فاتخـــاذ احبار الناس اربابا يحللون ويحرمون ويتصرفون فى الكون وينادون فى دفع ضـر أو جلب نفع من جاهلية الكتابيين ، ثم سرى الى غيرهم من جاهلية العرب ، ولهم اليوم بقايا فى مشارق الارض ومغاربها تصديقا لقول النبى صلى اللـــه عليه وسلم " لتتبعن سنن من كان قبلكم "(٣) الحديث - حتى نرى غالـــب الناس اليوم معرضين عن الله وعن دينه الذى ارتضاه ، متوغلين فى البدع ، تائهين فى أوديه الضلال ، معادين للكتاب والسنة ومن قام بهما ، فاصبح الدين منهم فى أنين ، والاسلام فى بلاء مبين وحسبنا الله ونعم الوكيل)(٤) .

---

(١) ســـورة الفاتحه آيه ٥ .
مختصر الفتاوى المصريه - كتاب الايمان والنذور - التوسل بغير اللـــه ودعاؤه فصل ص ٥٩٦ باختصار .

(٢) سورة التوبه ايه رقم ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

(٣) صحيح الامام البخارى المجلد الثانى ج ٤ كتاب بدء الخلق باب ما ذكـر عن بنى اسرائيل ص ٢٠٦ غير ان لفظ (كان) غير موجود فى الاصل ص ٢٠٦ .
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد السادس ج ١٦ كتاب العلم باب النهى عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهى عـــن الاختلاف فى القرآن " لتتبعن سنن الذين من قبلكم " ص ٢١٩ .
* سنن ابن ماجه ج ٢ كتاب الفتن باب ١٧ افتراق الامم حديـــث رقم (٣٩٩٤) ولفظه لتتبعن سنة من كان قبلكم ص ١٣٢٢ .
* ذكره الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم ولـم يخرجاه بهذا اللفظ واقره الذهبى . انظر ج ١ كتاب الايمان ص ٣٧ .

(٤) مسائل الجاهليه - المسائله السادسة عشره - الغلو فى الصالحـين ص ٢٥ ، ٢٦ .

وجاء فى المنحه المحمديه فى بيان العقائد الشرعيه من البدعـــــة
(وأما التوسل الواقع من العوام المغفلين والاغبياء الجاهلين ، وبعـــض الحمقى من المتعالين بسؤاله تعالى بأشخاص من الانبياء والصالحين ممـــا لا يعد قربة ولا وسيلة لهم الى الله لانه لا عمل لهم فيه فانه بدع مـــن القول وزور وضلال من اللعين وغرور ، وهو قطعا غير مشروع ، بل هو من عمـل المشركين ، الذين سرى الى بعض المسلمين من اهل الكتاب كما سرى اليهـم من الوثنيين ، كقولهم ، أسألك بحق النبى عليك ، بحق قبره المعظـــم او قبته عليك ، أو بجاهه او بركته عليك يانبى الله سفتك على ربك ، سله لى النصر ، سله لى المغفره أو قضاء حاجتى او شفاء مريض أو تفريج كربـــتى أو تيسير معيشتى اغثنى يا رسول الله ادركنى يا نبى الله ، نظره الينـــا بعين الرضا ، مدد يا اهل بيت النبى وكذا قولهم عند قبور الاولياء يا أهـــل الله يا رجال الله ، العارف لا يعرف والشكوى لاهل البصيره عيب ، خــذوا بالكم معانا ، راعونا يا أسيادى نحن فى حسبكم نحن فى جيرتكم ،احلتكم علـى كل من ظلمنا وجاء علينا ، تصرفوا لى فيه ، بينوا لى فيه ، وكذا قول بعــض ارباب العمائم .

يا آل طه عليكم حملتى حسبت ... ان الضعيف على الاجواد محمول

او ياسادتى من ايكم لرغبة فيكم جبر ... ومن تكونوا ناصر به ينتصــــر

أو كقوله بعضهم فى صورة شكواه التى رفعها للسـيد البدوى رضى اللـــه عنه بعد كلام سخيف[1] قدمـــه .

فجئنا حماكم نرفع الامر سيدى ... ونطلب دين الله والله ناصـــر

الى ان قال

فقل يا طويل الباع ها قد اجبتك ... بكل الذى ترجون والله جابـــر

كل هذا مما يعلم الله ورسوله وأهل التوحيد الخالص انه وما شاكله عـين

---

(١) السخف ــ ضعف العقل ونقصه ــ انظر تهذيب اللغة لابن منصور ج ٧ ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

الشرك والكفر وعين المحاراه لله ورسوله فلا حياهم الله ولابياهم ولاجزاهم اخيرا ولا رض عنهم حتى يتوبوا ويتبرءواوا ويعرفوا الله حقه (وهذا) منهم هو بعينه كقول وفعل الذين (يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَالَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ)[1] ـ والذين قالوا : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ)[2] فلا حول ولا قوة الا بالله (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ)[3] .

يا علماء الدين ويا ملوك المسلمين أى رزء[4] للاسلام أشد من الكفر ؟ وأى بلاء لهذا الدين أضر عليه من عباده غير الله ؟

اللهم انى أسألك ايمانا يباشر قلبى حتى أعلم أنه لا يصيبنى الا ما كتبته لى ، اللهم انى أعوذ بك أن أشرك بك وانا اعلم واستغفرك لما لا أعلم)[5]

وقد الف الدكتور سيد عويس[6] كتابا سماه رسائل الى الامام الشافعى ، وتحدث فيه عن ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى فقال فى مقدمة كتابه (أهم البيانات التى كانت مستقاة من الرسائل التى يرسلها ، عن طريق البريد ، بعض أعضاء مجتمعنا المصرى المعاصر الى ضريح الامام الشافعى يشكون اليه فيها ، أى يشكون الى الامام الشافعى ، نفسه فى هذه الرسائل بعض أحوالهم ومايواجهونه من عنت ومن ظلم أو يطلبون منه فيها قضاء بعض الحاجات) ثم عرض لنا مجموعة ضخمه من الرسائل المرسله اقتصرت منها على الاتى : (٧ ـ سيده قدمت شكواها ضد اخر ذكرته ، بسبب ادعاء الغير كذبا ، : ..... وبعد ان عرضت شكواها ، ذكرت طلباتها قائله : .... تحكم بالعدل يا امام ياشفعى وتبيلنا[7] يا امام

---

(١) سورة يونس ايه (١٨) .
(٢) سورة الزمر آيه (٣) .
(٣) سورة الاعراف آيه (١٩٤) .
(٤) رزء ـ المصيبه والاسم الرزئيه انظر تهذيب اللغة لابن منصور ج ١٣ ص ٢٤٩ .
(٥) المنحه المحمديه فى بيان العقائد الشرعيه من البدعيه (القاعده العشرون ص ١٠٦ : ١٠٨ باختصار .
(٦) المستشار بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة .
(٧) يا شافعى وتبين لنا .

يا شافعى بذنب ثلاث ولايات وقضتا [١] يا امام يا شافعى ووقعنا فى عرد ك [٢] يا شفعى ... نبـين للرمــه [٣] على سطحنا الدرة فبين لنا يا امام يا شافعى وتنقذنا من البلوه يا امام يا شافعى (فلانه) [٤] .

وأخرى بعد العرض تقول (... وكل ولى فى الارض والسمــاء يحضروا قضيتى هذه ، ويكون ذلك الحكم مشمولا بالنفاذ ، بالدمار والخراب ، والمرض والموت والهلاك حيث انى لم يكن لى سند ولا قصد ولا ملجأ الا اللــه وسركم الذى عم الكون .

بناء عليه : التمس من فضيلتكم صدور الامر والنظر بعين البصيرة فى هــذه الشكوى المقدمة منى ضد فلان والحكم فيها باسرع جلسه لانى قد جئتك ... جعلكم الله بجواره فى الرفيق الاعلى امين تحريرا بالبتانون فى ١٨ شــوال سنه ١٣٧٧ ـ مقدمه (فلانه من البتانون) .

مثال اخر : الى جناب المحترم السيد الامام الشافعى ، قاضــى الشريعه ، مقدماه لسيادتك (فلانــه) .

بما انى حرمه فقيره الحال ومسكينه وغلبانه وتغسر فى الذى كســر بيتى وأخذ منى البهائم والبرسيم تغسر فيه وشاركه فى عمره وتخيله باى شاء [٥] فى جميع جسمه او يلقوه مكول [٦] مرمى وانا وليا [٧] مسكينه وشاحته منــك ومن الله وشكوتى ليك وللاه . مقدمته ـ فلانه) [٨] .

---

(١) وليات واقضــى لنا .
(٢) عرضــــك .
(٣) الــذى رمــى .
(٤) انظر رسائل الى الامام الشافعى ص ٢٧٠ باختصــار .
(٥) شــىء .
(٦) مقتــول .
(٧) وليــه .
(٨) الله ـ انظر رسائل الى الامام الشافعى ـ للدكتور سيد عويــس ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ . وقد اعرضت عن ذكر اسماء مقدمى الشكاوى بعــد عن تهمه التشنيع عليهــم .

وجاء في كتاب منفردات القرآن (ومن زعم لا فرق بين طلب الدعاء والشفاعة منه صلى الله عليه وسلم بين حال الحياة والممات : لانه حي في قبره ، فكأنه يدعي انه اعلم من الصحابه ، وسائر ائمة السلف لانهم لم يفطنوا الى ما فطن اليه .

وكأني بهؤلاء يسفهون رأي عمر رضي الله عنه حيث لم يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بل عدل عنه الى العباس رضي الله عنه ، ولو كان الامر لهؤلاء المبتدعة لهرعوا الى قبره صلى الله عليه وسلم ، ولتشققت حناجرهم بالنداء باسمه الشريف . ولكن الصحابة بحصانة عقولهم ، ونور ايمانهم ، وعلمهم الصحيح بحقوق الله ورسوله ومعرفتهم الكاملة بربهم ونبيهم وعقيدتهم فرقوا بين الحالين ، وان شئت فقل : بين الحياتين .

وهذا امام الصحابة — بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم — ابو بكر رضي الله عنه يقول : " من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت " .

فان قال قائل : أليست الشفاعه ثابته للنبي صلى الله عليه وسلم ؟ فلماذا لا تتوجه الى الله بموجب هذه الشفاعة ؟

قلنا له : انه عليه الصلاة والسلام — الان — موعود بالشفاعه في اليوم الاخر ، ووعد الله حق ، لكنها مشروطه بالاذن والرضا .

(مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (١) (يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) (٢) (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ) (٣) (وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ) (٤) فينبغي لمن اراد ان يدعو بطلب الشفاعة ان يقول : اللهم لا تحرمني شفاعة صلى الله عليه وسلم ، او اللهم شفعه في . وأمثال ذلك ولو كانت تطلب منه صلى الله عليه وسلم — الان — لجاز لنا ان نطلبها ايضا ممن وردت الشفاعة لهم كالقرآن والملائكة وأطفال المؤمنين ، والصالحين .

---

(١) سورة البقرة آيه (٢٥٥) .
(٢) سورة طه آيه (١٠٩) .
(٣) سورة الانبياء آيه (٢٨)
(٤) سورة النجم آيه (٢٦) .

ولجاز لنا ان تدعوهم ،ونلتجئ ، ونرجوهم بهذه الشفاعه ،فتصير اذا والمشركين الاولين فى طريق واحد ، لا نفترق عنهم الا بالاعمال الظاهره من صلاة وصيام ونطق بكلمه التوحيد من غير عمل بها ، ومن غير اعتقاد لحقيقتها .

ونقول ايضا : ان الرسول صلى الله عليه وسلم بين لنا ان أسعد الناس بشفاعته من قال : لا اله الا الله خالصا من قلبه ، كما فى حديث البخارى عن أبى هريرة[1] وشاهده فى صحيح مسلم عن أبى هريره قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لكل نبى دعوة مستجابه فتعجل كل نبى دعوته وانى اختبأت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة ، فهى نائله – ان شاء الله – من مات لا يشرك بالله شيئا "[2] .

فحقيقه الشفاعه المأذون فيها ، أن يتفضل الله سبحانه وتعالى على أهل الاخلاص والتوحيد ،فيغفر لهم بدعاء الشافعين الذين أذن لهم فى المشفوع ليكرمهم على حسب مراتبهم .

وينال نبينا صلى الله عليه وسلم منه المقام المحمود الذى يغبطه به الاولون والاخرون . وقد نفى القرآن الكريم الشفاعة الشركيه فى كثير من آياته كقوله تعالى : (فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ)[3] (فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)[4] (فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا)[5] (وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ)[6] (وما نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ)[7] .

ومن تأمل هذه الايات الكريمه وغيرها مما جاء فى معناها علم أن المقصود بنفى الشفاعة ، نفى الشرك وهو أن لا يعبد الا الله .

---

(١) سبق تخريجه فى ص ١٠١
(٢) سبق تخريجه فى ص ٩٢
(٣) الشعراء آيه ١٠٠ .
(٤) سورة المدثر آيه ٤٨ .
(٥) سورة الاعراف آيه ٥٣ .
(٦) سورة الروم آيه ١٣ .
(٧) سورة الانعام آيه ٩٤ .

وقد ارسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم ـ بل وجميع الرســـل عليهم السلام بكلمه التوحيد ليبعدوا الناس عن ضلالات الالتجاء والشفاعـــة والرجاء والدعاء لغير الله سبحانه وتعالى وعز وجل .

فان قال قائل : ان المشركين كانوا يعبدون هذه الالهة ، ونحـــن لا نعبد الانبياء والصالحين !

قلنا له : ان عبادتهم هى هذا الالتجاء والدعاء والضراعة ، وهل كان ود ، وسواع ويغوث ويعوق ونسر الا اولياء وصالحين ؟ يقول عبد الله بـــن عباس وغيره : هؤلاء قوم صالحون كانوا فى قوم نوح فلما ماتوا عكفـــوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم .

فان قال قائل ، ان الداعى الذى يلجأ الى قبور الاولياء والصالحين لا يريد بعمله الا التقرب الى الله ، والزلفى اليه ، والشفاعة عنده ، والتوسط بهؤلاء الذين هم اقرب منه الى الله واحب !

قلنا له : ان هذا هو عين ما اراده المشركون الاولون ، فان قـــال قائل : ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : اذا اعيتكم الامور فعليكم باهل القبـــور)[1] .

قلنا له : كيف يأمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم باللياذ بالموتى ، وهو الذى نهى امته قبل أن يموت بخمس[2] عند تشييد القبور والقباب حيـــث يقول : " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد"[3].

---

(١) سبق تخريجـــه فى ص ١٩٨

(٢) (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخصص القبر وان يعقد عليـــه وان يبنى عليه) انظر صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الثالث ج ٧ كتاب الجنائز باب النهى عن تخصيص القبر والبناء عليـــه والجلوس عليه ص ٠٣٧ كتاب الجنائز .

* سنن ابـــى الترمذى ج ٣ كتاب الجنائز باب ٥٨ ما جاء فى كراهيه تخصيص القبور والكتابه عليها رقم (١٠٥٢) ص ٢٦٨

(٣) * صحيح الامام البخارى المجلد الاول ج ١ ـ كتاب الصلاة ـ باب هل تنبـــش قبور مشركى الجاهليه ويتخذ مكانها مساجد ص ١١٦ ، ج ٢ كتاب الجنائز ـ باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ص ١١١ المجلد الثانى ج ٤ كتاب بدء الخلق باب ما ذكر عن نبى اسرائيل ص ص ٢٠٦ .

* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الثانى ج ٥ كتـــاب المساجد ومواضع الصلاه باب النهى عن بناء المسجد على القبور ص ١٣ . والنص له .

تقول امنا عائشه رضى الله عنها : "كان يحذر ما صنعـــوا" .

ثم ـ كيف يأمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بأن نلجأ الى الموتى ، وربه سبحانه وتعالى يأمره ويأمرنا معه بأن نلجأ الى الحى الذى لا يموت : (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ) (١) .

وجاء فى مصرع الشرك والخرافه تحت عنوان " انك ميت وانهـــم ميتون " والقول أن الاولياء حياء فى قبورهم يصلون ، كلام غير مقبول . فـــلا الاولياء ولا غيرهم من الموتى يملكون ان يصلوا احدا بعد أن ماتوا وانقطعـت أعمالهم ، واصبحوا غير قادرين على فعل شئ . والله تعالى فى كتابـــه العـــزيز : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) (٢) .

ومن نتائج الموت شكل الحركة . ووقف اعضاء الجسم عن العمل وفقدان الحواس ، ثم بعد ذلك يتحلل الجسد طعاما للدود وتصير عظامه طعامـــا للسوس . ولا يمكن لانسان يتمتع بذرة من العقل السليم أن يقرر أن الذى مات وفقد حركته وتعطلت جوارحه ، يستوى هو والذى مازالت تدب فيه الروح وتمده بالشعور والفكر وكل مظاهر الحياه ...

وكيف يستوى الحى والميت ؟ ! والقرآن الكريم يقرر عدم امكان هذا فى قوله تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّـــلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ) (٣) .

كما ان الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، ينفى قدرة الميت على فعـــل اى شئ بعد مماته . فيقول : " اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا مـــن ثلاث : صدقة جاريه او علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " (٤) وهـــذه

---

(١) سورة الفرقان ايه (٥٨) * انظر من مفردات القرآن ص١٥٠ : ١٥٧ باختصار
(٢) ســورة الزمر آيـــه (٣٠) .
(٣) سورة فاطر (١٩ــ٢٢) .
(٤) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الرابع ج ١١ كتاب الوصيه باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد وفاته ص ٨٥ .
* سنن الترمذى ج ٣ كتاب الاحكام (٣٦) باب فى الوقف حديث رقـــم (١٣٧٦) وقال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح ص ٦٦٠ .
* سنن النسائى المجلد الثالث ج ٦ كتاب الوصايا باب فضل الصدقه عـــن الميت ص ٢٥١ .
* سنن ابى داود ج ٢ كتاب الوصايا باب فيما جاء فى الصدقة عـــن الميت ص ١٠٦ .

الثلاث من سعيه وعمله وكسب يده قبل مماته .

وقال كذلك تحت عنوان " هل يسمع الميت الدعاء ويستجيب " ان الميت لا يمكنه سماع من يدعوه ، ويطلب منه قضاء شيء مهما اطال في الدعاء واكثر منه . وقد أخبر الله تعالى عن ذلك فقال سبحانه : (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ، إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)[1] ويقول تعالى : (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ)[2] .

وذكر كذلك تحت عنوان " من أفعال القبور بين الشفعاء "

(القبوريون اليوم — وقبله بقرون عديدة — وقعوا فيما وقع فيه المشركون السالفون ، يصرفهم جل العبادات للقبور المقدسة لديهم ، كالنحر لها والطواف حولها والاستغاثه بها والتبرك بقرابها ، وطلب الشفاء منها وشد الرحال اليها . لقد صرفت الاموال الباهظة من أجل القبور ، وعفروا على اعتابها الخدود ، وكثرت الاستغاثات وطلب قضاء الحاجات من الغائبين والاموات ، وفي بعض الجهات تقدم الجهلاء عرائض الشكوى وطلب الحاجات الى اولئك المقبورين الرفات ، وهكذا يتقدمون بعرائضهم وتضرعاتهم وتوسلاتهم التى لا يجوز ان تصرف لغير الله فمن هذه الاقوال :

أريد ايها الشيخ ولدا ، ويريد الاخر وظيفه ، وذلك يستغيث من ظالم ظلمه ، وتلك تريد ولدا او زوجا او غيره . وهكذا دواليك ولا أدرى — ايعتقدون ان الله لا يعلم بحاجاتهم ؟ او لا يجيب دعواتهم ؟ أو أنه وكل هؤلاء الموتى بقضاء حوائج السائلين ؟ إما قرع سمعهم قوله تعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)[3] .

---

(١) سورة فاطر ايه ١٣ — ١٤ .
(٢) سورة الاحقاف ايه ٥ .
(٣) سورة البقره آيه ١٨٦ .

وقوله تعالى : (ادْعُونِي اسْتَجِبْ لَكُمْ) [1] ولم يقل : ادعوا اوليائى وانبيائى ؟! اما اسمعوا قوله تعالى : (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ) [2] ؟ !.

أما فهموا ان الله لم يرسل الرسل ـ وافضلهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الا لمحو الوثنية من الارض ، واقامة صرح التوحيد ؟ ! أما كان كل رسول يقرع اسماع قومه أول مرة : (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ) [3] ؟ أما أبطل الله عبادة المسيح وسفه احلام عابديه ؟! أما قال : (وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ) [4] ؟ !

وقال تحت عنوان " مكاتبة الاولياء ومراسلتهم " .

(ومن البدع السيئه ما يصنعه العامة من تقديم عرائض الشكوى والقائها داخل الضرائح [5] والقبور ، كضريح السيد البدوى والسيدة زينب وغيرهما ، زاعمين أن صاحب الضريح يفصل فيها ، وربما كان المطلوب الحاق الاذى بمسلم أو مسلمة . فعلى العلماء ان يبينوا لهؤلاء الجاهلين أحكام شرع الله ، ومنازل أصحاب الضرائح عنده والى من ينبغى ان ترفع هذه الشكاوى) .

وقال (امر الشارع الحكيم بزيارة القبور للاتعاظ والاعتبارات ، وفى ذلك خير واحسان للاحياء والاموات . ولم تشرع الزيارة لمناجاة أهل القبور ودعائهم لقضاء الحوائج ، كما يفعل الجهله والمبتدعة والمنحرفون . ولكنها شرعت للاستغفار والدعاء للميت ، والعبره للحى ليستعد لرحلة الابد ـ الموت ـ

---

(١) سورة غافر آيه ٦٠ .
(٢) سورة النمل آيه ٦٢ .
(٣) سورة الاعراف آيه ٥٩ .
(٤) آل عمران آيه ٨٠ .
(٥) ضريح تجمع على ضرائح وأضرحه وقد انفردت بعض كتب اللغه بلفظ ضرائح مثل لسان العرب والبعض استخدم اللفظين مثال القاموس الاسلامى جـ ٤ ص ٤٠٦ . وقال عباس أبو السعود فى كتابه الفيصل فى الوان الجموع تحت عنوان البناء الثالث (أفعله) كرغيف وأرغفه وقال (يضرد فى جمع اسم مذكر رباعى قبل آخره مد) ص ٤٢ .

الواقعه لا محالة . ومما يؤسف له أن يقع بعض ابناء امتنا اسرى للهوى والضلال وتنطلى عليهم الخرافات وحيال الاباطيل ، فينساقون طائعين مختارين مما افسد معتقداتهم ، فالتقوا مع عبدة الاوثان ، واصبحوا عبيدا للاهواء والشيطان وهكذا صرعتم ضلالاتهم فباؤوا بالويل والخسران)[1] .

وقال صاحب كتاب اغاثه اللهفان (بدل أهل البدع والشرك قـولا غير الذى قيل لهم : بدلوا الدعاء له بدعائه نفسه ، والشفاعة لـه بالاستشفاع به وقصدا بالزيارة التى شرعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم احسانا الى الميت واحسانا الى الزائر ، وتذكيرا بالاخرة : سـؤال الميت ، والاقسام به على الله ، وتخصيص تلك البقعه بالدعاء الذى هـو مخ العبادة ، وحضور القلب عندها ، وخشوعه اعظم منه فى المساجد ، وأوقات الاسحار . ومن المحال ان يكون دعاء الموتى ، أو الدعاء بهم ، أو الدعاء عندهم ، مشروعا وعملا صالحا ، ويصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنـص رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، ثم يرزقه الخلوف الذيـن يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون .

فهذه سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى أهـل القبـور بضعا وعشرين سنه ،حتى توفاه الله تعالى ،وهذه لسنة خلفائـه الراشدين وهذه طريقه جميع الصحابه والتابعين لهم باحسان ، هل يمكـن بشر على وجه الارض أن يأتى عن احد منهم بنقل صحيح ، أو حسـن ، أو ضعيف أو منقطع انهم كانوا اذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعـوا عندها ، وتمسحـوا بها ، فضلا ان يصلوا عندها ، أو سالوا الله بأصحابها او يسألوهم حوائجهـم . فليوقفونا على أثر واحد . او حرف واحد فى ذلـك بل يمكنهم ان يأتوا عن الخلوف التى خلفت بعدهم بكثير من ذلك ، وكلمـا تأخر الزمان وطال العهد ، كان ذلك اكثر ،حتى لقد وجد فى ذلك عـدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، ولا عـن خلفائه الراشدين ، ولا عن أصحابه حرف واحد من ذلك بل فيها مـن

(١) انظر مصرع الشرك والخرافه من ص ٢٨١ : ٢٩٠ باختصـار .

خلاف ذلك كثير) ٠

هنا يرى صاحب كتاب اغاثه اللهفان ان التوسل بالموتى بدعه وضلال وأنه لم يصدر فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولا فى عهد الصحابه رضوان الله عليهم وبدأ يعرض لنا بعض آثار الصحابه التى تثبت ما قاله فقال :

(وأما اثار الصحابه فاكثر من ان يحاط بها ٠ وقد ذكرنا انكار عمر رضى الله عنه على انس رضى الله عنه صلاته عند القبر ٠ وقوله له : القبر ، القبر عن ابى خلدة خالد بن دينار قال : حدثنا أبو العالية قال " لما فتحنا تستر وجدنا فى بيت مال الهرمزان سريرا عليه رجل ميت ، عند رأسه مصحف له ، فاخذنا المصحف ، فحملناه الى عمر ابن رضى الله عنه ، فدعا له كعبا ، فنسخه بالعربيه ٠ فأنا أول رجل من العرب قرأه ، قراته مثل ما أقرأ القرآن فقلت لابى العالية : ما كان فيه ؟ قال سيرتكم واموركم ولحون كلامكم ، وما هو كائن بعد ٠ قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال : حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقه ، فلما كان الليل وقتاه وسونيا القبور كلها ، لتعميته على الناس كى لا ينبشونه ، فقلت وما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء اذا حسبت عنهم ابرزوا السرير فيمطرون فقلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : رجل يقال له : دانيال ، فقلت فذكم وجدتموه مات؟ قال : مذ ثلاثمائه سنة ، قلت : ما كان تغير منه شىء ؟ قال لا ، الا شعيرات من قفاه ، ان لحوم الانبياء لا تبليها الارض ، ولا تأكلها السباع " ففى هذه القصة ما فعله المهاجرون والانصار من تعميه قبره لئلا يفتتن به الناس ، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ، ولو ظفر به المستأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ، ولعبدوه من دون الله ، فهم قد اتخذوا من القبور أو ثانا من لا يدانى هذا او لا يقاربه وأقاموا لها سدنة وجعلوها معابد أعظم من المساجد ٠

فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة أو سنه أو مباحا لنصب المهاجرون والانصار هذا القبر علما لذلك ٠ ودعوا عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التى خلفت بعدهم وكذلك التابعون لهم باحسان راحوا على هذا السبيل ، وقد كان عندهم من قبور اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالامصار

عدد كثير ، وهم متوافرون . فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ، ولا دعاه ولا دعا به ، ولا دعا عنده ، ولا استشفى به ، ولا استسقى به ، ولا استنصر به ، ومن المعلوم ان مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعى على نقله ، بل على نقل ما هو دونه .

وحينئذ ، فلا يخلو ، اما ان يكون الدعاء عندها والدعاء بأربابها أفضل منه فى غير تلك البقعة ، أو لا يكون ، فان كان أفضل ، فكيف خفى علما ، وعملا على الصحابه والتابعين وتابعيهم ؟ فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهله بهذا الفضل العظيم وتظفر به الخلوف علما وعملا ؟ ولا يجوز أن يعلموه ويزهدوا فيه ، مع حرصهم على كل خير لا سيما الدعاء ، فان المضطر يتشبث بكل سبب ، وان كان فيه كراهة ما ، فكيف يكونون مضطرين فى كثير من الدعاء ، وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم لا يقصدونه ؟ هذا محال طبعا وشرعا .

وقد انكر الصحابة ماهو دون هذا بكثير .

فروى غير واحد عن المعرور بن سويد قال " صليت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى طريق مكة صلاة الصبح ، تقرأ فيها : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) (١) ـ و (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ) (٢) ثم رأى الناس يذهبون مذاهب ، فقال : اين يذهب هؤلاء ؟ فقيل : يا امير المؤمنين ، مسجد صلى فيه النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، فهم يصلون فيه ، فقال : انما هلك من كان قبلكم بمثل هذا ، كانوا يتبعون آثار انبيائهم ، ويتخذونها كنائس وبيعا ، فمن ادركته الصلاة منكم فى هذه المساجد فليصل ، ومن لا فليمض ، ولا يتعمدها وكذلك ارسل عمر رضى الله تعالى عنه أيضا فقطع الشجره التى بايع تحتها اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

---

(١) سورة الفيل آيه (١) .
(٢) سورة قريش آيه (١) .

بل قد انكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على الصحابه لما سألوه أن يجعل لهم شجره يعلقون عليها أسلحتهم ومتاعهم بخصوصها فروى البخارى فى صحيحه عن أبى واقد الليثى قال " خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قبل حنين . ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة ، يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات انواط . كما لهم ذات انواط ، فقال النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : " الله اكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل :(اجْعَل لَّنَآ إِلَٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) (١) لتركبن سنن من كان قبلكم " (٢) .

فاذا كان اتخاذ هذه الشجره لتعليق الاسلحة والعكوف حولها اتخاذ اله مع الله تعالى مع انهم لا يعبدونها ، ولا يسألونها . فما الظن بالعكوف حول القبر ؟ لو كان اهل الشرك والبدعه يعلمون .

قال بعض اهل العلم من أصحاب مالك : فانظروا رحمكم الله اينما وجدتم سورة او شجره يقصدها الناس ، ويعظمونها ، ويرجون البرء والشفاء من قبلها ، ويضربون بها المسامير والخرق فهى ذات أنواط ، فاقطعوها .

ومن له خبره بما بعث الله تعالى به رسوله ، وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم فى هذا الباب وغيره ، علم أن بين السلف وبين هؤلاء الخلوف من البعد أبعد مما بين المشرق والمغرب وأنهم على شئ والسلف على شئ كما قيل .

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

والامر والله أعظم مما ذكرنا .

وقد ذكر البخارى فى الصحيح عن أم الدرداء رضى الله عنها قالت دخل على أبو الدرداء مغضبا ، فقلت له : مالك ؟ فقال : والله ما أعرف فيهم شيئا من أمر محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، الا انهم يصلون جميعا (٣) وروى مالك فى الموطأ عن عمه ابى سهيل بن مالك عن أبيه أنه

---

(١) سورة الاعراف آيه ١٣٨ .
(٢) سبق تخريج الحديث ص ٢٠٧
(٣) صحيح الامام البخارى ـ المجلد الاول جـ ١ كتاب الصلاة باب فضل صلاة الجماعة ص ١٦٦ .

قال : ما اعرف شيئا مما ادركت عليه الناس الا النداء بالصلاة)[1] يعـــنى الصحابه رضى الله عنهم .

وقال الزهرى : دخلت على انس بن مالك بدمشق وهو يبكى ، فقلت له : ما يبكيك ؟ فقال : ما اعرف شيئا مما ادركت الا هذه الصلاة ،وهذه الصلاة قد ضيعت) .

وقال الحسن البصرى : " سأل رجل ابا الدرداء رضى الله عنـــه فقال : رحمك الله . لو أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وســـلم بين أظهرنا ، هل كان ينكر شيئا مما نحن عليه ؟ مغضب واشتد غضبه ، وقال : وهل كان يعرف شيئا مما انتم عليه ؟ " ثم بعد ذلك ذكر لنا الامور الـتى أوقعت عباد القبور فى الافتتان بها واللجوء اليها عند الحاجه فقال : (اوقعهم فى ذلك أمور : منهـــا .

الاعتماد على الاخبار التى تناقض دين الله والتى وضعها المشركون وراجت على أشباههم من الجهال الضلال مقال حديث إذا اعينكم الامـــور فعليكم باصحاب القبـــور "[2] .

حكايات حكيت عن استجابه مطالب بعـض الناس بعد ما استغـــاث بغير فلان) ثم وضح الفرق بين زيارة الموحدين للقبـــور ، وزيارة المشركين فقال : (اما زيارة الموحدين : فمقصودها ثلاثة أشياء .

احدها : تذكر الاخرة والاعتبار والالفاظ .

الثانى : الاحسان الى الميت ،وأن لا يطول عهده به ،فيهجره ، ويتناساه كما اذا ترك زيارة الحى مدة طويلة تناساه ، فاذا زار الحى فـــرح بزيارته وسر بذلك ، فالميت اولى . لانه قد صار فى دار قد هجر اهلهـــا اخوانهم واهليهم ومعارفهم ، فاذا زاره واهدى اليه هديه : من دعـــاء او صدقة ، او اهدى قربة ، ازداد بذلك سروره وفرحه ، كما يسر الحى بمـن

---

(١) موطأ الامام مالك جـ١ ـ كتاب الصلاة رقم (٨) ص ٧٢ .

(٢) سبق ذكر والقول فيه ص ١٩٨

بمن يزوره ويهدى له • ولهذا شرع النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للزائرين ان يدعوا الاهل القبور بالمغفره والرحمه ، وسؤال العافيه فقط • ولم يشرع ان يدعوهم ولا ان يدعوا بهم ولا يصلى عندهم •

الثالث : احسان الزائر الى نفسه باتباع السنة ، والوقوف عند ما شرعه الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، فيحسن الى نفسه والى المزور •

وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ عن عباد الاصنام •

الميت المعظم الذى لروحه قرب ومنزله ومزيه عند الله تعالى لا يزال تأتيه الالطاف من الله تعالى وتفيض على روحه الخيرات ، فاذا علق الزائر روحه به ، وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الالطاف بواسطتها ، كما ينعكس الشعاع من المرآه الصافيه والماء ونحوه على الجسم المقابل له •

قالوا : فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت ، ويعكف بهمته عليه • ويوجه قصده كله واقباله عليه ، بحيث لا يبقى التفات الى غيره • ولكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب الى انتفاعه به وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب مبدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان احيانا • وقد يخاطبهم ببعض الامور الغائبه • وكذلك السجود للقبر ، والتمسح به وتقبيله •

المرتبه الثانية : أن يسأل الله عز وجل به • وهذا يفعله كثير من المتأخرين ، وهو بدعة باتفاق المسلمين •

المرتبه الثالثة : أن يسأل نفسه •

المرتبه الرابعة : ان يظن ان الدعاء عند قبره مستجاب ، أو انه أفضل من الدعاء فى المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنه لاجل طلب حوائجه • فهذا ايضا من المنكرات المبتدعه باتفاق المسلمين • وهى محرمة ، وما علمت فى ذلك نزاعا بين أئمه الدين وان كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك ويقول بعضهم : قبر فلان ترياق مجرب •

والحكاية المنقوله عن الشافعى انه كان يقصد الدعاء عند قبر أبى حنيفه من الكذب الظاهر)[1].

---

(١) اغاثه اللهفان ج ١ ص٢٢١ : ١٢٥ مختصرا ، ص ٢٣٣ بالمعنى ، ص٢٣٦ بتصرف •

وقد ذكر لنا الامام ابن تيميه ان الحكايه المرويه عن الامام مالك مكذوبه فقال فى التوسل والوسيله (حدثنا ابن حميد قال : ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له مالك : يا امير المؤمنين ، لا ترفع صوتك فى هذا المسجد ، فان الله ادب قوما فقال (لَا تَرْفَعُوٓا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ)[1] الايه ومدح قوما فقال : (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ)[2] الايه وذم قوما فقال : (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ)[3] الايه ، وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر ، فقال : يا أبا عبد الله ، استقبل القبله وادعو ؟ ام أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيله ابيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله ، قال الله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا)[4] قلت وهذه الحكايه منقطعه ، فان محمد بن حميد الرازى لم يدرك مالكا لا سيما فى زمن أبى جعفر المنصور ، فان ابا جعفر توفى بمكة سنة ثمان وخمسين ومائه وتوفى مالك سنة تسع وسبعين ومائة وتوفى محمد بن حميد الرازى سنة ثمان واربعين ومائتين ولم يخرج من بلده حين رحل فى طلب العلم الا وهو كبير مع أبيه ، وهو مع هذا ضعيف عند اكثر أهل الحديث ، كذبه ابو زرعه وابن وارة ، وقال صالح بن محمد الاسدى : ما رأيت احدا أجرا على الله منه واحذق بالكذب منه . وقال يعقوب بن شيبيه : كثير المناكير . وقال النسائى : ليس بثقه . وقال بن حبان : ينفرد عن الثقات بالمقلوبات واخر من روى الموطأ عن مالك هو أبو مصعب وتوفى سنة اثنتين واربعين ومائتين . وآخر من روى عن مالك على الاطلاق هو أبو حذيقه احمد بن اسماعيل السهمى توفى سنة تسع وخمسين ومائتين . وفى الاسناد ايضا من لا نعرف حاله .

---

(1) سورة الحجرات آيه ٢ .

(2) سورة الحجرات آيه ٣ (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفره واجر عظيم) .

(3) سورة الحجرات (اكثرهم لا يعقلون) ايه ٤ .

(4) سورة النساء آيه ٦٤

وهذه الحكايه لم يذكرها احد من أصحاب مالك المعروفين بالاخذ عنه ، ومحمد بن حميد ضعيف عند اهل الحديث اذا اسند ، فكيف اذا ارسل حكاية لا تعرف الا من جهته وهذا ان ثبتت عنه ، وأصحاب مالك متفقون على انه بمثل هذا النقل لا يثبت عن مالك . قول له فى مسأله فى الفقه ، بل اذا روى عنه الشاميون كالوليد بن مسلم ومروان بن محمد الطاطرى ضعفوا رواية هؤلاء ، وانما يعتمدون على رواية المدنيين والمصريين ، فكيف بحكاية تناقض مذهبه المعروف عنه من وجوه رواها واحد من الخراسانيين لم يدركه وهو ضعيف عند اهل الحديث ؟

مع أن قوله " وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيامة " انما يدل على توسل آدم وذريته به يوم القيامة ، وهذا هو التوسل بشفاعته يوم القيامة ، وهذا حق كما جاءت به الاحاديث الصحيحة حين تاتى الناس يوم القيامة آدم ليشفع لهم فيردهم آدم الى نوح ثم يردهم نوح الى ابراهيم وابراهيم الى موسى وموسى الى عيسى ويردهم عيسى الى محمد صلى الله عليه وسلم فانه .

ثم ذكر لنا ان هذه الروايه مناقضة لمذهب الامام مالك المعروف من وجوه :

(أحدها) قوله " استقبل القبله وادعوا ، ام استقبل رسول الله وأدعو ؟ " فقال " ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيله أبيك آدم " . فان المعروف عن مالك وغيره من الائمة وسائر السلف من الصحابة والتابعين أن الداعى اذا سلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم أراد ان يدعو لنفسه فانه يستقبل القبلة ويدعو فى مسجده ، ولا يستقبل القبر ويدعو لنفسه ، بل انما يستقبل القبر عند السلام على النبى صلى الله عليه وسلم والدعاء له . هذا قول اكثر العلماء كمالك فى احدى الروايتين والشافعى واحمد وغيرهم . وعند أصحاب ابى حنيفه لا يستقبل القبر وقت السلام عليه ايضا . ثم منهم من قال : يجعل الحجره على يساره ـ وقد رواه ابن وهب عن مالك ـ ويسلم عليه ، ومنهم من قال : بل يستدبر الحجره ويسلم عليه وهذا هو المشهور عندهم ، ومع هذا فكره مالك ان يطيل القيام عند القبور . لذلك قال القاضى عياض فى المبسوط عن مالك قال " لا ارى ان يقف عند القبر النبى صلى الله عليه وسلم يدعو ، ولكن يسلم ويمضى " ثم قال لو فرض ان الحكايه المرويه

عن مالك صحيحه فان سبب ذهابه الى قبره صلى الله عليه وسلم لاجل طلب شفاعته الاستغفار منه بدليل قوله فى آخر الحكايه (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ " [1] . الايه وهؤلاء اذا شرع لهم ان يطلبوا منه الشفاعة والاستغفار بعد موته فاذا اجابهم فانه يستغفر لهم ، واستغفار لهم دعاء منه وشفاعة ان يغفر الله لهم . واذا كان الاستشفاع منه طلب شفاعته فانما يقال فى ذلك " استشفع به فيشفعه الله فيك " لا يقال : فيشفعك الله فيه . وهذا معروف الكلام ، ولغة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسائر العلماء ، يقال : شفع فلان فى فلان فيه . فالمشفع الذى يشفعه المشفوع اليه هو الشفيع المستشفع به ، لا السائل الطالب من غيره ان يشفع له ، فان هذا ليس هو الذى شفع ، فمحمد صلى الله عليه وسلم هو الشفيع المشفع ، ليس المشفوع الذى يستشفع به . ولهذا يقول فى دعائه : يارب شفعنى ، فيشفعه الله ، فيطلب من الله سبحانه أن يشفعه لا ان يشفع طالبى شفاعته ، فكيف يقول : واستشفع به فيشفعك الله ؟

وايضا فان طلب شفاعته ودعائه واستغفاره بعد موته وعند قبره ليس مشروعا عند احد من أئمه المسلمين ، ولا ذكر هذا احد من الائمة الاربعه واصحابهم القدماء ، وانما ذكر هذا بعض المتأخرين : ذكروا حكاية عن النبى أنه رأى أعرابيا أتى قبره وقرأ هذه الايه وأنه رأى فى المنام أن الله غفر له . وهذا لم يذكره أحد من المجتهدين من أهل المذاهب المتبوعين الذين يفتى الناس بأقوالهم ، ومن ذكرها لم يذكر عليها دليلا شرعيا .

ومعلوم أنه لو كان طلب دعائه وشفاعته واستغفاره عند قبره مشروعا لكان الصحابه والتابعون لهم باحسان أعلم بذلك وأسبق إليه من غيرهم ، ولكان أئمه المسلمين يذكرون ذلك ، وما أحسن ما قال مالك " لا يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح أولها " قال : ولم يبلغنى عن أول هذه الامة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك) ثم قال كيف يشرع هذا الإمام التوسل بالأموات مع علمه بأن الصحابه رضوان الله عليهم وتابعيهم لم يصدر منهم مثل هذا ؟ ثم فرق الامام بين السؤال به ودعاؤه (صلى الله عليه وسلم) وبين الاستشفاع به ، فالاستشفاع هو طلب الشفاعه والمشفوع به هو الذى يقوم بالشفاعة

---

(1) سورة النساء آيه (٦٤) .

بين طالب الشفاعه والمشفع اليه ٠ أما الاستشفاع ممن لم يشفع للسائل ولا طلب له حاجه بل وقد لا يعلم بسؤاله فهذا ليس استشفاعا بل هو دعاء به ثم واصل حديثه عن الحكايه المرويه عن الامام مالك فقال :

نعم قد يكون أصلها صحيحا ويكون مالك قد نهى عن رفع الصوت في مسجد الرسول اتباعا للسنة كما كان عمر ينهى عن رفع الصوت في مسجده ، ويكون مالك أمر بما أمر الله به من تعزيزه وتوقيره ونحو ذلك مما يليق بمالك أن يأمر به ٠.

ومن لم يعرف لغة الصحابة التى كانوا يتخاطبون بها ويخاطبهم بها النبى صلى الله عليه وسلم ، وعادتهم فى الكلام والاحرف الكلم عن مواضعه ، فان كثيرا من الناس ينشأ على اصطلاح قوم وعادتهم فى الالفاظ ثم يجد تلك الالفاظ فى كلام الله او رسوله او الصحابة فيظن ان مراد الله او رسوله أو الصحابه بتلك الالفاظ ما يريده بذلك اهل عادته واصطلاحه ، ويكون مراد الله ورسوله الصحابه خلاف ذلك ٠

وهذا الذى نهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم من هذا الشرك هو كذلك فى شرائع غيره من الانبياء : ففى التوراه أن موسى عليه السلام نهى بنى اسرائيل عن دعاء الأموات وغير ذلك من الشرك ، وذكر أن ذلك من أسباب عقوبه الله لمن فعله ٠ وذلك أن دين الانبياء عليهم السلام واحد وإن تنوعت شرائعهم ، كما فى الصحيح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " الانبياء اخوه لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد "(١) .

وقد قال تعالى (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ : أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ)(٢) وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا

---

(١) * صحيح الامام البخارى المجلد الثانى ج ٤ كتاب الانبياء باب وذكر فى الكتاب مريم ص ٢٠٣ ٠
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الخامس ج ١٥ ـ كتاب الفضائل باب فضائل عيسى عليه السلام ص ١١٩ ٠
* مسند الامام احمد ج ٢ ص ٣١٩ ، ٤٠٦ ، ٤٣٧ ٠

(٢) سورة الشورى آيه ١٣ ٠

مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُواْ صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً ، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) (١)

وقال تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) (٢) وهذا هو دين الإسلام الذى لا يقبل الله دينا غيره من الأولين والآخرين) (٣) وقال صاحب الدين الخالص (وأحوط الاقوال وأصح الافعال فى هذا الباب القصر على المورد ، إن صح لان اكثر الخلق لا يعلمون ما يدخل فى هذا من الشرك ، كيف والشرك أخفى دبيب النمل) (٤) .

وقد قام كل من صاحب كتاب شواهد الحق فى الاستغاثه بسيد الخلق وكتاب حقيقه التوسل والوسيله بالرد على الرأى المانع على الإطلاق فجاء فى شواهد الحق (اعلم أن جميع المسلمين مازالوا يعتقدون اعتقادا جازما فيه صلى الله عليه وسلم الموافق للواقع أنه سيد عبد الله على الإطلاق ، وأقرب الوسائل إليه تعالى فى مدة حياته وبعد مماته فى مدة البرزخ ويوم القيامة التى تظهر فيه سيادته صلى الله عليه وسلم على النبيين والخلق أجمعين حتى يكون صاحب الشفاعه العظمى والمنزله الزلفى وحامل لواء الحمد تحته آدم فمن دونه ، وكل الانبياء يقر له بهذه السيادة حين يمنحها الله تعالى فى ذلك اليوم على الأولين والآخرين والخلق أجمعين ، وقد جاء ذلك صريحا فى حديث " انا سيد ولد آدم يوم القيامة " (٥) .

---

(١) سورة المؤمنين آيه (٥١ ، ٥٢ ، ٥٣) .
(٢) سورة الروم آيه (٣٠ ، ٣١ ، ٣٢) .
(٣) قاعده جليله فى التوسل والوسيله لابن تيميه ص ٦٩ ، ٧١ ، ثم من ص ٧٩ : ٨١ ثم ص ١٦٩ ، ١٧٠ بتصرف .
(٤) الدين الخالص ج ٢ ص ١٨٤ .
(٥) سبق تخريجه فى ص ٧٧ .

إلى آخر حديث الشفاعة المذكور به التجاء الناس لسادات الانبياء ، فيعتذر كل واحد منهم ويحيل على من بعده ، إلى أن يحيلهم سيدنا عيسى عليه السلام على الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم فيقبلهم ويقول " أنا لها أنا لها " ويشفع فيشفعه الله تعالى فيهم ، وكان يمكن أن يأتيه الناس أولا ولكن الله تعالى ألهمهم الذهاب إلى سادات الرسل أولا حتى يظهر فضله صلى الله عليه وسلم عليهم وأنه سيد الخلق على الإطلاق ، وأحب الرسل الى الملك الخلاق ، وهذا المعنى وإن لم يعلمه بالتفصيل على هذا الوجه كثير من عوام المسلمين إلا أنهم يعلمون يقينا أنه صلى الله عليه وسلم بالإجمال هو سيد الخلق على الإطلاق فى الدنيا والاخرة ، وأنه مقبول الشفاعه عند الله تعالى فى الدنيا والاخرة ، ويتوسلون به إليه عز وجل ليبلغهم مناهم فى دنياهم وأخراهم فقد شاركوا فى هذا المعنى أعلم العلماء ، واستوى فى علم ذلك الرجال والنساء ، ويربون أولادهم على هذا الاعتقاد الصحيح والايمان الصريح فلا يبلغ الولد سن التمييز إلا ويشاركهم فى هذا العلم فى حق النبى صلى الله عليه وسلم ، وكلما كبر يزداد ذلك رسوخا فى قلبه ونموا بقدر ما قدر الله تعالى له من الهداية والتوفيق ، هذا شأن المسلمين من الأولين والآخرين من عهده صلى الله عليه وسلم إلى الان ، نعم قد شذ عن ذلك فرقة من أهل الإيمان تلاعب بهم الشيطان ، وقد جردوا الانبياء والصالحين بعد مماتهم من كل وصف جميل يكون سببا للتوسل والتشفع بهم إلى الله تعالى وجعلوهم بعد مماتهم كسائر الناس لا مزية لهم عليهم بشىء ، ومنعت هذه الفرقة المفتونه الرحيل الى زيارة قبورهم والاستغاثه بهم الى الله تعالى حتى السيد الاعظم صلى الله عليه وسلم وامام هذه الفرقه هو الشيخ ابو العباس تقى الدين احمد بن تيميه الحنبلى • وقد صرح سيدنا عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه وهو حنبلى بالتوسل به صلى الله عليه وسلم • وقد صرح كل من الامام يحيى الصرصرى والشهاب محمود الحلبى وهما حنبليان بالتوسل بسيد الخلق ولهما مدائح كثيره فى ذلك • بل صرح الصرصرى فى كثير من قصائده بشد الرحل لزيارة الاولياء من الصحابة وغيرهم والاستغاثه بهم رضى الله عنهم •

فلا يقول احد هذا مذهب الامام احمد حاشاه ثم حاشاه ثم حاشاه •

وكما قلنا ان الامام هذه الفرقه هو ابن تيميه وقد اتبعه كل من ابن القيم

وابن عبد الهادى وجاء فى هذا العصر حسن صديق خان البهوبالى فادعى الاجتهاد المطلق كما هو شأن أصحاب هذه البدعه كلهم مجتهدون بزعمهم ولا تنس هنا أن المذهب الوهابى من أنصار ابن تيميه)[1] .

(وقد ذكر لنا الامام النووى الشافعى المتوفى سنة ٦٧٦ أثناء ايضاحه المناسك — قصة سلام ابن عمر رضى الله عنه على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلامه على ابى بكر وعلى ابيه رضى الله عنهما ثم ذكر لنا عن مالك رحمه الله تعالى أنه كان يقول : السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته . ثم ان كان قد أوصاه احد بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقل : السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان أو فلان ابن فلان يسلم عليك يا رسول الله أو نحو هذا من العبارات ، ثم يتأخر الى صوب يمينه قدر ذراع فيسلم على ابى بكر رضى الله عنه ، لان رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : السلام عليك يا ابا بكر صفى رسول الله وثانيه فى الغار ، جزاك الله عن أمة نبيه صلى الله عليه وسلم خيرا ، ثم يتأخر الى صوب يمينه قدر ذراع السلام على عمر رضى الله عنه فيقول : السلام عليك يا عمر اعز الله بك الاسلام جزاك الله عن امة محمد صلى الله عليه وسلم خيرا ثم يرجع الى موقفه الاول قبال وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتوسل به فى حق نفسه ويتشفع به الى ربه سبحانه وتعالى ، ومن حسن ما يقول ما حكاه اصحابنا عن العتبى مستحسنين له . قال : كنت جالسا عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم . فجاء اعرابى فقال : السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول — (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً)[2] — وقد جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك الى ربى ، ثم انشأ يقول :

انت الشفيع الذى ترجى شفاعته ... على الصراط اذا ما زلت القدم

وصاحباك فلا انساهما أبدا ... منى السلام عليكم ما جرى القلم

---

(١) شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق التنبيه الرابع ص ٥٤ : ٥٦ بتصرف .

(٢) سورة النساء آيه (٦٤) .

قال ثم انصرف فغلبتني عيناي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال : يا عتبي الحق الاعرابي وبشره بأن الله تعالى قد غفر له)[1] .

(وقد قال الامام السبكي اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم الى ربه سبحانه وتعالى ، وجواز ذلك وحسنه من الامور المعلومة لكل ذي دين المعروفة من فعل الانبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين ، والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم جائز في كل حال قبل خلقه وبعده في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة . ولا فرق في المعنى بين أن يعبر عنه بلفظ التوسل أو الاستغاثة او التشفع والداعي بذلك متوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم لانه جعله وسيلة لاجابة الله دعاءه ومستغيث به صلى الله عليه وسلم لانه استغاث الله تعالى به صلى الله عليه وسلم على ما يقصده . ومستشفع به صلى الله عليه وسلم لانه سأل الله بجاهه صلى الله عليه وسلم .

وقال : وفي التجاء الناس الى الانبياء يوم القيامة أول دليل على التوسل بهم في الدنيا والاخرة ، وان كل مذنب يتوسل الى الله عز وجل بمن هو أقرب إليه منه وهذا لم ينكره أحد ولا فرق بين أن يسمى ذلك تشفعا أو توسلا أو استغاثة ، وليس ذلك من باب تقرب المشركين إلى الله تعالى بعبادة غيره فإن ذلك كفر ، والمسلمون إذا توسلوا بالنبي صلى الله عليه وسلم او بغيره من الانبياء والصالحين لم يعبدوهم ولا أخرجهم ذلك عن توحيدهم لله تعالى وانه هو المنفرد بالنفع والضر ، واذا جاز ذلك جاز قول القائل . أسأل الله تعالى برسوله لانه سائل لله تعالى لا لغيره انتهى .

وقال الشيخ الرملي : وللرسل والانبياء والاولياء اغاثة بعد موتهم ، لان معجزة الانبياء وكرامة الاولياء لا تنقطع بعد موتهم ، اما الانبياء فانهم احياء في قبورهم يصلون ويحجون فتكون الاغاثة منهم معجزة لهم ، والشهداء ايضا احياء ، وأما الاولياء فهي كرامة لهم انتهى .

---

(1) شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ص ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ باختصار .

وقد ذكر الشيخ عبد الغنى فتوى من العلامة الامام الشيخ عبد الحى الشرنبلالى الحنفى منجملتها قوله رحمه الله تعالى : وأما التوسل بالانبياء والاولياء فجائز اذ لا يشك فى مسلم انه يعتقد فى سيدى احمد وغيره من الاولياء ان له بايجاد شىء من قضاء مصلحة او غيرها الا بارادة الله تعالى وقدرته ، والمسلم متى امكن حمل كلامه على معنى صحيح سالم من التكفير وجب المصير اليه اهـ كلام الشرنبلالى)[1]

وهذا الرأى هو الصواب الذى تميل اليه النفس ، فما دام العبد معتقدا انالنافع والضار هو الله عز وجل وان هؤلاء الصالحين يتاسى بهم فى الخير والصلاح فلا مانع منزيارتهم ودعاء الله عندهم ودعاء الله بهم .

---

(١) شواهد الحق ــ الفصل الثالث : فى بعض ما قاله ائمه العلماء واثبتوا به مشروعيه الاستغاثه به صلى الله عليه وسلم ص ١٣٩ : ١٤١ باختصار .

وقد قام الاستاذ موسى محمد على بعرض بعض الشبه التى ارتكـــز عليها المفكرون لتأيد ما يدعون اليه منها :

أ ــ شبهة انكار التوسل والاستغاثه والرد عليها .

ب ــ شبهة انكار الاستغاثه بالموتـــى والرد عليها .

بالبحث تستخرج دفائن العلوم ،ولولا الخطأ لما أشرق نور الصواب، ولا فرق بين انسان يقلد وحيوان ينقاد ، وفساد الدين فى ثلاثة :

زلة العلماء ، وميل الحكام ، وتأويـــل الاغوياء

واذا تقرر هذا ، فمن الواجب أن نتحدث فيما هو غرضنا من دفع الشبهـــات فان الشبه التى يتسلق بها الطاعنون على موضوع التوسل والوسيلة ، وان كانت موبية على العد والاحصاء ، فان الذى يوجد لها تأثير فى الاوهام ،ورواج على الضعفه من العوام ، بالغ فى العدد ما بلغ . ومتى تمكن العاقـــل من حلها ، وتحقق مواقع التدليس فيها ، لم يلق له فيما سواها مـــن بهرج اقوال المتطرفين المغرضين ،وزخارف تمويهات المدلسين المعنتـــين، قوة يخشى بها الرواج عليها .

أ ــ <u>شبهة انكار التوسل والاستغاثه والرد عليها</u> :

اما عن هذه الشبهه فقد استقصينا كلام الخصم ، فوجدناه مفتتحـــا اظهار دعوة مخالفة لاهل الارض والسماء وهو عارف يضعف حاله ، فان تكفيـــره لمن خالف بدعته من جميع المسلمين ،ونسبتهم الى الشرك الاكبر واتخـــاذه هذا الاتهام ذريعه لتكفيرهم لا دليل له عليـــه .

هذه الذريعه التى اتخذها هى قوله :

ان المشركين السابقين كانوا مشركين فى الالوهية فقط ، وأما مشركـــوا المسلمين فتمنى بهم من اشركوا فى الالوهية والربوبية . وقال ايضا : ان الكفـــار فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يشركون دائما ، بل تارة يشركون وتاره يوحدون الله ، ويتركون دعاء الانبياء والصالحين ، وذلك انهم اذا كانوا فى السراء دعوهم واعتقدوا بهم ، واذا اصابهم الضرو الشدائد تركوهـــم واخلصوا لله الدين ،وعرفوا ان الانبياء والصالحين لا يملكون ضرو لا نفعا .

قال الخصم هذا ، وحمل تأويل جميع الايات القرآنية التى نزلت فى المشركين على الموحدين من امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتمسك بها فى تكفيرهم .

منها قوله تعالى : " فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً " (١) وقوله تعالى " وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ، فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ " (٢) وقوله تعالى : " فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ " (٣) الى غير ذلك من الايات النازله فى المشركين ، فزعم الخصم ان كل من استغاث بالنبى صلى الله عليه وسلم ، أو توسل به أو بغيره ، من الانبياء والاولياء والصالحين ، أو ناداه او سأله الشفاعة ، يكون معدودا فى عداد هؤلاء المشركين داخلا فى عموم هذه الايات .

وشبهته فى ذلك ان هذه الايات وان كانت نازله فى المشركين الا أن العبرة لعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ونحن لا ننكر ان العبرة هى لعموم اللفظ لا بخصوص السبب غير أن هذه الايات لا تشمل من زعمه الخصم ، ولا أنها شاملة لهم ، فان حالهم ليس من أحوال الكفار الذين نزلت هذه الايات فيهم .

والدعاء يأتى لمعان شتى ، وهو فى هذه الايات كلها بمعنى العبادة والمسلمون لا يعبدون الا الله تعالى ، وليس فيهم من اتخذ الانبياء والاولياء آلهة ، أو جعلهم شركاء لله تعالى ، حتى تعمهم هذه الايات، ولا اعتقدوا انهم يستحقون العبادة ، ولا أنهم يخلقون شيئا ، بل انما اعتقدوا انهم عبيد الله مخلوقون له ، وما قصدوا من التوسل بهم الى الله تعالى ، الا التبرك بهم لكونهم احباب الله المقربين ، الذين اصطفاهم واجتباهم ، فببركتهم يرحم الله تعالى عباده .

ثم قال الخصم : ان اعتذاركم هذا هو عين اعتذار المشركين عن عبادة الاصنام فقد قال تعالى حكايه عن المشركين فى اعتذارهم عن عبادة الاصنام : " مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ " (٤) .

---

(١) سورة الجن آيه ١٨ .
(٢) سورة يونس آيه ١٠٦ .
(٣) الشعراء آيه ٢١٣ .
(٤) سورة الزمر آيه (٣) .

فالمشركون ما اعتقدوا في الاصنام أنها تخلق شيئا ، بل اعتقدوا أن الخالق هو الله تعالى ، بدليل قوله تعالى : " وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ " [1] فانما حكم الله تعالى عليهم بالكفر لقولهم : " ليقربونا الى الله زلفى " .

وهكذا المتوسلون بالانبياء والصالحين ، يقولون ما هو بمعنى قول المشركين ليقربونا الى الله زلفى .

والجواب من وجوه :

الاول : ان المشركين جعلوا الاصنام آلهة ، والمسلمون ما اعتقدوا الا الها واحدا ، فعندهم ان الانبياء أنبياء ، والاولياء اولياء ، ليس الا ، فلم يتخذوهم الهة ، مثل المشركين .

الثاني : ان المشركين اعتقدوا ان تلك الالهه مستحقون للعبادة ، بخلاف المسلمين فانهم لم يعتقدوا أن أحدا من المتوسل بهم مستحق لأقل عبادة ، وليس عندهم المستحق للعبادة الا الله وحده سبحانه وتعالى

الثالث : ان المشركين عبدوا تلك الالهة بالفعل كما قال تعالى حكاية عنهم " وما نعبدهم الا ليقربونا " . والمسلمون ما عبدوا الانبياء والصالحين في توسلهم بهم الى الله تعالى .

الرابع : ان المشركين قصدوا بعبادة اصنامهم التقريب الى الله تعالى اما المسلمون فلم يقصدوا ذلك بل قصدوا التبرك والاستشفاع بهم .

واذا قال الخصم : ان الاستغاثه من نوع الدعاء ، وقد ورد في الحديث الشريف " ان الدعاء هو العبادة " [2] فالذي يستغيث بنبي أو ولي ، فهو انما يعبده بتلك الاستغاثه .

---

(١) سورة الزخرف آيه ٨٧ .

(٢) سنن الترمذي ج ٥ كتاب تفسير القرآن ـ سورة البقره حديث رقم (٢٩٦٩) (٣) باب قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح رواه منصور ص ٢١١
مسند الامام احمد ج ٤ ص ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ كلهم عن النعمان بن بشير .

وهذا مردود ، فان قوله صلوات الله وسلامه عليه : " الدعاء هـــو العبادة " يدل دلالة واضحة ، على أن العبادة فى هذا الحديـــث ، مقصورة على الدعاء فقط ، بمعنى ان الدعاء هو العبادة ، وأن العبـــادة ليست غير الدعاء .

وهذا معنى خاص ، خص فيه الحديث قصر العبادة على الدعــاء ، والاستغاثه ليست كذلك ، فقياسها على هذا الحديث ، قياس على غير بابه ، اذ ليس كل دعاء عبادة .

بل ان الدعاء كما يكون بمعنى العبادة كما فى قوله تعالى : " وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُـــرُّكَ "(١) .
كذلك يكون بمعنى الاستعانة كقوله تعالى : " وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم "(٢) .
وبمعنى السؤال كقوله تعالـــى : " ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ "(٣) .
وبمعنى القول كقوله تعـــالى : " دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُـــمَّ "(٤) .
وبمعنى النداء كقوله تعالى : " يَـــوْمَ يَدْعُوكُمْ "(٥) .
وبمعنى التسمية كقوله تعالى : " لَّا تَجْعَلُواْ دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضـــًا "(٦) .

فتعين أن يكون المراد بالدعاء فى الحديث : هو دعاء الحق تعالى ، لا مطلق الدعاء . والدليل على أن المراد من الدعاء فى الحديث ، هو دعــاء الله تعالى لا مطلق الدعاء ، ما حققه كثير من اللغويين ، وصرحوا به : من أن السؤال احد أقسام الطلب ، وهو طلب الادنى من الاعلى .

فاذا كان من الله تعالى سمى سؤالا ودعاء ، ولا يقال للطلب من غيـــره تعالى دعاء فاذا كان لا يجوز ان يقال للطلب من غيره تعالى مجرد دعاء ، فبالاحرى أن لا يقال لذلك الطلب دعاء بمعنى العبادة .

---

(١) ســـورة يونس آيـــه ١٠٦ .
(٢) سورة البقرة آيـــه ٢٣ .
(٣) سورة غافـــر آيه ٦٠ .
(٤) ســـورة يونس آيـــه ١٠ .
(٥) ســـورة الاسراء آيـــه ٥٢ .
(٦) ســـورة النور آيـــه ٦٣ .

ومما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من التوسل والاستغاثة . ما رواه الطبراني في " الكبير والاوسط " ، وابن حبان ، والحاكم وصححوه عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : لما ماتت فاطمة بنت اسد رضى الله عنها ، وكانت ربت النبى صلى الله عليه وسلم وهى ام على بن ابى طالب رضى الله عنه ، دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس عند رأسها ، وقال : " رحمك الله يا امى بعد أمى " وذكر ثناء ، عليها ، وتكفينها ببرده ، وأمر بحفر قبرها .

فلما بلغوا اللحد حفره صلى الله عليه وسلم بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال : " الله الذى يحيى ويميت ، وهو حى لا يموت ، اغفر لامى فاطمة بنت أسد ، ووسع عليها مدخلها ، بحق نبيك والانبياء الذين من قبلى فانك ارحم الراحمين " (١)

ونقول للمعارضين : اذا كان مقصدكم سد الذريعة ، فما الحامل لكم على تكفير الامة عالمهم وجاهلهم ، خاصهم وعامهم وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا ؟

بل كان ينبغى لكم أن تمنعوا العامة من الالفاظ الموهمة التى يمكن حملها على الاسناد المجازى ، كما يحمل على ذلك قول القائل : هذا الطبيب نفعنى ، فان ذلك كله عند أهل السنة ، محمول على المجاز العقلى ، فان الطبيب سبب عادى لا تأثير له .

وأما منع التوسل مطلقا فلا وجه له مع ثبوته فى الاحاديث الصحيحة ، ومع صدوره من النبى صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه ، وسلف الامة وخلفها والمنكرون للتوسل ، والمانعون منه :

---

(١) رواه الطبراني فى الكبير والاوسط وابن حبان عن انس بن مالك وفيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف وبقيه رجال رجال الصحيح .
انظر مجمع الزوائد ج ٩ ـ باب مناقب فاطمه بنت اسد ام على بن ابى طالب رضى الله عنه ص ٢٥٧ .

منهم من يجعله حراما ، ومنهم من يجعله كفرا او شراكا .

وكل ذلك باطل ، لانه يؤدى الى اجتماع معظم الامة على الحرام ولا شراك لان من تتبع كلام الصحابة والعلماء من السلف والخلف يجد التوسل صادرا منهم ، بل وصادرا من كل مؤمن فى أوقات كثيرة ، واجتماع اكثرهم على الحرام أو الاشراك لا يجوز ، لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : (لا تجتمع امتى على ضلالة) [1] .

وقال تعالى : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) [2] .

فكيف تجتمع كلها او اكثرها على ضلالة ، وهى خير امة اخرجت للناس ؟ فاللائق بهؤلاء المنكرين ، اذا ارادوا سد الذريعة ، ومنع الالفاظ الموهمة كما زعموا ان يقولوا :

ينبغى ان يكون التوسل بالادب وبالالفاظ التى ليس فيها ابهام .

كأن يقول المتوسل : " اللهم انى اسالك واتوسل اليك بنبيك صلى الله عليه وسلم وبالانبياء قبله ، وبعبادك الصالحين ، أن تفعل بى كذا وكذا " . لا انهم يمنعون التوسل مطلقا ، ولا أن يتجاسروا على تكفير المسلمين الموحدين الذين لا يعتقدون التاثير الا فى الله وحده لا شريك له) [3]

هكذا رد الاستاذ موسى على شبهه انكار التوسل والاستغاثه مطلقا ولكنه بين انه ينبغى على كل انسان ان يعلم كيفية التوسل ، بان تكون الفاظ التوسل مثلا واضحة ليس فيها ابهام ، ويعلم ان الامر كله لله وحده ان شاء اعطى وان شاء منع ثم قام بعرض الشبهة الثانية فقال .

---

(١) لا اصل له ولقد جهد المحدثون فى ان يقفوا له على سند فلم يوفقوا على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع . انظر سلسلة الاحاديث الضعيفه ج ١ رقم (٥٧) ص ٧٠ ، ٧٢ .

(٢) سورة آل عمران آيه (١١٠) .

(٣) حقيقه التوسل والوسيله على ضوء الكتاب والسنة ص ١٣٠ بتصرف .

ب — شبهة انكار الاستغاثه بالموتى والرد عليها :

يحلو لكثير من المغرضين ، التعصب لارائهم والتمسك بكلامهم في انكارهم ، دون ان يكون لارائهم دليل قاطع لصدق كلامهم ، أو حجة قوية تبرهن على صحة تمسكهم بنظرياتهم .

اللهم الا ما يرونه حسب زعمهم ، أنهم على حق فيما زعموا ، أو على صواب من القول فيما قالوا أو اعتقدوا ، حتى كثر الخوض ،واشتد الجدال وحدث الانكار ، ضد الاستغاثة بالموتى ، ومنع النداء لهم ، ظنا من المفكرين ،أن سائر الموتى من الانبياء ، والمرسلين ، والاولياء الصالحين، وعامة المؤمنين ، لمجرد انتقالهم من دار الحياة الدنيا ،صاروا ترابا لابقاء لهم في قبورهم ، لا يسمعون ولا يدركون.

بيد ان الحق على خلاف ما يزعمون ، والصواب على غير ما يعتقدون والسنة الشريفة ترد عليهم زعمهم في صراحة قوية ، وتبطل قولهم فيما جاء بها من أحاديث صحيحة .

أخرج الامام البخارى ومسلم ،وأصحاب السنن ، من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على أهل القليب فقال : " هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا " ؟

فقيل له : اتدعو أمواتا ؟ فقال : " ما انتم باسمع منهم ، ولكن لا يجيبون " (١) .

فمن نظر بعين الحق والصواب والانصاف الى هذا الحديث وما اشتمل عليه من التصريح بلفظ : " ما انتم باسمع منهم " لادرك لا محالة ،أن الموتى يسمعون ويدركون ، وان الحياة البرزخية ثابتة لهم ، غير ان المنكر للتوسل

---

(١) صحيح الامام البخارى المجلد الثانى جـ ٥ كتاب المغازى باب قتل ابى جهل ص ٩٧ ، ٩٨ .
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد السادس جـ ١٧ كتاب الجنه وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت عليه واثبات عذاب القبر والتعوذ منه ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .
* سنن النسائى المجلد الثانى جـ ٤ كتاب الجنائز باب ارواح المؤمنين ص ١٠٨ ، ١١٠ .

والتشفع بالانبياء والاولياء ، من عباد الله الصالحين ، والاستغاثه بهم على طريق التسبب مما يقدره الله تعالى على أيديهم ، بنوع كرامة من الله تعالى ، أو بدعاء منهم لله سبحانه في دار برازخهم ، في حصول خير من الله تعالى للطالب منهم تشفعا ، أو دفع شر ، انما اتاه الانكار لهذا كله ، من اعتقاده ، أن الميت اذا مات صار ترابا — كما قلنا — لا يسمع ، ولا يدرك ، ولا يرى ، وليس له حياة برزخية في قبره ، فهو يستغرب حينئذ التوسل والتسبب به كما يتسبب الاحياء من أهل الدنيا .

ولو كان معتقدا ان سائر اهل القبور احياء حياة برزخية ، يعلمون بها ، ويعقلون ويسمعون ، ويرون ويعرفون منزارهم ، ومن سلم عليهم ، ويردون السلام ويتزاورون بينهم ، ويتنعمون او يعذبون ، وأن النعيم والعذاب على الروح والجسد ، وأن اعمال الاحياء تعرض عليهم ، فان رأوا خيرا حمدوا الله واستبشروا ، ودعوا لفاعله بالزيادة والثبات ، وأن رأوا شرا دعوا الله لهم .

لو اعتقد المفكر ذلك لما وسعه الانكار فان دار البرزخ هى دار انتقال من دار الى دار . ومن لم يعتقد ذلك ، فقد ترك من واجب الايمان شيئا ، يجعله من الخارجين عن سنة سيد المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه ، فان البعث بالقيام للحشر من اركان الايمان الذى يكفر منكره ، وانكار حياة القبر للنعيم والعذاب انكار للبعث الاصغر الذى هو نموذج البعث .

والمنكر لهذا انما هو منكر فى الواقع لما اجمعت الامة عليه ، فيقال له : اذا ثبت ذلك للروح ، فما المانع من أن الروح يثبت لها ما ذكرناه ، من الاحوال المتقدمة ، وأن التشفع والتوسل ، والطلب منها على طريق التسبب ، كطلب الشفاعة والدعاء ، ونحو ذلك ، وهى حية حياة دائمة لا تفنى ، كما عليه جميع اهل الملل ، فهى ايضا يمكن لها التسبب فيما يقدره الله تعالى على يدها .

ان التوسل ، والتشفع ، والطلب منهم للشفاعه على طريق التسبب ، لا انهم الفاعلون استقلالا ، ولا يخطر ببال المتوسل بهم ، نسبة فعلهم الا الى الله تعالى ، لانهم يعلمون ان الاموات من الانبياء والاولياء من الاحياء عند ربهم ، لا قدرة لهم الا بالله تعالى ، وأن الله تعالى

بسببهم بقدرة من عنده خارقة للعادة أو بفعل يفعله تعالى لأجلهم ، أو بجاههم وحرمتهم .

فالمتوسلون وان نسبوا لهم الفعل فليس مرادهم الحقيقة بل المجاز والتسبب ثم ان القائلين بعد التسبب ، واكرام الله لهم بنوع الكرامة ، أو يفعل لأجلهم فيستبعد حصول التسبب منهم ، والتوسل بهم ، أو يدعى أن الطلب منهم ، وسؤالهم الشفاعة لم يرد في باب اثبات حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، في قبورهم وأنها حياة حقيقيه ، قال الله تعالى : " وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ " (١) .

فاذا ثبت هذا في الشهداء وهم من سائر الامة في كل زمان ، فلا شك ان الانبياء من باب اولى :

" ما من نبى الا وقد رزق الشهادة " وهذا ظاهر .

وكذلك ذكر الامام السيوطي ، وهو قول الامام النووي ، والسبكي والقرطبي وقد صح عن سعيد بن المسيب انه في وقعه الحرة لما خلى المسجد النبوي ، وتعطل المسجد عن الاذان والاقامة صار يسمع الاذان والاقامة من الحجرة الشريفه النبوية .

وان كثيرا منهم سمع رد السلام من قبره صلى الله عليه وسلم على المسلمين ، في كثير من الاوقات ، بل ثبت هذا من سائر الموتى .

والحاصل ان حياه الانبياء ثابته بالاجماع ولا يرد على هذا ما ورد في الحديث الصحيح : " ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام " (٢) فظاهره يقتضي ان روحه الشريفه تفارق جسده الشريف وانها

---

(١) سورة ال عمران ايه ١٦٩ .

(٢) * سنن ابى داود جـ ١ كتاب المناسك باب (٩٩) ص ٤٧٠ .
* السنن الكبرى للبيهقي مع الجوهره النقي جـ ٥ كتاب الحج بباب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ص ٢٤٥ .
وجاء في مجمع الزوائد رواه الطبراني في الاوسط وفيه عبد الله بن يزيد الاسكندراني ولم اعرفه ومهدي بن جعفر ثقة وفيه خلاف وبقيه رجاله ثقات ـ باب فيما يستفتح به الدعاء من حسن الثناء على الله سبحانه والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم جـ ١٠ كتاب الادعية ص ١٦٢ .

بالسلام ترد فقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبه كثيرة أحسنها : أنــــه صلى الله عليه وســـلم ، يكون مستغرقا بمشاهدة حظيرة القدس ، فيغنى عن احساسه الشريف فاذا سلم المسلم عليه ، ترد روحه من ذلك الاستغـراق ، الى الاحساس لاجل الرد المذكور . ونحن نرى فى الدنيا بعض من هــو مشغول البال ، بأمر من الامور الدنيوية او الاخرويه ، وربما يتكلم أحــــد معه وهو لا يشعر بكلامه ـ لاشتغال باله واستغراقه ، فكيف بمـن هو مشغـول بمشاهدة جمال ذى الجلال والاكرام .

وروى الحافظ ابن حجر : عن ابى سعيد السمعانى ، أنه روى عـن على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، انهم بعد دفنه صلى الله عليه وســلم بثلاثة أيام ، جاءهم اعرابى فرمى بنفسه على القبر الشريف ، على ساكنه أفضـل الصلاة والسلام ، وحثى من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول اللــه ... قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله ما وعينا عنك . وكا ن فيما أنزله عليــــك قوله تعالــى : " وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّـهَ ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ، لَوَجَدُواْ اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيمـــاً "(١).

وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى الى ربى ، فنودى من القبـــر الشريف : أن قـد غفر لك .

ويؤيد ذلك ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من قوله : " حياتـــى خير لكم ، تحدثون ويحدث لكم ، ووفاتى خير لكم تعرض على أعمالكم ، ما رأيت من خير حمدت الله ، وما رأيت من شر استغفرت لكم " (٢) .

وفى هذا الباب آثار كثيرة ، والامر لا يحتاج الى الاطالة .

ويدل عليه عرض اعمال الاحياء على الموتى ، فانهم لو لم تكـن لهم الرؤية ، لما صح عرض الاعمال عليهم ، والعرض لا يكون بداهة الا علــى من يرى ، ويسمع ويحس ، ويشهد ، ويستطيع اصدار الحكم ، وهذا كلــــه من صفات الاحياء لا الاموات بمعـــنى العدم .

---

(١) ســـورة النســـاء آيه ٦٤ .

(٢) رواه البزار بسنده ورجاله رجال الصحيح عن ابى مسعود .
انظر مجمع الزوائد جـ ٩ كتاب علامات النبوة باب ما يحصل لامتـه صلى الله عليه وسلم من استغفاره بعد وفاته ص ٢٤ .

والمراد بعرضها ، عرض صحائفها التى تكتبها الحفظة من الملائكة ، وذلك يستدعى النظر ، فان اكثر الناس لا يعلمه لعدم اطلاعهم على السنة النبوية ، والاحاديث الثابتة المروية فى هذه القضية ، حتى قال بعض من يدعى العلم : كيف يعلم الانبياء والاولياء بمن يستشفع بهم ويناديهم ؟

ويقال له : هم مكشوف لهم فى الدنيا ، وهم على ما هم عليه بعد موتهم .

أو يكون ذلك على وجه الكرامة بخرق العادة وهى ثابتة لهم . أو بعرض الاعمال الواردة فى الاحاديث .

أما عرض الاعمال من الامة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستدل بحديث " حياتى خير لكم ....) (١)

أما علم الاموات بأحوال الاحياء ومجاهم فيه :

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عرضت على أعمال امتى حسنها وسيئها ، فوجدت من محاسن اعمالها ، الاذى يماط عن الطريق . ووجدت فى مساوىء اعمالها النخاعة تكون فى المسجد لا تدفن " (٢) .

واذا قد تقرر بما اثبتناه ان الانبياء والشهداء والاموات احياء فى قبورهم ، فقد تقرر ايضا انهم يسمعون ويفرحون ويستبشرون ، بل يدعون الله فى قبورهم ، لاتباعهم والمتوسلين بهم فى الدنيا ولم يموتوا .

---

(١) سبق تخريجه فى ص ٢٧ .
(٢) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الثانى ج ٥ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ــ باب النهى عن البصاق فى المسجد ص ٤٢ .
* مسند الامام احمد ج ٥ ص ١٧٨ .

وبما انهم ثبت لهم وجاز في حقهم كل هذا ، فلا مجال لانكار التوسل والاستغاثه بهم على ضوء ما قررنا .

وأما شبهتهم في المنع من النداء لهم ، فقالوا :

ان النداء والخطاب للجمادات ، والغائبين ، والاموات ، من الشرك الذى يباح به الدم والمال ، ولا حجه لهم في ذلك ، فان الاحاديث الصحيحة صريحه في بطلان قولهم هذا .

فقولهم : ان نداء الميت والجماد والغائب ، دعاء وكل دعاء عباده غير صحيح على اطلاقه وعمومه ، ولو كان كل نداء عبادة لامتنع نداء الحى والميت فانهما مستويان في أن كلا منهما لا تأثير له في شئ ، ولا يعتقد أحد من المسلمين ألوهيته غير الله تعالى ولا تأثير لاحد سواه .

فالدعاء الذى هو مخ العبادة الخشوع والتوجه لله وحده والخضوع بين يديه سبحانه .

ومن الاحاديث والاثار التى جاء فيها النداء والخطاب للاموات والغائبين والجمادات ، حديث الضرير الذى رواه عثمان بن حنيف رضى الله عنه فان فيه : " يا محمد انى اتوجه الى ربك "[1] .

والاحاديث الوارده عن النبى صلى الله عليه وسلم ، في زيارة القبور في كثير منها النداء والخطاب للاموات كقوله : " السلام عليكم يا اهل الديار "[2]

وايضا ان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، لما قاتلوا مسيلمه الكذاب كان شعارهم : " وامحمداه ... وامحمداه " .

وجاء ايضا ان ابن عمر رضى الله عنهما ، لما خدرت رجله مره ، فقيل له : اذكر احب الناس اليك ، فقال : وامحمداه ، فانطلقت رجله .

---

(١) سبق ذكره في ص ١٦٧
(٢) سبق ذكره في ص ١٦٨

وجاء الخطاب وصورة النداء فى التشهد الذى يأتى به المسلم فى كـــل صلاة ، وعلمه النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه وفيه : " السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاتـــه " .

وورد كذلك أنه لما توفى صلى الله عليه وسلم ، أقبل ابو بكـــر رضى الله عنه ، حين بلغه الخبر ، قد دخل على رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم فكشف عن وجهه ثم اكب عليه فقبله ثم بكى وقال : " بأبى انت وأمى ، طبت حيا وميتا ، اذكرنا يا رسول الله عند ربك ، ولنكن فى بالك ".

وروى البخارى عن أنس رضى الله عنه ، أن فاطمة رضى الله عنها ، بنت رسول صلى الله عليه وسلم ، قالت لما توفى رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم : " يا أبتاه ... أجاب ربا دعاه ، يا أبتاه ... جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه .. الى جبريل ننعاه " وفى رواية : " الينا جبريـــل نعـــاه " [1] والنعى هو الاخبـــار بالموت .

وقد يكون الاخبار للعالم بموته تأسفا على فقده ، وكل من الروايتـــين صحيح فى المعنى ، ففى الحديث ايضا نداؤه صلى الله عليه وسلم بعـــد وفاتـــه .

وروى عن ولد عمر ابن على قال :

" اختلف ابى بالمدينة الى زيارة قبور الشهداء فى يوم جمعـــــة بين الفجر والشمس ، فلما انتهى الى المقابر ، رفع صوته فقال : " ســـلام عليكم بما صبرتم ،فنعم عقبى الدار " .

فأجيب : وعليك السلام يا ابا عبد الله .. فالتفت ابى الى فقال : انـــت المجيب ؟ فقلت : لا ، فجعلنى عن يمينـــه ، ثم اعاد السلام ، فجعـــل كلما يسلم يرد عليه ثلاث مرات ، فخر ساجدا شكرا لله تعالى " .

---

(١) صحيح الامام البخارى بشرح ابن حجر العسقلانى ج ٨ (٦٤) كتاب المغازى باب (٨٣) مرض النبى صلى الله عليه وسلم ووفاتـــــه حديث رقم (٤٤٦٢) ص ١٤٩ .

وحديث نداء النبى صلى الله عليه وسلم كفار قريش المقتولين ببدر بعد القائهم فى القليب فيه جواز النداء كما هو مشهور .

وان النبى صلى الله عليه وسلم ، جعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ويقول : " ايسركم انكم اطعتم الله ورسوله ، فانه قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا " ؟)[1] .

---

(1) سبق تخريجه فى ص ٤٢٢
انظر حقيقه التوسل والوسيله على ضوء القرآن والسنة ـ الباب الثانى ص ١١٨ : ١٣٢ باختصار .

وخلاصة ما قاله العلماء فى التوسل ان التوسل أنواع :

اولها : التوسل بصفات الله واسمائه الحسنى • وقد اتفق العلماء على جوازه بل استحبابه وقد قمت باثبات صحته بالقرآن الكريم والسنة الشريفة

ثانيها : التوسل بالعمل الصالح والاعتقاد الصحيح وقد اتفق العلماء ايضا على جوازه وكذلك قمت باثباته بالقرآن الكريم والسنة النبوية •

ثالثا : التوسل بالانبياء والصالحين والاولياء فهذا النوع من التوسل ينقسم الى قسمين التوسل بهم فى حالى حياتهم والى التوسل بهم بعد مماتهم •

والقسم الاول وهو التوسل بهم فى حال حياتهم قد انقسم الى قسمين الاول التوسل بهم فى حال حياتهم بمعنى التوسل بدعائهم وقد اتفق الجميع على جوازه اما الثانى وهو التوسل بذواتهم وجاههم فقد اختلف العلماء على ثلاث فرق بين الجواز على الاطلاق والحرمه على الاطلاق والتخصيص للبعض •

اما القسم الثانى وهو التوسل بهم بعد المماتفقد اختلف فيه العلماء بين الجواز المطلق والتحريم المطلق والتخصيص للبعض •

ومن الملاحظ ان الرأى الاول القائل بجواز التوسل بالاولياء والصالحين بعد مماتهم قد قام بالرد على الرأى المخصص ذلك بالرسول صلى الله عليه وسلم وببعض اولياء الله الصالحين • وكذلك رد على الرأى المانع على الاطلاق ولتذكر هنا كلمة للشيخ محمد الفقى فى هذا المجال قال : (ان هذه الدراسة تقوم على مدى اتجاه الرأى العام واهتمامه بهذا الموضوع • وتتركز على مدى ما يترتب على الاستجابه لهذه الدعوة من مغانم ومكاسب لا يصح اغفالها ولا ينبغى تجاهلها لانها دعوة السماء الى الارض ووحيه الى العباد يدل على اكبار هذه الدعوة وتقديرها قوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ)[1] ولولا ما تستهدف من مزايا

---

(١) سورة المائدة ايه ٣٥ •

تعود على المستجيبين بالخير ومنافع وثمرات عظيمة الشأن يجنونها ما توجهت الدعوة ولا كان النداء ، اذ لا يعقل ان يوجه الشارع دعوة الى امر لا يكون من ورائه مصلحة دينية ودنيوية ، ولا يتصور ان تدعو الشريعة الى التدين بشيء لا يحمل اروع سعادة واسمى منفعة واطيب ثمرة " سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً " (١) فكل دعوة شرعية وكل تكليف سماوى انما يكون لصالح المجتمع وخير الانسانية وسعادة البشرية (٢) .

وعلى ضوء هذا يمكن أن اقول ان التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالصالحين والاولياء جائز على الاطلاق ولكن لابد ان يعلم كل مؤمن أن الله وحده هو الفاعل لما يريد وان حصول الاجابة بالتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم لمكانته ومحبته لله تعالى وكذلك ما حصلت الاجابة بسبب التوسل بالصالحين والاولياء الا انهم أطاعوا الله وأطاعوا الرسول صلى الله عليه وسلم والامر كله لله ان شاء اعطى وان شاء منع . واما ما حدث من خلاف بين علماء المسلمين فى هذا المجال فليس الغرض منه الا التوصل الى الحق لتنقيه الشريعة من شوائب البدع التى اجهضت تصرفات بعض الناس فى عصرنا الحالى .

والله أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الاحزاب آيه ٦٢ .
(٢) التوسل والزيارة فى الشريعة الاسلامية ص ١٣٧ .

من لـــه حق الشفاعه فى الدنيـــا :

الشفاعه فى الدنيا مطلوبه من كل انسان لاخيه بل هى مستحبـــه ما دامت فيما يحبـــه ويرضاه الله ورسوله والذى يقوم بالشفاعه بين الناس يستحب ان يتصف بصفات الورع والتقوى والامانه وحسب الناس لان من يتصف بتلـــك الصفات جدير بأن يستمع الى قوله ولا يصح أن يعتمد الناس على مقيـــاس الغنى والحسب والنسب بان يقبلوا شفاعة الغنى لغناه ويرفضوا شفاعة الفقيـــر لفقره لان تلك مقاييس دنيويه فقد يكون هذا الفقير اقرب منزلة ومكانة عنـــد الله ولا يكون الغنى كذلك فعن ابى سهل قال " مر رجل على رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما تقولون فى هذا ؟ قالوا : حـــرى ان خطب ان ينكح وان شفع ان يشفع وان قال ان يستمع قال ثم سكت ــ فمر رجل من فقراء المسلمين ، فقال : ما تقولون فى هذا ؟ قالوا : حـــرى ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع ، وان قال ان لا يستمع ، فقـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا خير من ملء الارض مثل هذا "(١).

وفى تفسير الحديث قال ابن حجر العسقلانى :

قوله " مر رجل " لم أقف على اسمه . قوله (حرى) بفتح المهملـــة وكسر الراء وتشديد التحتانيه اى حقيق وجدير . قوله (يشفع) بضم أولـــه وتشديد الفاء المفتوحه اى تقبل شفاعته ــ قوله (فمر رجل من فقراء المسلمين) سماه البعض (جعيل بن سراقة) . قوله (فقال) وقع فى طريق اخرى بلفظ " فقال لرجل عنده جالس : ما رأيك فى هذا " وكـــأنه جمع هنا باعتبار ان الجالسين عنده كانوا جماعه لكن المجيب واحد ، وقـــد سمى من المجيبين ابو ذر . قوله (ان لا يسمع) زاد فى رواية الرقـــاق

(١) صحيح الامام البخارى بفتح البارى جـ٩ (٦٧) كتاب النكاح ــ باب الاكفاء فى الدين حديث رقم (٥٠٩١) ص ١٣٢ .
* ابن ماجه جـ ٢ (٣٧) كتاب الزهد ــ باب (٥) فضل الفقراء حديث رقم (٤١٢٠) (٤١٢١) ص ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ .

(ان لا يسمع لقوله) ـ قوله (هذا) اى الفقير (خير من ملء الارض مثل هذا) اى الغنى ، وملء بالهمز ويجوز فى مثل النصب والجر ، قال الكرمانى ان كان الاول كافرا فوجهه ظاهر ، والا فيكون ذلك معلوما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحى • قلت : يعرف المراد من الطريق الاخر فى كتاب الرقاق بلفظ " قال رجل من اشراف الناس : هذا والله حرى ...الخ) فحاصل الجواب انه اطلق تفضيل الفقير المذكور على الغنى المذكور ، ولا يلزم من ذلك تفضيل كل غنى على كل فقير) [1] •

آثار الشفاعه الدنيوية :

اذا قدم الانسان خيرا لاخيه بأن أزال كربته او قضى له حاجته وأصبح الجميع كالجسد الواحد كما نادى بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله " مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " [2]

وشعور الانسان بأنه عضو لجسد واحد تنتهى الرشوة والمحسوبية التى انتشرت نتيجه لقول كل انسان نفس نفس ويضاف الى ذلك أن السعى لقضاء مصالح الناس يزيد الشفيع عزا وجاها وحبا بين الناس وتلك آثار دنيوية ، واذا علم الانسان ان قضاء حاجة أخيه المسلم قد تكون أفضل عند الله من العبادة •

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى مختصرا • ج ٩ ـ ٦٧ كتاب النكاح ـ ١٥ باب الاكفاء فى الدين • ص ١٣٦ •

(٢) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ـ المجلد السادس ج ١٦ ـ كتاب البر والصله والاداب ـ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ص ١٤٠ •

وعلمه كذلك بان تفريج كربه من كرب الدنيا قد يحتاج اليها يوم الفزع الاكبر فى الآخره كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة اخيه ، كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة[1] .

وجاء فى كتاب الترغيب والترهيب تحت عنوان :
" الثمرات التى ينالها الشفيع فى قضاء مصالح الناس كما بينها صلى الله عليه وسلم " .

اولا : اذا شفع الانسان فى ازالة كربه نجاه الله من شدائد الاخره .
ثانيا : يبسط الله للشفيع رزقه فى حياته ويكسبه النعيم بعد مماته .
ثالثا : يامن الشفيع من عذاب الله يوم يشتد الهول .
رابعا : السعى فى مصالح الناس يزيد الشفيع عزا وجاها ويفتح الله له باب الخيرات ويغدق عليه البركات والاسلب نعمه منه لتقصيره فى مساعدة الراجين .
خامسا : مدة السعى لاخيك عبادة وطاعة .
سادسا : يحيط بالشفيع ابرار اطهار يدعون له .
سابعا : قد يكون السعى لدى قضاء مصالح الناس سببا لفك الشفيع من النار .

---

(١) * صحيح الامام البخارى المجلد الاول ج ٣ كتاب فى المظالم والغضب باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ص ١٦٨ .
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ـ المجلد السادس ج ١٦ ـ كتاب البر والصلة والاداب ـ باب تحريم الظلم ص ١٣٤ ، ١٣٥ .
* سنن ابى داود ج ٢ كتاب الادب ـ باب المواخاة ص ٥٧١ .

ثامنـــا : يكتسب الشفيع عند كل خطوة ٧٠ حسنه وازاله سبعين ذنبا .

تاسعـا : فى السعى لمصالح الناس صدقات جمة يؤديها الشفيع زكـــاة له على ما انعـــم عليه مولاه من الصحة والارزاق، قضاء مصالـــح الناس سبب النجاه من الوقوع عند المرور على الصراط .

عاشـــرا : تكفير الخطايا لمن فرج اخاه وادخل عليه السرور ، وكان جـــزاؤه دخول الجنه ، وعد حبيب الله ورافقه ملك يؤنسه ويجلـــــب له كل نعيـــم .

الحادى عشر: ان تقضى مصالح الناس لله بلا رشـــوة .

الثانى عشـــر: من قضى حاجة لاخيه وقبل هديه ، فعل كبيـــرة) (1) .

---

(1) كتاب الترغيب والترهيب للمنذرى ج ٣ ــ كتاب البر والصلة وغيرهـــــا ص ٣٩٦ .

المبحث الرابع

الشفاعه فى الآخرة

ويشتمل على :

أولا : الشـــــفاعة العظمـــــى .

ثانيا : الشفاعة لقوم يدخلون الجنه بغير حساب .

ثالثا : الشفاعه لقوم استحقوا النار الا يدخلوهـــا .

رابعا : الشفاعه لمن دخل النار من الامه المحمديه .

خامسا : الشفاعه فى زيادة الدرجات .

سادسا : الشفاعه فى تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فى النار

المبحث الرابع

الشفاعه في الاخره

عندما تحين ساعة النهايه ، ويحل ميقات العود الى الله تعالى ، وتاتى ساعة الساعة ، بأمر الله من وكله بالنفخ فينفخ فى الصور النفخة الاولى فيصعق من فى السموات والارض الا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون • وبين النفختين مدة لا يعلمها غيره سبحانه وتعالى : وبعد النفخة الثانية تبدأ المرحلة الثانية من مراحل الوجود وهى مرحلة اليوم الاخر او القيامة •

واليوم الاخر •• هو ذا كم اليوم الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين للسؤال والحساب والثواب والعقاب • وسمى باليوم الاخر لاتصاله بآخر ايام الدنيا — او لانه لا ليل بعده ، ولقيام الناس فيه من قبورهم سمى بيوم القيامة • وهذا اليوم يختلف باختلاف الناس فيطول على الكافرين ويخف على الطائعين •

وفى هذا اليوم نتعرض لعدة مواقف :—

أ — موقف الشفاعه والحساب •

ب — موقف الثواب والعقاب •

جـ — باقى ما فى اليوم الاخر من مشاهد ••• مثل الصراط ، والميزان ، والحوض وغير ذلك •

والموقف : هو ذا كم الوقت الطويل الرهيب العصيب الذى يقضيه الخلائق فى الحشر فى ساحة العدل قبل أن يشفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ان يبدأ الحساب والنقاش •

وفى هذا الوقت الرهيب تنال الناس شدائد شتى تتمثل فيما يلى :

أ — طول الوقوف المختلف باختلاف أعمال الناس • فقد قال كعب وقتاده (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)[1] • قال يقومون مقدار ثلثمائة عام بل قال عبد الله بن عمر : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الايه ثم قال (كيف بكم اذا اجمعكم الله كما تجمع النبل فى الكنانه خمسين

---

(١) سورة المطففين آيه (٦) •

الف سنة لا ينظر اليكم)[١] .

ب ـ الجام الناس بالعرق . قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه الى انصاف أذنيه)[٢] .

جـ ـ سؤال الملائكة للعباد عن أعمالهم وتفريطهم فيها ـ قال تعالى (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ)[٣] .

د ـ شهادة الالسنة ، والارجل ، والايدى والسمع والبصر والجلد والارض والليل والنهار والحفظة الكرام قال تعالى .. (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا . قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[٤] .

هـ ـ رؤيه جهنم وزبانيتها قال تعالى .. (وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ)[٥] .

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك ـ ج ٤ وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وأقره الامام الذهبى ص ٥٧٢ .

(٢) * صحيح الامام البخارى المجلد الثانى كتاب التفسير باب تفسير سورة المطففين ج ٦ ص ٢٠٧ .
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد السادس ج ١٧ كتاب الجنه وصفة نعيمها واهلها باب صفة يوم القيامة اعاننا الله على اهوله ص ١٩٥ .

(٣) سورة الصافات آيه ٢٥ .

(٤) سورة فصلت آيه (١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١) .

(٥) سورة النازعات آيه (٣٦) .

و – بعث الناس حفاة عراة (فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا) [١] قلت : يا رسول الله ! النساء والرجال جميعا ، ينظر بعضهم الى بعض ؟ قال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ! الامر أشد من أن ينظر بعضهم الى بعض) [٢] .

ز – فرار المرء من أمه وأبيه وصاحبته وبنيه .. قال تعالى :- (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) [٣] .

وينجو من هذه الاهوال الانبياء والاولياء والصالحون قال تعالى في حقهم (لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) [٤] .

وحين هنا تشتد الاهوال على الناس فيتجهون الى الانبياء ويلتمسون منهم الشفاعة عند الله فيتعذر كل نبى حتى يصل الجمع الى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم فيقبل الله شفاعته ويبدأ الحساب .

والشفاعة قد تنسب الى الله – سبحانه وتعالى كما فى قوله تعالى : " أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " [٥] .

---

(١) السيدة عائشة
(٢) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد السادس ج ١٧ كتاب الجنه وصفة نعيمها واهلها باب فناء الدنيا وبيان الحشر ص١٩٢ ، ١٩٣ .
(٣) سورة عبس آية (٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧) .
(٤) سورة الانبياء آيه (١٠٣) .
(٥) سورة الزمر آيه (٤٣ ، ٤٤) .

فيكون معناها قبول الشفاعه أو العفو — فالحكم له سبحانه وتعالى وهو العفو الغفور لمن اعترف له بالوحدانيه ولمحمد عليه الصلاة والسلام بالرسالة وان لم يعمل خيرا قط لقوله سبحانه وتعالى " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ " (١) .

وقد تنسب الشفاعه لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم — وتختص به وهى الشفاعة العظمى ، وقد تكون له — عليه السلام ولغيره من الانبياء عليهم جميعا السلام كما فى قوله تعالى " يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا " (٢) .

وقد اختص الرسول صلى الله عليه وسلم بأمور ثلاثه :

١— كونه شافعا — اى طالب الخير من الله للخلائق .
٢— كونه مشفعا — اى مقبول الشفاعه .
٣— كونه صلى الله عليه وسلم مقدما فى الشفاعه على غيره حيث يفتح للانبياء باب الشفاعة بالشفاعه العظمى فى فصل القضاء .

ولعل هذا هو المقام المحمود الذى وعد الله — سبحانه وتعالى به نبيه فى قوله " عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا " (٣) او هو أول المقام المحمود وآخره استقرار اهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم — اول الشافعين فمن هؤلاء الشافعون الذين سيشفعون مع رسول الله وبعده .

١— سائر الانبياء والمرسلين .
٢— الملائكة .
٣— الصحابة رضوان الله عليهم .
٤— المؤمنون وخاصة الشهداء والعلماء .

فكل واحد من هؤلاء يشفعون فى أهل الكبائر على قدر مقدار مقامه عند الله .

---

(١) سورة النساء آيه ١١٦ .
(٢) سورة طه آيه ١٠٩ .
(٣) سورة الاسراء آيه ٧٩ .

والشـــفاعة انواع هي :

١ـ للاراحـــه من هول الموقف وتعجيل الحســـاب .
٢ـ في ادخال قوم الجنة بغير حســاب .
وهما خاصتان بالنبي صلى الله عليه وسلم .
٣ـ فيمن دخل النار من مذنبي الامة المحمدية .
ويشارك الرسول صلى الله عليه وسلم الانبياء والملائكة والصحابـــــــه والمؤمنون من شهداء وعلماء وغير ذلك ممن رضي الله له قولا .
٤ـ الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم الا يدخلوها .
٥ـ الشفاعة في رفع الدرجـــات .
٦ـ في تخفيف العذاب ممن استحق الخلود في النار وهي خاصة للنبـــــي صلى الله عليه وسلم لتخفيف العذاب لعمه ابي طالب فقط .

تلك هي مقدمة سريعه عن الشفاعة في الاخره وانواعها واصحاب الحق فيهـــا وان شاء الله سأتحدث عن كل نوع بشيء من التفصيل والله المستعان .

⁂ ⁂

أولا : الشفاعـــة العظمى :

محمد صفوة الهادى ورحمتـــــه ... وبغية الله من خلق ومن نسمه [1]

اللهم اعط سيدنا محمد الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعـــــة ، وابعثه اللهم المقام المحمود الذى وعدته ، انك لا تخلف الميعاد .. وبعد .. تاتى كل امة يوم القيامة مع رسولها ، فلا امة كهذه الامة فضلا ، ولا رســــــول كرسولنا صلى الله عليه وسلم ، رتبة وقدرا .

ورسولنا النبى الامى ، الذى اصطفاه الله ، والذى لا تدرك العقول الراجحه كنه أسرار اصطفائه ، واجتبائه الربانى الذى لا تحيط الالباب الواعية بجزء مقتضيات اجتبائه ، لا غرابة ان جعل الله امره خارقا للعادة ، حتى كان بشرا ، وليس كسائر البشر ، ورسولا ، وليس كسائر الرسل ، بل كـــان رحمة من الله للعالمين ونبيا مرسلا لا كسائر الانبياء والمرسلين : " اعطيـــت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من امتى ادركته الصلاة فليصل ، واحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى ، واعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعـــث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامـــة " [2] .

(قال النبى المصطفى اعطيت مـــا ... لم يعطه احد سواى بجملتـــه
بالرعب كانت نصرتى واللـــه قد ... سمان احمد فى السماء بمنتـــه
والله اعطانى مفاتح ارضـــــه ... وترابها طهر لنا من رحمتـــه
ولى الشفاعة عنده العظمى الــتى ... ليست لغيرى يوم حشر خليقته) [3]

---

(١) نهج البردة لامير الشعراء احمد شوقى ص ١٧ .

(٢) صحيح الامام البخارى المجلد الاول ج ١ كتاب الصلاة ـ باب قول النبـــى صلى الله عليه وسلم جعلت لى الارض مسجدا وطهورا عن جابر بن عبد اللـــه ص ١١٩ .
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الثانى ج ٥ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ص ٣ ، ٤ .
* سنن النسائى كتاب الغسل ٣٦ باب التيمم بالصعيد المجلد الاول ج ١ ص ٢٠٩ ، ٢١١ .
* سنن الدارمى ج ٢ كتاب الصلاة باب ١١١ الارض كلها طاهره ما خلا المقبره والحمام حديث رقم (١٣٩٦) ص ٢٦٣ .

(٣) المنظومه الشكريه فى النصائح الدينيه للسيد شكرى باشا ج ٤ ص ١٠٢ ، ١٠٣ باختصار .

والشفاعة الاولى وهى العظمى الخاصة به من بين سائر اخوانه من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين هى التى يرغب اليه فيها الخلائق كلهم حتى ابراهيم الخليل ، وموسى الكليم ، ويتوسل الناس الى آدم، فمن بعده من المرسلين ، فكل يحيد عنها ، ويقول : لست بصاحبها ، حتى ينتهى الامر الى سيد ولد آدم فى الدنيا والاخرة محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول : أنا لها ، فيذهب فيشفع عند الله فى أن يأتى ليفصل بين عباده ويريحهم من مقامهم ذلك ،ويميز بين مؤمنهم وكافرهم ، بمجازاة المؤمنين بالجنة ، والكافرين بالنار) [1] .

(عن ابى هريرة رضى الله عنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسه ثم قال انا سيد الناس يوم القيامة ،وهل تدرون مم ذلك يجمع الناس الاولين والاخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس الا ترون ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له انت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه الا ترى الى ما قد بلغنا فيقول آدم ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وانه نهانى عن الشجرة فعصيته نفس نفس نفس ، اذهبوا الى غيرى ، اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون يانوح انك أول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه فيقول ان ربى عز وجل قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ،

---

(١) النهاية لابن كثير ـ جـ ٢ ذكر الاحاديث الوارده فى شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامه وبيان انواعها وتعدادها والنوع الاول منها شفاعته الاولى وهى العظمى • ص ٢٦٨ •

ولن يغضب بعده مثله وانه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى ، اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقولون يا ابراهيم انت نبى الله وخليله من أهل الارض ، اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه ، فيقول لهم ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وانى قد كنت كذبت ثلاث كذبات ،فذكرهن أبو حيان فى الحديث نفسى نفسى نفسى ،اذهبوا الى غيرى ،اذهبوا الى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وانى قد قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد صبيا اشفع لنا ،الا ترى الى ما نحن فيه فيقول عيسى ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى ، اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله ، وخاتم الانبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه ،فأنطلق فآتى تحت العرش ، فأقع ساجدا لربى عز وجل ، ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى ، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأقول : أمتى يارب ، أمتى يارب ، فيقال يا محمد أدخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من الابواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب)[1] .

---

(١) * صحيح الامام البخارى ــ المجلد الثانى ــ ج ٦ كتاب التفسير ــ سورة بنى اسرائيل ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ والنص له ــ وفى كتاب التوحيد ــ المجلد الثالث ــ ج ٩ ص ١٤٩ ، ١٥٠ غير ان تلك الروايه افادت ان الناس تماء لوا بينهم وقالوا (لو تشفعنا الى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا) .

* صحيح الامام مسلم ــ بشرح الامام النووى المجلد الاول ج ٣ ــ كتاب الايمان تحت عنوان (الشفاعة) ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ــ (=)

جاء في صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى :

(" فرفع اليه الذراع " قال القاضى عياض رحمه الله تعالى محبته صلى الله عليه وسلم للذراع لنضجها وسرعة استمرائها مع زيادة لذتها وحلاوة مذاقها وبعدها عن مواضع الاذى هذا اخر كلام القاضى قوله (فنهس منها نهسه) هو بالسين المهملة قال القاضى عياض اكثر الرواة رووه بالمهمله ووقع بالمعجمه وكلاهما صحيح بمعنى اخذ بأطراف أسنانه قال الهروى قال ابو العباس النهس بالمهملة بأطراف الاسنان وبالمعجمة الاضراس .

وقوله (يجمع الناس الاولين والاخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر) وفى روايه الامام مسلم (يجمع الله يوم القيامة الاولين والاخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر) اما الصعيد فهو الارض الواسعة المستوية واما ينفذهم البصر فهو بفتح الياء وبالذال المعجمة وذكر الهروى وصاحب المطالع وغيرهما انه روى بضم الياء وبفتحها قال صاحب المطالع رواه الاكثرون بالفتح وبعضهم بالضم قال الهروى قال الكسائى يقال نفذنى بصره اذا بلغنى وجاوزنى قال ويقال أنفذت القوم اذا خرقتهم ومشيت فى وسطهم فان جزتهم حتى تخلفتهم قلت نفذتهم بغير ألف وأما معناه

(=) وروايه اخرى ص ٦١، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .

* الترمذى (٣٨) كتاب صفة القيامة (١٠) باب ما جاء فى الشفاعه ج ٤ حديث رقم (٢٤٣٤) ص ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ (حسن صحيح) وذكر فى ٤٨ كتاب تفسير القرآن (١٨ باب) ج ٥ حديث رقم (٣١٤٨) ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

* ابن ماجه ٣٧ كتاب الزهد ــ ٣٧ باب ذكر الشفاعة ــ حديث رقم (٤٣١٢) ص ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ مسند عبد الله بن العباس .

* الامام احمد ج ١ مسند ابى بكر الصديق ص ٤ ، ٥ وكذا فى ص ٢٨١ ، ٢٨٢ وكذا فى ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ . وكذلك فى ج ٣ مسند انس بن مالك ص ١١٦ .

* الدارمى ج ١ مقدمه ٨ باب ما اعطى النبى صلى الله عليه وسلم من الفضل رقم الحديث (٥٣) ص ٣١ ، ٣٢ .

فقال الهروى قال أبو عبيد معناه ينفذهم بصر الرحمن تبارك وتعالى حتى ياتى عليهم كلهم وقال غير أبى عبيد أراد تخرقهم ابصار الناظرين لاستواء الصعيد والله تعالى قد احاط بالناس اولا واخرا هذا كلام الهروى وقال صاحب المطالع معناه انه يحيط بهم الناظر لا يخفى عليه منهم شئ لاستواء الارض اى ليس فيها ما يستتر به احد عن الناظرين قال وهذا أولى من قول أبى عبيد يأتى عليهم بصر الرحمن سبحانه وتعالى لان رؤية الله تعالى تحيط بجميعهم فى كل حال فى الصعيد المستوى وغيره هذا قول صاحب المطالع قال الامام أبو السعادات الجزرى بعد ان ذكر الخلاف بين ابى عبيد وغيره فى أن المراد بصر الرحمن سبحانه وتعالى أو بصر الناظر من الخلق قال ابو حاتم أصحاب الحديث يروونه بالذال المعجمه وانما هو بالمهمله اى يبلغ اولهم واخرهم حتى يراهم كلهم ويستوعبهم من نفد الشئ وانفدته قال وحمل الحديث على بصر الناظر اولى من حمله على بصر الرحمن هذا كلام أبى السعادات فحصل خلاف فى فتح الياء وضمها وفى الذال والدال وفى الضمير فى ينفذهم والاصح فتح الياء وبالذال المعجمه وانه بصر المخلوق والله اعلم)[1] .

(وجاء فى شرح الشفا " يجمع الله الناس فى ارض مستويه لا ترى فيها عوجا " حيث يسمعهم الداعى " اى صوته وهذا على الفرض والتقدير " وتنفذهم البصر " اى يبلغهم ويجاوزهم بصر الباصر بحيث لا يخفى احد منهم من الاكابر والاصاغر لاستواء الصعيد الباهر .

وقول ابى عبيد فى حمل الحديث على بصر المبصر اولى من حمله على بصر الرحمن لان بصر الرحمن ياتى عليهم جميعا وفيه أن بصره تعالى دائما محيط بهم وقد يدفع بان اثباته مقيدا لا ينافى دوامه ولعل وجه التخصيص هو افادة هول المقام أو ظهور ذلك الوصف على وجه الكمال والتمام على سائر الانام كما ذكروا فى قوله سبحانه (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)[2] .

---

(١) شرح الامام النووى لصحيح الامام مسلم ـ المجلد الاول جـ ٣ كتاب الايمان باب الشفاعة من ص ٦٥ : ٦٧ باختصار .

(٢) سورة الفاتحه آيه (٤) انظر شرح الشفا لعلى القارئ جـ ١ ص٤٦١ . باختصار .

(وقال الامام القسطلانى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضـــل الناس يوم القيامة وهو السيد الذى يهرع الناس اليه لتفريج كربهم وكشـف غمتهم ثم بين النبى صلى الله عليه وسلم السبب الذى تظهر به سيادتـه يوم القيامة على جميع الناس بقوله (يجمع الله الاولين والاخرين ....) الى آخره وفى قوله (يسمعهم الداعى) لان الابصار والاسماع تقوى فى هذا اليوم كما قال تعالى : (فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ) [1] وقـال تعالى (يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ) [2] وقال : (مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ) [3] اى مسرعين اليه مادى اعناقهـم) .

(وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقـون ولا يحتملون فيقول الناس الا ترون ما قد بلغكـم) .

جاء فى كتاب الاحاديث القدسية قول القسطلانى (ان المراد دنـو الشمس من الناس مع اشتداد حرها فيقول بعض الناس لبعض (الا تـرون ما قد بلغكم) يلهمهم الله تعالى هذا القول لحكمة كبرى وهى اظهـار فضل الشفيع لهم واعلان سيادة النبى صلى الله عليه وسلم (الا تنظرون مـن يشفع لكم الى ربكم) اى عند ربكم لعله ينقذكم من طول الوقوف ويعجل لهـم الحساب والانصراف من هول هذا اليوم الشديد هوله : " إِنَّا نَخَـافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ") [4] .

---

(١) سـورة (ق) آيـه (٢٢) .
(٢) سـورة (ق) آيـه (٤٢) .
(٣) سـورة القمـر آيه (٨) .
(٤) سورة الانسان آيـه (١٠) .

الاحاديث القدسيه ج ٢ (٣٥) ما جاء من احاديث الشفاعة ص ٤٨، ٤٩ نقل من ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى العلامة القسطلانى ج ٥ .
كتاب بدء الخلق باب انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك مـن قبل ان يأتيهم عذاب اليم ص ٣١٩، ٣٢١ .

وجاء فى شرح الشفا لعلى القارى (ان الشمس تدنوا من رؤوس الناس فى ذلك اليوم قدر الميل [illegible] على اختلاف فى ان المراد منه ميل الفرسخ او ميل المكحله ثم قيل الشمس فى الدنيا وجهها الى جهة السماء وهى ظاهرة لنا من جهة القفا فينقلب امرها فى القصبى (فيبلغ الناس) بالنصب وقيل بالرفع (من الغم)بيان مقدم لقوله (مالا يطيقون)اى الصبر عليه والتحمل لديه وهذا معنى قوله (ولا يحتملون) اى لا يقدرون ولا يستطيعون (فيقولون) اى بعضهم لبعض (الاتنظرون) اى تختارون (من يشفع لكم) اى الى ربكم فى ازاحة شدة الموقف عنكم)[1] .

(فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام) جاء فى الاحاديث القدسيه نقلاً عن القسطلانى (ثم يلهمهم الله تعالى الى التوجه الى آدم عليه السلام (فيقولون له أنت أبو البشر) .
أى الذى يحزنه ما يسوءهم ،ويسعى لتفريج كربهم ، ثم يذكرون له نعم الله عليه التى تجعله يرجو أن تقبل شفاعته ،فلا يتأخر عن اجابة مطلبهم فيقولون له : (خلقك الله بيده) اى بقدرته من غير واسطة أب ولا أم (ونفخ فيك من روحه) دون بقية الخلق ،فان الله يأمر الملك الموكل بالارحام ينفخ الروح فيه (وأمر الملائكة فسجدوا لك) اى سجدوا لله متجهين لك كالقبله ، تعظيما لك وأضافة الروح الى الله للتشريف والتعظيم والاختصاص اى الروح التى استأثر الله بخلقها ويعلم اسرارها (الا تشفع لنا الى ربك اى عند ربك الا ترى ما نحن فيه) من الكرب (وما بلغنا) من الشدائد وذلك استعطاف منهم لادم عليه السلام ، لعله يقبل منهم فيشفع لهم فيذكر لهم سبب امتناعه عن الشفاعه لهم ، قائلا : (ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله) قال لان ايام الدنيا كانت ايام امهال وانظار للعباد لعلهم يرجعون اليه ويتوبون . وأنه لا يغضب بعده مثله لانه بعد فصل القضاء يستقر الناس فى مستقرهم : فريق فى الجنه وفريق فى السعير . ونسبه الغضب الى الله تعالى : المراد به لازمه ، وهو ايصال الشر لمن غضب عليه) .

---

(١) شرح الشفا لعلى القارى جـ ١ ص ٤٦٤ بتصرف .

(وانه نهانى عن الشجره) اى عن الاكل منها (فعصيته) فلذلك لا يمكننى التقدم للشفاعة بل أرجو انيسامحنى الله تعالى من ذلك (نفسى نفسى) اى هى التى اطلب نجاتها .

أقول : قد سمى الله تعالى اكله من الشجرة عصيانا ، فقال (وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ) [1] الا انه عقبه بقوله : (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) [2] وقال فى سورة البقرة : (فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [3] .

ولعل هذه الكلمات هى قوله من سورة الاعراف : (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [4] .

فآدم — ولئن كان الله قد تاب عليه واجتباه واصطفاه بالرسالة — يكون يوم القيامه شديد الخوف من الله تعالى كما هو شأن المقربين يكونون شديدى الخوف من الله تعالى لذلك لم يتقدم للشفاعه وقال : (نفسى ، نفسى) أى هى التى تستحق ان يشفع لها) [5] .

قال الامام النووى رحمه الله (قوله " الا ترى الى ما قد بلغنا " هو بفتح الغين هذا هو الصحيح المعروف وضبطه بعض الائمة المتاخرين بالفتح والاسكان وهذا له وجه ولكن المختار ما قدمناه ويدل عليه قوله فى هذا الحديث قبل هذا (الاترون ما قد بلغكم) ولو كان باسكان الغين لقال بلغتم . قوله (فيقول آدم وغيره من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله) المراد بغضب الله تعالى ، مايظهر من انتقامه ممن عصاه وما يرونه من أليم عذابه وما يشاهده أهل المجمع من الاهوال التى لم تكن ولا يكون مثلها ولا شك فى ان هذا كله لم

---

(١) سورة طه آيه (١٢١) .
(٢) سورة طه آيه (١٢٢) .
(٣) سورة البقره آيه (٣٧) .
(٤) سورة الاعراف آيه (٢٣) .
(٥) الاحاديث القدسيه جـ ٢ ص ٤٩ ، ٥٠ بتصرف .

لم يتقدم قبل ذلك اليوم مثله ولا يكون بعده مثله فهذا معنى غضب الله تعالى كما ان رضاه ظهور رحمته ولطفه بمن أراد به الخير والكرامة لان الله تعالى يستحيل فى حقه التغير فى الغضب والرضا والله اعلم) [1]

وجاء فى روايه اخرى (يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وقال ابن عبيد فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا قال فيأتون ادم صلى الله عليه وسلم فيقولون أنت آدم ابو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التى اصاب فيستحى ربه منها ولكن ائتوا نوحا اول رسول بعثه الله قال فيأتون نوحا صلى الله عليه وسلم فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحى ربه منها ولكن ائتوا ابراهيم صلى الله عليه وسلم الذى اتخذه الله خليلا فيأتون ابراهيم صلى الله عليه وسلم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى اصاب فيستحى ربه منها ولكن ائتو موسى صلى الله عليه وسلم الذى كلمه الله واعطاه التوراه قال فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى اصاب فيستحى ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتون فأستاذن على ربى فيوءذن لى فاذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسى فاحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى ثم أشفع فيحد لى حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنه ثم أعود فاقع ساجدا فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى

---

(١) شرح النووى لصحيح الامام مسلم ـ المجلد الاول ج ٣ ـ كتاب الايمان ـ الشفاعة ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ .

ثم يقال ارفع رأسك يا محمد قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسى فاحمد ربى بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لى حدا فأخرجهم من النار وادخلهم الجنه قال فلا ادرى فى الثالثه أو فى الرابعة قال فأقول يارب ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن اى وجب عليه الخلود قال ابن عبيد فى روايته قال قتادة اى وجب عليه الخلود)(١) .

وعندما نعود للشرح مرة اخرى (نجد ان الروايه الثانية ذكرت لفظ " فيهتمون وفى روايه فيلهمون ومعنى اللفظين متقارب فمعنى الاول انهم يعتنون بسؤال الشفاعة وزوال الكرب الذى هم فيه ومعنى الثانية أن الله تعالى يلهمهم سؤال ذلك والالهام ان يلقى الله تعالى فى النفس امرا يحمل على فعل الشىء او تركه والله اعلم)(٢) .

(وجاء فى فتح البارى بانه ضمن معنى استشفعنا سعى لان الاستشفاع طلب الشفاعة وهى انضمام الادنى الى الاعلى ليستعين به على ما يروق . قوله (حتى يريحنا) فى رواية مسلم " فيريحنا " وفى حديث ابن مسعود عند ابن حبان " أن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول : يارب أرحنى ولو الى النار " وفى رواية ثابت عن أنس " يطول يوم القيامة على الناس فيقول بعضهم لبعض : انطلقوا بنا الى ادم ابى البشر فليشفع لنا الى ربنا فليقض بيننا " وفى حديث سلمان " فاذا راوا ما هم فيه قال بعضهم لبعض ائتوا اباكم آدم " قوله (حتى يريحنا من مكاننا هذا) فى رواية

---

(١) صحيح الامام مسلم بشرح النووى ـ المجلد الاول جـ ٣ ـ كتاب الايمان ما جاء فى عصمة الانبياء عليهم السلام من ص ٥٣ : ٥٨ وله روايات اخرى كلهم اخذ من قتاده عن انس ص ٥٩ والنص له .
* صحيح الامام البخارى ـ المجلد الثالث ـ جـ ٨ ـ كتاب الرقاق ـ باب صفة الجنه والنار ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٢) شرح الامام النووى لصحيح الامام مسلم ـ المجلد الاول ـ جـ ٣ ما جاء فى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ص ٥٣ .

ثابت " فليقضى بيننا " وفى رواية حذيفه وابى هريره فيقولون يا ابانا استفتح لنا الجنـــه ") [١] .

قوله " لست هناكم " قال الامام النووى (قوله صلى الله عليه وسـلم فى الناس انهم يأتون آدم ونوحا وباقى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فيطلبون شفاعتهم فيقولون لسنا هناكم ويذكرون خطاياهم الى أخره اعلم أن العلمـاء من أهل الفقه والاصول وغيرهم اختلفوا فى جواز المعاصى على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وقد لخص القاضى رحمه الله تعالى مقاصد المسئله فقـال لا خلاف ان الكفر عليهم بعد النبوة ليس بجائز بل هم معصومون من كـل كبيرة واختلف العلماء هل ذلك بطريق العقل او الشرع فقال الاستاذ ابو اسحـاق ومن معه ذلك ممتنع من مقتضى دليل المعجزه وقال القاضى ابو بكر ومـن وافقه ذلك عن طريق الاجماع وذهبت المعتزلة الى ان ذلك من طريق العقـل وكذلك اتفقوا على أن كل ما كان طريقه الابلاغ فى القول منهم معصومون فيه على كل حال واما ماكان طريقه الابلاغ فى الفعل فذهب بعضهم الى العصمة فيه رأسا وأن السهو والنسيان لا يجوز عليهم فيه وتأولوا احاديث السهو فى الصلاة وغيرهـا وهذا مذهب الاستاذ ابى المظفر الاسفراينى من ائمتنا الخراسانيين المتكلميـن وغيره من المشايخ المتصوفه وذهب معظم المحققين وجماهير العلماء الى جـواز ذلك ووقوعه منهم وهذا هو الحق ثم لابد من تنبيههم عليه وذكرهم ايـاه اما فى الحين على قول جمهور المتكلمين واما قبل وفاتهم على قول بعضهـم ليسنوا حكم ذلك ويبينوه قبل انخرام مدتهم وليصح تبليغهم ما انزل اليهـم وكذلك لاخلاف انهم معصومون من الصغائر التى تزرى بفاعلها وتحط منزلتـه وتسقط مروأته واختلفوا فى وقوع غيرها من الصغائر منهم فذهب معظم الفقهـاء والمحدثين والمتكلمين من السلف والخلف الى جواز وقوعها منهم وحجتهم ظواهـر القرآن والاخبار وذهب جماعة من أهل التحقيق والنظـر من الفقهاء والمتكلمين من ائمتنا الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر وان منصب النبوة يجل من مواقعها وعن مخالفة الله تعالى عمدا وتكلموا على الايات والاحاديـث الواردة فى ذلك وتأولوها وان ما ذكر عنهم من ذلك انما هو فيما كان منهم على تاويل او سهو أو من اذن من الله تعالى فى أشياء اشفقوا مـن

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١١ ـ ٨١ كتاب الرقاق ـ ٥١ باب صفة الجنه والنار ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ .

المؤاخذة بها وأشياء منهم قبل النبوة وهذا المذهب هو الحق لما قدمناء ولانه لو صح ذلك منهم لم يلزمنا الاقتداء بافعالهم واقرارهم وكثير من اقوالهم ولا خلاف فى الاقتداء بذلك وانما اختلاف العلماء هل ذلك على الوجوب او على الندب او الاباحة او التفريق فيما كان من باب القرب او غيرها ولايهولك ان نسب قوم هذا المذهب الى الخوارج والمعتزله وطوائف من المبتدعة إذ منزعهم فيه منزع اخر من التكفير بالصغائر ونحن نتبرأ الى الله تعالى من هذا المذهب) [١] .

(وجاء فى فتح البارى قوله (لست هناكم) قال عياض : قوله لست هناكم كناية عن ان منزلته دون المنزلة المطلوبة قاله تواضعا واكبارا لما يسألونه ، قال : وقديكون فيه اشارة الى ان هذا المقام ليس لى بل لغيرى قلت : وقد وقع فى رواية معبد بن هلال " فيقول لست لها " وكذا فى بقية المواضع ، وفى رواية حذيفة " لست بصاحب ذلك " وهو يؤيد الاشارة المذكورة قوله (ويذكر خطيئته) زاد مسلم (التى اصاب) والراجع الى الموصول محذوف تقديره أصابها ، زاد همام فى روايته " أكله من الشجرة ،وقد نهى عنها " وهو ينصب أكله بدل من قوله خطيئته وفى رواية هشام " فيذكر ذنبه فيستحى " وفى رواية ابن عباس " انى قد اخرجت بخطيئتى من الجنة " وفى رواية ابى نضرة عن ابى سعيد وانى اذنبت ذنبا فأهبطت به الى الارض وفى رواية حذيفه وابى هريره معا " هل اخرجكم من الجنه الا خطيئة ابيكم ادم ") [٢] .

---

(١) شرح الامام النووى لصحيح الامام مسلم ــ المجلد الاول ــ ج ٣ ــ كتاب الايمان باب ما جاء فى عصمته الانبياء عليهم الصلاة والسلام ص ٥٣ ، ٥٤ باختصار .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ــ ج ١١ ــ ٨١ كتاب الرقاب ــ ٥١ باب صفه الجنه والنار ص ٤٣٣ .

وقال القاضى عياض فى مسلم بشرح النووى (ان قول كل نبى لست هناكم تواضعا واكبار لما يسئلونه وكل واحد منهم يدل على الاخر حتى انتهى الامر الى صاحبه قال ويحتمل انهم علموا ان صاحبها محمد صلى الله عليه وسلم معينا وتكون احالة كل واحد منهم على الاخر على تدريج الشفاعه فى ذلك الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال وفيه تقديم الاباء على الانبياء فى الامور التى لها بال قال واما مبادرة النبى صلى الله عليه وسلم لذلك واجابته لدعوتهم فلتحققه صلى الله عليه وسلم ان هذه الكرامة والمقام له صلى الله عليه وسلم خاصة انتهى " وقال الامام النووى والحكمة فى أن الله تعالى ألهمهم سؤال آدم ومن بعده صلوات الله وسلامه عليهم فى الابتداء ولم يلهموا سؤال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هى والله اعلم . اظهار فضيلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانهم لو سألوه ابتداء لكان يحتمل أن غيره يقدر على هذا ويحصله واما اذا سألوه غيره من رسل الله تعالى وأصفيائه فامتنعوا ثم سألوه فأجاب وحصل غرضهم فهو النهاية فى ارتفاع المنزلة وكمال القرب وعظيم الادلال والانس . وفيه تفضيله صلى الله عليه وسلم على جميع المخلوقين من الرسل والادميين والملائكة فان هذا الامر العظيم وهى الشفاعة العظمى لا يقدر على الاقدام عليه غيره صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين والله اعلم)(١) .

(وجاء فى فتح البارى قوله (ائتوا نوحا فيأتونه) فى رواية هشام " فانه اول رسول بعثه الله الى اهل الارض " وفى حديث ابى بكر (انطلقوا الى ابيكم بعد ابيكم ، الى نوح ، ائتوا عبدا شاكرا " وفى حديث ابى هريرة " اذهبوا الى نوح «فيأتون نوحا فيقولون : يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا " وفى حديث أبى بكر

---

(١) صحيح الامام مسلم بشرح النووى ـ المجلد الاول ـ جـ ١ ـ كتاب الايمان ـ الشفاعة ص ٥٦ باختصار .

" فينطلقون الى نوح فيقولون : يا نوح اشفع لنا الى ربك ، فان اللـــه اصطفاك واستجاب لك فى دعائك ولم يدع على الارض من الكافرين ديـــارا " ويجمع بينهما بأن آدم سبق الى وصفه بأنه اول رسول فخاطبه أهل الموقف بذلك وقد استشكلت هذه الاولية بان آدم نبى مرسل وكذا شيث وادريس وهـــم قبل نوح ، ومحصل الاجوبة عن الاشكال المذكور ان الاوليه مقيده بقولـــه " أهل الارض " لان آدم ومن ذكر معه لم يرسلوا الى اهل الارض ، ويشكـــل عليه حديث جابر ، ويجاب بأن بعثته الى أهل الارض باعتبار الواقع لصدق انهم قومه بخلاف عموم بعثه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقومة ولغير قومــه او الاولية مقيدة بكونه اهلك قومه ، أو ان الثلاثة كانوا أنبياء ولم يكونـــوا رســـلا ، والى هذا جنح ابن بطال فى حق آدم ، وتعقبه عياض بمـــا صححه ابن حيان من حديث ابى ذر فانه كالصريح فى انه كان مرسلا وفيـــه التصريـــح بانزال الصحف على شيث وهو من علامات الارسال ، وأما ادريـــس فذهبت طائفه الى انه كان فى بنى اسرائيل وهو الياس ، وقد ذكر ذلك فـــى احاديث الانبياء .

ومن الاجوبه ان رسالة آدم كانت الى بنيه وهم موحدون ليعلمهم شريعته ، ونوح كانت رسالته الى قومه كفار يدعوهم الى التوحيد . قوله (فيقـــول لست هناكم ، ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحى ربه منها) وفى روايـــه هشام " ويذكر سؤال ربه ما ليس له به علم " وفى رواية شيبان " سؤال اللـــه " وفى رواية معبد بن هلال مثل جواب ادم لكن قال " وانه كانت لى دعوة دعوت بها على قومى " وفى حديث ابن عباس " فيقول ليس ذاكـــم عندى " وفى حديث ابى هريرة " انى دعوت دعوة أغرقت أهل الارض " ويجمع بينه وبين الاول بأنه اعتذر بامرين :

احدهما نهى الله تعالى له أن يسأل ماليس له به علم فخشى ان تكون شفاعته لاهل الموقف من ذلك ، ثانيهما انه له دعوة واحدة محققة الاجابـــة وقد استوفاها بدعائه على اهل الارض فخشى ان يطلب فلا يجاب .

وقال بعض الشراح كان الله وعد نوحا ان ينجيه وأهله ، فلما غرق ابنـــه ذكر لربه ما وعد ، فقيل له : المراد من أهلك من آمن وعمل صالحا فخرج ابنك منهم ، فلا تسأل ما ليس لك به علم .

(تنبيهان) : الاول سقط من حديث ابى حذيفه المقرون بابى هريرة ، ذكر نوح ، فقال فى قصة ادم : اذهبوا الى ابنى ابراهيم وكذا سقط من حديث ابن عمر ، والعمدة على من حفظ .

"والثانى " ذكر ابو حامد الغزالى من كشف علوم الاخره ان بين اتيان اهل الموقف ادم واتيانهم نوحا الف سنه وكذا بين كل نبى ونبى الى نبينا صلى الله عليه وسلم ولم اقف لذلك على اصل "(١) .

وجاء في شرح الشفا لعلى القارى قوله (اذهبوا الى غيرى) من الانبياء الاصفياء عموما (اذهبوا الى نوح) اى خصوصا لانه اول أولى العزم من الرسل (فيقولون) اى فيأتون نوحا فيقولون (انت اول الرسل الى اهل الارض)اى من الكفار والفجار فلاينافى ان ادم ايضا مرسل الى اولاده الابرار وكذا شيث بن آدم وادريس جد نوح ولد شيث على ما عليه علماء الاخبار (وسماك الله عبدا شكورا) اى وصفك به حيث قال فى كتابه كان عبدا شكورا اى مبالغا فى الشكر مع انه تعالى قال (وقليل من عبادى الشكور) (٢) .

قوله " ائتوا ابراهيم " فى رواية مسلم ولكن ائتوا ابراهيم الذى اتخذه الله خليلا ، (قال القاضى عياض رحمه الله تعالى اصل الخله الاختصاص والاستصفاء وقيل اصلها الانقطاع الى من خاللت مأخوذ من الخلة وهى الحاجة فسمى ابراهيم صلى الله عليه وسلم بذلك لانه قصر حاجته على ربه سبحانه وتعالى وقيل الخلة صفاء المودة التى توجب تخلل الاسرار وقيل معناها المحبه والالطاف هذا كلام القاضى وقال ابن الانبارى الخليل معناه المحب الكامل المحبه والمحبوب الموفى بحقيقه المحبه اللذان ليس فى حبهما نقص ولا خلل قال الواحدى هذا القول هو الاختيار لان الله عز وجل خليل ابراهيم وابراهيم خليل الله ولا يجوز ان يقال الله تعالى خليل ابراهيم من الخلة التى هى الحاجة والله اعلم) (٣) .

---

(١) فتح البارى شرح احاديث الامام البخارى ــ كتاب الرقاق ــ ٥١ باب صفة الجنه والنار ج ١١ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ باختصار .

(٢) سورة سبأ آيه (١٣) شرح الشفا لعلى القارى ج ١ ص ٤٦٥ .

(٣) شرح الامام النووى لصحيح الامام مسلم ــ المجلد الاول ــ ج ٣ ــ كتاب الايمان الشفاعة ص ٥٥ ، ٥٦ .

وجاء فى فتح البارى (قوله (ائتوا ابراهيم) فى رواية مسلم ، ولكن ائتوا ابراهيم الذى اتخذه الله خليلا " وفى رواية معبد بن هلال " ولكن عليكم يا براهيم فهو خليل الله . قوله (فيأتونه) فى رواية مسلم " فياتون ابراهيم " زاد ابو هريرة فى حديثه فيقولون : يا ابراهيم انت نبى الله وخليله من اهل الارض ، ثم اشفع لنا الى ربك " وذكر مثل ما لادم قولا وجوابا الا انه قال. " كنت كذبت ثلاث كذبات " وذكرهن . قوله (فيقول لست هناكم ،ويذكر خطيئته) زاد مسلم " التى أصاب فيستحى ربه منها "

وفى حديث ابى بكر " ليس ذاكم عندى " وفى روايه همام " انى كنت كذبت ثلاث كذبات " .زاد شيبان فى روايته "قوله انى سقيم ، وقوله فعله كبيرهم هذا ،ـــــــــــــــــــ ، وقوله لامرأته اخبر به انى أخوك " وفى روايه ابى نضرة عن ابى سعيد " فيقول انى كذبت ثلاث كذبات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منها كذبة الا ما حل بها عن دين الله " وما حل بمهملة بمعنى جادل وزنه ومعناه . ووقع فى رواية حذيقه المقرونه " لست بصاحب ذاك ، انما كنت خليلا من وراء وراء " . ومعناه لم اكن فى التقريب والادلال بمنزلة الحبيب . قال صاحب التحرير : كلمة تقال على سبيل التواضع ، اى لست فى تلك الدرجة . قال : وقد وقع لى فيه معنى مليح وهو أن الفضل الذى اعطيته كان بسفارة جبريل ، ولكن ائتوا موسى الذى كلمه الله بلا واسطة ، وكرر وراء اشارة الى نبينا صلى الله عليه وسلم لانه حصلت له الرويه والسماع بلا واسطة ، فكأنه قال أنا من وراء موسى الذى هو من وراء محمد ، قال البيضاوى : الحق ان الكلمات الثلاث انما كانت من معاريض الكلام ، لكن لما كانت صورتها صورة الكذب اشفق منها استصغارا لنفسه عن الشفاعة مع وقوعها ، لان من كان اعرف بالله وأقرب اليه منزلة كان اعظم خوفا . قوله (ائتوا موسى الذى كلمة الله) فى رواية مسلم " ولكن ائتوا موسى " وزاد " واعطاه التوراه " وكذا فى رواية هشام وغيره ، وفى رواية معبد بن هلال " ولكن عليكم بموسى فهو كليم الله " وفى رواية الاسماعيلى " عبدا اعطاه الله التوراه وكلمة تكليما " زاد همام فى روايته " وقربه نجيا " وفى رواية حذيقة المقرونه " اعمدوا الى موسى " قوله (فيأتونه) فى رواية مسلم " فيأتون موسى فيقول ، وفى

حديث ابى هبيرة "فيقولون ياموسى انت رسول الله فضلك الله برسالته وكلامه على الناس ، اشفع لنا " فذكر مثل آدم قولا وجوابا لكنه قال " انى قتلت نفسا لم اومر بقتلها " قوله فيقول لست هناكم ، زاد مسلم " فيذكر خطيئته التى اصاب قتل النفس " وللاسماعيلى " فيستحى ربه منها " وفى رواية ثابت عن سعيد بن منصور انى قتلت نفسا بغير نفس ، وان يغفر لى اليوم حسبى " وفى حديث ابى هريرة " انى قتلت نفسا لم اومر بقتلها وذكر مثل ما فى آدم . قوله (ائتوا عيسى) زاد مسلم " روح الله وكلمته" وفى رواية هشام " عبد الله ورسوله وكلمته وروحه " وفى حديث ابى بكر " فانه كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى . قوله (فيأتونه) فى رواية مسلم " فياتون عيسى " فيقول : لست هناكم " وفى حديث ابى هريرة " فيقولون ياعيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد صبيا ، اشفع لنا الى ربك " الا ترى ما نحن فيه ؟ "مثل آدم قولا وجوابا لكن قال : " ولم يذكر ذنبا " لكن وقع فى رواية الترمذى من حديث ابى نضرة عن ابى سعيد " انى عبدت من دون الله " وفى رواية احمد والنسائى من حديث ابن عباس " انى اتخذت الها من دون الله وفى رواية ثابت عن سعيد بن منصور نحوه وزاد " وان يغفر لى اليوم حسبى " قوله (ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر) فى رواية مسلم " وعبد غفر له الخ " زاد ثابت " من ذنبه " فى رواية هشام " غفر الله له " وفى رواية معتمر " انطلقوا الى من جاء اليوم مغفورا له ليس عليه ذنب " وفى حديث ثابت ايضا " خاتم النبيين قد حضر اليوم ، ارايتم لو كان متاع فى وعاء قد ختم عليه أكان يقدر على ما فى الوعاء حتى يفض الخاتم ، وعند سعيد بن منصور من هذا الوجه فيرجعون الى آدم فيقول أرايتم الخ " .

وفى حديث ابى بكر ولكن انطلقوا الى سيد ولد آدم فانه أول من تنشق عنه الارض " (١) .

---

(١) فتح البارى شرح صحيح الامام البخارى جـ ١١ كتاب الرقاق ص ٣٣٤، ٣٣٥ .

(قال القاضي عياض : رحمه الله تعالى في قوله صلى الله عليه وسلم " ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر " معناه والله اعلم قيل المتقدم ما كان قبل النبوة والمتاخر عصمتك بعدها وقيل المراد به ذنوب امته صلى الله عليه وسلم قلت فعلى هذا يكون المراد الغفران لبعضهم او سلامتهم من الخلود في النار ، وقيل المراد ماوقع منه صلى الله عليه وسلم عن سهو وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك وقيل المراد انه مغفور لك غير مؤاخذ بذنب لو كان وقيل هو تنزيه له من الذنوب صلى الله عليه وسلم والله اعلم) (١) .

وقال ابن حجر ان اللائق بهذا المقام القول بانه مغفور له غير مؤاخذ لو وقع اما القول القائل بان المتقدم ذنب آدم والمتاخر ذنب امته فلا يتاتى هنا ، ويستفاد من قول عيسى في حق نبينا هذا ومن قول موسى فيما تقدم " اني قتلت نفسا بغير نفس وان يغفر لي اليوم حسبي " مع ان الله قد غفر له بنص القرآن ، التفرقة بين من وقع منه شيء ومن لم يقع منه شيء اصلا ، فان موسى عليه السلام مع وقوع المغفرة له لم يرتفع اشفاقه من المؤاخذه بذلك ورأى في نفسه تقصيرا عن مقام الشفاعة مع وجود ما صدر منه ، بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك كله . ومن ثم احتج عيسى بأنه صاحب الشفاعة لانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر بمعنى ان الله اخبر أنه لا يوآخذه بذنب لو وقع منه .

(قال الداودي : كان راوي هذا الحديث ركب شيئا على غير اصله ، وذلك ان في أول الحديث ذكر الشفاعة في الاراحة من كرب الموقف وفي اخره ذكر الشفاعة في الاخراج من النار ، يعني وذلك انما يكون بعد التحول من الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار ، ثم يقع بعد ذلك الشفاعة في الاخراج ، وهو اشكال قوي ، قد أجاب عنه عياض وتبعه النووي وغيره) (٢) .

---

(١) شرح النووي لصحيح الامام مسلم ـ المجلد الاول ـ ج ٣ ـ كتاب الايمان الشفاعة ص ٥٧ بتصرف .

(٢) فتح الباري شرح احاديث الامام البخاري ـ ج ١١ كتاب الرقاق ص٤٣٥ ٤٣٨ بتصرف .

(" فياتونى فأستاذن على ربى فيوءذن لى " قال القاضى عياض رحمه الله تعالى معناه والله اعلم فيوءذن لى فى الشفاعة الموعود بها والمقام المحمود الذى إدخره الله تعالى له واعلمه انه يبعثه فيه وقال • وجاء فى حديث انس وحديث ابى هريرة ابتداء النبى صلى الله عليه وسلم بعد سجوده وحمده و الاذن له فى الشفاعة بقوله أمتى أمتى وقد جاء فى حديث حذيقه بعد هذا فى هذا الحديث نفسه قال فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم ويوءذن له وترسل الامانه والرحم فيقومان جنبتى الصراط يمينا وشمالا فيمر أولهم كالبرق وساق الحديث) (١) •

وبهذا يتصل الحديث لان هذه هى الشفاعة التى لجأ الناس اليه فيها وهى الاراحة من الموقف والفصل بين العباد ثم بعد ذلك حلت الشفاعه فى امته صلى الله عليه وسلم وفى المذنبين وحلت الشفاعة للانبياء والملائكه وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم كما جاء فى الاحاديث الاخر وجاء فى الاحاديث المتقدمة فى الروءية وحشر الناس واتباع كل امة ماكانت تعبد ثم تمييز الموءمنين من المنافقين ثم حلول الشفاعة ووضع الصراط فيحتمل ان الامر باتباع الامم ماكانت تعبد هو أول الفصل والاراحة من هول الموقف وهو أول المقام المحمود وأن الشفاعة التى ذكر حلولها هى الشفاعة فى المذنبين على الصراط وهو ظاهر الاحاديث وانها لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولغيره ثم ذكر بعدها الشفاعة فيمن دخل النار وبهذا تجتمع متون الحديث وتترتب معانيها ان شاء الله تعالى هذا اخر كلام القاضى والله اعلم) (٢) •

---

(١) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ــ المجلد الاول ــ جـ ٣ ــ كتاب الايمان ــ الشفاعة ــ ص ٧١ بتصرف •

(٢) فى شرح الامام النووى لصحيح الامام مسلم ــ المجلد الاول ــ جـ ٣ كتاب الايمان ــ الشفاعة ص ٥٧ ، ٥٨ •

(قال ابن حجر : فكأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الاخر ففى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " حتى يجىء الرجل فلا يستطيع السير الازحفار وفى جانبى الصراط كلا ليب مأموره بأخذ من أمرت به ، فمخدوش ناج ومكدوس فى النار " [1] فظهر منه أنه صلى الله عليه وسلم أول ما يشفع ليقضى بين الخلق ، وان الشفاعة فيمن يخرج من النار ممن سقط تقع بعد ذلك) [2] .

(وتعرض الطيبى للجواب عن الاشكال بطريق اخر فقال : يجوز ان يراد بالنار الحبس والكرب والشدة التى كان أهل الموقف فيها من دنو الشمس الى رؤسهم وكربهم بحرها وسفحها حتى الجمهم العرق ، وان يراد بالخروج منها خلاصهم من تلك الحاله التى كانوا فيها . قلت [3] : وهو احتمال بعيد ، الا ان يقال انه يقع اخراجان الاول وهو الخلاص من كرب الموقف ، والثانى ويظهر فى قوله (فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه) بعد تمام الخلاص من الموقف ونصب الصراط والاذن فى المرور عليه ، ويقع الاخراج الثانى لمن يسقط فى النار حال المرور فيتحدا .

وأجاب القرطبى عن أصل الاشكال بأن فى قوله اخر حديث ابى زرعه عن ابى هريره بعد قوله صلى الله عليه وسلم " فأقول يارب امتى امتى فيقال ادخل من امتك من الباب الايمن من ابواب الجنه من لا حساب عليه ولا عذاب قال : فى هذا ما يدل على ان النبى صلى الله عليه وسلم يشفع فيما طلب من تعجيل الحساب فانه لما اذن له فى ادخال من لا حساب عليه دل على تأخير من عليه حساب ليحاسب ، ووقع فى حديث الصور الكبير عن أبى

---

(١) صحيح الامام مسلم بشرح النووى المجلد الاول - ج ٣ - كتاب الايمان - الشفاعة - ص ٧٢ .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١١ - كتاب الرقاق ص ٤٣٨ .

(٣) المقصود بالقائل (ابن حجر العسقلانى) صاحب عمدة القارى شرح صحيح البخارى .

يعلى " فاقول يارب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى اهل الجنة يدخلون الجنه ، فيقول الله : وقد شفعتك فيهم واذنت لهم فى دخول الجنه " قلت : وفيه اشعار بان العرض والميزان وتطاير الصحف يقع فى هذا الموطن . ثم ينادى المنادى : ليتبع كل امة من كانت تعبد ، فيسقط الكفار فى النار ، ثم يميز بين المؤمنين والمنافقين بالامتحان بالسجود عند كشف الساق ، ثم يؤذن فى نصب الصراط والمرور عليه ، فيطفأ نور المنافقين فيسقطون فى النار ايضا ، ويمر المؤمنون عليه الى الجنة ، فمن العصاة من يسقط ويوقف بعض من نجا عند القنطرة للمقاصة بينهم ثم يدخلون الجنه ثم وقفت فى تفسير يحيى بن سلام البصرى نزيل مصر ثم افريقيه ، وقد ضعفه الدارقطنى وقال ابو حاتم الرازى صدوق ، وقال ابو زرعة ربما وهم ، وقال ابن عدى يكتب حديثه مع ضعفه — فنقل فيه عن الكلبى قال : اذا دخل اهل الجنة والجنه واهل النار النار بقيت زمرة من آخر زمر الجنة اذا خرج المؤمنون من الصراط باعمالهم فيقول آخر زمرة من زمر النار لهم وقد بلغت النار منهم كل مبلغ : اما نحن فقد اخذنا بما فى قلوبنا من الشك والتكذيب ، فما نفعكم انتم توحيدكم قال فيصرخون عند ذلك يدعون ربهم ، فيسمعهم اهل الجنة فياتون آدم ، فذكر الحديث فى اتيانهم الانبياء المذكورين قبل واحدا واحدا الى محمد صلى الله عليه وسلم ، فينطلق فياتى رب العزة فيسجد له حتى يامره ان يرفع رأسه ثم يسأله ما تريد ؟ وهو أعلم به ، فيقول : رب أناس من عبادك أصحاب ذنوب لم يشركوا بك وانت اعلم بهم ، فعيرهم اهل الشرك بعبادتهم اياك ، فيقول وعزتى لاخرجنهم فيخرجهم قد احترقوا ، فينضح عليهم من الماء حتى ينبتوا ثم يدخلون الجنه فيسمون الجهنميين ، فيغبطه عند ذلك الاولون والاخرون ، فذلك قوله (عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا)[1] . قلت : فهذا لو ثبت لرفع الاشكال لكن الكلبى ضعيف ، ومع ذلك لم يسنده ، ثم هو مخالف لصريح الاحاديث الصحيحه ان سؤال المؤمنين الانبياء واحدا بعد واحد انما يقع فى الموقف قبل دخول المؤمنين الجنه والله واعلم .

---

(١) سورة الاسراء آيه (٧٩) .

وقد تمسك بعض المبتدعه من المرجئة بالاحتمال المذكور فى دعواه أن احدا من الموحدين لا يدخل النار اصلا ، وانما المراد بما جاء من أن النـــار تسفعهم او تلفحهم ، وما جاء فى الاخراج من النار جميعه محمول على ما يقـــع لهم من الكرب فى الموقف ، وهو تمسك باطل ، واقوى ما يرد به عليـــــــه ما تقدم فى الزكاة منحديث ابى هريرة فى قصة ما نع الزكاة واللفظ لمســـــلم " ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى ... زكاتها الا جاءت يوم القيامة اعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت اخراهــــــا عادت عليه اولاها حتى يقضــى بين الناس)[1].

الحديث بطوله فيه ذكر الذهب والفضة والبقر والغنم ، وهو دال على تعذيب من شاء الله من العصاة بالنار حقيقه زيادة على كرب الموقف . وورد فى سبب اخراج بقية الموحدين من النار ما تقدم ان الكفار يقولون لهم : مــــا اغنى عنكم قول لا اله الا الله وانتم معنا ، فيغضب الله لهم فيخرجهـــــم ، وهو مما يرد به على المبتدعه المذكورين .

قوله (ثم اعود فاقع ساجدا مثله فى الثالثة او الرابعة) ، وفى روايـــه هشام " فاحد لهم حدا فادخلهم الجنة . ثم ارجع ثانيا فاستاذن " الـــى أن قال " ثم احد لهم حدا ثالثا فادخلهم الجنه ثم أرجع " ثم ارجع ثانيـــــا فاستاذن " الى أن قال " ثم احدا لم حدا ثالثا فادخلهم الجنة ثم ارجـــع " هكذا فى اكثر الروايات . ووقع عند احمد منرواية سعيد بن ابى عروبـــــه عن قتادة . ثم اعود الرابعة فاقول : يارب ما بقى الا من حبسة القــرآن "

---

(1) * صحيح الامام مسلم بشرح النووى ، المجلد الثالث ج ٧ ـ كتاب الزكاه ـ باب تغليظ عقوبة من لا يؤدى الزكاة ص ٧٣ ، ٧٤ .
* سنن النسائى بشرح جلال الدين السيوطى ج ٥ ـ كتاب الزكـــاه ـ باب مانع زكاة الغنم ص ٢٩ .
* سنن ابن ماجه ـ ٨ ـ كتاب الزكاه (٢) باب ما جاء فى منع الزكـاه ج ٢ رقم ١٧٨٥ ص ٥٦٩ .

ولم يشك بل جزم بان هذا القول يقع فى الرابعه . ووقع فى رواية معبد بن هلال عن انس ان الحسن حدث معبدا بعد ذلك لقوله " فاقوم الرابعة " وفيه قول الله له " ليس ذلك لك " وان الله يخرج من النار من قال لا اله الا الله وان لم يعمل خيرا قط . فعلى هذا فقوله " حبسه القرآن " يتناول الكفار وبعض العصاة ممن ورد فى القرآن فى حقه التخليد ، ثم يخرج العصاة فى القبضة وتبقى الكفار ، ويكون المراد بالتخليد فى حق العصاه المذكورين البقاء فى النار بعد اخراج من تقدمهم وقوله حتى ما يبقى) فى روايه الكشميهنى " ما بقى " وفى رواية هشام بعد الثالثة " حتى ارجع فاقول " قوله " الا من حبسه القرآن ، وكان قتادة يقول عند هذا : اى وجب عليه الخلود) فى رواية همام " الا من حبسه القرآن اى وجب عليه الخلود " كذا ابهم قائل " اى وجب " .

وتبين من رواية ابى عوانه انه قتادة احد رواته . ووقع فى رواية هشام وسعيد " فاقول : ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود " وسقط من رواية سعيد عند مسلم " ووجب عليه الخلود " وعنده من رواية هشام مثل ما ذكرت من رواية همام ، فتعين ان قوله " وجب عليه الخلود " فى رواية هشام مدرج فى المرفوع لما تبين من رواية ابى عوانه انها من قول قتادة فسر به قوله " من حبسه القرآن " اى من اخبر القرآن بانه يخلد فى النار . ووقع فى رواية همام بعد قوله اى وجب عليه الخلود " وهو المقام المحمود الذى وعده الله . وفى رواية شيبان " الا من حبسه القرآن ، يقول : وجب عليه الخلود ، وقال : عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا " وفى رواية سعيد عند أحمد بعد قوله الا من حبسه القرآن " قال فحدثنا انس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : فيخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة " الحديث وهو الذى فصله هشام من الحديث عن أنس قال " ثم أقوم الرابعة فاقول اى رب ائذن لى فيمن قال لا اله الا الله ، فيقول لى ليس ذلك لك ، فذكر بقية الحديث فى اخراجهم)[1] .

---

(١) فتح البارى شرح صحيح الامام البخارى جـ ١١ (٨١) كتاب الرقاق – باب ص ٤٣٨ : ٤٤٠ باختصار .

فالحديث واضح الدلالة على اثبات الشفاعة العظمى للفصل بين الخلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يشتد الموقف ويخيم الحزن والسقم على جميع البشر وتقرب الشمس من رؤوس الرجال ويبلغ الفرق مبلغه ، ففى وسط تلك الاهوال يفكر البشر فيمن يصرف عنهم هذا " فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا " فيهرولون الى الانبياء مبتدئين بسيدنا ادم عليه السلام ، ولمعرفة كل نبى ان هذا المقام لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لا يشاركه فيه احد ، ويعتذر كل نبى حتى يصل بهم الامر الى سيد الخلق اجمعين فيقول أنالها أنالها ويذهب الى المولى عز وجل ويسجد له على ما قدر ويحمده بما شاء وعلم ويشفع ويشفع .

وذهاب البشر الى الانبياء تدرجا حتى يصلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لجهل منهم لان منهم من سمع وعلم بهذا الحديث ولكن حدث ذلك لحكمة اقتضاها رب العالمين منها اظهار فضل المصطفى صلى الله عليه وسلم ورفعة منزلته وتصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم " لكل نبى دعوة دعاها لامته وانى اختبأت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة "(1) .

---

(1) * صحيح الامام مسلم بشرح النووى — المجلد الاول — ج ٣ — كتاب الايمان — الشفاعة بثمان روايات من ص٧٣ : ٧٧ والنص له .
* صحيح الامام البخارى المجلد ٣ — ج ٨ كتاب الدعوات — بروايتان ص ٨٢ ، ٨٣ .
* موطأ الامام مالك ج ١ — ١٥ كتاب القرآن — ٨ — باب ما جاء فى الدعاء رقم الحديث (٢٦) ص ٢١٢
* سنن ابن ماجه ج ٢ — ٣٧ كتاب الزهد ٣٧ باب ذكر الشفاعة حديث رقم ٤٣٠٧ ص ١٤٤٠ .
* سنن الدرامى ج ٢ — كتاب الرقاق ٨٥ باب ان لكل نبى دعوة حديث رقم ٢٨٠٨ ، ٢٨٠٩ عن ابى هريرة .
* سنن الترمذى ج ٥ — كتاب (٤٩) الدعوات — باب ١٣١ فضل لاحول ولا قوة الا بالله حديث رقم (٣٦٠٢) قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح .
* مسند الامام احمد بن حنبل ج ١ ص٢٨١ عن ابن عباس وكذلك ص ٢٩٥ وفى ج ٢ ص ٢٧٥ عن ابى هريرة وفى ج ٣ ص ١٣٤ عن انس .

(عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع)[١] .

قال الامام النووى رضى الله عنه :

(قوله صلى الله عليه وسلم " انا سيد ولد ادم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع) قال الهروى السيد هو الذى يفوق قومه فى الخير وقال غيره هو الذى يفزع اليه فى النوائب والشدائد فيقوم بأمرهم ويتحمل عنهم مكارههم ويدفعها عنهم . وأما قوله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة مع أنه سيدهم فى الدنيا والاخرة فسبب التقييد ان فى يوم القيامة يظهر سوءدده لكل احد ولا يبقى منازع ولا معاند ونحوه بخلاف الدنيا فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين . وهذا التقييد قريب من معنى قوله تعالى " لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ "[٢] مع ان الملك له سبحانه قبل ذلك لكن كان فى الدنيا من يدعى الملك او من يضاف اليه مجازا فانقطع كل ذلك فى الاخرة قال العلماء وقوله صلى الله عليه وسلم (انا سيد ولد آدم) لم يقله فخرا بل صرح ينفى الفخر فى غير

---

(١) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الخامس ج ١٥ كتاب الفضائل باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ــ ص٣٧ والنص له .

* وكذلك ابو داود فى عون المعبود كتاب السنة باب ١٣ حديث رقم (٤٦٤٥) من روايه ابى هريرة ج ١٢ ص٤٢٦ .

* وكذا فى الترمذى كتاب المناقب ــ باب (١) حديث رقم (٣٦١٥) وحديث رقم (٣٦١٦) وقيل فى الحديث الاول حسن صحيح ص ٥٨٧ . وفى الحديث الثانى حديث غريب ص ٥٨٧ ، ٥٨٨ .

* مسند الدارمى من المقدمة ٨ ــ باب ما اعطى النبى صلى الله عليه من الفضل وقال رواه الترمذى وهو غريب حديث رقم (٤٨) ص ٣٠ .

* مسند الامام احمد ج ٣ ص ٢ مسند ابى سعيد الخدرى .

* ابن ماجه ٣٧ كتاب الزهد ٣٧ باب حديث رقم (٤٣٠٨) ص ١٤٤٠ .

(٢) سورة غافر آيه (١٦) .

مسلم فى الحديث المشهور (أنا سيد ولد ادم ولا فخر) وانما قاله لوجهين احدهما امتثال قوله تعالى :

(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)(١) والثانى انه من البيان الذى يجب عليه تبليغه الى امته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملون بمقتضاه ويوقروه صلى الله عليه وسلم بما تقتضى مرتبته كما امرهم الله تعالى وهذا الحديث دليل لتفضيله صلى الله عليه وسلم على الخلق كلهم لان مذهب اهل السنة ان الادميين افضل من الملائكة وهو صلى الله عليه وسلم أفضل الادميين وغيرهم واما الحديث الاخر (لاتفضلوا بين الانبياء)(٢) فجوابه من خمسه اوجه (احدهما) انه صلى الله عليه وسلم قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فلما علم اخبربه (والثانى) قاله أدبا وتواضعا (والثالث) ان النهى انما هو عن تفضيل يؤدى الى تنقيص المفضول (والرابع) انما نهى عن تفضيل يؤدى الى الخصومة والفتنه كما هو المشهور فى سبب الحديث (والخامس) ان النهى مختص بالتفضيل فى نفس النبوة فلا تفاضل فيها وانما التفاضل بالخصائص وفضائل اخرى ولابد من اعتقاد التفضيل فقد قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض .

قوله صلى الله عليه وسلم (واول شافع واول مشفع) انما ذكر الثانى(٣) لانه قد يشفع اثنان فيشفع الثانى منهما قبل الاول والله اعلم)(٤) .

---

(١) سورة الضحى آيه (١١) .

(٢) * صحيح الامام البخارى ـ المجلد الثانى ج ٤ ـ كتاب الانبياء باب قوله تعالى " ان يونس لمن المرسلين " ص ١٩٣ ، ١٩٤ .
* مسند الامام احمد ج ٣ ومسند ابى سعيد الخدرى ص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) المقصود ذكر الثانى (مشفع) باعادة (اول)انظر شرح الشفا ج ١ ص ٤٣٩ .

(٤) شرح الامام النووى لصحيح الامام مسلم ـ المجلد الخامس ج ١٥ ـ كتاب الفضائل ـ باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ص ٣٧ ، ٣٨ .

(اما روايه الترمذى والدارمى عن ابن عباس قال : " جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا واتخذ من ابراهيم خليلا : وقال اخر : ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما — وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه . وقال اخر : آدم — اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال : قد سمعت كلامكم وعجبكم . ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نجى الله وهو كذلك ، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ، الا وانا حبيب الله ولا فخر ، وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الاولين والاخرين ولا فخر " (١) .

وبيان هذا الحديث على النحو التالى :

(وأنا حبيب الله) اى محبه ومحبوبه ، قال الطيبى قرر أولا ماذكر من فضائلهم بقوله وهو كذلك ثم نبه على أنه افضلهم وأكملهم وجامع لما كان متفرقا فيهم فى الحبيب خليل ومكلم ومشرف انتهى (وأنا حامل لواء الحمد) بالاضافة (وأول مشفع) اسم مفعول من التشفيع اى مقبول الشفاعة (وأنا أول من يحرك حلق الجنه) بفتح الحاء وبكسر جمع حلقة (فيفتح الله لى) أى بابها) (٢) .

وجاء فى شرح الشفا (٣) (الحبيب) بمعنى محبوبه الذى هو أخص من كل مرتبه ومقام عند ربه (ولا فخر) اى لا اقول فخرا بل تحدثا بنعمته شكرا (وأنا حامل لواء الحمد) كما قال فى حديث آخر (وآدم ومن دونه تحت لوائى) (يوم القيامة) اى فى المحشر الاكبر فى المقام المحمود الذى يحمده الاولون والاخرون (ولا فخر) اى الا بقربى لربى

---

(١) سبق تخريجه فى ص ٢٧٧

(٢) تحفه الاحوذى — جـ ١٠ — ابواب المناقب — ٢٢ باب ص ٨٥ ، ٨٦ باختصار .

(٣) شرح الشفا لعلى القارى .

(وانا اول شافع) اى فى الشفاعة العظمى اى كل مرتبة من مراتب الشفاعات الحسنى (واول مشفع) ايمقبول الشفاعة (ولا فخر) اى بالنسبة الى ما لى من الذخر (وأنا أول من يحرك حلق الجنه فيفتح الله لى) أى يأمره لرضوان الجنة بان يفتح (فيدخلنيها) اى الله بفضله وكرمه (ومعى فقراء المؤمنين) اى بعمومهم على تفاوت مراتبهم مقدمون على اغنيائهم على اختلاف احوالهم . (وانا اكرم الاولين والاخرين) اى من الخلائق اجمعين وهذا قد كلمه الكلام ونتيجه المرام (ولا فخر) اى فى هذا المقام ايضا اذا لفناء عن السوى والبقاء فى حضرة اللقاء هو المقام الاسنى والحالة الحسنى)(١) .

(وجاء فى صحيح الامام مسلم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " انا اول الناس يشفع فى الجنه وأنا اكثر الانبياء تبعا " .

وكذلك قوله " انا اكثر الانبياء تبعا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة " وقال " آتى باب الجنه يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من انت فأقول محمد فيقول بك امرت لا أفتح لاحد قبلك ")(٢) .

عن آدم بن على قال سمعت ابن عمر رضى الله عنهما يقول " ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا ، كل امة تتبع نبيها ، يقولون : يا فلان اشفع ، حتى تنتهى الشفاعة الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود "(٣)

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمدا الوسيله والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته ، حلت له شفاعتى يوم القيامة "(٤) .

---

(١) شرح الشفا ج ١ ص ٤٤٧ باختصار .
(٢) صحيح الامام مسلم بشرح النووى ـ المجلد الاول ـ ج ٣ ـ كتاب الايمان الشفاعة ص ٧٣ .
(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٨ ـ ٨٥ كتاب التفسير ـ ١٧ سورة بنى اسرائيل ـ ١١ باب (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) حديث رقم (٤٧١٨) ص ٣٩٩ .
(٤) سبق تخريجه فى ص ١٣

ولا مناقاة بينه وبين حديث ابن عمر في الباب لان هذا الكلام كأنه مقدمة الشفاعة . وروى ابن ابى حاتم من طريق سعيد بن أبى هلال أنه بلغه ان المقام للمحمود الذى ذكره الله ان النبى صلى الله عليه وسلم يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل ، فيغبطه لمقامه ذلك أهل الجمع . ورجاله ثقات ، لكنه مرسل ومن طريق على بن الحسين بن على : اخبرنى رجل من اهل العلم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال " تمد الارض مد الاديم " الحديث وفيه " ثم يؤذن لى فى الشفاعة فأقول : اى رب عبادك عبدوك فى اطراف الارض ، قال : فذلك المقام المحمود " ورجاله ثقات وهو صحيح ان كان الرجل صحابيا . وقيل المراد بالمقام المحمود أخذه بحلقة باب الجنة ، وقيل اعطاؤه لواء الحمد ، وقيل جلوسه على العرش وقيل شفاعته رابع اربعة)[1]

وجاء فى عون المعبود (الفضيلة) اى المرتبة الزائدة على سائر الخلائق ويحتمل ان تكون منزلة اخرى او تفسيرا للوسيلة (وابعثه مقاما محمودا) أى يحمد القائم فيه وهو مطلق فى كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات، ونصب على الظرفية اى ابعثه يوم القيامة فأقمه مقاما محمودا او ضمن ابعثه معنى اقمه اوعلى انه معقول به . ومعنى ابعثه أعطه وقيل انما نكر المقام للتفخيم اى مقاما يغبطه الاولون والاخرون محمودا بكل عن اوصافه السنة الحامدين . قال ابن الجوزى : والاكثر على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة ، وقيل اجلاسه على العرش وقيل على الكرسى ، ووقع فى صحيح ابن حبان من حديث كعب ابن مالك مرفوعا " يبعث الله الناس فيكسونى ربى حلة خضراء فأقول ما شاء الله ان أقول فذلك المقام المحمود " ويظهر ان المراد بالقول المذكور هو الثناء الذى يقدمه بين يدى الشفاعة ويظهر ان المقام

---

(١) فتح البارى – شرح صحيح البخارى – ج ٨ – ٦٥ كتاب التفسير ١٧ سورة بنى اسرائيل – ١١ باب (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) ص ٣٩٩ ، ٤٠٠ باختصار .

المحمود هو مجموع ما يحصل له في تلك الحالة (حلت له) أى وجبت وثبتت (الشفاعة) فيه بشارة الى حسن الخاتمة والحض على الدعاء فى اوقات الصلوات لانه حال رجاء الاجابه) (١)

وجاء فى سنن النسائى فى قول الامام السندى .

ان معنى (حلت عليه) اى نزلت عليه وفى نسخه له واللام بمعنى على ولا يصح تفسير الحل بما يقابل الحرمة فانها خلال لكل مسلم وقد يقال بل لا تحل الا لمن اذن له فيمكن ان يجعل الحل كناية عن حصول الاذن فى الشفاعة له ثم المراد شفاعة مخصوصة والله تعالى أعلم) (٢) .

وجاء فى تفسير الالوسى عند تفسير قوله تعالى " عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا " (٣) (ان المراد بذلك المقام الشفاعة العظمى فى فصل القضاء حيث لا احد الا هو تحت لوائه صلى الله عليه وسلم وذكر احاديث ودنو الشمس من روس الناس وبلوغ العرق ملغه وهروله الناس الى الانبياء حتى يصلوا الى خاتم الرسل والانبياء صلوات الله وسلامة عليه وقال فهذا المقام المحمود الذى قال الله تعالى " عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا " .

ووصف المقام بانه محمود باعتبار ان النبى صلى الله عليه وسلم يحمده فيه على انعامه الواصل الى الخاص والعام من أصناف الانام . وتعقب الواحدى .

---

(١) * عون المعبود شرح سنن ابى داود ج ٢ كتاب ـ ٣٦ باب (ما جاء فى) الدعاء عند الاذان ص٢٣٢ ، ٢٣٣ باختصار .. وذكر مثله فى تحفه الاحوذى شرح جامع الترمذى ج ١ ابواب الصلاة ـ ١٥٦ باب ما جاء ما يقول الرجل اذا اذن المؤذن من الدعاء ، ١٥٧ ـ باب منه آخر ص ٦٢٣ ، ٦٢٤ رقم الحديث (٢١١) .

(٢) سنن النسائى ج ٢ ـ كتاب الاذان ـ باب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد الاذان ص ٢٦ .

(٣) سورة الاسراء ايه (٧٩) .

القول بان المقام المحمود اجلاسه صلى الله تعالى عليه وسلم معه عز وجل على العرش بعد ذكر روايته عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بانه قول رذل موحش فظيع لا يصح مثله عن ابن عباس ونص الكتاب ينادى بفساده من وجوه ، الاول ان البعث ضد الاجلاس يقال بعث الله تعالى الميت اذا اقامه من قبره وبعثت البارك والقاعد فإ ثبعث فتفسيره به تفسير الضد بالضد ، الثانى لو كان جالسا سبحانه وتعالى على العرش لكان محدودا متناهيا فيكون محدثا تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، الثالث انه سبحانه قال (مقاما) ولم يقل مقعدا والمقام موضع القيام لا القعود ، (الرابع) ان الحمقى والجهال يقولون : ان اهل الجنة كلهم يجلسون معه تعالى ويسألهم عن أحوالهم الدنياوية فلا مزية له صلى الله تعالى عليه وسلم باجلاسه معه عز وجل ، (الخامس) انه اذا قيل : بعث السلطان فلانا يفهم منه إنه ارسله الى قوم لاصلاح مهماتهم ولا يفهم منه أنه اجلسه مع نفسه انتهى .

وأبو عمر لم يطلع الا على روايه ذلك عن مجاهد فقال : ان مجاهدا وان كان احد الائمه بتأويل القرآن حتى قيل : اذا جاءك التاويل عن مجاهد فحسبك الا ان له قولين مهجورين عند اهل العلم ، احدهما تأويل المقام المحمود بهذا الاجلاس ، والثانى تأويل الى ربها ناظرة بانتظار الثواب .

وذكر النقاش عن أبى داود السجستانى انه قال : من انكر هذا الحديث فهو عندنا متهم مازال اهل العلم يحدثون به .

وقال ابن عطيه : اراد من انكره على تأويله فهو منهم وقد يؤول قوله صلى الله تعالى عليه وسلم يجلسنى معه رفع محله ، وتشريفه على خلقه كقوله تعالى : (ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا)(١) وقوله تعالى : (وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)(٢) .

---

(١) سورة التحريم ايه (١١) .
(٢) سورة العنكبوت آيه (٦٩) .

والشرف وعلى ما ذكره فى الوجه الاول انه ليس هناك الا تفسير المقام المحمود بالاجلاس لا تفسير البعث بالاجلاس نعم فيه مسامحة " والمراد أن احلاله فى المحل المحمود هو اجلاسه على العرش ، وهذا المعنى يتأتى بابقاء البعث على معناه وتقدير فيقيمك بمعنى فيحلك وبتفسيره بالاقامة بمعنى الاحلال وقد يقال : لا مسامحة والمراد من المقام الرتبة ، والبعث فتضمن معنى الاعطاء اى عسى يعطيك ربك رتبه محمودة وهى اجلاسه اياك على عرشه باعثا ، وما ذكره فى الوجه الثانى حق لو أريد من الجلوس على العرش ظاهره ان اريد معنى اخر فلا تسلم اللازم وباب التأويل واسع وقد اول الاجلاس معه على رفع المحل والتشريف وهو مقول بالتشكيك فمتى صح ان أهل الجنه كلهم يجلسون معه آمنا به مع اثبات المزية للرسول صلى الله عليه وسلم فاندفع ما ذكره فى الوجه الرابع ويرد على ما فى الوجه الخامس ان الاجلاس معه لم يفهم من مجرد البعث وما ادعى احد ذلك فكون بعث السلطان فلا تا يفهم منه انه ارسله الى قوم لاصلاح مهماتهم ولا يفهم منه انه أجلسه مع نفسه لا يضرنا كما لا يخفى على منصف .
الى غير ذلك مما هو كنايه عن المكانه لا عن المكان .

وانت تعلم انه لا ينبغى لمجاهد ولا لغيره أن يفسر المقام المحمود بالاجلاس على العرش حسبما سمعت من غير أن يثبت عنده ذلك الاجلاس فى خبر كخبر الديلمى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : " قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله سبحانه وعسى أن يبعثك) الخ بجلستى معه على السرير . فان تمسك المفسر بهذا او نحوه لم يناظر الا بالطعن فى صحته وبعد اثبات الصحة لا مجال للمؤمن الا التسليم ، وما ذكره الواحدى لا يستلزم عدم الصحة فكم وكم من حديث نصوا على صحته ويلزم من ظاهره المحال كالحديث المشتمل على رؤيه المؤمنين لله عز وجل ثم اتيانه اباهم فى ادنى صورة من التى راوه فيها [1] ، ومذاهب

---

(1) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الاول جـ ٣ كتاب الايمان باب اثبات رؤيه المؤمنين فى الاخره لربهم سبحانه وتعالى الحديث ـ (هل نرى ربنا يوم القيامه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون فى رؤيه القمر ليله البدر قالوا لا يارسول الله قال هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يارسول الله قال فانكم ترونه كذلك ..) ص ١٧ ، ١٨ .

المحدثين وأهل الفكر من العلماء في الكلام على ذلك مما لا تخفى ومتى اجريت هناك فليجر هنا فالكل قريب من قريب .

ويرد على ماذكره الواحدى في الوجه الثالث أن المقام وان كان الاصل بمعنى محل القيام الا انه شاع في مطلق المحل ويطلق على المرتبه وبالجمله كل ما قيل او يقال لا يصغى اليه ان صح التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن يبقى حينئذ انه يلزم التعارض بين ظواهر الروايات ، ومن هنا قال بعضهم : المراد بالمقام المحمود ما ينتظم كل مقام يتضمن كرامه له صلى الله عليه وسلم ، والاقتصار في بعض الروايات على بعض لتكنه نحو ما مر ، وكذا يدخل فيه ما جوز مفتى الصوفيه سيدى شهاب الدين السهروردى أن يكون المقام المحمود وهو اعطاؤه عليه الصلاة والسلام مرتبة من العلم لم تعطه لغيره من الخلق اصلا فانه ذكر في رسالة له في العقائد ان علم عوام المؤمنين يكون يوم القيامة كعلم علمائهم في الدنيا ويكون علم العلماء اذ ذاك كعلم الانبياء عليهم السلام ويكون علم الانبياء كعلم نبينا صلى الله عليه وسلم ويعطى نبينا عليه الصلاة والسلام من العلم ما لم يعط احد من العالمين ولعله المقام المحمود ولم أر ذلك لغيره عليه الرحمة والله تعالى اعلم .

ثم هذا الاختلاف في المقام المحمود هنا لم يقع فيه في دعاء الاذان بل ادعى العلامة ابن حجر الهيثمى ان فيه مقام الشفاعة العظمى لفصل القضاء اتفاقا فتأمل في هذا المقام والله تعالى ولى الانعام والافهام)[1] .

وجاء في التذكره (ان الناس اختلفوا في المقام المحمود على خمسه اقوال : (الاول) انه الشفاعة العامة للناس يوم القيامة ودليله حديث ابن عمر رضى الله عنه[2] .

(الثانى) اعطاؤه لواء الحمد يوم القيامه . قلت وهذا القول لا يتنافى مع الاول فانه يكون بيده لواء الحمد ويشفع وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا أيسوا لواء

---

(١) تفسير الامام الالوسى ـ ج ١٥ عند تفسير الايه رقم ٧٩ من سورة الاسراء ص ١٤٠ : ١٤٣ باختصار .

(٢) سبق تخريجه في ص٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦

الحمد بيدى فانا اكرم ولد آدم على ربى ولا فخر)[1] .

(الثالث) وهو أن يجلس على الكراسى وقد اتفق مع الامام الواحدى فى تفسير الالوسى على انكاره .

(الرابع) اخراج طائفه من النار روى مسلم عن يزيد الفقير قال كنت قد شغفنى رأى من رأى الخوارج فخرجنا فى عصابة ذوى عدد نريد ان نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالسا الى سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاذا هو قد ذكر الجهنميين قال فقلت له يا صاحب رسول الله ما هذا الذى تحدثون والله يقول " انك من تدخل النار فقد أخزيته " وكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها " فما هذا الذى تقولون قال فقال اتقرأ القرآن قلت نعم قال فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام يعنى الذى يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذى يخرج الله به من يخرج)[2]

(الخامس) ما روى ان مقامه المحمود شفاعته رابع أربعة وهذا الخبر يعارض المشهود الصحيح بانه أول شافع وأول مشفع واذا ثبت ان المقام المحمود هو امر الشفاعة الذى يتدافعه الانبياء عليهم السلام حتى ينتهى الامر الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيشفع هذه الشفاعة العامة لاهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ليراحوا من هول موقفهم فاعلم أن العلماء اختلفوا فى شفاعاته وكم هى فقال النقاش : لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات العامة وشفاعة فى السبق الى الجنه وشفاعته لاهل الكبائر وقال ابن عطيه فى تفسيره والمشهور انهما شفاعتان فقط العامة وشفاعة فى اخراج

---

(١) سنن الترمذى ج ٥ (٥٠) كتاب المناقب (١) باب حديث رقم (٣٦١٠) قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب ص ٥٨٥ .

(٢) * صحيح الامام مسلم بشرح النووى ـ المجلد الاول ـ ج ٣ ـ كتاب الايمان ـ المقام المحمود ص ٥٠ ، ٥١ .

* فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١١ ـ ٨١ كتاب الرقاق ـ ٥١ باب صفة الجنه والنار ص ٤٢٦ .

المذنبين من النار وهذه الشفاعة الثانية لايتدافعها الانبياء بل يشفعـــون ويشفع العلماء .

قال القاضى عياض : ان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ست شفاعات وقد قمت بذكرها فى الفصل الثانى)[1] .

(واختلف فى فاعل الحمد من قوله " مقاما محمودا ، فالاكثـــــر على ان المراد به أهل الموقف ، وقيل النبى صلى الله عليه وسلم أى انـــه هو يحمد عاقبه ذلك المقام بتسهجده فى الليل ، والاول أرجح لما ثبـــت من حديث ابن عمر بلفظ " مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم " ويجـــوز أن يحمل على اعم من ذلك اى مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفـــه ، وهـــو مطلق فى كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات ، واستحسن هذا أبو حيـان وأيده بانه نكرة فدل على انه ليس المراد مقاما مخصوصـــا)[2] .

---

(١) فى الفصل الثانى ص ٤٤
التذكره باب ما جاء ان هذه الشفاعة هى المقام المحمود ص ٢٢٩ : ٣٠١ بتصــرف .

(٢) فتح البارى ج ١١ ــ ٨١ كتاب الرقاق ــ ٥١ باب صفه الجنـــه والنار ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

ثانيا : فى ادخال قوم الجنه بغير حساب :

وهذه الشفاعة وردت ايضا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجعلها الله سبحانه وتعالى كرامه له ولامته .

وقال صاحب كتاب النهاية (ان هذا النوع ذكره القاضى عياض وغيره ولم ار لهذا شاهدا فيما علمت ، ولم يذكر القاضى عياض فيما رأيت مستند ذلك ، ثم تذكرت حديث عكاشه بن محصن حين دعا له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنه بغير حساب والحديث مخرج فى الصحيحين وهو يناسب هذا المقام وهو دخول اقوام الجنة بغير حساب)(١) .

وجاء فى صحيح البخارى (عن عباس قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : عرضت على الامم ، فاخذ النبى يمر معه الامة والنبى يمر معه النفر ، والنبى يمر معه العشرة ، والنبى يمر معه الخمسة ، والنبى يمر وحده ، فنظرت فاذا سواد كثير ، قلت : يا جبريل هؤلاء امتى ؟ قال : لا ، ولكن انظر الى الافق ، فنظرت فاذا سواد كثير ، قال : هؤلاء امتك ، وهؤلاء وهؤلاء سبعون الفا قدا مهم لا حساب عليهم ولا عذاب ، قلت : ولم؟ قال : كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون . فقام اليه عكاشه بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : اللهم اجعله منهم . ثم قام اليه رجل اخر فقال : ادع الله ان يجعلنى منهم قال : سبقك بها عكاشه "(٢) .

---

(١) النهاية جـ ٢ ص ٢٧٤ بتصرف .

(٢) * صحيح الامام البخارى بشرح ابن حجر العسقلانى جـ ١١ ـ ٨١ كتاب الرقاق ـ ٥٠ باب يدخل الجنه سبعون الفا بغير حساب حديث رقم (٦٥٤١) ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ والنص له .

* سنن الترمذى جـ ٤ ـ ٣٨ كتاب صفة القيامة باب ١٦ حديث (٢٤٤٦) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وفى الباب عن ابن مسعود وابى هريره ص ٦٣١ .

" وعن سعيد بن المسيب ان أبا هريرة حدثه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يدخل الجنه من أمتى زمرة هم سبعون الفا تضيء وجوههم اضاءة القمر ليله البدر . وقال ابو هريرة فقام عكاشه بن محصن الاسدى يرفع نمرة عليه فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم ، قال : اللهم اجعله منهم . ثم قام رجل من الانصار فقال : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشه)[1]

" وعن سهل بن سعد قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم . ليدخلن الجنه من امتى سبعون الفا ــ أو سبعمائه ألف ، شك فى أحدهما ــ متماسكين آخذ بعضهم ببعض ، حتى يدخل اولهم وآخرهم الجنه ووجوههم على ضوء القمر ليله البدر "[2] .

قوله (باب يدخل الجنة سبعون الفا بغير حساب) فيه اشارة الى أن وراء التقسيم الذى تضمنته الاية المشار اليها فى الباب الذى قبله[3] امر آخر ، وان من المكلفين من لا يحاسب اصلا ، ومنهم من يحاسب حسابا يسيرا ومنهم من يناقش الحساب .

وقوله (يمر معه الامة) اى العدد الكثير . قوله (والنبى يمر معه النفر ، والنبى يمر معه العشر) ووقع فى رواية ابن فضيل " فجعل النبى والنبيان يمرون ومعهم الرهط " وفى رواية سعيد بن منصور "فرأيت النبى ومعه

---

(١) * صحيح الامام البخارى بشرح ابن حجر العسقلانى ج ١١ ــ ٨١ كتاب للرقاق ٥٠ ــ باب يدخل الجنه سبعون الفا بغير حساب حديث رقم (٦٥٤٢) ص ٤٠٦ .

* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الاول ج ٣ بكتاب الايمان باب دخول طوائف من المسلمين الجنه بغير حساب ص ٨٨ : ٩٠ باربع روايات .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١١ ــ ٨١ كتاب الرقاق ــ ٥٠ باب يدخل الجنه سبعون الفا بغير حساب ص ٤٠٦ حديث رقم ٦٥٤٣ ومن رواية عن ابى هريره حديث رقم ٦٥٤٢ وروايه عن بن عباس حديث رقم ٦٥٤١ ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

(٣) ٤٩ ــ باب من نوقش الحساب عذب الايه قوله تعالى (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سورة الانشقاق آيه (٨) ص ٤٠٠ ج ١١ .

الرهط ، والنبى معه الرجل والرجلان ، والنبى ليس معه أحد ، والنبى معه الخمسة " ، وفى حديث ابن مسعود فجعل النبى يمر ومعه الثلاثة ، والنبى يمر ومعه العصابه ، والنبى يمر وليس معه احد " والحاصل من هذه الروايات ان الانبياء يتفاوتون فى عدد اتباعهم .

وقوله (فنظرت فاذا سواد كثير) وفى رواية حصين بن نمير فرأيت سوادا كثيرا سد الافق والسواد ضد البياض هو الشخص الذى يرى من بعيد ، ووصفه بالكثير اشارة الى ان المراد بلفظ الجنس لا الواحد ، ووقع فى رواية ابن فضيل الذى يرى من بعيد ، ووصفه بالكثير اشارة الى ان المراد بلفظ الخمس لا الواحد ، ووقع فى رواية ابن فضيل " ملا الافق " الناحية والمراد به هنا ناحية السماء قوله (قلت يا جبريل هؤلاء امتى ؟ قال : لا) وفى رواية حصين بن نمير " فرجوت ان تكون امتى فقيل هذا موسى فى قومه " وفى حديث ابن مسعود عند احمد (حتى مر على موسى فى كبكبه من بنى اسرائيل فاعجبنى [1] ، فقلت من هؤلاء ؟ فقيل [2] : هذا اخى موسى معه بنو اسرائيل) [3] .

---

(١) فى الاصل (فاعجبونى) .

(٢) فى الاصل (فقيل لى) .

(٣) الفتح الربانى لمسند الامام احمد ج ٤٣ الباب الرابع فى دخول سبعمائه الف من الامة المحمديه الجنه بغير حساب ولا عذاب واكثر من ذلك حديث رقم (٤٥٥) (تخريجه) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد رواه احمد بأسانيد ، والبزار اتم منه ، والطبرانى وابو يعلى باختصار كثير ، واحد اسانيد احمد والبزار رجاله رجال الصحيح " واورده الحافظ بن كثير عن الامام احمد فى النهاية ص ٢١٢ ، ٢١٣ .
وفى ج ٢٤ الفصل السابع فى عدد من يدخلون الجنه بغير حساب وصفتهم بخمس روايات ارقام الاحاديث (٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠) . ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

* انظر مجمع الزوائد ج ١٠ – كتاب اهل الجنه باب فيمن يدخل الجنه بغير حساب ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

والكبكبة هى الجماعة من الناس اذا ضم بعضهم الى بعض قوله (ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد كثيرا) فى رواية سعيد بن منصور " عظيم " وزاد " فقيل لى انظر الى الافق ، فنظرت الى الافق ، فنظرت فاذا سواد عظيم ،فقيل لى انظر الى الافق الاخر " مثله . وفى رواية ابن فضيل " فاذا سواد قد ملاء الافق فقيل لى : انظر ههنا وههنا فى آفاق السماء " وفى حديث ابن مسعود " فاذا الافق قد سد بوجوه الرجال " وفى لفظ لاحمد " فرأيت أمتى قد ملوء السهل والجبل ، فاعجبنى كثرتهم وهيئتهم ،فقيل : أرضيت يا محمد ؟ قلت : نعم اى رب " وقد استشكل الاسماعيلى كونه صلى الله عليه وسلم لم يعرف امته حتى ظن انهم امة موسى ، وقد ثبت من حديث ابى هريرة " وكيف نعرف من لم تر من امتك ؟ فقال : انهم غر محجلون من أثر الوضوء "(١) وفى لفظ " سيما ليست لاحد غيرهم " ،واجاب بأن الاشخاص التى رآها فى الافق لا يدرك منها الا الكثرة من غير تمييز لاعيانهم واماما فى حديث ابى هريرة فمحمول على ما اذا قربوا منه . وهذا كما يرى الشخص شخصا على بعد فيلكمه ولا يعرف انه اخوه ،فاذا صار بحيث يتميز عن غيره عرفه .

---

(١) * صحيح الامام البخارى ـ المجلد الاول ج ١ ـ كتاب الوضوء ـ باب فضل الوضوء ـ الغر المحجلون من اثار الوضوء ص ٤٦ .
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الاول ج ٣ كتاب الطهارة باب استحباب اطالة الغره والتحجيل فى الوضوء ص ١٣٤ .
* سنن ابن ماجه ج ١ (١) كتاب الطهارة وسننها ـ (٦) باب ثواب الطهور حديث رقم (٢٨٤) عن عبد الله بن مسعود وفى الزوائد اصل هذا الحديث مخرج فى الصحيحين من حديث ابى هريره وحذيفه . وهنا حديث حسن وحماد هو ابن سلمه . وعاصم هو ابن ابى النجود ، كوفى صدوق . فى حفظه شئ ص ١٠٤ .
* الفتح الربانى لمسند الامام احمد ـ ج ٢٣ الباب الخامس فى تمييز الامة المحمدية من سائر الامم يوم القيامة بالتحجيل حديث رقم (٤٥٩) ـ (المجحلون) اى ابيض مواضع الوضوء من الايدى والاقدام ،استعاره ـ لاثار الوضوء البياض فى وجه الفرس ويديه ورجليه واورده الهيثمى فى مجمع الزوائد وقال رواه احمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعه وهو ضعيف وقد وثق . وله عدة روايات حديث رقم (٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨) ص ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ .

ويؤيده أن ذلك يقع عند ورودهم على الحوض قوله (هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب) وفي رواية سعيد بن منصور " معهم " بدل قدامهم وفي رواية حصين بن نمير " ومع هؤلاء " وكذا في حديث ابن مسعود ، والمراد بالمعيه المعنوية فان السبعين ألفا المذكورين من جمله أمته و لكن لم يكونوا في الذين عرضوا اذ ذاك فاريد الزيادة في تكثير امته باضافة السبعين الفا اليهم . وقع وقع في رواية ابن فضيل " ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون الفا بغير حساب " وفي رواية عنبر ابن القاسم " هؤلاء امتك ، ومن هؤلاء من أمتك سبعون ألفا " والاشارة بهؤلاء الى الامة لا الى خصوصى من عرض ويحتمل ان تكون مع بمعنى من فتأتلف الروايات)[1].

وجاء في تحفه الاحوذي عن محمد بن زياد الالهاني قال :
سمعت ابا امامة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب ، مع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات ربي "[2] هذا حديث حسن غريب .

قوله : (عن محمد بن زياد الالهاني) ابي سفيان الحمص ثقه من الرابعة ، وقوله : (أن يدخل الجنه) من الادخال (سبعين ألفا) قيل المراد به اما هذا العدد او الكثرة ، قلت الظاهر هنا هو الاول (وثلاث حثيات) جمع حثية ، والحثية والحثوة يستعمل فيما يعطيه الانسان بكفيه

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ ١١ كتاب الرقاق (٥٠) باب يدخل الجنه سبعون الفا بغير حساب ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ باختصار .

(٢) جامع الترمذي بشرح تحفه الاحوذي جـ ٧ ـ ابواب صفة القيامة ـ باب في الشفاعة ـ حديث رقم (٢٥٥٤) حسن غريب ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

* مسند الامام احمد جـ ٥ عن ابي امامه ص ٢٦٨ .

دفعة واحدة من غير وزن وتقدير : قال الزركشى : بالنصب عطف على سبعين وهو مفعول يدخل فيكون حينئذ ثلاث حثيات مرة فقط وبالرفع عطف على سبعون الذين مع كل ألف ، فيكون ثلاث حثيات سبعين مرة انتهى ، قيل والرفع ابلغ قلت روى احمد عن ابى امامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله وعدنى ان يدخل الجنة من امتى سبعون الفا بغير حساب فقال يزيد بن الاخنس والله ما أولئك فى امتك الا كالذباب الاصهب فى الذباب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد وعدنى سبعين الفا مع كل ألف سبعين الفا وزادنى ثلاث حثيات .

قال المنذرى فى الترغيب : ورواته محتج بهم فى الصحيح فهذه الروايه تؤيد النصب .

قوله : (هذا حديث حسن غريب) واخرجه أحمد وابن ماجه)[1] .

وجاء فى صحيح الامام مسلم بشرح النووى حديث هرولة الناس يوم القيامة الى الانبياء ليخلصوهم من هول الموقف وقول كل نبى لست لها حتى ينتهى المطاف بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (فيقولون : يا محمد انت رسول الله وخاتم الانبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فانطلق فآتى تحت العرش فاقع ساجدا لربى ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لاحد قبلى ثم قال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسى فاقول ربى امتى امتى فيقال يا محمد ادخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب والذى نفس محمد بيده ان ما بين المصراعين من

---

(١) تحفه الاحوذى لجامع الترمذى ج ٧ ـ أبواب صفة القيامة ـ باب فى الشفاعة حديث رقم (٢٥٥٤) ـ ص ١٢٩ ، ١٣٠ باختصار .

مصاريع الجنة كلما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى)[١] .

وقال على القاري* (ان المولى عز وجل يلهم الرسول صلى الله عليه وسلم بمحامده وحسن الثناء عليه وقال الدلجي ان حسن الثناء عطف تفسيري والاظهر هو التأسيس بالمغايرة فان الثناء أعم من الحمد كما لا يخفى من ان الحمد قد يرد بمعنى الشكر (شيئا) أى عظيما (لم يفتحه على احد قبلى) اى ولا بعدى من باب الاكتفاء أو بالبرهان الاولى اوالمعنى قبل وقتى هذا (فيقال يا محمد ارفع رأسك) اى رفع الله قدرك (سل) أى لنفسك (تعطه) بهاء السكت على بناء المفعول مجزوما على جواب الامر (واشفع) اى فى حق غيرك (تشفع) بتشديد الفاء المفتوحة اى تقبل شفاعتك ولا ترد دعوتك (فارفع رأسى فأقول يارب امتى يارب امتى) اى اسئلك عفوهم اولا وعفو غيرهم آخرا ، أو لوحظ فى الامة معنى التغليب للاشرفية ، وكأن جميع الامة فى تلك الحالة كامنه لرجوعهم الى حضرته والتجائهم الى دعوته والتكرير للتاكيد او امتى حقيقة امتى كافة مجازا وهذا كله اذا اريد به المقام المحمود من الشفاعة الكبرى كما هو الظاهر من السياق (فيقول) اى الله سبحانه وتعالى او ملك يامره وفى نسخه فيقال (ادخل من امتك) اى من أهل الاجابة (من لا حساب عليه) اى لا مؤاخذة ولاعتاب اما عدلا واما فضلا وهو الاظهر فضلا (من الباب الايمن) اى لابرك او الاقرب يكونه يمينا فان ابواب الجنة من جهة اليمين لا شك أنها كثيرة كما يشير اليه قوله (من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى

---

(١) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الاول ج ٣ كتاب الايمان باب الشفاعة (وهجر) مدينة عظيمة هى قاعدة بلاد البحرين التى وهى بخلاف مدينة هجر احدى قرى المدينة (وبصرى) مدينه بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل وهى مدينة حوران بينها وبين مكة شهر ص ٦٩ .

* سنن الترمذى ج ٤ باب (١٠) ما جاء فى الشفاعة حديث رقم ٢٤٣٤ قال : ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وابو حيان التيمى اسمه يحيى بن سعيد بن حيان كوفى وهو ثقة وابو زرعه بن عمر وبن جرير اسمه هرم ص ٦٢٢ ، ٦٢٤ .

ذلك من الابواب) اى ان اختاروا وادخلوهم منها وهذا غاية التعظيم ونهاية التكريم أنه يعرض عليهم جميع الابواب ويختار لهم الافضل الابرك الاقرب الى ذلك الجناب الاقدس ، قيل للجنة ثمانية أبواب باب الصلاة وباب الصدقة وباب الصوم ويقال له الريان وباب الجهاد وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وباب الراضين ثم قال فهذه سبعة أبواب ولعل الثامن هو الباب الايمن الذى يدخل منه من لا حساب عليه والله اتعالى اعلم) (1).

وقال الاستاذ موسى محمد على (ان ابن دقيق العيد رضى الله عنه قال : ولا اعلم الاختصاص فيها او عدم الاختصاص) .
وجاء فى الصحيح : " لا يدخل اولهم حتى يدخل اخرهم " .

وهو اشارة الى سعة باب الجنة . وقوله " اولهم واخرهم " : اما أن يراد به فى الدنيا ، وان المتقدم فى الزمان والمتاخر يدخلون دفعة واحدة ، واما ان تكون كناية عن سرعة تعاقبهم ، فانهم يدخلون متماسكين والا فيستحيل ان يكون لهم اول وآخر فى الدخول ولا يدخل اولهم قبل آخرهم حقيقة واذا عرف ذلك فلا شك ان زمرة تدخل الجنة بغير حساب ، وهم بالصفة المذكورة فى الحديث وقد دخل فيهم عكاشة رضى الله عنه بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم .

والظاهر ان كل من حصلت له الصفة المذكورة فى حديث : " ادخل الجنة من لا حساب له " استحق الجزاء ، لكن دخولهم متوقف على شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم ، فاذا اشفع اذن الله تعالى له بادخالهم من الباب الايمن ، كما هو ظاهر الحديث ، فانه جعل كونهم لا حساب عليهم وصفا ثابتا لهم .

---

(1) شرح الشفا لعلى القارى جـ ١ ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ باختصار .

ويحتمل ان ذلك الجزاء انما يستحقونه بشرط الشفاعة ، وان اشتملوا على الصفات المذكورة لكن لم يدل دليل على هذا .
واما ان شخصا لا يتصف بالصفة المذكورة في الحديث ويكون ممن يستحق الحساب .

وظاهر قوله سبعون الفا انهم لا يزيدون على ذلك ، وانهم كلهم بالصفة المذكورة .

وعلى كل من التقارير المفروضة فالخصوصية ثابتة لنبينا صلى الله عليه وسلم في ادخال اول زمرة من أمته الجنة بشفاعته ، فان شفاعته المذكورة تكون في اول مقام الشفاعة ، قبل ان تجعل الشفاعة لغيره ، ويترتب عليها الاذن في ادخال الزمرة المذكورة ، وهي اول من يدخل الجنة .

وهذا المعنى لا يشاركه احد فيه ، سواء أكان في الامم المتقدمة من يدخل بغير حساب ، ويحتاج الى شفاعة نبيه أولا ، وحينئذ تكون العبارة المحررة عن هذه الشفاعة ، انها شفاعة في استفتاح الجنة ، وادخال اول زمرة تدخلها ، وهي في المرتبة الثانية من الشفاعة العظمى التي لفصل القضاء ، والاراحة من طول الوقوف في ذلك المكان .

فالشفاعة في استفتاح الجنة متأخر بالرتبة عن الشفاعة في فصل القضاء ، فيصلح عده شفاعة ثانية ، وكلاهما خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم بغير شك .

ومن تامل الاحاديث الصحيحة الشريفة ، عرف ان أول فصل القضاء يميز الامم ، والامر بان تتبع كل امة ما كانت تعبد الى أن لا يبقى الا المؤمنون فيدخلون الجنه زمرا ، وجميع ذلك يعطاه النبي صلى الله عليه وسلم في أول مرة اذا رفع رأسه من السجود وشفع ، وقيل له : ادخل الجنة من لا حساب عليه من امتك من الباب الايمن ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب .

وقوله " وهم " يعود على الامة فاما أن يحمل على من لا يدخل النار ، أو على الجميع ، ويكون ذلك بشرى للنبي صلى الله عليه وسلم بدخولهم الجنة ، وان تأخر بعضهم ، ثم السجدات الباقية لاخراج المذنبين من النار ، ولعل السبعين ألفا يدخلون بغير عرض . فان ظاهر الحديث

يقتضى انه لاحساب عليهم اصلا ، ومن يحاسب حسابا يسيرا خارج عنهم ، والحساب اليسير هو العرض كما جاء تفسيره فى الحديث الصحيح ، وكلا القسمين لا يعذب ومن نوقش الحساب عذب) (١) .

وجاء فى كتاب الخصال ثلاثة يدخلهم الله الجنة بغير حساب ، وثلاثة يدخلهم الله النار بغير حساب (عن عجلان عن ابى عبد الله عليه السلام قال : ثلاثة يدخلهم الله الجنة بغير حساب ، وثلاثة يدخلهم الله النار بغير حساب ، فاما الذين يدخلهم الله الجنة بغير حساب امام عادل وتاجر صدوق وشيخ أفنى عمره فى طاعة الله عز وجل ، وأما الثلاثة الذين يدخلهم الله النار بغير حساب فامام جائر وتاجر كذوب ، وشيخ زان) (٢) .

⁂ ⁂

---

(١) حقيقه التوسل والوسيله ص ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ باختصار .
(الفصل الرابع الشفاعة ودليل اثباتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم) .

(٢) كتاب الخصال ـ باب الثلاثه ـ ص ٨٠ .

ثالثا : الشفاعة لقوم استوجبوا النار الا يدخلوهـــا :

النوع الثالث من أنواع الشفاعة فى الاخره هو لقوم استوجبوا النـــار فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم ومن يشاء الله تعالى .

وهذا النوع يحل بعد الشفاعة العظمى للاراحه من هول الموقف وبعد الشفاعة لدخول قوم الجنة بغير حساب .

وقال الامام ابن قيم الجوزيه فى عون المعبود (لم اقف الى الان علــى حديث يدل عليه واكثر الاحاديث صريحة فى أن الشفاعة فى أهل التوحيـــد عن ارباب الكبائر انما تكون بعد دخولهم النار ، وأما أن يشفع فيهـــم قبل الدخول ، فلا يدخلهم فلم أظفر فيه بنص) [١] .

ولكن عند التحقيق نجد أن هذا النوع مثبت بالاحاديث فقد جــاء فى كتاب التاج الجامع للاصول أن النبى صلى الله عليه وسلم فى الموقـــف يكون تارة عند الميزان وتارة عند الحوض وأخرى عند الصراط .

فعن انس رضى الله عنه قال : سألت النبى صلى الله عليه وســلم أن يشفع لى يوم القيامة فقال : أنا فاعل ، قلت : يارسول الله فايـــن اطلبك ؟ قال : اطلبنى أو ما تطلبنى على الصراط قال قلت : فان لـــم القك على الصراط ؟ قال : فاطلبنى عند الميزان قلت : فان لم ألقـــك عند الميزان قال : فاطلبنى عند الحوض فانى لا اخطئ هذه الثـــلاث المواطـــن) [٢] .

---

(١) عون المعبود ـ شرح سنن ابى داود ـ جـ ١٣ ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) التاج الجامع للاصول ـ جـ ٥ ـ كتاب القيامة والجنة والنـــار (الميزان) ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ .
(تخريجه) جامع الترمذى ـ جـ ٤ كتاب صفة القيامة ـ ٩ بـــاب ما جاء فى شأن الصراط (حديث رقم ٢٤٣٣) ـ قال ابو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا تعرفه الا من هذا الوجه ص ٦٢١ ، ٦٢٢ .

وجاء في كتاب الحقيقه التوسل والوسيله (الشفاعة الثالثة : الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم ومن يشاء الله تعالى . ذكر ذلك القاضي عياض وأشار بذلك الى حديث ابى سعيد من قوله : (... ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون : اللهم .. سلم سلم " [1] وظاهر هذا أنها شفاعة تحل بعد وضع الصراط بعد الشفاعتين الاولتين ، وانها في اجازة [2] الصراط ، ويلزم عن ذلك النجاة من النار .

والنبى صلى الله عليه وسلم يكون في اليوم امام النبيين ، وصاحب شفاعتهم [3] ، فكل ما يقع من شفاعتهم ينسب اليه بذلك ، فلا يخرج شئ عن شفاعته لامن انواع الشفاعة ، ولا من الاشخاص المشفوع فيهم من ملته ، ومن غير ملته ، لانه اذا كان صاحب شفاعة الانبياء ، والكل تحت لوائه ، فكل من شفعوا فيه فبسببه صلى الله عليه وسلم تقدموا للشفاعة فيه ، واجابة شفاعتهم اجابة له صلى الله عليه وسلم ، فكل من يقع شفاعة النبيين فيه داخل تحت شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم ، ومن شفع فيه المؤمنون كذلك بطريق الاولى فهو صلى الله عليه وسلم شفيع الشفعاء) [4] .

وجاء في شرح الشفا لعلى القارئ عن حذيفة " فياتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط) . اى يوضع على متن جهنم جسرا ممدودا .
وروى ايضا يوضع الصراط مثل حد الموس (فيمرون) اى عليه وجاء في رواية (فيتهافت اهل النار فيها وينجوا اهل الجنة منها) كما قال تعالى " ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا " . [5]

---

(١) صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووي المجلد الأول ص... كتاب الإيمان باب رؤية الله سبحانه وتعالى [illegible]
(٢) اى المرور عليه .
(٣) اى صاحب الشفاعه العظمى للاراحه من الموقف حين يقول كل نبى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى .
(٤) حقيقه التوسل والوسيله ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ .
(٥) سورة مريم آيه (٧٢) .

(اولهم كالبرق) اى الخاطف (ثم كالريح والطير) اى وكالطير (وشد الرجال) اى عدوهم وجريهم . (ونبيكم) يعنى نفسه على طريقة التجريد (على الصراط) اى مستعليا (يقول اللهم سلم سلم) التكرير للتكثير اى بالنسبة الى كل احد من دعوة التغرير ويؤيده قوله (حتى يجتاز الناس) وحتى تحتمل الغاية والعلة (وذكر) اى النبى عليه الصلاة والسلام (آخرهم جوازا ... الحديث) اى مرورا على الصراط ولو روى بكسرها[1] لجاز ويكون معناه مجاوزه عنه (وفى رواية ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فاكون اول من يجيز) أى من يمضى عليه ويقطعه وفى نسخه صحيحه يجوز وهما لغتان يقال جاز واجاز بمعنى كما ذكره النووى وزاد فى نسخه صحيحة يومئذ (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى كما رواه الشيخان (عنه عليه ء الصلاة والسلام) يوضع) يجوز تذكيره وتأنيثه (للانبياء منابر) اى على قدر مراتبهم (يجلسون عليها ويبقى منبرى لا جلس عليه قائما) اى تاركا جلوس حال قيامى (بين يدى ربى منتصبا) اى على هيئة طالب الحاجة عند صاحب النعمة (فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان أصنع بامتك فاقول يارب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنه برحمته) اى بتوفيق طاعته (ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى) اى لتقصيره فى متابعتى (ولا ازال اشفع حتى اعطى) (صكاكا برجال) اى باشخاص كتب فيها اسماؤهم (قد امر بهم الى النار) اى اولا فيقع خلاصهم بالشفاعة اخرا (حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك فى امتك من نقمه) وفى نسخه (بقية) اى من نفس باقيه)[2] .

وذكره الامام ابن كثير فى للنهاية تحت عنوان (النوع الثانى والثالث من الشفاعة) شفاعته صلى الله عليه وسلم فى اقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنه ، وفى اقوام قد امربهم الى النار ان لا يدخلوها

---

(١) روى بكسر (جوازا) .
(٢) شرح الشفا لعلى القارى ج ١ ص ٤٧٠ ، ٤٧١ باختصار .

غير انه يدل كلمة (صكاكا) بكلمه (فكاكا) وهو مصدر فك الاسير بمعنى خلصه عن أسره ويطلق الفكاك على الشيء الذى يعطى بدلا من تخليص الاسير والرهن . وفى الاصل (مكاكا) بالميم وهو تصحيف)[1] .

وكذلك ذكر فى كتاب الترغيب والترهيب[2] .

وذكره صاحب الخصائص الكبرى دليلا لهذا النوع من الشفاعة[3] عن انس ابن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لأول الناس تنشق الارض عن جمجمتى يوم القيامة ولا فخر وأعطى لواء الحمد ولا فخر وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر وأنا اول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر وانى آتى باب الجنة فآخذ بحلقها فيقولون مرها فاقول أنا محمد فيفتحون لى فادخل فاذا الجبار عز وجل مستقبلى فاسجد له فيقول ارفع رأسك يا محمد وتكلم يسمع منك وقل يقبل منك واشفع تشفع فارفع رأسى فأقول امتى أمتى يارب فيقول اذهب الى امتك فمن وجدت فى قلبه مثقال حبة من شعير من الايمان فأدخله الجنة فاقبل فمن وجدت فى قلبه ذلك فادخله الجنة فاذا الجبار عز وجل مستقبلى فأسجد له فيقول ارفع رأسك يا محمد وتكلم يسمع منك وقل يقبل منك واشفع تشفع فارفع رأسى فأقول أمتى أمتى أى رب فيقول اذهب الى امتك فمن وجدت فى قلبه نصف حبه من شعير من الايمان فأدخلهم الجنة فاذهب فمن وجدت فى قلبه مثقال ذلك أدخلهم الجنة فاذا الجبار عز وجل مستقبلى فأسجد له فيقول ارفع رأسك يا محمد وتكلم يسمع منك وقل يقبل منك واشفع تشفع فارفع رأسى فأقول امتى أمتى فيقول اذهب الى امتك فمن وجدت فى قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان فأدخله الجنة فأذهب فمن وجدت فى قلبه مثقال ذلك أدخلتهم الجنة وفرغ الله من

---

(١) البداية والنهاية للامام لابن كثير — ج ٢ — ص ٢٧١ .
(٢) الترغيب والترهيب للمنذرى — ج ٤ — ص ٤٤٦ .
(٣) الخصائص الكبرى للامام السيوطى ج ٢ — ص ٢٢١ .

حساب الناس وادخل من بقى من امتى النار مع اهل النار ٠٠٠٠)[1] .

فهذا الحديث دليل على الشفاعة لقوم استوجبوا النار الا يدخلوها ويظهر ذلك من شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم عدة مرات وقبول شفاعته ثم دخول المشفوع فيهم الجنة نتيجه لذلك ثم بعد ذلك يفرغ الله من حساب الناس وادخل من بقى من امته النار مع اهل النار ٠ فعبارة (ادخل من بقى من امتى النار مع اهل النار ٠٠٠٠) دليل على أن الشفاعة السابقة كانت لقوم قبل دخول النار مع استحقاقهم لها ٠ والله اعلم ٠

وجاء فى كتاب الاحاديث القدسيه (عن ابى هريرة رضى الله عنه قال ـ قال أناس : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يارسول الله ، قال هل تضارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا ، يارسول الله ، قال : فانكم ترونه يوم القيامة كذلك ، يجمع الله الناس ، فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس (اى الشمس) ويتبع من كان يعبد القمر (اى القمر) ويتبع من كان يعبد الطواغيت (اى الطواغيت) وتبقى هذه الامة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله فى غير الصورة التى يعرفون ، فيقول : انا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا اتانا ربنا عرفناه فيأتيهم الله فى الصورة التى يعرفون ، فيقول : انا ربكم ؛ فيقولون : أنت ربنا ، فيتبعونه ، ويضرب جسر جهنم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأكون اول من يجيز ، ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وبه كلاليب مثل شوك السعدان اما رأيتم شوك السعدان ؟

---

(١) الفتح الربانى لمسند الامام احمد ج ٢٤ كتاب قيام الساعة والنفخ فى الصور والبعث والمنشور الفصل الرابع فى شفاعته صلى الله عليه وسلم لفريق من امته استحقوا العذاب قبل دخولهم النار واخراج فريق منها بفضل رحمه الله تعالى وهم الذين يقال لهم الجهنميون ٠ (تخرجه) عمرو بن ابى عمرو : اسمه ميسره مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومى أبو عثمان المدنى قال عبد الله بن احمد عن ابيه ليس به بأس ، وقال الدورى عن ابن معين فى حديثه ضعف ليس بالقوى وقال أبو زرعه ثقة وقال النسائى ليس بالقوى وللحديث شواهد فى الصحيحين ص ١٢٧ ، ١٢٨ ٠

قالوا : بلى يارسول الله قال : فانها مثل شوك السعدان ، غير أنها لا يعلم قدر عظمها الا الله فتخطف الناس بأعمالهم : فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ، ثم ينجو ، حتى اذا فرغ الله من القضاء بين عباده ، واراد ان يخرج من النار من اراد ان يخرج : ممن كان يشهد ان لا اله الا الله ، امر الملائكة أن يخرجوهم ....)[1]

وقوله : (هل تضارون) بتخفيف الراء هل يضيركم (ويضرركم) احد ، من الضير بمعنى الضرر وبتشديد الراء من المضارة ، اى هل تضرون احدا ، او يضركم احد ، عند رؤيه الشمس او القمر دون حجاب ، بمنازعة ، أو مضايقة ، او تكذيب ومجادلة . وقد روى (هل تضامون) بتشديد الميم ، من الضم ، وهو الازدحام اى انتم لا تزدحمون عند رؤيته ، كما لا تزدحمون عند رؤية الشمس والقمر ، لان رؤيتها متيسره للجميع ، وكل فى مكانه دون زحمة . وروى (هل تضامون) بتخفيف الميم ، من ضامه يضيمه ، من الضيم وهو الذل ، اى لا يذل بعضكم بعضا بالمزاحمه والمنازعة . وفى رواية (لا تضامون — أو تضاهون) بالهاء اى لا يشتبه عليكم ولا ترتابون فى رؤيته ، ولا يعارض بعضكم بعضا بل تكونون على يقين انكم رايتم ربكم . وفى رواية (هل تمارون) بضم التاء — اى هل تجادلون فى ذلك ، أو يدخلكم شك وريبة فى الرؤية .
من المراء اى الجدال — او المرية بمعنى الشك . وروى بفتح التاء . (واصلة تتمارون) فحذفت احدى التائين تخفيفا ، (وقوله : انكم ترونه كذلك) الكاف ليست لتشبيه المرئى ، فليس لله شبيه ، قال تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)[2] . وانما هى لتشبيه الرؤيه بالرؤيه فى الوضوح واليقين ، وعدم المجادلة ونفى الشك فيها . ومعناه : انها رؤيه حقيقيه لا شك فيها كما

---

(١) * صحيح الامام البخارى — المجلد ٣ — ج ٨ — كتاب الرقاق — باب الصراط جسر جهنم ص ١٤٦ ، ١٤٧

* صحيح الامام مسلم بشرح النووى — ج ٣ — كتاب الايمان — باب صفه الصراط ص ١٧ : ٢٢ .

* الفتح الربانى لمسند الامام احمد — ج ٢٤ — خاتمه الكتاب حديث رقم ٥١٤ عن ابى هريرة ص ٢٠٦ وكذلك حديث رقم (٣٨١) عن ابى هريرة — باب فيما جاء فى الصراط وشفاعة الانبياء والمؤمنين وتحنن الله عز وجل برحمته على عباده الموحدين ص ١٥٧ .

والنص للامام البخارى .

(٢) سورة الشورى آيه (١١)

أن رؤية الشمس او القمر دون حجاب لا شك فيها ٠
(والطواغيت) : جمع طاغوت وهو الشيطان والصنم ، أو كل طاغ ، دعا الناس الى عبادته ٠

وقوله : (فيأتيهم ربهم ٠٠٠ الخ) الكلام فى نسبة الاتيان وما اشبهه الى الرب ، يجرى فيه مذهب السلف والخلف ـ وطريقة السلف فى المتشابه أسلم ، لانهم يؤمنون به ، مع اعتقادهم تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث ويرفضون تعيين المراد منه الى الله تعالى ، فيقولون : الله اعلم بذلك ، واما طريقة الخلف ـ فيؤولون المتشابه ، بصرفه عن معناه الحقيقى الموهم للتشبيه ـ الى معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته فيقولون فى الاتيان هنا : التجلى للعباد ، حتى يروه بلا كيف ولا انحصار وهذه هى الرؤية التى يعرفها المؤمنون الموحدون ، فيقولون حينئذ : (انت ربنا) واما الرؤية الاولى التى ينكرونها ، فقد رجح القاضى عياض ان فى الكلام مضافا محذوفا ، اى فيأتيهم بعض ملائكة ربهم ولذا قال : (فى غير الصورة التى يعرفون) اى فى غير الصفة التى يعرفونه بها فى الدنيا فينكرها المؤمنون ، ويمتاز عنهم المنافقون ، الذين كانوا يدعون انهم مع المؤمنين ويكون ذلك امتحانا لتمييزهم ولان المنافقين لا يستحقون الاكرام برؤية الله تعالى ، كما قال تعالى " كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ")[1] ٠

(وقال الامام النووى اثناء شرحه لهذا الحديث ان معنى (ويضرب الصراط بين ظهرى جنهم) يمد الصراط عليها وفى هذا اثبات الصراط ومذهب اهل الحق اثباته وقد اجمع السلف على اثباته وهو جسر على متن جهنم يمر

---

(١) سورة المطففين آيه (١٥)
* الاحاديث القدسية ـ جـ ٢ ص ٥٧ ـ ٦١ نقلا عن الامام القسطلانى فى ارشاد السارى جـ ٩ كتاب الرقاق ـ باب الصراط جسر جهنم ص ٣١٥ ، ٣١٦ ٠

عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم اى منازلهم والاخرون يسقطون فيها اعاذنا الله الكريم منها وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف يقولون ان الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف . قوله صلى الله عليه وسلم (فاكون انا وامتى أول من يجيز) وفى روايه الامام البخارى (فاكون اول من يجيز) ومعناه يكون أول من يمضى عليه ويقطعه يقال اجزت الوادى وجزته لغتان بمعنى واحد وقيل اجزته قطعته وجزته مشيت فيه والله اعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم (ولا يتكلم يومئذ الا الرسل) معناه لشدة الاهوال والمراد لا يتكلم فى حال الاجازة والا ففى يوم القيامة مواطن يتكلم الناس فيها وتجادل كل نفس عن نفسها ويسأل بعضهم بعضا ويتلاومون ويخاصم التابعون المتبوعين والله اعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم (ودعوا الرسل يومئذ اللهم سلم سلم) هذا من كمال شفقتهم ورحمتهم للخلق وفيه ان الدعوات تكون بحسب المواطن فيدعى فى كل مواطن بما يليق به والله اعلم (وعن المغيرة بن شعبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شعار المؤمن على الصراط : رب سلم سلم)(1) .

قوله صلى الله عليه وسلم (وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان) اما الكلاليب فجمع كلوب بفتح الكاف وضم اللام المشدده وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم وترسل فى التنور وأما (السعدان) هو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب . وقوله صلى الله عليه وسلم (تخطف الناس بأعمالهم) يجوز ان تكون تخطفهم بسبب اعمالهم ويجوز أن يكون معناه تخطفهم على قدر أعمالهم والله اعلم . قوله صلى الله عليه وسلم (فمنهم المؤمن بقى بعمله ومنهم المجازى حتى ينجى) وفى رواية الامام البخارى (فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل) وذكر القاضى عياض رحمه الله

---

(1) سنن الترمذى ـ جـ ٤ ـ ٩ باب ما جاء فى شأن الصراط ـ حديث رقم ٢٤٣٢ ـ قال ابو عيسى : هذا حديث غريب من حديث المغيره ابن شعبه لا نعرفه الا من حديث عبدالرحمن بن اسحاق ـ وفى الباب عن ابى هريرة ص ٦٢١ .

فى ضبطه (المجازى) خلافا فقال روى المجازى وروى المخردل وروى بالمجردل فاما الذى بالخاء فمعناه المقطع اى بالكلاليب يقال خردلت اللحم اى قطعته وقيل خردلت بمعنى صرعت والجردلة بالجيم الاشراف على الهلاك والسقوط) [١] .

وفى رواية اخرى فى صحيح الامام مسلم (... فقال أنا ربكم فيقولون انت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم " [٢] .

وذكر لنا الامام احمد فى مسنده قوله صلى الله عليه وسلم (...ولجهنم جسر ادق من الشعر واحد من السيف عليه كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب والملائكة يقولون رب سلم رب سلم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكور فى النار على وجهه) [٣] .

وقال الامام النووى عند شرحه لحديث الامام مسلم (معنى تحل الشفاعة) اى تقع ويؤذن فيها ، و(الدحض والمزلة) بمعنى واحد وهو الموضع الذى تزل فيه الاقدام ولا تستقر ومنه دحضت الشمس أى مالت وحجة داحضة لاثبات لها . أما (الحسك) هو شوك صلب من حديد قوله صلى الله

---

(١) شرح الامام النووى لصحيح الامام مسلم جـ ٣ ـ كتاب الايمان ـ باب صفة الصراط ص ٢٠ : ٢٢ بتصرف .

(٢) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى جـ ٣ ـ كتاب الايمان ـ باب صفه الصراط ص ٢٩ .

(٣) الفتح الربانى لمسند الامام احمد جـ ٢٤ ـ باب فى تناول الصحف والميزان حديث رقم (٣٤٨) (تخريجه) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد . وقال فقلت عند ابى داود طرف منه ـ رواه احمد وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد وثق ، وبقيه رجاله رجال الصحيح ص ١٤٤ . انظر مجمع الزوائد جـ ١٠ ـ كتاب البعث باب ما جاء فى الميزان والصراط والورود ص ٣٥٩ .

عليه وسلم (نتاج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم) معناه انهم ثلاثة اقسام قسم يسلم فلا يناله شئ اصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس ويلقى فيسقط فى جهنم ، واما مكدوس كون الاشياء بعضها على بعض ومنه تكدست الدواب فى سيرها اذا ركب بعضها بعضا)[1] .

(وقال القاضى عياض رحمه الله فى صحيح الامام مسلم بشرح النووى انه جاء فى احاديث رؤيه المولى عز وجل وحشر الناس اتباع كل امة ما كانت تعبد ثم تمييز المؤمنين من المنافقين ثم حلول الشفاعة ووضع الصراط فيحتمل ان الامر باتباع الامم ما كانت تعبد هو اول الفصل والاراحة من هول الموقف وهو اول المقام المحمود وان الشفاعة التى ذكر حلولها هى الشفاعة فى المذنبين على الصراط وهو ظاهر الاحاديث وانها لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولغيره والله اعلم انتهى)[2]

وقد ذكر الامام احمد عن ابى بكرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحمل الناس على الصراط يوم القيامة فتقادع بهم جنبة الصراط تقادع الفراش فى النار قال فينجى الله تبارك وتعالى برحمته من يشاء قال ثم يؤذن الملائكة والنبيين والشهداء ان يشفعوا فيشفعون ويخرجون ويشفعون ويخرجون وزاد عفان مرة فقال ايضا ويشفعون ويخرجون من كان فى قلبه ما يزيد ذرة من ايمان)[3] .

---

(١) شرح الامام النووى لصحيح الامام مسلم ج ٣ كتاب الايمان ـ رؤية الله سبحانه وتعالى فى الاخره ص ٢٩ ، ٣٠ باختصار .

(٢) شرح الامام النووى لصحيح الامام مسلم ج ٣ كتاب الايمان الشفاعة ص ٥٧ ، ٥٨ باختصار .

(٣) الفتح الربانى لمسند الامام احمد ـ ج ٢٤ ـ باب فيما جاء فى الصراط وشفاعه الانبياء والمؤمنين وتحنن الله عز وجل برحمته على عباده الموحدين حديث رقم (٣٨٠) (تخريجه) اورده الهيثمى فى مجمع الزوائد وقال رواه احمد ورجاله رجال الصحيح ورواه الطبرانى فى الصغير والكبير بنحوه ، ورواه البزار ايضا ورجاله رجال الصحيح ص ١٥٦ ، ١٥٧ .
* مجمع الزوائد ج ١٠ كتاب البعث باب ما جاء فى الميزان والصراط والورود غير انه بدل لفظ (فتقادع) بلفظ (فتتقادع) ومعناها تسقطهم فيها بعضهم فوق بعض ص ٣٥٩ .

وعن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلك رجلان مفازة احدهما عابد والاخر به رهق فعطش العابد حتى سقط فجعل صاحبه ينظر اليه وهو صريع فقال والله لئن مات هذا العبد الصالح عطشا ومعى ماء لا أصيب من الله خيرا وان سقيته مائى لاموتن فتوكل على الله وعزم ورش عليه من مائه وسقاه من فضله قال فقام حتى قطع المفازة قال فيوقف الذى به رهق يوم القيامة للحساب فيؤمر به الى النار فتسوقه الملائكة فيرى العابد فيقول يا فلان اما تعرفنى قال فيقول من أنت قال انا فلان الذى آثرتك على نفسى يوم المفازه قال فيقول بل اعرفك قال فيقول للملائكة قفوا ويجئ حتى يقف ويدعو ربه فيقول يارب قد تعرف يده عندى وكيف آثرنى على نفسه يارب هبه لى قال فيقول هو لك ويأخذ بيده فيدخل الجنة)(١) .

∴ ∴

(١) مجمع الزوائد ج ١٠ ـ كتاب البعث ـ باب شفاعة الصالحين وقال رواه ابو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير ابن ظلال القسملى وقد وثقه ابن حبان وغيره وضعفه غير واحد ص ٣٨٢ .

رابعا : الشفاعة فيمن دخل النار من الامة المحمدية :

" وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا " (١).

قال الامام الغزالى اعلم انه اذا حق دخول النار على طوائف المؤمنين فان الله تعالى يقبل بفضله فيهم شفاعة الانبياء والصديقين ، بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فان له شفاعة فى اهله وقرابته واصدقائه ومعارفه فكن حريصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة . وذلك بان لا تحقر آدميا اصلا فان الله تعالى خبأ ولايته فى عباده فلعل الذى تزدريه عينك هو ولى الله . ولا تستصغر معصية اصلا فان الله تعالى خبأ غضبه فى معاصيه فلعل مقت الله فيه ، ولا تستحقر طاعة اصلا فان الله تعالى خبأ رضاه وطاعته فلعل رضاه فيه ولو الكلمه الطيبة او اللقمة أو النية الحسنة او ما يجرى مجراه) (٢) .

وقال الامام ابن تيميه (انما الشفاعة سبب من الاسباب التى بها يرحم الله من يرحم من عباده ، واحق الناس برحمته : هم اهل التوحيد والاخلاص له فكل من كان اكمل فى تحقيق اخلاص " لا اله الا الله " علما وعقيدة وعملا وبراءة وموالاة كان احق بالرحمة .

والمذنبون - الذين رجحت سيئاتهم على حسناتهم فخفت موازينهم ، فاستحقوا النار : من كان منهم من أهل " لا اله الا الله " فان النار تصيبه بذنوبه ويميته الله فى النار اماته فتحرقه النار الا موضع السجود ثم يخرجه الله من النار بالشفاعة ويدخله الجنه ، كما جاءت بذلك الاحاديث الصحيحه) (٣) .

---

(١) سورة الاحزاب ايه (٤٧) .

(٢) قول الامام الغزالى فى كتاب الترغيب والترهيب - ج ٤ تحت عنوان الشفاعه العظمى لخير الخلق صلى الله عليه وسلم ص ٤٤٧ .
وذكر فى كتاب احياء علوم الدين ج ٤ صفة الشفاعة ص ٥٠٩ .

(٣) الحسنة والسيئه لابن تيميه : تحت عنوان الشفاعة سبب من اسباب الرحمة ص ١٥٤ .

وجاء فى شرح ملا على بن سلطان محمد القارى الحنفى على الفقه الاكبر للامام ابى حنيفه النعمان الكوفى (" وشفاعة الانبياء عليهم الصلاة والسلام حق " أى عموما فى المقصود " وشفاعة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم " أى خصوصا فى المقام المحمود واللواء الممدود والحوض المورود " للمؤمنين المذنبين " اى من أهل الصغائر المستحقين للعقاب " ولاهل الكبائر منهم " أى من المؤمنين المستوجبين للعقاب حق ثابت . وكذا شفاعة العلماء والاولياء والشهداء والفقراء وأطفال المؤمنين الصابرين على البلاء)(١) .

(فمن مات وهو مؤمن بكلمة التوحيد وهى لا اله الا الله محمد رسول الله وكان فى حياته بعيدا عن العمل بالشرع فانه يحكم عليه بالنار بقدر عصيانه فيدخلها ولكن قبل استيفاء المدة تناله شفاعة الشافعين الذين يختارهم الله له حينما يشاء الله تعالى)(٢) .

وقد عرضت هذا النوع من الشفاعة بشئ من التوسع فى الفصل الثانى المسمى " آراء العلماء فى الشفاعة " وقمت باثبات الشفاعة لعصاة المؤمنين بالاحاديث الصحيحة ولذلك سأعرض فى هذا الفصل " اصحاب الحق فيها " .

فهذا النوع من الشفاعة ثابت لرسول الله صلى الله عليه وسلم " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ " (٣) و " لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ " (٤) .

---

(١) شرح ملا على بن سلطان محمد القارى الحنفى على الفقه الاكبر للامام ابى حنيفه النعمان الكوفى ص ٩٤ باختصار .

(٢) هامش التاج الجامع للاصول ـ جـ ٥ ص ٤٠٠ .

(٣) سورة الانبياء آيه (١٠٧) .

(٤) سورة التوبه آيه (١٢٨) .

ويشاركه الملائكة " وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ "(١) و " هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ "(٢) و " يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا "(٣) .

والانبياء والشهداء " وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ "(٤) .

والمؤمنون : " أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ "(٥) و " مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ "(٦) .

والقرآن : " وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ "(٧) .

---

(١) سورة الشورى آيه (٥) .
(٢) سورة الاحزاب آيه (٤٣) .
(٣) سورة النبأ آيه (٣٨) .
(٤) سورة الزمر آيه (٦٩) .
(٥) سورة الانفال آيه (٤) .
(٦) سورة الفتح آيه (٢٩) .
(٧) سورة النحل آيه (٨٩) .

(١) **شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من الامة المحمديـــــة :**

" عن ابى هريرة رضى الله عنه أنه قال قلت يا رسول الله من اسعـــد الناس بشفاعتك يوم القيامه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد ظننت يا ابا هريرة ان لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت مـن حرصك على الحديث اسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا اللــه خالصا من قبل نفســه " (١) .

وجاء فى بهجه النفوس(٢) (الوجه السادس : لقائل ان يقـــول لم قال من أسعد ولم يقل منهم أهل شفاعتك والجواب أن هؤلاء المشفوع فيهم يوم القيامة أصناف مختلفه فمنهم المؤمنون المذنبون ومنهم الكفـــار والمنافقون فى الدرك الاسفل من النار والمؤمنون المذنبون يدخلون النــار بذنوبهم فمنهم من يخرج منها بعد القصاص بغير شفاعة ومنهم من يخـرج منها بعد القصاص بغير شفاعة ومنهم من يخرج بالشفاعة فمن شفع لـــه ثم عذب لم يحصل له سعادة تامة وانما حصلت له سعادة خاصة لانــــه عوفى فى الوقت من بلاء ثم أخذه بعد ذلك بلاء أشد منه ، وشفاعتـــه عليه السلام على ضربين عامة وخاصة فالخاصة هى لامته المذنبين فانه اذا شفع فيهم اخرجوا من النار وعفى عنهم وادخلوا الجنة وهذه هى الشفاعـــة الخاصة والسعادة التامة فلأجل ذلك قال اسعد التى هى من أبنية المبالغـه لانها سعادة لاشقاء بعدها أبدا الوجه الثانى عشر : القائل ان يقـول لم قيد الشفاعة بيوم القيامه وهى مستمرة أبدا على الدوام فى الدنيا وفـــى الاخره لا يزال عليه السلام يشفع ويشفع والجواب أنه انما قيدها بيـــوم القيامة لانه قد عاين هذه الشفاعة التى فى الدنيا وعرفها وان كانت علـــى المشيئة لكنها وقعت كالمقطوع به لانه عليه السلام لم يشفع قط لاحد فـــى

---

(١) * صحيح الامام البخارى بشرح ابن حجر العسقلانى جـ ١١ ـ ٨١ كتاب الرقاق ـ ٥١ باب صفة الجنه والنار حديث رقم (٦٥٧٠) ص ٤١٨ .

* مسند الامام احمد بن حنبل جـ ٢ ـ مسند ابى هريره ص٣٧٣ .

(٢) بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخارى المسمى جمع النهاية فى بدء الخير والغاية للإمام ابى محمد عبد الله بن أبى جمرة الأندلسى .

هذه الدار الا أجيب وأسعف فلم يكن ليغسأل عن شئ قد عاينه وعرفه لان السؤال عن ذلك كتحصيل حاصل والصحابة اجل من ذلك)[١] .

عن انس — هو ابن مالك — رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال — يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون . لو استشفعنا الى ربنا ، فيأتون آدم فيقولون أنت ابو الناس ، خلقك الله بيده ، واسجد لك ملائكته ، وعلمك اسماء كل شئ ، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيقول : لست هنا كم ويذكر ذنبه فيستجى ، ائتوا نوحا ، فانه أول رسول بعثه الله الى اهل الارض ، فيأتونه . فيقول لست هنا كم ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستجى فيقول ائتوا خليل الرحمن ، فيأتونه فيقول : لست هنا كم ائتوا موسى عبدا كلمه الله واعطاه التوراه فياتونه فيقول : لست هنا كم ويذكر قتل النفس بغير نفس فيستجى من ربه فيقول : ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه ، فياتونه فيقول : لست هنا كم ائتوا محمد صلى الله عليه وسلم — عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ، فياتوننى فانطلق حتى استاذن على ربى فيؤذن ، فاذا رايت ربى وقعت ساجدا ، فيدعنى ما شاء الله ثم يقال : ارفع رأسك وسل تعطه ، وقل يسمع واشفع تشفع فارفع رأسى ، فاحمده ، بتحميد يعلمنيه ، ثم اشفع تشفع فيحد لى حدا ، فادخلهم الجنة ، ثم اعود اليه ، فإذا رايت ربى مثله ، ثم اشفع فيحد لى حدا فادخلهم الجنة ثم اعود الثالثة ثم أعود الرابعة فأقول : ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن . ووجب عليه الخلود)[٢] .

قال ابو عبد الله — اى البخارى : (الا من حبسه القرآن) يعنى قول الله تعالى : (خالدين فيها) :

---

(١) بهجه النفوس شرح مختصر صحيح البخارى المسمى جمع النهاية فى بدء الخير والغاية للامام ابى محمد عبد الله بن ابى حجرو الاندلس ج ١ ص ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ بتصرف .

(٢) * صحيح الامام البخارى — المجلد الثالث ج ٩ — كتاب التوحيد باب (لما خلقت بيدى) ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الاول ج ٣ كتاب الايمان باب ما جاء فى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ص ٥٤ ، ٥٩ .

* مسند الامام احمد ج ٣ — ١١٦ ، ٢٤٤ للتاكد .

(قوله : (فيحد لي حدا) اي يبين اقواما اشفع فيهم ، كأن يقول مثلا شفعتك فيمن اخل بالصلاة ، أو فيمن يؤخرها عن اوقاتها مثلا ، أو غير ذلك من الامور العامة ، التي عبر عنها بقوله : (فيحد لي حدا) .

واستشكل سياق هذا الحديث من جهة المطلوب ، لان الشفاعة المطلوبه لاجل راحتهم من طول الموقف يوم القيامة ، لما يحصل لهم من ذلك من الكرب الشديد ، لا للاخراج من النار .

واجيب بأنه قد انتهت حكاية الاراحة عند لفظ : (فيؤذن لي) واما ما بعده فهو زيادة على ذلك قاله الكرماني .

وقال : ايراد قصه واحدة في مقامات متعددة بعبارات مختلفه ، وانحاء شتى ، بحيث لا تغيير ولا تناقض البته - من فصيح الكلام - وبليغه وهو باب من الايجاز المختص بالاعجاز ويحتاج في التوفيق الى قانون يرجع اليه ، وهو أن يعمد الى الاقتصارات المتفرقه ، ويجعل لها اصل ، فما نقص فيه من تلك المعاني شيء يلحق به ا هـ)[1]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " شفاعتي لاهل الكبائر من امتي "[2] " عن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل نبي سال أو قال لكل نبي دعوة قد دعاها لامته ، واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي "[3] .

(وجاء في كتاب الترغيب والترهيب عند ذكر هذا الحديث لقد أخر صلى الله عليه وسلم طلبه من مولاه حتى يوم القيامة فيشفع لمن عصى مولاه ويمنع عنه العذاب)[4] . وكذلك حديث ابا ذر على أن المؤمن الفاسق اذا مات على كلمة التوحيد يدخل الجنه[5] .

---

(١) الاحاديث القدسيه جـ ٢ ص ٥٣ . (٢) سبق تخريجه في ص ٦٠ من الفصل الثاني
(٣) سبق تخريجه في ص ٩١، ٩٢
(٤) الترغيب والترهيب جـ ٤ - تحت عنوان (اني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي) هامش ص ٤٣١ .
(٥) سبق ذكره في ص ٨٨ من الفصل الثاني .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خيرت بين أن يدخل شطر امتى (الجنة) وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم واكفا أترونها للمؤمنين المتقين ، لا ، ولكنها للمؤمنين الخطائين " (١) .

فدل الحديث ان هذا النوع من الشفاعة لمرتكبى الاثام المخطئين المصابين بالذنوب . وتلك الشفاعة تحق لهم بعد دخول النار والمكوث فيها على ما قدر الله ثم الخروج منها بعد ذلك بشفاعته عليه الصلاة والسلام ومن شاركه من الملائكة والانبياء والمؤمنين .

⁘ ⁘

(١) سبق تخريج الحديث فى الفصل الثانى ص ٨٢

(٢) شفاعة الملائكة والانبياء والشهداء فيمن دخل النار من الامة المحمدية :

(جاء فى كتاب التاج الجامع للاصول قوله تعالى على لسان الكفار " فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ " [1] أى اليوم ليس لنا شفعاء يشفعون لنا كالملائكة والنبين والمؤمنين (ولا صديق حميم) يهمه امرنا ، وهذا من الكفار حينما يرون ان غيرهم نجا بالشفاعة) [2] .

وقال الامام مسلم رحمه الله فى حديث طويل " ... فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين ") [3]

(وجاء فى كتاب الترغيب والترهيب حديث طويل منه " ... ثم يقال ادعوا الانبياء فيجيء النبى معه العصابة والنبى معه الخمسة والستة والنبى ليس معه احد ، ثم يقال : ادعوا الشهداء فيشفعون فيمن ارادوا ـ فاذا فعلت الشهداء ذلك يقول الله جل وعلا : أنا أرحم الراحمين ادخلوا جنتى من كان لا يشرك بى شيئا فيدخلون الجنه " [4] قال اسحق يعنى ابراهيم : هذا من أشرف الحديث ، وقد روى هذا الحديث عدة عن النبى صلى الله عليه وسلم نحو هذا منهم حذيفه وأبو مسعود وابو هريرة وغيرهم انتهى) [5] .

---

(١) سوره الشعراء آيه (١٠٠ ـ ١٠١)

(٢) التاج الجامع للاصول ج ٥ ص ٣٨٣ بتصرف .

(٣) صحيح الامام مسلم بشرح النووى ـ المجلد الاول ج ٣ كتاب الايمان اخراج عصاة المؤمنين من النار ص٣٢ .

(٤) * مسند الامام احمد بن حنبل (مسند ابى بكر الصديق) ج١ ص٥ وجاء فى الفتح الربانى اورده الهيثمى فى مجمع الزوائد وقال : رواه احمد وابو يعلى بنحوه والبزار رجالهم ثقات ج ٢٤ كتاب قيام الساعه والنفخ فى الصور .

(٥) الترغيب والترهيب ج ٤ ـ ما اختص به صلى الله عليه وسلم من المرسلين ص ٤٣٩ باختصار .

وقال الامام احمد رحمه الله فى حديث طويل منه " ... قال ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء ان يشفعوا فيشفعون ويخرجون ويشفعون ويخرجون ويشفعون ويخرجون وزاد عفان مرة فقال ايضا ويشفعون ويخرجون من كان فى قلبه ما يزن ذرة من ايمان "(١) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته "(٢)

<u>تفسير الحديث</u> :

(يشفع بصيغة المجهول من التشفيع اى يقبل شفاعته (فى سبعين) أى انسانا . كما وضحت ذلك روايه الامام احمد " يشفع فى سبعين انسانا " (من أهل بيته) من أصوله وفروعه وزوجاته وغيرهم . قال المناوى : والظاهر أن المراد بالسبعين الكثرة لا التحديد)(٣) .

وقد ورد ان الذى يموت مجاهدا فى حومة الوغى تكون له كرامة عند ربه يرجو نجاة سبعين من أقاربه واحبائه)(٤) .

وجاء فى تحفه الاحوذى شرح جامع الترمذى مثل ما قاله ابى داود واحد مع اختلاف فى اللفظ وتطويل فى المعنى " فعن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له فى أول دفقه ويرى مقعده من الجنه ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الاكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوته منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنين وسبعين زوجه من الحور العين ، ويشفع فى

---

(١) مسند ترتيبه ص ص

(٢) سنن ابى داود بشرح عون المعبود جـ ٧ كتاب الجهاد ٢٨ باب فى الشهيد يشفع حديث رقم (٥٠٥) ، وسكت عنه المنذرى ص ١٩٧ .
* مسند الامام احمد جـ ٤ (من مسند المدنيين رضى الله عنهم) ص ١٣١ .
* وجاء فى فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ٦ رقم (١٠٠٢١) وقال رواه ابو داود ورمز لحسنه .

(٣) عون المعبود شرح سنن ابى داود ـ جـ ٧ ـ كتاب الجهاد ٢٨ باب فى الشهيد يشفع ص ١٩٧ .

(٤) الترغيب والترهيب ص ٣١٦ جـ ٢ .

سبعين من اقاربه "(١) هذا حديث حسن صحيح غريب .

ومعنى قــوله :

(فى اول دفقه) بضم الدال المهمله وسكون الفاء هى الدفقـــه من الدم وغيره قاله المنذرى ، اى تمحى ذنوبه فى أول صبة من دمـــه .

(يأمن من الفزع الاكبر) قال القارى : فيه اشارة الى قوله تعالى " لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ "(٢) . قيل هو عذاب النار ، وقيل العرض عليها وقيـــل هو وقت يؤمر اهل النار يدخولها ، وقيل ذبح الموت فييأس الكفـــار من التخلص من النار بالموت ، وقيل وقت اطباق النار على الكفار وقيـــل النفخه الاخيرة لقوله تعالى : " وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ "(٣) .

(يشفع) اى يقبل شفاعته)(٤) .

عن خرشة بن الحرقال قدمت المدينة فلقيت عبد الله بن ســـــلام فقال ألا احدثك حديثا هو فى كتاب الله فذكر قوما يخرجون من النـار فيقول يارب حرقت بنى فيخرجون منها)(٥) .

---

(١) جامع الترمذى بشرح تحفه الاحوذى ج ٥ كتاب الجهاد ـ ٢٥ باب حديث رقم (١٧١٢) واللفظ له .
وقال هذا حديث حسن صحيح غريب واخرجه ابن ماجه ص ٣٠٢ ، ٣٠٤ .
* ابن ماجه ج ٢ ـ ٢٤ كتاب الجهاد ـ ١٦ باب ـ حديـــث رقم (٢٧٩٩) ص ٩٣٥ ، ٩٣٦ .
* مسند الامام احمد ج ٤ (مسند المدنيين رضى الله عنهم) ص ١٣١ .

(٢) سورة الانبياء ايه (١٠٣)

(٣) ســـورة النمل ايه (٨٧) .

(٤) تحفه الاحوذى لجامع الترمذى ج ٥ كتاب الجهاد ـ ٢٥ باب ص ٣٠٢ : ٣٠٤ .

(٥) مجمع الزوائد ج ١٠ كتاب البعث باب شفاعة ابينا ادم عليه الصلاة والسلام ص ٣٨١ قال رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح ومعنى حرقـــت بنى اى بالنار على قدر ذنوبهم .

شفاعــة القــرآن :

والقرآن "شِفَآءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ " (١)

عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليــــه وسلم " ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به آخــرين " (٢) .

(وجاء فى مرقاه المفاتيح " عن أبى امامه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه ، اقــرؤا الزهراوين ، البقرة وسورة آل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتــان او غيايتان أو فرقان من طير صواف " (٣) .

معــنى الحديث :

(اقرؤا القــرآن) اى اغتنموا قراءته وداوموا على تلاوته . (فانــه يأتى يوم القيامة شفيعا) اى مشفعا (لاصحابه) اى القائمين بآدابــــه (اقرؤا) اى على الخصوص (الزهراوين) تثنية الزهراء تأنيث الازهر وهو المضىء الشديد الضوء اى المنيرتين لنورهما وهدايتهما وعظم اجرهمـــا فكأنهما بالنسبة الى ماعداهما عند الله مكان القمرين من سائر الكواكـــب

---

(١) سورة يونــس آيه (٥٧) .

(٢) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الثانى جـ ٦ كتاب صلاة المسافرين باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلـــم حكمه ص ٩٨ .

* سنن ابن ماجه جـ ١ فى المقدمه (١٦) باب فضل من تعلــم القرآن وعلمه حديث رقم (٢١٨) ص ٧٩ .

* شرح السنة للبغوى المجلد الرابع كتاب فضائل القرآن باب رقم (١١٨٤) ص ٤٤٣ ، ٤٤٤

(٣) * صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الثانى جـ ٦ كتـــاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ص ٩٠ ، ٩١ .

* مسند الامام احمد جـ ٥ ص ٢٥٥ ، ٢٥٧ .

* البيهقى فى السنن الكبرى جـ ٢ كتاب الصلاة ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

* الطبرانى فى الكبير جـ ٨ رقم (٧٥٤٤) ص ١٣٩ .

وقيل لا شتهارها شبهتا بالقمرين . ومعنى (أو فرقان) بكسر الفاء أى طائفتان (صواف) جمع صافة وهى الجماعة الواقفه على الصف أو الباسطات اجنحتها متصلا ببعض) (1) .

(وجاء فى تحفه الذاكرين من حديث النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " يؤتى بالقران يوم القيامة واهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران ") (2) .

وجاء فى عون المعبود شرح سنن ابى داود " عن ابى هريره عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : سورة من القرآن ثلاثون آيه تشفع لصاحبها حتى غفر له : تبارك الذى بيده الملك " (3) .

---

(1) من مرقاة المفاتيح – شرح مشكاة المصابيح لعلى بن سلطان محمد القارى المجلد الثانى – ج ٢ ص ٥٨٠ باختصار .

(2) تحفه الذاكرين – الباب التاسع – فضل سورة البقره وآل عمران ص ٣٠٧
(تخريجه) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الثانى ج ٦ كتاب صلاه المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقره ص ٩٠ .

(3) * عون المعبود شرح سنن ابى داود ج ٤ ابواب قيام الليل حديث رقم (٣٢٢) باب فى عدد الاى حديث رقم (١٣٩٦) ص ١٢٧٧ .
* الترمذى ج ٥ كتاب فضائل القرآن (٩) باب ما جاء فى فضل سورة الملك حديث رقم (٢٨٩١) هذا حديث حسن ص ١٦٤ .
* ابن ماجه ج ٢ كتاب الادب – باب (٥٢) حديث رقم (٣٧٨٦) ص ١٢٤٤ غير انه يدل لفظ (الرجل) بلفظ (صاحبها) .
* مسند الامام احمد بن حنبل ج ٢ مسند ابى هريره ص ٢٩٩ .
* شرح السنه للبغوى المجلد الرابع كتاب فضائل القرآن باب فى الم تنزيل السجدة وتبارك ص ٤٧٣ .
* المستدرك للحاكم ج ١ كتاب فضائل القرآن – ذكر فضائل سور واى متفرقه وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه واقره الذهبى ص ٥٦٥ .

(تشفع لصاحبها) اى لمن يقرؤها فى القبر او يوم القيامة .

(وذكر فى تحفه الذاكرين . وقال اخرجه اهل السنن الاربع وصححه ابن حبان واخرجه الحاكم من حديث ابى هريره رضى الله عنه وقال صحيح الاسناد)(1)

(وكذلك ذكره الامام ابن تيميه فى فضل تلاوة القرآن وفضائل سورة)(2) .

(وجاء فى النهاية للامام لابن كثير حديث فيه شفاعة الاعمال لصاحبها عن عبد الله بن عمرو ، قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الصيام ، والقرآن ليشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أى رب منعته الطعام ، والشهوات بالنهار ، فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعنى فيه "(3) .

(عن ابى صالح قال : سمعت ابا هريرة يقول : اقرؤا القرآن فانه نعم الشفيع يوم القيامة ، انه يقول يوم القيامة : يارب حله حليه الكرامة ، فيحلى جلية الكرامة ، يارب اكسه كسوه الكرامة ، فيكس كسوه الكرامة ، يارب البسه تاج الكرامة ، يارب ارض عنه فليس بعد رضاك شئ "(4) .

(وقال ان ابن مسعود كان يقول : يجئ القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه ، فيكون له قائدا الى الجنه ويشهد عليه ويكون سائقا به الى النار)(5) .

---

(1) تحفه الذاكرين ـ الباب التاسع فضل سورة الملك ص٣١٣ .
(2) التوحيد لابن تيميه ـ الخاتمه وفيها خمسه فصول ـ الفصل الثانى فى فضل تلاوة القرآن وفضائل سوره ص ٥٩٩ .
(3) النهاية للامام ابن كثير ـ ج ٢ ص٣٣٩ (تخريجه) مسند الامام احمد ج ٢ فى مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ص١٧٤ .
(4) مسند الامام الدارمى ج ٢ ـ ٢٣ ومن كتاب فضائل القرآن ـ ١ ـ باب فضل من قرأ القرآن حديث رقم (٣٣١٤) فى الدمشقيه (فيلى) والصواب (فيحلى) والمصنف رواه هنا موقوفا على ابى هريرة . فقد رواه مرفوعا وزيادة وسياق فيه اختلاف الترمذى وحسنه ، وابن خزيمه والحاكم وقال : صحيح الاسناد ص ٣٠٩ .
(5) مسند الدارمى ج ٢ ص٣١١ حديث رقم (٣٣٢٨) فى الدمشقيه سائقا به وفى الهنديه له سائقا .

وعن ابن بريدة عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" يجئ القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول : أنا الذى اسهرت ليلك ، وأظمأت نهارك "
فى الزوائد : اسناده صحيح ورجاله ثقات . ومعنى
(الرجل الشاحب) قال السيوطى : هو المتغير اللون والجسم لعارض من العوارض ، كمرض او سفر ونحوهما ، وكأنه يجئ على هذه الهيئة ليكون أشبه بصاحبه فى الدنيا . أو للتنبيه له على أنه كما تغير لونه فى الدنيا لاجل القيام بالقرآن ، وكذلك القرآن لاجله ، فى السعى يوم القيامة — حتى ينال صاحبه الغاية القصوى فى الاخره (فيقول أى لصاحبه)[1] .

∴ ∴

(1) سنن ابن ماجه ج ٢ — ٣٣ كتاب الادب — باب ٥٢ ثواب القرآن حديث رقم (٣٧٨١) .
فى الزوائد اسناده صحيح ورجاله ثقات ص ١٢٤٢ .

٩) شفاعة المؤمنين لاخوانهم :

كما تتمثل الرحمه الالهيه فى شفاعة المؤمنين لغيرهم :

" فعن الصنابحى عن عباده بن الصامت أنه قال دخلت عليه وهو فى الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكى فوالله لئن استشهدت لاشهدن لك ولئن شفعت لاشفعن لك ولئن استطعت لانفعنك ثم قال والله مامن حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا وسوف حدثكموه اليوم وقد احيط بنفسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار " (١) .

شرح الحديث :

اولا الصنابحى هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن عسيلة تابعى جليل رحل الى النبى صلى الله عليه وسلم ولكن لم يقدر له رؤيته النبى صلى الله عليه وسلم ففيضت روحه الشريفة قبل وصوله بخمس ليالى أو ست فسمع من أبى بكر رضى الله عنه وكثير من الصحابه رضوان الله عليهم .

وقوله (عن الصنابحى عن عباده بن الصامت انه قال (دخلت عليه) فهذا كثير يقع مثله وفيه صنعه حسنه وتقديره عن الصنابحى انه حدث عن عبادة بحديث قال فيه دخلت عليه .

---

(١) * صحيح الامام مسلم بشرح النووى ـ المجلد الاول ـ ج ١ كتاب الايمان ـ تحت عنوان من شهد بالشهادتين حرم الله عليه النار ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ والنص له .
* تحفه الاحوذى شرح جامع الترمذى ـ ج ٧ كتاب الايمان ١٧ باب فيمن يموت وهو يشهد ان لا اله الا الله حديث رقم (٢٧٥٥) ص ٢٩١ ، ٢٩٢ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .
* مسند الامام احمد ج ٥ ص ٢٣٦ .

قوله (مهلا) معناه انظرني قال الجوهري يقال مهلا يا رجل بالسكون وكذلك للاثنين والجمع والمؤنث وهي موحدة بمعنى أمهل .

(ما من حديث لكم فيه خير الا وقد حدثتكموه) قال القاضي عياض رحمه الله فيه دليل على أنه كتم ماخشي الضرر فيه والفتنه مما لا يحتمله عقل كل واحد وذلك فيما ليس تحته عمل ولا فيه حد من حدود الشريعة قال ومثل هذا عن الصحابه رضي الله عنهم كثير في ترك الحديث بما ليس تحته عمل ولا تدعو اليه ضرورة اولا تحمله عقول للعامة او خشيت مضرته على قائله او سامعه لا سيما ما يتعلق باخبار المنافقين والامارة وتعيين قوم وصفوا باوصاف غير مستحسنه وذم آخرين ولعنهم والله اعلم .

قوله (وقد احيط بنفسي) معناه قربت من الموت وايست من النجاه والحياه واصل الكلمة في الرجل يجتمع عليه اعداؤه فيقصدونه فيأخذون عليه جميع الجوانب بحيث لا يبقى له في الخلاص مطمع فيقال أحاطوا به أي اطافوا به من جوانبه ومقصوده قرب موتي والله اعلم) [1] .

(وذكر قول القاضي عياض من تحفه الاحوذي ، واضاف صاحب الكتاب قوله (حرم الله عليه النار) اي الخلود فيها كالكفار) [2] .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (.... حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوا الذي نفس بيده ما منكم من احد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقية والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه

---

(١) شرح الامام النووي لصحيح الامام مسلم ـ المجلد الاول ـ ج ١ كتاب الايمان من شهد بالشهادتين حرم الله عليه النار ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ باختصار .

(٢) تحفه الاحوذي جـ ٧ كتاب الايمان ـ ١٧ باب فيمن يموت وهو يشهد ان لا اله الا الله ص ٣٩٢ .

مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد الخدرى يقول ان لم تصدقونى بهذا الحديث فاقروا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذره وان تك حسنه يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى افواه الجنه يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل)[1]

وقد جاء فى " التاج الجامع للاصول "[2] عند ذكر هذا الحديث بأنه اذا خلص المؤمنون واطمأنوا تذكروا اخوانهم المؤمنين الذين هم فى النار فناشدوا ربهم أشد مناشدة أى طلبوا منه بالحاح ان يقبل شفاعتهم فى هؤلاء فيجيبهم الله تعالى ويأذن لهم فى اخراجهم من النار جل شانه ربنا وفضله قوله (فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه) كان بعضهم واقفا فى النار الى نصف ساقيه وبعضهم الى ركبتيه كل بقدر عمله .

(ثم يقولون : ربنا ما بقى فيها احد ممن أمرتنا به) من طلبنا الشفاعة لهم)[3] وقال الامام النووى رحمه الله اثناء شرحه لهذا الحديث (ان لفظة استقصاء)

---

(١) صحيح الامام مسلم بشرح النووى المجلد الاول جـ ٣ كتاب الايمان تحت عنوان اخراج عصاه المؤمنين من النار " ص ٣٠ : ٣٢ والنص له .
* صحيح الامام البخارى المجلد الثالث جـ ٩ كتاب التوحيد ـ باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم ص ١٥٩ .
(٢) التاج الجامع للاصول للشيخ منصور على ناصف .
(٣) التاج الجامع للاصول جـ ٥ ص ٣٩٥ .

ضبطت على أوجه احدها " استيضاء " والثانى " استصاء " والثالث " استيفاء " والرابع " استقصاء " ولم يذكر القاضى عياض غير اللفظه الاخيرة وادعى اتفاق الرواه وجميع النسخ عليه وادعى انه تصحيف ووهم وفيه تغيير وان صوابه ما وقع فى كتاب البخارى من رواية ابن بكير بأشد مناشده فى استقصاء الحق يعنى فى الدنيا من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم وبه يتم الكلام ويتوجه هذا اخر كلام القاضى رحمه الله وليس الامر على ما قاله بل جميع الروايات التى ذكرناها صحيحة لكل منها معنى حسن وقد جاء فى رواية يحيى بن بكير عن الليث فما انتم بأشد مناشده فى الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار تعالى وتقدس اذا راوا انهم قد نجوا فى اخوانهم وهذه الرواية التى ذكرها الليث توضح المعنى فمعنى الرواية الاولى والثانية انكم اذا عرض لكم فى الدنيا امرمهم والتبس الحالة فيه وسألتم الله تعالى بيانه وناشدتموه فى استيضائه وبالغتم فيها لا تكون مناشدة احدكم مناشده بأشد من مناشدة المؤمنين لله تعالى فى الشفاعة لاخوانهم .

واما الرواية الثالثة والرابعة فمعناها ايضا ما منكم من احد يناشد الله تعالى فى الدنيا فى استيفاء حقه او استقصائه وتحصيله من خصمه والمعتدى عليه بأشد من مناشدة المؤمنين الله تعالى فى الشفاعة لاخوانهم يوم القيامة والله اعلم .

قوله سبحانه وتعالى (لامن وجدتم فى قلبه مثقال دينا من خير ونصف مثقال من خير ومثقال ذرة) قال القاضى عياض رحمه الله قيل معنى الخير هنا اليقين قال والصحيح ان معناه شئ زائد على مجرد الايمان لان مجرد الايمان الذى هو التصديق لا يتجزأ وانما يكون هذا التجزأ لشئ زائد عليه من عمل صالح او ذكر خفى او عمل من اعمال القلب من شفقه على مسكين او خوف من الله تعالى ونيه صادقه ويدل عليه قوله فى الروايه الاخرى فى الكتاب يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن كذا ومثله الرواية الاخرى يقول الله تعالى " شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضه من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط وفى الحديث الاخر " لاخرجن من قال لا اله الا الله تعالى

القاضي رحمه الله فهؤلاء هم الذين معهم مجرد الايمان وهم الذين لم يؤذن في الشفاعة فيهم وانما دلت الاثار على انه اذن لمن عنده شيء زائد على مجرد الايمان وجعل للشافعين من الملائكة والنبيين صلوات الله وسلامه عليهم دليلا عليه وتفرد الله عز وجل بعلم ما تكنه القلوب والرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان وضرب بمثقال الذرة المثل لاقل الخير فانها أقل المقادير قال القاضي وقوله تعالى "من كان في قلبه ذرة وكذا دليل على انه لا ينفع من العمل الا ما حضر له القلب وصحبته نية وفيه دليل على زيادة الايمان ونقصانه وهو مذهب اهل السنة هذا اخر كلام القاضي رحمه الله والله اعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم (ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا) اى صاحب خير قوله سبحانه وتعالى (شفعت الملائكة) بالفتح اى قبلت شفاعتها قوله صلى الله عليه وسلم (فيقبض قبضه من النار) معناه يجمع جماعة .

قوله صلى الله عليه وسلم (فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما) معنى عادوا صاروا وليس بلازم في عاد ان يصير الى حالة كان عليها قبل ذلك بل معناه صار واما (الحمم) هو الفحم الواحدة حممة والله اعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم (فيلقون في نهر في افواه الجنة) الافواه فجمع فوهة وهو جمع سمع من العرب على غير قياس وأفواه الازقة والانهار اوائلها) [1].

---

(١) شرح الامام النووي لصحيح الامام مسلم ـ المجلد الاول ـ ج ٣ كتاب الايمان باب اخراج عصاه المؤمنين من النار ص ٣٠ : ٣٢ باختصار .

وعن عبد الله بن شقيق قال : كنت مع رهط بايلياء فقال رجل منهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى اكثر من بنى تميم • قيل : يارسول الله سواك ؟ قال : سواى " فلما قام قلت من هذا ؟ قالوا هذا بن ابى الجدعاء"[1] •

والرهط : من ثلاثة او سبعة الى عشرة أوما دون العشرة وما فيهم امرأة ولا واحد له من لفظه جمعه ارهط واراهط وارهاط واراهيط انتهى •

(بايلياء) مدينه بيت المقدس •

(فقال رجل) هو عبد الله بن أبى الجدعاء (بشفاعة رجل من أمتى اكثر من بنى تميم) وتميم قبيله كبيرة وقيل الرجل هو عثمان بن عفان رضى الله عنه وقيل أويس القرنى ، وقيل غيره انتهى •

قلت ان دل دليل على تعيين هذا الرجل فهو المتعين والا فالله تعالى اعلم به)[2] •

(وعن الحسن البصرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يشفع عثمان بن عفان رضى الله عنه يوم القيامة بمثل ربيعة ومضر ") •

---

(١) * تحفه الاحوذى شرح جامع الترمذى ـ جـ ٧ ـ أبواب صفة القيامة باب فى الشفاعة حديث رقم (٢٥٥٥) وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وابن ابى الجدعاء هو عبد الله وانما يعرف له هذا الحديث الواحد ص ١٣٠ ، ١٣١ •

* سنن ابن ماجه جـ ٢ كتاب الزهد ٣٧ باب ذكر الشفاعه حديث رقم (٤٣١٢) ص

* سنن الدارمى جـ ٢ كتاب الرقاق (٨٧) باب فى قول النبى صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتى سبعون الفا حديث رقم (٢٨١١) ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ •

* مسند الامام احمد جـ ٥ ص ٢٥٧ ص ٢٦١ ، ٢٦٧ ، ٢٦٦ •

(٢) تحفه الاحوذى لجامع الترمذى ـ ابواب صفة القيامة ـ باب فى الشفاعة جـ ٧ ص ١٣٠ بتصرف •

(وربيعة ومضر) قبيلتان مشهورتان . والحديث مرسل) [1]

و(عن أبى سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان من امتى من يشفع للفئام من الناس ، ومنهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم من يشفع للعصبة ، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنه) [2]

(قوله : (ان من امتى) اى بعض افرادهم من العلماء والشهداء والصلحاء (من يشفع للفئام) ... قال الجوهرى : هو الجماعة من الناس لا واحد له من لفظة ، والعامة تقول فيام بلا همز . قال القارى : الاظهر ان يقال ههنا معناه القبائل كما قيل هو فى المعنى جمع فئة لقوله (ومنهم من يشفع للقبيله) وهى قوم كثير جدهم واحد (ومنهم من يشفع للعصبة) وهو ما بين العشرة الى الاربعين من الرجال لا واحد لها من لفظها والاظهر أن المراد بها جمع ولو اثنان لقوله (و منهم من يشفع للرجل) ويمكن ان يقال طوى ما بين العصبة والرجل لما يدل عليه الرجل بالبرهان الجلى كما يدل على المرأة بالقياس الخفى (حتى يدخلوا الجنة)

---

(١) تحفه الاحوذى لجامع الترمذى جـ ٧ ابواب صفة القيامة – باب فى الشفاعة حديث رقم (٢٥٥٧) والحديث مرسل ص ١٣٢ بتصرف .

(٢) جامع الترمذى بشرح تحفه الاحوذى جـ ٧ ابواب صفة القيامة – باب فى الشفاعة حديث رقم (٢٥٥٦) .

* هذا حديث حسن ص ١٣١ ، ١٣٢ .

* مسند الامام احمد جـ ٣ ص ٢٠ (عن ابى سعيد الخدرى)

* وجاء فى الفتح الربانى جـ ٢٤ كتاب القيامة والساعة والنفخ فى الصور والبعث والنشور الفصل السادس فى شفاعة بعض صالحى الامة المحمديه لصاحبها رقم (٣٢٣) .

وقال له طريق اخر واورده الحافظ بن كثير فى النهاية من طريق مالك بن مغول عن عطيه عن ابى سعيد بنحوه وعزاه للترمذى والبيهقى .

اى المشفوعون وقال الطيبى رحمه الله : يحتمل ان يكون غاية يشفع ، والضمير لجميع الامة ان ينتهى شفاعتهم الى أن يدخلوا جميعهم الجنـــــه ويجوز أن يكون بمعنى كى . فالمعنى أن الشفاعة لدخول الجنة)(١) .

تلك هى شفاعة المؤمنين لاخوانهم المؤمنين وقد حرم المولى عز وجل الكافرين من تلك فقد قال المولى عز وجل على لسانهم «فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ » (٢)

والصديق الحميم هو القريب .

وقال الزمخشـــرى (لا نرى لهم شفعاء كما نرى للمؤمنين شفعاء مـــن الملائكة والنبيين " ولا صديق " كما نرى لهم اصدقاء لانه لا يتصادق فـــى الاخره الا المؤمنون ، وأما اهل النار فبينهم التعادى والتباغض .

قال تعالى " الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ " (٣) .

(والحميم) من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذى يهمه ما يهمك او من الحاقه بمعنى الخاصة وهو الصديق الخالص . فان قلت : لم جمـــع الشافع ووحد الصديق ، الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته رحمه له وحسبه وان لم يسبق له باكثرهم معرفه ، واما الصديق وهو الصادق فى ودادك الذى يهمه ما اهمـــــك فأعز من بيض الانوق) (٤)

" عن زيد بن اسلم أن عبد الملك بن مروان بعث الى ام الدرداء ــ بأنجاد من عنده فلما أن كان ذات ليلة قام عبد الملك من الليل فدعا خادمـــه فكأنه ابطأ عليه فلعنه فلما اصبح قالت له أم الدرداء سمعتك الليلـــه لعنت خادمك حين دعوته فقالت سمعت ابا الدرداء يقول قال رســـــول

---

(١) تحفه الاحوذى ج ٧ ابواب صفة القيامة ــ باب فى الشفاعة ص ١٣١ ، ١٣٢ باختصار .
(٢) ســـورة الشعراء ايه (١٠٠ - ١٠١)
(٣) ســـورة الزخرف ايه (٦٧) .
(٤) تفسير الكشاف للزمخشرى ــ سورة الشعراء ايه (١٠٠) ج ٣ ص١١٩ باختصـــار .

صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة"[١] .

تفسير الحديث :

(لا يكون اللعانون شفعاء) معناه لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون فى اخوانهم الذين استوجبوا النار (ولا شهداء) فيه ثلاثة اقوال اصحها واشهرها لا يكونون شهداء يوم القيامة على الامم بتبليغ رسلهم اليهم الرسالات ، والثانى لا يكونون شهداء فى الدنيا اى لا تقبل شهادتهم بفسقهم ، والثالث لا يرزقون الشهادة فهى القتل فى سبيل الله كذا قال النووى)[٢] .

(وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يكون اللعانون شفعاء) بصيغة التكثير ولم يقل لاعنا واللاعنون لان هذا الذم فى الحديث انما هو لمن كثر من اللعن لا لمرة ونحوها ولانه يخرج منه ايضا اللعن المباح وهو الذى ورد الشرع به وهو لعنه الله على الظالمين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الواصلة والواشمة وشارب الخمر وآكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه والمصورين ومن انتمى الى غير ابيه وتولى غير مواليه وغير منار الارض وغيرهم (بانجاد) وهو جمع نجد وهو متاع البيت الذى يزينه من فرش ونمارق وستور وجمعه نجود منهما هتان)[٣] .

---

(١) * صحيح الامام مسلم بشرح النووى ـ المجلد السادس ـ ج ١٦ ـ كتاب البر ـ باب النهى عن لعن الدواب وغيرها ص١٤٩ ، ١٥٠ ثلاث روايات والنص لـه .
* عون المعبود شرح سنن ابى داود ج ١٣ كتاب الادب ـ باب ٥٣ فى اللعن حديث رقم (٤٨٨٦) ص ٢٥٣ .
* مسند احمد حاتم احمد ج ٦ ص ٤٤٨ (مسند ابا الدرداء) .

(٢) عون المعبود شرح سنن ابى داود ج ١٣ ـ كتاب الادب ـ باب ٥٣ فى اللعن ص ٢٥٣ نقلا عن الامام النووى فى صحيح الامام مسلم المجلد السادس ج ١٦ ـ كتاب البر ـ باب النهى عن لعن الدواب وغيرها ص ١٤٩ .

(٣) النووى شرح صحيح مسلم ـ المجلد السادس ج ١٦ كتاب البر ـ باب النهى عن لعن الدواب وغيرها ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

شـــفاعه الولدان :

(عن شرحبيل بن شفعه [١] عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول يقال للولدان يوم القيامـــه ادخلوا الجنه فيقولون يا ربنا يدخل آباؤنا وامهاتنا قال فيقول الله عـــز وجل مالى أراهم محبنطئين [٢] ادخلوا الجنة قال فيقولون يارب آباؤنا قـال فيقول ادخلوا الجنة انتم وآباؤكـــم) [٣] .

وعن ابى ثعلبه الاشجعى قال قلت يارسول الله مات لى ولدان فـــى الاسلام فقال من مات له ولدان فى الاسلام ادخله الله الجنة بفضل رحمتـه اياهما قال فلما كان بعد ذلك لقينى أبو هريرة قال فقال لى انت الـذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الولدين ما قال قلت نعم فقـال لان يكون قاله لى أحب الى مما غلقت عليه حمص وفلسطين) [٤] .

وجاء فى كتاب حقيقه التوسل والوسيله (الشفاعة الرابعة : فيمـــن دخل النار من المذنبين ، وقد جاءت الاحاديث الصحيحة باخراجهم مـــن النار بشفاعه نبينا صلى الله عليه وسلم ، وسائر الانبياء ، والملائكة ، واخوانهم من المؤمنين ، ثم يخرج الله تعالى كل : من قال : " لا اله الا اللـــه " كما جاء فى الحديث ولا يبقى فيها الا الكافرون .

وفيه اقوال من احسنها ان من قال — من غير هذه الامة — لا الــه الا الله ، ولم يشمله شفاعه بأنبيائهم وغيرهم من الشافعين .

---

(١) بضم المعجمه واسكان الفـاء .

(٢) المحبنطى : المتغضب المستبطئ انظر تهذيب اللغة لابن منصـــور ج ٥ باب الحاء والطاء ص ٣٢٧ .

(٣) مسند الامام احمد ج ٤ ص ١٠٥ .
مجمع الزوائد ج ١٠ كتاب البعث — باب شفاعة الولدان قال رواه احمد ورجاله رجال الصحيح غير شر جبيل وهو ثقـــه ص ٣٨٣ .

(٤) مسند الامام احمد ج ٦ (ابى ثعلبه الاشجعى) ٣٩٦ .
* مجمع الزوائد ج ٣ كتاب الجنائز — باب فيمن مات له اثنـــان قال رواه احمد والطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات ص ٧ .

أما هذه الامة فكلها يخرج بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم ، وان وقـع فى بعضهم شفاعة اخوانهم من المؤمنين ، فهى فى طى شفاعة النبى صلـــى الله عليه وسلم .

واذا ثبت هذا فاختصاصه صلى الله عليه وسلم ، من هذا النــوع باخراج عموم امته حتى لا يبقى منهم احد ، هو الموافق لعموم قوله صلـــى الله عليه وسلم " شفاعتى لاهل الكبائر من امتى " (١).
ولقوله صلى الله عليه وسلم " لكل نبى دعوة مستجابه فتعجل كل نبـى دعوته وانى اختبأت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة . فهى نائلة ان شاء الله تعالى من مات من امتى لا يشرك بالله شيئا " (٢).

ولقوله صلى الله عليه وسلم : " اتانى آت من عند ربى عـــز وجل ، فخيرنى بين أن يدخل الجنة نصف امتى ، وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة وهى لمن مات لا يشرك بالله شيئا " (٣).

ولقوله صلى الله عليه وسلم : " خيرت بين الشفاعة ، وبـــين أن يدخل نصف امتى الجنة ، فاخترت الشفاعة ، لانها اعم واكثر ، لا ترونها للمؤمنين المتقين ، ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين " (٤).

فهذه العمومات كلها متضافرة على عموم شفاعته لكل الامة وكذلـــك قوله بين يدى الله تعالى يوم القيامة : " امتى أمتى " .
وهى دعوة بتحقق استجابتها .

وقال العلماء فى قوله " لكل نبى دعوة مستجابه " : انه على يقيـــن من استجابتها ، وباقى دعواته يرجوها ، فقد ظهر بهذا اختصاصه صلـــى الله عليه وسلم ، بعموم هذه الشفاعة لكل ام) (٥).

---

(١) سبق تخريجه فى ص ٦٠ من الفصل الثانى
(٢) سبق تخريجه فى ص ٩٠ (٣) سنن الترمذى ج ٤ كتاب صفة القيامة والرقائق والورع باب [illegible]
[illegible] ص ٦٢٧ [illegible]
(٤) سبق تخريجه فى ص ٨٠
(٥) حقيقه التوسل والوسيلة ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ باختصار .

خامسا الشفاعة فى زيادة الدرجـــات :

(قال القاضى عياض رحمه الله ان الشفاعة خمس انواع وعدهـــا حتى وصل الى الخامسه فقال " الخامسة فى زيادة الدرجات فى الجنــه لاهلها وهذه لا ينكرها المعتزلـــه)[1] .

بل ان المعتزله بقد اولو احاديث الشفاعة كلها بكونها فى زيادة الدرجـــات وهذا قول باطل والاحاديث ظاهره فى بطلان مذهبهم .

وقال صاحب كتاب النهاية[2] (وقد وافقت المعتزله على هذه الشفاعـــة خاصة ، وخالفوا فيما عداها من المقامات ، مع تواتر الاحاديث فيها .

فاما دليل هذا النوع فهو ما ثبت فى الصحيحين وغيرهما من روايـــه ابى موسى الاشعرى لما اصيب عمه ابو عامر فى غزوة أو طاس[3] .

(فقال يا ابن اخى انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرئـــه منى السلام وقل له يقول لك ابو عامرا استغفر لى قال واستعملنى أبو عامـــر على الناس ومكث يشيرا ثم انه مات فلما رجعت الى النبى صلى الله عليـــه وسلم دخلت عليه وهو فى بيت على سرير مرمل وعليه فراش . وقد أثـــر رمال السرير بظهر رسول الله صلى الله عليه وســلم وجنبيه فاخبرته بخبرنـــا وخبر ابى عامر وقلت له قال قل له يستغفر لى فدعا رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم بماء فتوضأ منه ثم رفع يديه ثم قال اللهم اغفر لعبيد ابى عامـــر حتى رأيت بياض ابطيه ثم قال اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقـــك او من الناس فقلت ولى يارسول الله فاستغفر فقال النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) شرح الامام النووى لصحيح الامام مسلم ـ المجلد الاول ـ جـ ٣ ـ كتاب الايمان ـ باب اثبات الشفاعة واخراج الموحدين من النـــــار ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) للامـــام ابن كثير رحمه الله .

(٣) واد بديار هوازن وكانت به غزوة للمسلمين سبوا فيها من الاعداء سبايا كثيره (تاج العروس جـ ٤) ص ٢٦٨ .

اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وادخله يوم القيامة مدخلا كريما)[١] .

(السرير الحرمل) سرير فنسج فى وجهه بالسعف ونحوه ويشد بشريط ونحوه يقال منه ارملته فهو مرمل وحكى رملته فهو مرمول . وأما قوله (وعليه فراش) فكذا وقع فى صحيح البخارى ومسلم فقال القابس الذى احفظه فى غير هذا السند عليه فراش قال وأظن لفظ ما سقطت لبعض الرواه وتابعه القاضى عياض وغيره على أن لفظة ما ساقطه وان الصواب اثباتها .

(ثم رفع يديه ثم قال اللهم اغفر لعبيد ابى عامر حتى رأيت بياض أبطيه الى آخره) وهذا هو موطن الاستشهاد وهو لرفع درجته يوم القيامه فوق كثير من الناس وهنا دعا الرسول صلى الله عليه وسلم مره لعبيد ومرة لابى موسى)[٢] .

وكذلك حديث ام سلمه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لابى سلمة ، وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين ، واغفر لنا وله يارب العالمين ، وافسح له من قبره ونور له فيه[٣] .

---

(١) * صحيح الامام مسلم بشرح النووى ـ المجلد السادس ج ١٦ كتاب الفضائل ـ باب من فضائل ابى موسى وابى عامر الاشعريين رضى الله عنهم ص ٥٩ ، ٦٠ .
* صحيح الامام البخارى المجلد الثالث ج ٨ كتاب الدعوات باب قول الله تعالى وصل عليهم ومن خص اخاه بالدعاء دون نفسه ص ٩٠ .

(٢) شرح الامام النووى لصحيح الامام مسلم ـ المجلد السادس ج ١٦ ـ كتاب الفضائل ـ باب من فضائل ابى موسى وابى عامر الاشعريين رضى الله عنهم ص ٦٠ بتصرف .

(٣) صحيح الامام مسلم بشرح النووى المجلد الثانى ج ٦ ـ كتاب الجنائز ـ ما يقال عند المريض والميت واغماض الميت ص ٢٢٣ .

ومعنى (اخلفه فى عقبه) كن خليفته فى اولاده (فى الغابرين) الباقين بعده ، والغابر يطلق على الباقى وعلى الذاهب والمراد هنا الاول .

(وأفسح له فى قبره) اى وسعه له ولا تجعله ضيقا عليه ، فان القبر يضيق على غير الصالحين .

(ونور له فيه) كنايه عن الراحه وعدم المضايقه فيه ، فان الظلام يضيق الصدر)[1]

وذكر فى النشر الطيب انواع الشفاعة وعدد منها هذا النوع فقال : (الشفاعة فى زيادة الدرجات ومن امثله هذا النوع شفاعته صلى الله عليه وسلم بثقل ميزان اقوام عند الميزان ، أى كمن صلى الله عليه أو فض لاخيه المسلم حاجة ونحو ذلك)[2] .

وجاء فى عون المعبود ذكر هذا النوع من الشفاعة فقال : (شفاعته صلى الله عليه وسلم لقوم من المؤمنين فى زيادة الثواب ورفعه الدرجات ، وهذا قد يستدل عليه بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم لقوم من المؤمنين فى زيادة الثواب ، ورفعة الدرجات وهذا قد يستدل عليه بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم لابى سلمه[3] وكذلك بحديث ابى موسى)[4] .

(وقال الامام الزمخشرى اثناء تفسيره لقوله تعالى : " فما تنفعهم شفاعة الشافعين "[5] ان الايه تدل على أن الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد فى درجات المرتضين "[6] .

⁘ ⁘

---

(١) النهاية للامام لابن كثير - ج٢ - النوع الرابع من الشفاعة - شفاعته صلى الله عليه وسلم فى رفع درجات من يدخل الجنه فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب اعمالهم ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ بتصرف .

(٢) النشر الطيب للشيخ الطيب ج ٢ ص ٤٢١ بتصرف .

(٣) سبق ذكر الحديث وتخريجه فى ص ٣٣٥

(٤) سبق ذكر الحديث وتخريجه فى ص ٣٣٥ عون المعبود شرح سنن ابى داود ج ١٣ ص ٧٨ بتصرف .

(٥) سوره المدثر آيه (٤٨) .

(٦) تفسير الكشاف - للزمخشرى - ج ٤ - ص ١٨٧ .

سادساً الشفاعة فى تخفيف العذاب ممن استحق الخلود فى النار :

وهذا النوع خاص للنبى صلى الله عليه وسلم بالنسبة لعمه ابى طالب لقد تكفل ابو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم برعاية ابن اخيه ، منذ نعومة أظافره حتى زهرة شبابه ، وهما اعظم مراحل عمر الانسان حراجة ، وأشدها فعالية واحساسا وتأثيرا .

فقد اختاره الله أن يكون نصيرا لابن اخيه وحاميا له من المشركين وليس هذا بغريب فتلك عناية الله سبحانه وتعالى لرسوله العظيم ولرسالته الخالدة .

(قال ابن اسحق ان خديجة وأبا طالب هلكا فى عام واحد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكانت خديجه له وزيرة صدق على الاسلام يسكن اليها . وكان ابو طالب له عضدا وناصرا على قومه ، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذى مالم تطمع به فى حياة ابى طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا : " فحدثنى هشام بن عروة عن ابيه قال : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته يقول ما نالتنى قريش شيئا اكرهه حتى مات ابو طالب " (1) .

ان ابا طالب قد كفل ابن اخيه بعد وصية جده عبد المطلب عند موته اليه الى أن كبر واستمر على نصره بعد أن بعث الى أن مات ابو طالب وهو مقيم مع ذلك على دين قومه وقد قال ابن مسعود : وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ، واخباره فى حياطته والذب عنه معروفه مشهوره ومما اشتهر من شعره فى ذلك قوله :

---

(1) البيهقى فى دلائل النبوة جـ ٢ ـ غير انه اضاف عن عبد الله بن جعفر حتى وصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باب رثاء ابى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ورد فى امتناعه من الاسلام ص ١٠٢ .

والله لن يصلوا اليك بجمعهم   حتى اوسد فى التراب دفينا

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا   ولما نقاتل حوله ونناضل[١]

وقد عرفت قريش موقف ابى طالب من ابن أخيه ، وسادها : أن يقف هذا الموقف الجرىء ، وساءها : أن لا تنجح محاولاتها ، وتصود بالاخفاق والفشل ... أرادت منه : أن يكف محمدا صلى الله عليه وسلم عن ذكر آلهتهم وعيبها فما كف وماهادن ... ثم ارادوه : أن يفسح المجال بينهم وبينه لينالوا منه ما يرضيهم ، ويعلنونها عليه حربا ضاريه ... ولكنهم رأوه : يشجعه ويعده النصرة والدفاع .

وبلغ بهم الامر أن يختاروا أشجع اولادهم عمارة بن الوليد بان يعطوه لابى طالب على أن يسلمهم محمدا (صلى الله عليه وسلم) فقال لهم ابى طالب مقالته المشهوره أتعطوننى ابنكم لاربيه واعطيكم ابنى لتقتلونه ؟ لبئس ما تساوموننى .

لقد دافع عنه خير دفاع وعاونه خير معونه لذلك منح المولى عز وجل للرسول صلى الله عليه وسلم الشفاعه له .

ولكن كيف ؟ وقد بلغنا قول المولى عز وجل " فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ "[٢] وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثابت عن أنس ان رجلا قال يارسول الله اين أبى قال فى النار فلما قضى دعاه فقال ان ابى وأباك فى النار "[٣] . حقا ان من مات على الكفر فهو فى النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين ، ولكن تلك الشفاعة قد تواترت بها الاحاديث الصحيحه خصيصه للشافع والمشفع فهى خاصه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسبة لعمه ابى طالب وهى شفاعه فى تخفيف درجه العذاب فى النار كرامة ومحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . امتنع من الاقرار بالتوحيد وقال هو " على ملة عبد المطلب "

---

(١) فتح البارى ٦٣ كتاب مناقب الانصار ـ ٤٠ باب قصة ابى طالب ج ٧ ص ١٩٤ بتصرف .

(٢) سورة المدثر ايه ٤٨ .

(٣) مسلم بشرح النووى (ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ) المجلد الاول ج ٣ ـ كتاب الايمان من مات على الكفر لا تلحقه الشفاعة ص ٧٩ .

ومات على ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يترك الشفاعة له ، بل شفع له حتى خفف عنه العذاب بالنسبة لغيره وكان ذلك من الخصائص فى حقه)[١] .

عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه " قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ما اغنيت من عمك ، فانه كان يحوطك ويغضب لك ، قال هو فى ضحضاح . من نار ، ولولا انا لكان فى الدرك الاسفل من النار "[٢]

عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه لا انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم ـ وذكر عنده عمه فقال : لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه "[٣] .

---

(١) فتح البارى شرح احاديث البخارى ـ ٦٥ كتاب التفسير ـ ١ ـ باب (انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء) ج ٨ ص ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

(٢) * فتح البارى لصحيح الامام البخارى ٦٣ كتاب مناقب الانصار ـ ٤٠ ـ باب قصة ابى طالب ـ ج ٧ حديث رقم (٣٨٨٣) ص ١٩٣ .
* صحيح الامام مسلم بشرح النووى المجلد الاول ج ٣ كتاب ـ الايمان ـ باب شفاعة النى صلى الله عليه وسلم لابى طالب والتخفيف عنه بسببه ص ٨٤ .
* النبوة البيهقى فى الدلائل (دلائل النبوة) ج ٢ وفاه ابى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ورد فى امتناعه من الاسلام ص ١٠١ .

(٣) فتح البارى شرح صحيح الامام البخارى ج ٧ ـ ٦٣ كتاب مناقب الانصار ـ ٤٠ باب قصة ابى طالب حديث رقم (٣٨٨٥) وفى كتاب الرقاق ـ ج ١١ ص ٤١٧ ـ ٥١ باب صفة الجنة والنار .
* صحيح الامام مسلم بشرح النووى المجلد الاول ج ٣ كتاب الايمان باب شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لابى طالب والتخفيف عنه بسببه من ص ٨٥ ، ٨٦ بخمس روايات .
* مسند الامام احمد ج ٣ ص ٥٠ مسند ابى سعيد الخدرى وفى ص ٥٥ كذلك عن ابى سعيد .
* دلائل البيهقى (دلائل النبوة) ج ٢ باب وفاة ابى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ورد فى امتناعه الخدرى من الاسلام ص ١٠١ ، ١٠٢ .

وتفسير الحديث الاول :

(" ما اغنيت عن عمك " تلك رواية الامام البخارى ويعنى أبا طالب اما روايه الامام مسلم فصرحت باسمه فقال (هل نفعت أبا طالب) . (كان يحوطك) من الحياطة وهى المراعاة تلك مقالت العسقلانى فى فتح البارى، اما الامام النووى فى شرحه لصحيح الامام مسلم فقد اوضحها أكثر فقال : حاطه يحوطه حوطا وحياطة اذا صانه وحفظه وذب عنه وتوفر على مصالحه انتهى . قوله (ويغضب لك) يشير الى ما كان يرد به عنه من قول وفعل قوله (فى غمرات من النار) واحدتها غمره باسكان الميم وهى المعظم من الشئ . أما قوله (هو فى ضحضاح) هو استعارة فان الضحضاح من الماء مايبلغ الكعب ، ويقال ايضا لما قرب من الماء وهو ضد الغمرة . أما قوله (ولولا انا لكان فى الدرك الاسفل من النار) قال اهل اللغه فى الدرك لغتان : فتح الراء واسكانها والمشهور المختار الفتح ، وبالفتح جمعها ادراك على اجمال وبالاسكان ادرك كأفلس واما معناه هو قعر جهنم واقصى اسفلها قالوا ولجهنم ادراك فكل طبقة من اطباقها تسمى دركا والله اعلم .

والمعنى انه خفف عنه العذاب .

اما معنى فى الحديث الثانى انه (يجعل فى ضحضاح يبلغ من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه) ووقع فى حديث ابن عباس عند مسلم " أن أهون أهل النار عذابا ابو طالب له نعلان يغلى منهما دماغه " ولاحمد من حديث ابى هريرة مثله لكن لم يسم أبا طالب ، وجاء فى البخارى فى اواخر الرقاق من حديث النعمان بن بشير نحوه وفى آخره (كما يغلى المرجل بالقمقم) . والغليان هو شدة اضطراب الماء ونحوه على النار لشدة اتقادها يقال غلت القدر تغلى غليا وغليانا واغليتها انا واما المرجل الاناء الذى يغلى فيه الماء وغيره سواء كان من حديد او نحاس أو حجارة او خزف ولا داعى لتخصيصه بأنه مصنوع من النحاس . (والقمقم) هو الذى يسخن فيه الماء . قال ابن الاثير : كذا اوقع " كما يغلى المرجل بالقمقم " وفيه نظر . ووقع فى نسخة " كما يغلى المرجل والقمقم "

وهذا اوضح ان ساعدته الرواية انتهى • ويحتمل ان تكون الباء بمعنى مع ، وقيل القمقم هو البسر كانوا يغلونه على النار استعجالا لنضجه فان ثبت هذا زال الاشكال)[١] •

وقال العسقلانى فى فتح البارى (قوله " يبلغ كعبيه " قال السهيلى : الحكمة فيه أن أبا طالب كان تابعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته ، الا انه استمر ثابت القدم على دين قومه ، فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته اياهما على دين قومه ، كذا قال ، ولا يخلو من نظر • وقوله (يغلى منه دماغه) وفى روايه اخرى (يغلى منه أم دماغه) قال الداودى : المراد ام رأسه • وأطلق على الرأس الدماغ من تسمية الشئ بما يقاربه ويجاوره • وفى روايه اخرى " يغلى منه دماغه حتى يسيل على قدمه " [٢] •

وفى روايه (ان اهون اهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع فى اخمص قدميه جمرة يغلى منها دماغه) فالاخمص ما لا يصل الى الارض من باطن القدم عند المشى • قوله (جمرة) وفى رواية الامام مسلم (جمرتان) يحتمل ان يكون الاقتصار على الجمرة للدلالة على الاخرى لعلم السامع بأن لكل احد قدمين)[٣] •

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ـ جـ ٧ ـ ٦٣ كتاب مناقب الانصار ـ ٤٠ باب قصة أبى طالب ص ١٩٤ ، ١٩٥ بالمعنى وكذا نفس المعنى قاله الامام النووى فى شرح صحيح مسلم ـ المجلد الاول ـ كتاب الايمان باب شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لابى طالب والتخفيف عنه بسببه ـ جـ ٣ ص ٨٤ : ٨٦ •

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ـ ٦٣ كتاب مناقب الانصار ٤٠ باب قصه ابى طالب جـ ٧ ص ١٩٥ : ١٩٦ •

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى ـ ٨١ كتاب الرقاق ـ ٥١ باب صفة الجنه والنار جـ ١١ ص ٤٣٠ باختصار فى اللفظ •

(ووقع عند الامام مسلم بلفظ " من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه " اما الشراك وهو احد سيور النعل وهو الذى يكون على وجهها وعلى ظهر القدم)[(١)]

عن ابن المسيب عن أبيه " ان ابا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم ـ وعنده أبو جهل ـ فقال : أى عم ، قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله ـ فقال ابو جهل وعبد الله بن ابى امية يا ابا طالب ، ترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزالا بكلماته حتى قال اخر شئ كلمهم به : على ملة عبد المطلب فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لاستغفرن لك ، مالم أنه عنه . فنزلت (ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما يتبين لهم انهم اصحاب الجحيم)[(٢)] ونزلت (إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ)[(٣)] .

---

(١) الامام النووى فى شرح صحيح مسلم ـ المجلد الاول جـ ٣ ـ كتاب الايمان باب التخفيف عن ابى طالب ـ ص ٨٦ .

(٢) سورة التوبه آيه (١١٣) .

(٣) * فتح البارى شرح احاديث البخارى ـ ٦٣ ـ كتاب مناقب الانصار ٤٠ باب قصة ابى طالب ـ جـ ٧ ـ حديث رقم (٣٨٨٤) ص ١٩٣ . وفى كتاب التفسير ١ ـ باب (انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء) جـ ٨ حديث رقم (٤٧٧٢) ص ٥٠٦ .

* صحيح الامام مسلم بشرح النووى ـ المجلد الاول ـ جـ ١ ـ كتاب الايمان ـ باب الدليل على صحة اسلام من حضره الموت ما لم يشرع فى النزع وهو الغرغره ونسخ اجواز الاستغفار للمشركين والدليل على ان من مات على الشرك فهو من اصحاب الجحيم ولا ينقذه من ذلك شئ من الوسائل ص ٢١٣ : ٢١٦ .

* البيهقى فى الدلائل (دلائل النبوه) جـ ٢ ـ باب وفاه ابى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ورد فى امتناعه من الاسلام ص ٩٨ ، ٩٩ ثلاث روايات الاولى سعيد بن المسيب والاخرتان لابى هريره .

سورة القصص (آيه ٥٦) .

" واسم ابى طالب عبد مناف والمراد بالحضور هنا القرب او حضور الدلائل وذلك قبل المعاينه والنزع لانه لو كان كذلك لما نفعه الايمان ولقول الله تعالى " وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ " (١) ويدل على انه قبل المعاينه محاورته للنبى صلى الله عليه وسلم وكفار قريش . وقال القاضى عياض ان بعض المتكلمين يجعلون الحضور هنا على حقيقته وأما النبى صلى الله عليه وسلم رجا بقوله ذلك حينئذ ان تناله الرحمه ببركته صلى الله عليه وسلم قال القاضى رحمه الله وليس هذا بصحيح لما قدمناه من قول المولى عز وجل ومن المحاورة المذكورة)(٢)

(("قوله " احاج " اصله أحاجج ، وقد جاءت فى رواية أخرى بلفظ " اشهد " وكأن عليه الصلاة والسلام فهم من امتناع ابى طالب من الشهاده فى تلك الحالة انه ظن ان ذلك لا ينفعه لوقوعه عند الموت او لكونه لم يتمكن من سائر الاعمال كالصلاة وغيرها ، فلذلك ذكر له المحاججه . واما لفظ الشهاده فيحتمل ان يكون ظن ان ذلك لا ينفعه اذا لم يحضره حينئذ احد من المؤمنين مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فطيب قلبه بان يشهد له بها فينفعه . وفى روايه ابى هريرة عند الامام أحمد " فقال أبو طالب : لولا ان تعيرنى قريش يقولون ما حمله عليه الا جزع الموت لا قررت بها عينك) (٣) .
فبعض الروايات بينت سبب طلب الشهادة وهى لتكون سبب للشفاعة والحجه ، والبعض الاخر بين سبب امتناعه عن النطق بها وهو خوفه من المعايره بانه جزع من الموت .

---

(١) سورة النساء ايه (١٨) .
(٢) الامام النووى فى شرح صحيح مسلم ـ المجلد ـ الاول جـ ١ كتاب الايمان ـ باب وفاة ابى طالب ص ٢١٤ .
(٣) ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى شرح صحيح البخارى ـ كتاب المناقب ـ ٤٠ باب قصه ابى طالب جـ ٧ ص ١٩٥ باختصار فى اللفظ .

اما قوله (حتى قال آخر شيء كلمهم به : على ملة عبد المطلب) فيفيد انه مات على الشرك ولم ينطق بالشهادة والله اعلم .

وقد تصدى بعض من الشيعة الذاهبون الى موته مؤمنا للاحاديث النبوية الدالة على ان ابا طالب مات على دين عبد المطلب متعصبين لما ذهبوا اليه غير مبالين بالحقيقة الثابتة ضاربين باجماع اهل السنة عرض الحائط واخترت منهم على سبيل المثال (عبد الله الشيخ الخنيزي) الذي ألف كتابا وسماه (مؤمن قريش) يعني به أبا طالب وقد ادار حديثه كله على اثبات ان ابا طالب قد مات على دين الاسلام وقد نقلت منه بعض العبارات التي ارتكز عليها فقال (... " ولقد كان ابي يقرأ الكتب جميعا ولقد قال : ان من صلبي لنبيا ، لوددت اني أدركت ذلك فآمنت به ، فمن ادركه من ولدي فليؤمن به "[1] . ما كان ذو القولة ــ هذه ــ بحاجة لدليل مجدد ، وهو ذو العقيدة الراسخة ، والايمان الوطيد ... ان لديه ــ من الدلائل ــ لوفرا ، يفوق العد ، ويأبى الحق ــ وان واحدا ــ من بينها ــ لكفيل باثبات مايذهب اليه . وما يجلو عن النفس الشك والريب لو كان هذان مما يعرفان طريقهما الى نفس بيضة البلد[2] .

ان هذه الادلة المختصة ، وهذه البراهين الواضحة لما يزيد ايمان ابي طالب عمقا ، وشمولا وامتدادا وما كان ــ في يوم ما ــ ذاك ــ المزعزع العقيدة ولا الرجراج الايمان .

ان دليلا واحدا ــ من بين الف دليل ودليل ــ لتفرض على كل من له ذرة من عقل : ان يؤمن بمثل ما آمن به أبو طالب ، وأن يكون ذلك المتين المعتقد ، والرسيخ العقيدة ، والثابت على المبدأ القويم .

انه ليعلم ــ علما لا يخالجه ريب ــ بان ابن اخيه ، هو ذلك الرسول المنتظر الذي قرأه ابوه في الكتب السماوية ــ جميعا ، وبشرت به الرسالات السماوية ، منذ يومها الاول ، وفي فجرها البكر .

---

(١) قال ابا طالب تلك العبارة نقلا عن ابيه عبد المطلب .
(٢) يقصد به اباطالب لمكانته من القوم لقب (بيضة البلد) .

وهو ــ الى ذلك العلم الثابت ــ يلمس دلائل صارخة ، وبراهين سافرة الوجه ، ليس لمكابر الا ان يذعن لها ــ فكيف يؤمن عميق ، لا تزيده البراهين والدلائل ، الا : عمق ايمان ، وشمول معرفة ، ومتانة معتقد ، وثبوت مبدأ ، ورسوخ يقين ... !) [1] وأخذ يعدد عدد من البراهين والدلائل منها نبع الماء ــ مباركة الطعام ــ رحلة للشام وقول بحيرة الراهب له انه النبي المنتظر ولو امتد بي العمر لامنت به . وليس هذا بدليل على أنه امن به واسلم . لان العلم وحده لا ينفع بل أن جميع المشركين كانوا يعلمون ويوقنون انه على حق ولكن كبرياء العناد البشرى دفعتهم الى عدم الايمان به .

واستند كذلك لتأيد مذهبه بحديثه عن بيوم الانذار (عندما امر الرسول الكريم عليا رضى الله عنه ان يدعوا اليه عشيرته الاقربين فألقى اليهم ما يريد من هذا الاجماع ، والغاية منه . وتفرق الجميع دون جدوى ... واذا انتهى الرسول من دعوته عباده عمه ابو طالب ، بالقول : (ما احب الينا معاونتك واقبلنا لنصيحتك ، وأشد تصديقنا لحديثك . وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون ، وانما انا احدهم غير انى اسرعهم الى ما تحب . فامض لما امرت به . فوالله لا ازال احوطك وامنعك ، غير ان نفسى ، لا تطاوعنى على فراق دين عبد المطلب) فعارض ابو لهب : أبا طالب ، فى المقال : " هذه ــ والله ! السوأة . خذوا على يديه ، قبل ان يأخذ غيركم " . واذا بأبى طالب يجيبه : " والله لتمنعنه ما بقينا " ثم يلتفت لابن اخيه ، ليقول له : (قم ــ يا سيدى ! ــ وتكلم بما تحب ، وبلغ رسالة ربك ، فانك الصادق الصديق) [2] .

واذا امعنا النظر فى تلك العبارة نجد انها ليست دليلا على أنه مات على دين الاسلام بل نلمس منها الدلالة على أنه كان يحوطه برعايته ويحميه ويدافع عنه ولكنه لم ينطق بالشهادتين وصرح بأن نفسه لا تطاوعه على فراق دين عبد المطلب .

---

(١) ابو طالب مؤمن قريش ص ١٢٤ : ١٢٥ بتصرف .
(٢) ابو طالب مؤمن قريش ص ١٤٧ ، ١٤٨ باختصار .

ثم قال كذلك (لم يكن ابو طالب ، بالذى يبذل النصرة لمحمد ، فى شخصه فحسب . فلم تكن نصرته ، فى نطاق ضيق فى يوم ما ... فهو ، نصير الرسالة فى مهدها ، وراعى محمد فى طفولته ...

واذا هو نصير الرسالة ذاتها ، فهو نصير لكل من يعتنقها ... فليس يرضى ان ينال واحدا ضيم ، او اذى بسببها ... وان له لصفحات رائعــــه الاشراق ، بارزة العنوان فى هذه النصرة المؤزرة ...) .

وضرب لنا عدة امثله منها (عذب المشركون عثمان بن مظعون الجمحى وقد استنار بهدى الاسلام ، واستجاب لاصداء الدعوة المحمدية ، ففـــارق ظلمة الشرك ، الى نور الايمان ... فشاءت قريش أن تفتنه ، وتضله عـــن لاحب [1] الطريق ، فعذبته ، ونالت منه ...
ولا يسمع بذلك أبو طالب ، حتى يثأر له ، من هذه الوحشية من قريـــش وهذا العداء المستفحل ثم يقـــول :

اوتؤمنوا بكتاب منزل عجـب   على نبى ، كموس ، او كـذى النون

فماذا يعنى فى هذا البيت ـ من الكتاب العجيب وانه كتاب الهى منزل على رسول ، من رسل الله ، الذين اجتبى ؟ وهل بعده ، مغمـــز ، أو مطعن ، فى ايمان هذا الشيخ ، الا من عدو ضال ؟) [2] .

ان كونه مدافعا ورافضا ومتعاطفا مع معذبى المسلمين ليس دليلا علـــى اسلامه . فتلك سجية العرب الكرام الا يقبل الضيم او الذل لاى انسان فما بالك وقد حدثتنا بان ابيه قد حدثه بأن من صلبه نبى ، وهو يعـــرف أن محمدا صلى الله عليه وسلم وهو ذاك النبى وأن هؤلاء المعذبين علـى الحق ... ولكن منعته كبرياء الجاهليه وكبرياء الشيخوخه ومصلحة العشـرة ومعايرتها من النطق بالشهادتين . وقد قال الامام النووى (الذى يستحـق

---

(١) طريق لاحب ، ولحـب ، وملحوب ، اذا كان واضحا . لسان العرب لابن منظـــور جـ ٥ ص ٤٠٠٣ .
(٢) ابو طالب مؤمن قريش ص ١٧٧ ، ١٧٩ باختصـــار .

به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو اتيانه بهذه الامور الثلاثة التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أنه لو أقر وعمل على غير علم منه ومعرفه بربه لا يستحق اسم مؤمن ولو عرفه وعمل وجحد بلسانه وكذب ما عرف من التوحيد لا يستحق اسم مؤمن وكذلك اذا اقر بالله تعالى وبرسله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ولم يعمل بالفرائض لا يسمى مؤمنا بالاطلاق وان كان فى كلام العرب يسمى مؤمنا بالتصديق فذلك غير مستحق فى كلام الله تعالى بقوله عز وجل " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا " [1] فاخبرنا سبحانه وتعالى ان المؤمن من كانت هذه صفته وقال ابن بطال فى باب من قال الايمان هو العمل فان قيل قد قدمتم ان الايمان هو التصديق ، قيل التصديق هو أول منازل الايمان ويوجب للمصدق الدخول فيه ولا يوجب له استكمال منازله ولا يسمى مؤمنا مطلقا هذا مذهب جماعة اهل السنة أن الايمان قول وعمل) [2] .

وقد قام بتجريح رواه الاحاديث التى تثبت أن أبا طالب مات على دين عبد المطلب . وقد غفل او تغافل أن تلك الاحاديث موجوده فى الصحيحين وغيرهما . قال الامام السيوطى رحمه الله (اول مصنف فى الصحيح المجرد ، صحيح البخارى ، ثم مسلم ، وهما اصح الكتب بعد القرآن ، والبخارى أصحهما واكثرهما فوائد ، وقيل مسلم أصح ، والصواب الاول) [3] .

---

(١) سورة الانفال آيه (٢ ، ٣ ، جزء من الايه ٤) .

(٢) مسلم بشرح النووى المجلد الاول جـ ١ كتاب الايمان ـ الايمان قول وعمل ص ١٤٧ .

(٣) تدريب الراوى للامام السيوطى فى شرح تقريب النواوى جـ ١ ص ٨٨ ثم ص ٩١ .

وقال الامام النووى (اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخارى ومسلم وتلقتهما الامة بالقبول وكتاب البخارى اصحهما واكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة وقد صح ان مسلما كان ممن يستفيد من البخارى ويعترف بانه ليس له نظير فى علم الحديث وهذا الذى ذكرناه من ترجيح كتاب البخارى هو المذهب المختار الذى قاله الجماهير وأهل الاتقان والحذق والغوص على أسرار الحديث) [1] .
وقال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح رحمه الله (جميع ما حكم مسلم رحمه الله بصحته فى هذا الكتاب فهو مقطوع بصحته والعلم النظرى حاصل بصحته فى نفس الامر وهكذا اما حكم البخارى بصحته فى كتابه وذلك لان الامة تلقت ذلك بالقبول سوى من لا يعتد بخلافه ووفاقه فى الاجماع) [2] .

وقال الامام النووى رحمه الله (سلك مسلم رحمة الله فى صحيحه طرقا بالغة فى الاحتياط والاتقان والورع والمعرفه وذلك مصرح بكمال ورعه وتمام معرفته وغزاره علومه وشدة تحقيقه بحفظه وتعقده فى هذا الشأن وتمكنه من انواع معارفه وتبريزه فى صناعته وعلو محله فى التمييز بين دقائق علومه لا يهتدى اليها الا افراد فى الاعصار فرحمه الله ورضى عنه) [3] .

ورغم ان الاحاديث التى تثبت ان ابا طالب مات على دين عبد المطلب موجوده فى الصحيحين وهذا يعتبر اكبر رد على كذب ما يدعيه الا اننى قمد قمت بالبحث عن رجال هذه الاحاديث لابعد ادنى شك .

---

(١) صحيح الامام مسلم بشرح النووى المجلد الاول ج ١ فى مقدمه الشارح تحت عنوان (الموازنه بين البخارى ومسلم) ص ١٤ .
(٢) شرح الامام النووى لصحيح الامام مسلم ـ المجلد الاول ـ ج ١ فى مقدمه الشارح تحت عنوان (صحة احاديث هذا الكتاب) ص ١٩ .
(٣) شرح الامام النووى لصحيح الامام مسلم ـ المجلد الثانى ـ ج ١ فى مقدمة الشارح تحت عنوان (الفرق بين حدثنا واخبرنا) ص ٢١ .

ولا أكد ان جميع الرجاك ثقات .

ذكر لنا الامام مسلم بسنده[١] . قال :

حدثنى حرمله بن يحيى التجيبى :

حرمله بن يحيى التجيبى (ذكر فى صحيح الامام مسلم رحمه الله بشرح النووى وعد من شيوخ الامام مسلم رحمه الله)[٢].

(وقال صاحب تقريب التهذيب ان حرملة بن يحيى بن حرملة بن عمران ، ابو حفص التجيبى المصرى صاحب الشافعى ، صدوق ، من الحادية عشرة مات سنة ثلاث أو اربع واربعين ،وكان مولده سنه سنين)[٣].

اخبرنا عبد الله بن وهب :

بن زمعه بن الاسود بن المطلب الاسدى الاصغر ، كان عريف قومه بنى أسد ، وقتل اخوه عبد الله الاكبر يوم الدار وهو ثقة ، من الثالثه . له روايات فى جامع الترمذى وابن ماجه)[٤]

قال اخبرنى يونس :

(يونس بن يزيد بن ابى النجاد ، الايلى ، بفتح الهمزه وسكون ، التحتانية بعدها لام ،ابو يزيد مولى آل أبى سفيان ، ثقه ،الا ان فى روايته عن الزهرى وهما قليلا ،وفى غير الزهرى خطأ ، من كبار السابعة ، مات سنة تسع وخمسين على الصحيح ،وقيل سنة سنين . وله روايات فى الاصول السنة)[٥].

---

(١) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الاول ــ ج ١ ــ كتاب الايمان ص٢١٣ ، ٢١٤ (باب الدليل على صحة اسلام من حضره الموت ما لم يغـر .غز) .

(٢) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الاول (ب) تحت عنوان (شيوخه) عند التعريف بالامام مسلم ــ وذكره كذلك فى ج ١ ص ٧٦ باب النهى عن الراوية عن الضعفاء .

(٣) تقريب التهذيب لابن حجر العسقلانى ج ١ ص ١٥٨ تحت رقم (٢٠٣) له روايات فى صحيح مسلم ــ النسائى ــ ابن ماجه) .

(٤) تقريب التهذيب لابن حجر العسقلانى ج ١ ص ٤٥٩ تحت رقم (٧٢٧) .

(٥) تقريب التهذيب لابن حجر العسقلانى المجلد الثانى ص ٣٨٦ ــ تحت رقم (٤٩٦) باختصار .

(وجاء في تهذيب التهذيب انه يقال له ابن شكان بن ابى النجاد الايلى قال ابن المبارك ان كتابه صحيح وقال عبدان عن ابن المبارك انى اذا نظرت فى حديث معمر ويونس يعجبنى كانهما خرجا من مشكاة واحدة وقال عبد الرزاق عن ابن المبارك ما رايت احدا اروى للزهرى من معمر الا ان يونس احفظ للمسند وقال وكيع رأيت يونس بن يزيد الايلى وكان سىء الحفظ وقال الميمونى سئل احمد من اثبت فى الزهرى قال معمر قيل فيونس قال روى احاديث منكره وقال الفضل بن زياد عن احمد ثقة وقال الدورى عن ابن معين اثبت الناس فى الزهرى مالك ومعمر ويونس وعقيل .

وقال عثمان الدارمى قلت لابن معين يونس أحب اليك او عقيل قال يونس ثقة وعقيل ثقه قليل الحديث عن الزهرى قلت ابن يفع الاوزاعى من يونس قال يونس اسند عن الزهرى وقال يعقوب بن شيبه عن احمد بن العباس قلت لابن معين معمرا ويونس قال يونس اسندهما وهما ثقتان جميعا وقال العجلى والنسائى ثقة وقال ابو زرعة لابأس به وقال ابن خراش صدوق)[1] .

عن ابن شهاب :

(الامام المشهور التابعى الجليل محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب بن عبد الله بن الحرث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لوءى ابو بكر القرشى الزهرى المدنى سكن الشام وادرك جماعه من الصحابه نحو عشرة واكثر من الروايات عن التابعين واكثروا من الروايات عنه أحواله فى العلم والحفظ والصيانة والاتقان والاجتهاد فى تحصيل العلم والصبر على المشقه فيه وبذل النفس فى تحصيله والعبادة والورع والكرم وهوان الدنيا عنده وغير ذلك من أنواع الخير اكثر من أن يحصر وأشهر من أن يشهر)[2] .

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ج ١١ رقم (٧٦٩) ص ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ . باختصار .

(٢) صحيح الامام مسلم بشرح النووى ـ المجلد الاول ج ١ فى مقدمه الشارح ص ٧٤ تحت عنوان (النهى عن الحديث بكل ما سمع).

قال اخبرني سعيد بن المسيب :

بن حزن (بوزن : سهل ، ويضد معناه) بن أبي وهب بن عمرو بن عابد ابن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي احد العلماء الاثبات ، الفقهاء الكبار ، من كبار الثانية ، اتفقوا على أن مرسلاته اصح المراسيل وقال ابن المديني : لا اعلم في التابعين اوسع علما منه ، مات في التسعين ، وقد ناهز الثمانين . أجمعت الاصول الستة على رواياته)[1] .

وقد جاء في تدريب الراوي للامام السيوطي عند حديثه عن الحديث المرسل[2] (قول الحاكم ان اكثر ما تروى المراسيل من أهل المدينة عن ابن المسيب قال وأصحها كما قال ابن معين مراسيل ابن المسيب ، لانه من اولاد الصحابة وأدرك العشرة وفقيه اهل الحجاز ومفتيهم وأول الفقهاء السبعة الذين يعتد مالك باجماعهم كاجماع كافة الناس . وقد تأمل الائمة المتقدمون مراسيله فوجدوها بأسانيد صحيحة)[3] .

عن أبيه :

المسيب بن حزن بن وهب المخزومي أبو سعيد ، له ولابيه صحبة ، عاش الى خلافة عمر رضى الله عنه . له روايات في صحيح الامام البخاري وصحيح الامام مسلم وسنن الترمذي وللنسائي)[4]

---

(١) تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ـ جـ ١ ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ تحت رقم (٢٦٠) .

(٢) قول التابعي الكبير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذا فعله يسمى مرسلا . تدريب الراوي جـ ١ ص ١٩٥ ، اما حكمه فهو ضعيف عند جماهير المحدثين والشافعي وكثير من الفقهاء واصحاب الاصول ، وقال مالك وابو حنيفه في طائفه . صحيح ، فان صح مخرج المرسل بمجيئه من وجه اخر مسندا او مرسلا ارسله من اخذ من غير رجال الاول كان صحيحا . انظر تدريب الراوي ص ١٩٨

(٣) تدريب الراوي للامام السيوطي في شرح تقريب النواوي جـ ١ ص ٢٠٣ .

(٤) تقريب التهذيب للعسقلاني ـ المجلد الثاني ـ رقم (١١٣٨) ص ٢٥٠ .

روايه اخرى [1] :

أبو عوانه :

اليشكرى واسمه الوضاح بن عبد الله الواسطى البزار قال ابو حاتم سمعت هشام بن عبيد الله الرازى يقول سالت ابن المبارك من اروى الناس لو اسمعن الناس حديثا عن مغيره فقال أبو عوانه وقال مسدد سمعت يحيى القطان يقول ما اشبه حديثه بحديثهما يعنى أبا عوانه وشعبة وسفيان وقال عفان كان ابو عوانه صحيح الكتاب كثير العجم والنقط وكان ثبتا وأبو عوانة فى جميع حاله اصح حديثا عندنا من شعبة [2] وقال ابو طالب عن احمد اذا حدث ابو عوانه من كتابه فهو ثبت واذا حدث من غير كتابه ربما وهم وقال ابن ابى خيثمة عن ابن معين ابو عوانه جائز الحديث وحديث يزيد بن عطاء ضعيف . ثبت حديث ابى عوانه وسقط مولاه يزيد بن عطاء وقال أبو زرعة ثقة اذا حدث من كتابه وقال ابو حاتم كتبه صحيحه واذا حدث من حفظه غلط كثيرا وهو صدوق ثقه وهو أحب الى من ابى الاحوص ومن جرير وهو احفظ من حماد ابن سلمه . وقال احمد ويحيى ما اشبه حديث ابى عوانه بحديث الثورى وشعبه وقال وكان امينا ثقة وذكره ابن حبان فى الثقات وقال العجلى ابو عوانه بصرى ثقة وكذا بن شاهين وقال شعبه ان حدثكم ابو عوانه عن ابى هريره فصدقوه وقال ابن المدينى كان ابو عوانه فى قتاده ضعيفا لانه كان قد ذهب كتابه وكان احفظ من سعيد وقد اغرب فى احاديث وقال قال يعقوب بن شيبة ثبت صالح الحفظ صحيح الكتاب وقال ابن خراش صدوق فى الحديث وقال ابن عبد البر اجمعوا على انه ثقة ثبت حجه فيما حدث من كتابه وقال اذا حدث من حفظه بما غلط [3] .

---

(١) فى صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الاول ـ ج ٣ ـ كتاب الايمان ـ تحت عنوان التخفيف عن ابى طالب بسبب النبى صلى الله عليه وسلم ص ٨٤ .

(٢) ذكر صوابه فى هامش الاصل (من هشيم) .

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ج ١١ ص ١١٦ : ١٢٠ ـ باختصار .

عبد الملك بن عمير :

عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمى ، حليف بنى عدى ، الكوفى ، ويقال له الفرسى ، نسبة الى فرس له سابق ، كان يقال له القبطى ، ثقة فقيه ، تغير حفظه ، وربما دلس ، من الثالثة ، مات سنة ست وثلاثين ولـه مائة وثلاث سنين . وله روايات فى الاصول الستة)[1] بالنسبة لتغير حفظه والشك فى تدليسه فيحتمل ان يكون الامام مسلم رحمه الله قد اخذ منه قبل أن يتغير حفظه لاى سبب من الاسباب لكبر السن او لمرض مثلا (وقال الشيخ الامام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله : ان يكون ضعف الضعيف الذى احتج به طرأ بعد أخذه عنه باختلاط حدث عليه فهو غير قادح فيما رواه من قبل فى زمن استقامته)[2] .

عبد الله بن الحارث بن نوفل :

بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمى ابو محمد المدنى ، امير البصرة له رؤيه ، ولابيه وجده صحبه قال ابن عبد البر ، اجمعوا على توثيقه ، مات سنة تسع وتسعين ويقال سنة اربع وثمانين . له روايات فى احدى الاصول الستة)[3]

العباس بن عبد المطلب :

عباس بن عبد المطلب بن هاشم عم النبى صلى الله عليه وسلم مشهور مات سنة اثنتين وثلاثين أو بعدها وهو ابن ثمان وثمانين له روايات فى الاصول الستة)[4] .

---

(١) تقريب التهذيب لابن حجر العسقلانى ج ١ رقم (١٣٣١) ص ٥٢١ .

(٢) صحيح الامام مسلم بشرح النووى المجلد الاول ج ١ ـ فى مقدمة الشارح تحت عنوان دقة الامام مسلم فى التخريج ص ٢٥ .

(٣) تقريب التهذيب لابن حجر العسقلانى ـ ج ١ ص ٤٠٨ تحت رقم (٢٤٣) .

(٤) تقريب التهذيب لابن حجر العسقلانى ـ ج ١ ص ٣٩٧ تحت رقم (١٤٩) .

وقال الامام البخاري[1] بسنده :

اسحاق ابن ابراهيم :

(الحنظلي هو ابن راهويه الامام المشهور حافظ اهل زمانه)[2]
(وقال صاحب تقريب التهذيب ابو محمد بن راهويه المروزي ثقة حافظ مجتهد ، قرين احمد بن حنبل ، ذكر ابو داود انه تغير قبل موته بيسير ، مات سنة ثمان وثلاثين ، وله اثنان وسبعون . له روايات في صحيح الامام البخاري وصحيح الامام مسلم وفي سنن ابي داود وفي جامع الترمذي وفي النسائي)[3] .

عبد الرزاق :

(بن همام بن نافع الحميري مولاهم ابو بكر الصنعاني قال احمد بن صالح المصري قلت لاحمد بن حنبل رأيت أحدا أحسن حديثا من عبد الرزاق قال لا وقال ابو زرعة الدمشقي عبد الرزاق احد من ثبت حديثه . قال ابن ابي السري عن عبد الوهاب بن همام كنت عند معمر فقال يختلف الينا اربعة رباح بن زيد ومحمد بن ثور وهشام بن يوسف وعبد الرزاق فاما رباح فخليق ان يغلب عليه العبادة واما هشام فخليق ان يغلب عليه السلطان واما ابن ثور فكثير النسيان واما عبد الرزاق فان عاش فخليق ان تضرب اليه اكباد الابل . قال ابن ابي السري فوالله لقد اتعبها وقال احمد حديث عبد الرزاق عن معمر احب الي من حديث هؤلاء البصريين كان

---

(1) صحيح الامام البخاري
(2) صحيح الامام مسلم بشرح النووي ـ المجلد الاول جـ ١ باب بيان ان الاسناد من الدين ص ٨٤ .
(3) تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني جـ ١ ص ٥٤ رقم (٣٧٤) .

كان يتعاهد كتبه وينظر فيها باليمن وكان يحدثهم حفظا بالبصرة يعنى معمرا
وقال ابو زرعه الدمشقى قلت لاحمد من اثبت فى ابن جريج عبد الرزاق او البرسانى
قال عبد الرزاق وقال ايضا اخبرنى احمد انا عبد الرزاق قبل المأتين وهو
صحيح البصر من سمع منه بعد ما ذهب بصره فهو ضعيف السماع ، وقال
عباس الدورى عن ابن معين كان عبد الرزاق اثبت فى حديث معمر عن هشام
بن يوسف ، وقال يعقوب بن شيبه على على بن المدينى قال لى هشام بن
يوسف وكان عبد الرزاق اعلمنا واحفظنا قال يعقوب وكلاهما ثقه وقال ابن
عدى ولعبد الرزاق اصناف وحديث كثير وقد رحل اليه ثقات المسلمين وائمتهم
وكتبوا عنه الا انهم نسبوه الى التشيع وقد روى احاديث فى الفضائل
لم يتابع عليها فهذا اعظم ما ذموه من روايته لهذه الاحاديث ولما رواه فى
مثالب غيرهم واما فى باب الصدق فارجو انه لا بأس به ٠٠ قال النسائى
فيه نظر لمن كتب عنه بآخره كتب عنه احاديث مناكير وقال ابو حاتم
يكتب حديثه ويحتج به وذكره ابن حيان فى الثقات وقال كان ممن يخطىء اذا
حدث من حفظه على تشيع فيه وكان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر وقال
الاخرى ثقه ٠ وقال محمد ابن اسمعيل الغزارى بلغنى ونحن بصنعاء ان
احمد ويحيى تركا حديث عبد الرازق فدخلنا غم شديد فوافيت ابن معين
فى الموسم فذكرت له فقال يا ابا صالح لو ارتد عبد الرزاق ما تركنا حديثه
وقال العجلى ثقه يتشيع وكذا قال البزار وقال الذهلى كان عبد الرزاق ايقظهم
فى الحديث وكان يحفظ وقال ابراهيم بن عباد الديرى كان عبد الرزاق يحفظ
نحوا من سبع عشرة الف حديث وقال عنه العباس العنبرى ووافقه زيد بن
المبارك انه كذاب وقد رد هذا على قائله ٠ قال احمد وغيره مولوه ستة ست
وعشرين ومائه وقال البخارى وغير واحد مات سنه احدى عشره ومائتين) (١)
معمر بن راشد الازدى مولاهم ، ابو عروة البصرى ، نزيل اليمن ، ثقه
ثبت فاضل ، الا ان فى روايته عن ثابت والاعمش وهشام بن عروة شيئا ، وكذا
فيما حدث به بالبصره ، من كبار السابعة ، مات سنة اربع وخمسين ، وهو ابن

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ـ المجلد السادس ـ دار
الفكر العربى ص ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ٠

ثمان وخمسين سنه . له روايات فى الكتب الستة)[1] .

(وقال الميمونى عن احمد ما نضم احدا الىمعمر الا وجدت معمرا يتقدمه فى الطلب كان من اطلب اهل زمانه للعلم ، وقال الدورى عن ابن معين اثبت الناس فى الزهرى مالك ومعمر ثم عد جماعة وقال ابن ابى خيثمة عن ابن معين معمر .

اثبت فى الزهرى من ابن عيينه وقال عثمان الدارمى قلت لابن معين معمرا حب اليك فى الزهرى او ابن عيينه او صالح بن كيسان او يونس فقال فى كل ذلك معمر وقال الغلابى سمعت ابن معين يقدم مالك بن انس على اصحاب الزهرى ثم معمرا قال ومعمر عن ثابت ضعيف وقال معاوية بن صالح عن ابن معين ثقة وقال عمرو بن على كان من اصدق الناس وقال العجلى بصرى سكن اليمن ثقة رجل صالح . وقال ابو حاتم ما حدث معمر بالبصره فيه اغاليط وهو صالح الحديث وقال يعقوب بن شيبه معمر ثقة وصالح ثبت عن الزهرى والقال النسائى ثقه مأمون وقال احمد بن حنبل عن عبد الرازق عن ابن جريج عليكم بهذا الرجل فانه لم يبق احد من اهل زمانه اعلم منه يعنى معمرا وذكره ابن حبان فى الثقات وقال كان فقيها حافظا متقنا ورعا وقال ابن سعد فى الطبقة الثالثة من أهل اليمن كان معمر رجلا له قدر ونبل فى نفسه)[2] .

<u>الزهرى :</u>

هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله ابن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشى الزهرى ، وكنيته ابو بكر ، الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته واتقانه ، وهو من روس الطبقه الرابعة مات سنه خمس وعشرين ، وقيل قبل ذلك سنة أو سنتين روى فى الاصول الستة)[3] .

---

(١) تقريب التهذيب للعسقلانى — المجلد الثانى — رقم (١٢٨٤) ص٢٦٦ .

(٢) تهذيب التهذيب للعسقلانى — المجلد العاشر — رقم (٤٣٩) ص ٢٤٣ : ٢٤٦ باختصار

(٣) تقريب التهذيب العسقلانى — المجلد الثانى رقم (٧٠٢) ص ٢٠٧ .

عن سعيد بن المسيب (١) :

عن ابيه (٢) :

روايه اخرى فى صحيح الامام مسلم (٣) :

اسحاق بن ابراهيم (٤) :

عبد بن حميد :

عبد : بغير اضافة ، ابن حميد بن نصر الكسّى ، بمهملة مدينة بما وراء النهر : معروفه عند سمرقند ، ابو محمد ، قيل اسمه عبد الحميد وبذلك جزم ابن حبان ، وغير واحد ، ثقة حافظ ، من الحادية عشرة ، مات سنة تسع واربعين . له روايات فى صحيح الامام مسلم وفى جامع الترمذى)(٥)

عبد الرازق ومعمر (٦) :

وكذلك قمت بتفسير الايتين الكريمتين من كتب التفسير ثم بحثت عنهما فى الكتب التى تشير الى أسباب نزول الايات فاثمر بحثى الاتى :

اولا : تفسير الايتين :

١ــ " مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ " (٧) .

(ما كان) اى ماصح فى حكم الله عز وجل وحكمته ، (للنبى والذين امنوا) بالله تعالى على الوجه المأمور به ، (أن يستغفروا للمشركين)

---

(١) سبق تخريجه فى ص ٢٥٢
(٢) سبق تخريجه فى ص ٢٥١
(٣) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الاول ج ١ كتاب الايمان باب وفاة ابى طالب وما نزل فى شأنه ص ٢١٥ ، ٢١٦ .
(٤) سبق تخريجه فى ص ٢٥٤
(٥) تقريب التهذيب لابن حجر العسقلانى ــ ج ١ تحت رقم (١٤١١) ص ٥٢٩ بتصرف وكذلك فى تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ .
(٦) سبق تخريجه فى ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦
(٧) سورة التوبه آيه (١١٣) .

به سبحانه (ولو كانوا) اى المشركون (اولى قربى) اى ذوى قرابـــــه
لهم . وجواب (لو) محذوف لدلالة ما قبله عليه والجمله معطوفه على جملـه
اخرى فعلها محذوفة حذفا مطردا اى لو لم يكونوا اولى قربى ولو كانوا كذلـــك
(من بعد ما تبين لهم) أى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين (انهم)
اى المشركين (اصحاب الجحيم) بأن ماتوا على الكفر او نزل الوحى بانهم مطبوع
على قلوبهم لا يؤمنون اصلا . وفيه دليل على صحة الاستغفار لاحيائهـــــم
الذين لا قطع بالطبع على قلوبهم والمراد منه فى حقهم طلب توفيقهـــــم
للإيمان . وقيل : انه يستلزم ذلك بطريق الاقتضاء فلا يقال : انه لا فائدة
فى طلب المغفره للكافـــر) (١)

٢ـ قوله تعالى " إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ " (٢) .

(يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم انك يا محمد (لَا تَهْدِي مَـــنْ
أَحْبَبْتَ) اى ليس اليك ذلك انما عليك البلاغ والله يهدى من يشاء ولـــه
الحكمة البالغة والحجة الدامغة كما قال تعالى " لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ
اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ " (٣) وقال تعالى " وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْـــتَ
بِمُؤْمِنِينَ " (٤) . وهذه الايه اخص من هذا كله فانه قال (انك لاتهدى ...)
الايه اى هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية) (٥)
(وقال ابن عباس رضى الله عنه فى تفسيره (انك) يا محمد (لاتهدى) لا تعـــرف
(من احببت) ايمانه يعنى ابا طالب (ولكن الله يهدى) يوفق ويرشد ويعـــرف
(من يشاء) لدينه ابا بكر وعمر واصحابهما (وهو اعلم بالمهتدين لدينة)(٦).

---

(١) تفسير الامام الالوسى ـ ج ١١ ـ سورة التوبه ـ آيه ١١٣ ص٣٢.
(٢) ســـورة القصص آيه (٥٦) .
(٣) ســـورة البقرة آيه (٢٧٢) .
(٤) ســـورة يوسف آيه (١٠٣) .
(٥) تفسير الامام ابن كثير ج ٣ تفسير ايه ٥٦ من سورة القصص ص ٣٩٤ .
(٦) تنوير المقباس تفسير ابن عباس رضى الله عنه الموضوع بهامش الدر المنثور فى التفسير بالماثور للامام جلال الدين السيوطى ج ٤ ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

ثانيا : اسباب النزول :

وقال الامام جلال الدين السيوطي في قوله تعالى " مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ .. الايه "(١) اخرج ابن ابي شيبه واحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن جرير(٢) وابن المنذر وابن ابي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن سعيد بن المسيب عن ابيه قال (لما حضرت ابا طالب الوفاة ... لاستغفرن لك ما لم انه عنك فنزلت " ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين .... " الايه وانزل الله في ابي طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم " إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ)(٣) .

واخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه من طريق علي ابن ابي طلحه عن ابن عباس قال كانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الايه فلما نزلت امسكوا عن الاستغفار لامواتهم ولم ينهوا ان يستغفروا للاحياء حتى يموتوا ثم انزل الله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه " الايه . يعني استغفر له ما كان حيا فلما مات امسك عن الاستغفار .

(واخرج الطبراني وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اقبل من غزوة تبوك اعتمر فلما هبط من ثنية عسفان امر اصحابه ان يستندوا الى العقبة حتى ارجع اليكم فذهب فنزل على قبر امه آمنه فناجى ربه طويلا ثم انه بكى فاشتد بكاؤه فبكى هؤلاء لبكائه فقالوا ما بكى نبي الله هذا البكاء الا وقد احدث في امته شئ لم يطقه فلما بكى هؤلاء قام فرجع اليهم فقال ما يبكيكم قالوا يانبي الله بكينا لبكائك قلنا لعله احدث في امتك شئ لم تطقه فقال لا وقد كان بعضه ولكني نزلت على قبر امي فدعوت الله تعالى ليأذن لي في شفاعتها يوم القيامة فابى ان يأذن لي فرحمتها وهي امي فبكيت ثم جاء في جبريل عليه السلام فقال " وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه " الايه(٤)

---

(١) سورة التوبه آيه (١١٣) .

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ـ تفسير سورة التوبه ج ١١ ص ٣٠، ٣١ .

(٣) سورة القصص ايه (٥٦) والحديث سبق تخريجه في ص ٢٤٩

(٤) قال الامام ابن كثير في تفسيره هذا حديث غريب وسياق عجيب ج ٤ ص ١٥٩ .

واخرج ابن ابى حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن ابن مسعود قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس الى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام اليه عمر فدعاه ثم دعانا فقال ما ابكاكم قلنا بكينا لبكائك قال ان القبر الذى جلست عنده قبر امنة وانى استاذنت ربى فى زيارتها فاذن لى وانى استاذنت ربى فى الاستغفار لها فلم ياذن لى وأنزل علىّ " ما كان النبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى " . فاخذنى ما ياخذ الولد للوالدة من الرقة فذلك الذى ابكانى .[1]

ونقل ابى الحسن النيسابورى (قول ابا اسحاق والزجاج أن المفسرون قد اجمعوا ان قوله تعالى " انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء نزلت فى ابى طالب ثم عدد النيسابورى الاحاديث التى نزلت فى ابى طالب السالف ذكرها)[2] (اما بالنسبة لقوله تعالى (ما كان النبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم) فقد ذكر انها نزلت فى ابى طالب ونزلت كذلك فى استغفاره لامه)[3] .

وقال جلال الدين السيوطى (ان قوله تعالى (انك تهدى ...) الايه انها نزلت فى ابى طالب ، واخرج النسائى وابن عساكر بسند جيد عن ابى سعيد ابن رافع قال : سألت ابن عمر عن هذه الايه " انك تهدى ...) الايه ،

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ج ١ باب ذكر وفاة عبد الله ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاة امة آمنه بنت وهب ووفاة جده عبد المطلب بن هاشم ص ١٤٧ ، ١٤٨ .
انظر الدر المنثور لجلال الدين السيوطى ج ٣ عند تفسيره للايه رقم (١١٣) من سورة التوبه ص ٢٨٢ : ٢٨٤ .

(٢) اسباب النزول لابى الحسن على بن احمد الواحدى النيسابورى ص ١٩٣ ، ١٩٤ بالمعنى وقد سبق ذكر الاحاديث فى ص ٢٢٩ ، ٢٤٢

(٣) اسباب النزول لابى الحسن على بن احمد الواحدى النيسابورى ص ١٥٠ ، ١٥٢ بالمعنى .

فى ابى جهل وابى طالب ؟ قال : نعم)[(١)] وقال (بالنسبة لقوله تعالى (ما كان للنبى ...) الايه أنها نزلت فى ابى طالب ، وكذلك فى أم النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك فى الرجل المستغفر لابيه فقد اخرج الترمذى ــ وحسنه ــ والحاكم (عن على قال : سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له : أتستغفر لابويك وهما مشركان ؟ فقال : استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت (ما كان للنبى ...) الايه قال الحافظ بن حجر : يحتمل ان يكون لنزول الايه اسباب : متقدم وهو امر ابى طالب ، ومتاخر هو امر آمنه ، وقصه على ، وجمع غيره يتعدد النزول)[(٢)] .

وذكر عبد الفتاح القاضى (عند ذكره لقوله تعالى " انك لا تهدى .. الايه : الاحاديث النازله فى ابى طالب المخرجه فى صحيحى الامام البخارى والامام مسلم فدل على انها نزلت فيه)[(٣)] .

اما عند ذكره لقوله تعالى (ما كان النبى ...) الايه (قال اخرجه الشيخان وذكر حديث ابا طالب . وقال ان السيوطى ذكر ان ظاهر هذا ان الايه نزلت بمكه ثم ذكر حديث الرجل المستغفر الذى اخرجه الترمذى والحاكم[(٤)] وذكر كذلك حديث بكائه على قبر امه وقد اخرجه الحاكم والبيهقى[(٥)] وقال الشوكانى وما فى الصحيحين مقدم على ما لم يكن فيهما على فرض انه صحيح فكيف واغلبه ضعيف)[(٦)] .

---

(١) اسباب النزول لجلال الدين السيوطى ص ١٣٢ بالمعنى .

(٢) اسباب النزول لجلال الدين السيوطى ص ١٠١ بالمعنى (تخريج الحديث) تحفة الاحوذى شرح سنن الترمذى ج ٨ كتاب التفسير باب تفسير سورة التوبه وقال هذا حديث حسن ص ٥٠٥ .
* مسند الامام احمد ج ١ ص ٩٩ .
* المستدرك على الصحيحين ج ٢ كتاب التفسير قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه واقره الذهبى ص ٣٣٥ .

(٣) اسباب النزول عن الصحابه والمفسرين لعبد الفتاح القاضى ص ١٦٨ بالمعنى .

(٤) سبق ذكره فى نفس الصفحة هامش (٢)

(٥) سبق ذكره فى ص ٢٥٩ ، ٢٦٠

(٦) اسباب النزول عن الصحابه والمفسرين لعبد الفتاح القاضى ص ١٢٤ ، ١٢٥ بالمعنى .

(وقال الامام الجليل ابن كثير عند ذكره لقوله تعالى " إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ...) الايه[١] انها نزلت فى ابى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان يحوطه وينصره ويقوم فى صفه ويحبه حبا شديدا طبيعيا لا شرعيا فلما حضرته الوفاة وحان اجله دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان والدخول فى الاسلام فسبق القدر فيه واختطف من يده فاستمر على ما كان عليه من الكفر ولله الحكمة التامه وذكر لنا روايه سعيد بن المسيب عن ابيه لما حضرت .... [٢] .

وقال ابن عباس وابن عمرو مجاهد والشعبى وقتادة انها نزلت فى ابى طالب حين عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول لا اله الا الله فأبى عليه ذلك وقال اى ابن اخى ملة الاشياخ وكان اخر ما قاله هو على ملة عبد المطلب)[٣] .

(اما بالنسبة لقوله تعالى " مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)[٤] فقد ذكر الامام ابن كثير روايه سعيد ابن المسيب وحديث حضور الوفاة لابى طالب[٥] وحديث على واستغفار الرجل لابويه وهما مشركان[٦] .

وكذلك حديث بكائه على قبر امه صلى الله عليه وسلم)[٧] .

وقال الامام الالوسى اثناء تفسيره لقوله تعالى (ما كان للنبى والذين....) الايه أن (الاية على الصحيح نزلت فى ابى طالب وذكر

---

(١) سورة القصص آيه (٥٦) .
(٢) سبق تخريجه فى ص ٢٤٢
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ــ جـ ٣ ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ باختصار .
(٤) سورة التوبه ــ آيه ١١٣ .
(٥) سبق ذكره فى ص ٢٤٢
(٦) سبق ذكره فى ص ٢٦١
(٧) سبق ذكره فى ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ ــ تفسير القرآن العظيم للامام ابن كثير جـ ٢ ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ باختصار .

كذلك حديث ابن المسيب واستبعد ذلك الحسين بن الفضل بأن موت ابـا
طالب قبل الهجره بنحو ثلاث سنين وهذه السورة من أواخر ما نزل بالمدينه
وقال الواحدى : : وهذا الاستبعاد مستبعد فاى بأس ان يقال : كـــان
عليه الصلاة والسلام يستغفر لابى طالب من ذلك الوقت الى وقت نـــزول
الاية فان التشديد مع الكفار انما ظهر فى هذه السورة ، وذكر نحو من هـذا
صاحب التقريب . ، وعليه لايراد بقوله : فنزلت فى الخبر ان النزول كان عقيب
القول بل يراد ان ذلك سبب النزول ، فالفاء فيه للسببيه لا للتعقيب . واعتمد
على هذا التوجيه كثير من جلة العلماء وهو توجيه وجيه ، هلا أنه يعكـر
عليه (ما اخرجه ابن سعد وابن عساكر عن على كرم الله تعالى وجهه قال :
اخبرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بموت ابى طالب فبكى فقـــال :
" اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه ففعلت وجعل رسول اللـــه
صلى الله عليه وسلم يستغفر له اياما ولا يخرج من بيته حتى نزل عليـه
جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه الاية " مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ... " الايه [1] .
فانه ظاهر فى ان النزول قبل الهجره لان عدم الخروج من البيـــت
فيه مغيابه اللهم الا ان يقال بضعف الحديث لكن لم نر من تعرض لـــه ،
والاولى فى الجواب عن اصل الاستبعاد ان يقال : ان كون هذه الســورة
من اواخر ما نزل باعتبار الغالب كما تقدم فلا ينافى نزول شئ منهـــا
فى المدينة . والاية على هذا دليل على أن أبا طالب مات كافرا وهـــو
المعروف من مذهب اهل السنه والجماعه .

واحتج الشيعة الذاهبون الى موته مؤمنا بأن العباس رضى اللـــه
عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نظر الى اخيه ابا طالب وهو علـى
فراش الموت فوجده يحرك شفتيه فاصغى اليه بأذنه فقال : يا ابن اخـى
لقد قال اخى الكلمة التى أمرته ان يقولها ولكن رسول الله صلى اللـــه
عليه وسلم رد عليه قائلا بأنه لم يسمعها . واحتجوا كذلك بأبياته المتضمنـه
للاقرار بحقيه ما جاء به صلى الله عليه وسلم وشدة حنوه عليه ونصرته لـــه
صلى الله عليه وسلم وقالوا : انه المروى عن اهل البيت وأهل البيـــت
ادرى . وانت تعلم قوة دليل الجماعة فالاعتماد على ما روى عن العباس دونـــه

---

(١) ســورة التوبـــه آيه ١١٣ .

مما تضحك منه الثكلى والابيات على انقطاع اسانيدها ليس فيها النطق بالشهادتين وهو مدار فلك الايمان ، وشدة الحنو والنصرة مما لا ينكره احد الا انها بمعزل عما نحن فيه ، واخبار الشيعة عن اهل البيت او هن من بيت العنكبوت وانه لاوهن البيوت . نعم لا ينبغى للمؤمن الخوض فيه كالخوض فى سائر كفار قريش من أبى جهل واضرابه فان له مزية عليهم بما كان يصنعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من محاسن الافعال ، وقد روى نفع ذلك له فى الاخره أولا ينفعه فى الدنيا فى الكف عنه وعدم معاملته معاملة غيره من الكفار .

وقال وزعم بعضهم أن الايه نزلت فى غير ابى طالب مثل حديث البكاء على قبر أمه وطلب الاستغفار لها [1] ولا يخفى ان الصحيح فى سبب النزول هو شأن الاستغفار لعمه ابا طالب ، نعم خبر الاستئذان فى الاستغفار لامه عليه الصلاة والسلام وعدم الاذن جاء فى رواية صحيحة لكن ليس فيها أن ذلك سبب النزول فقد اخرج مسلم واحمد وأبو داود وابن ماجه والنسائى عن ابى هريرة قال : " أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وابكى من حوله فقال عليه الصلاة والسلام . استأذنت ربى أن استغفر لها فلم يأذن لى واستأذنت ان أزور قبرها فاذن لى فزوروا القبور فانها تذكركم الموت ") [2] .

---

(1) سبق ذكره فى ص ٢٥٩ ، ٢٦٠

(2) تفسير الامام الالوسى جـ ١١ من ص ٣٢ : ٣٤ بتصرف .

* (تخريجه) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى ـ المجلد الثالث جـ ٧ كتاب الجنائز باب الاستئذان النبى صلى الله عليه وسلم ربه فى زيارة قبر امه ص ٤٥ .

* سنن ابن ماجه جـ ١ ـ ٦ كتاب الجنائز ـ ٤٨ باب ما جاء فى زيارة قبور المشركين حديث رقم ١٥٧٢ ص ٥٠١ .

* سنن ابى داود جـ ٢ ـ كتاب الجنائز ـ باب فى زيارة القبور ص ١٩٥ .

وبعد أن فندت القول ودعمته بأقوال العلماء فى سبب نزول الايتين وانبت انهما نزلا فى ابى طالب ، ولا يمانع ذلك ان تنزلا فى غيره لجواز نزول الايه لاكثر من سبب ، وبعد كتابه نبذه قصيره عن بعض رواه الاحاديث التى تثبت أن ابا طالب لم يؤمن وأثبت أن جميعهم ثقات . استطيع ان اقول ان المولى عز وجل قد خص الرسول صلى الله عليه وسلم بخصائص لا تحصى تكريما له وتفضيلا ومن تلك الخصائص شفاعته صلى الله عليه وسلم بتخفيف العذاب عن عمه أبا طالب الذى مات على دين عبد المطلب .

تلك هى الشفاعه فى الاخره ، قد قمت بعرضها نوعا مع بيان صاحب الحق فيها فهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم متمثله فى الشفاعه العظمى وفى دخول قوم الجنه بغير حساب وفى قوم استحقوا النار الا يدخلوها وفى قوم دخلوها ان يخرجوا منها وفى زيادة الدرجات وفى عمه ابى طالب خاصة ويشاركه فى بعضها الانبياء والملائكة والمؤمنون من علماء وشهداء وكذلك القرآن وكل مبين فى نوعه . والشفاعات كلها راجعه الى ان تكون اشاره الى النوع المختص به والى العموم ، لنسبة ذلك كله اليه .

والحكمة من الشفاعة فى الاخره وثمراتها :

(ان الشفاعة هى مظهر من مظاهر الرحمه الالهية التى يغمر بها الله سبحانه لعصاة المذنبين من خلقه وهى كذلك مكرمه لرسوله صلى الله عليه وسلم فى أن يشفع لامته)(١) .

وجاء فى هامش التاج الجامع للاصول (حكمة الشفاعة تكريم الشافعين ورفع شأنهم على رؤس الاشهاد وافاضة الكرم الالهى على المشفوع لهم والله اعلم) (٢) .

(١) فى اليوم الاخر فى ظلال القرآن ١٢ ــ الشفاعة ص ٢٤١ .
(٢) التاج الجامع للاصول ــ جـ ٥ ص ٣٨٣ .

فالشفاعه فى الاخره كما قيل سبب من اسباب الرحمه فأولها فــــى بدأ الموقف عندما يشتد الهول والفزع ويهرول الجميع فيشفع النبى صلــى الله عليه وسلم فيفصل القضاء ، أما ثانيها فثمرة واضحه فى دخول قوم الجنـــه الجنة بغير حساب وثالثها تظهر ثمرتها فى عدم دخول النار لقوم استحقوها ويدخلون الجنه ورابعها فى اخراج عصاة المؤمنين من النار وادخالهـــم الجنـــة وخامسها فى زيادة درجة من درجات الجنة كانوا لا يستحقوهــــا قبل شفاعة الشفيع وسادسها فى تخفيف دركه من دركات النار لابى طالــب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اذن ثمرة الشفاعة دخول الجنه وزيادة درجاتها باستثناء ابى طالــب عم رســـول الله صلى الله عليه وسلم .

الخاتمة

ان الشفاعة نوع من انواع الرحمة الالهية ، وانها ثابتة بالقرآن الكريم والسنة النبوية . وتكون في الدنيا كما تكون في الاخره وقد قسم العلماء شفاعة الاخره الى سته انواع منها ما هو مقصور على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها ما يشاركه فيها الانبياء والملائكه والمؤمنون ، ومن هنا لزم الا يحقر الانسان أخاه تبعا لمقاييس الدنيا فعسى ان يكون خيرا منه عند ربه ويكون ممن أذن لهم الرحمن بالشفاعة يوم تزل الاقدام ، والله يقول : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ " (1).

ومع ثبوت الشفاعة لا يصح التواكل اعتمادا على ثبوتها ، واعتمادا على أن من قال لا اله الا الله دخل الجنة ففي حديث ابى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : " أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال بشرني انه من مات من امتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق " (2).

(قال الزين بن المنير : حديث ابى ذر من أحاديث الرجاء التي افضى الاتكال عليها ببعض الجهلة الى الاقدام على بعض الموبقات ، وليس هو على ظاهره فان القواعد استقرت على ان حقوق الادميين لا تسقط بمجرد الموت على الايمان ولكن لا يلزم من عدم سقوطها ألا يتكفل الله بها عمن يريد ان يدخله الجنه ومن ثم رد صلى الله عليه وسلم على ابى ذر استبعاده ، ويحتمل ان يكون المراد بقوله " دخل الجنة " اى صار اليها اما ابتداء من أول الحال واما بعد ان يقع ما يقع من العذاب) (3).

---

(1) سوره الحجرات ايه (11) .

(2) سبق تخريجه في ص ٨٨

(3) فتح البارى شرح صحيح البخارى – جـ ٣ كتاب الجنائز – باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله ص ١١١ .

قال صحاب الجواهر (فاما اذا ظننت ان الشفاعة ترجع الى المعنى الذى يفهمه العامة ، فان ذلك يقود الامة الى الانتكاس على ام الـــرأس ويبقى الدين من أسباب التاخر لا الرقى وقد آن أن يعرف الناس مقـــام النبوة الشريفه ويتبعوا النبى صلى الله عليه وسلم فى اعماله واخلاقه وسيرتـه الصالحة وآدابه العاليه ومعارفه الواسعة ودينه السمح المرشد الى السعادة والاعمال الشريفة وهذا أوان ارتقائه وزمان اسعاده " وَاللَّهُ يَهْـــدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ " (١).

وجاء فى الشرح الجديد (٢) تحت عنوان " غرور بعض الناس بالشفاعة " (ومهما يكن فى بعض انواع الشفاعة من خلاف بين الجمهور والمعتزلـــــه فانه لا يصح الاغترار بها والاعتماد عليها اذ هى لا تكون عند الشبتين لهـا الا باذن الله تعالى للشافع واذن الله تعالى غيب عنده لا يعلمه غيـــره ، ومع ذلك فقد تشدد فى شأنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع طماعيـــه المغرورين بها الذين يكثرون من المعاصى ضاربين صفحا عما انزله الله تعالـى من نذر وما حواه من وعيد للعصاه ، فقد روى البخارى عن أبى هريـــره رضى الله عنه قال : " قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يـوم القيامة ؟ قال : " ظننت ان لا يسألنى عن هذا الحديث احد اول منك لما رأيت من حرصك على الحديث : أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامـــة من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفســـه " (٣).

---

(١) سورة البقره آيه (٢١٣) ـ الجواهـــر ص ٦٩ .
(٢) الشرح الجديد لجوهره التوحيد (لمحمد احمد العدوى) .
(٣) سبـــق تخريجـــه فى ص ١٠١

واخرج احمد بسند صحيح عن زياد بن أبي زياد عن خادم النبي صلى الله عليه وسلم قال " كان النبي صلى الله عليه وسلم ما يقول للخادم الك حاجة ؟ حتى كان ذات يوم قال يارسول الله حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة قال : فاعني على ذلك بكثرة السجود " (١)

فهذان الحديثان يريانك أسعد الناس بها وهو الرجل الذى خلص اعتقاده فى الله فمن كان فى توحيده دخل لا يستحق شفاعة الرسول .

فتوحيد الله تعالى اولا واعتقاد انه تعالى هو المتصف بجميع صفات الكمال المنزه عن صفات النقص هو الاصل الاول فى استحقاق الشفاعة ذلك هو ما يفسره حديث البخارى من ناحية العقيدة ، والعقيدة السليمة الصحيحة تستتبع العمل الصالح وتقتضيه ، لانها اساسه والداعية اليه . اما حديث احمد فهو يتعلق بالعمل اذ يقول رسول الله لخادمه " اعنى بسجودك " والسجود عمل وهو جزء من الصلاة ومعلوم انه لم يرد خصوص الصلاة ليستعين بها وانما اراد العمل من جميع نواحيه من صوم وزكاة وحج وصلة رحم وبعد عن الفواحش ظاهرها وباطنها فهو يريد اعنى بعملك الذى تستحق اجره وثوابه فانا لا اتقدم بهذه الشفاعة لمن لا يستحقها وبذلك يكون الذى استحق الشفاعة هو صاحب العقيدة الصحيحة الخالصة من شوائب الشرك والعمل المقرب الى الله تعالى فماذا بقى لاولئك الحمقى المغرورين بعد كلام صاحب الشفاعة نفسه ؟ وقد روى الشيخان واحمد عن أبى هريرة قال لما انزلت هذه الاية " وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ " (٢) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال يا بنى كعب بن لؤى انقذوا انفسكم من النار يا بنى مرة بن كعب انقذوا انفسكم من النار يابنى عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يا بنى عبد مناف انقذوا انفسكم من النار يابنى هاشم انقذوا انفسكم من النار يابنى عبد المطلب

---

(١) مسند الامام احمد جـ٣ ص ٥٠٠ (حديث عن خادم النبى صلى الله عليه وسلم .
* وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد وقال رواه احمد ورجاله رجال الصحيح جـ ٢ ص ٢٤٩ .

(٢) سورة الشعراء آيه ٢١٤ .

انقذوا انفسكم من النار فاطمة انقذى نفسك من النار فانى لا املك لكـم من الله شيئا غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها)[1] (فقوله " لا املـك لكم من الله شيئا " معناه لا تتكلوا على قرابـتى فانى لا اقدر على دفـع مكروه يريده الله تعالى بكم .

وقوله (غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها) ضبطناه بفتح الباء الثانيـــة وكسرها من بله يبله والبلال الماء ومعـنى الحديث سأصلها شبهت قطيعـة الرحم بالحرارة ووصلها باطفاء الحرارة ببرودة ومنه بلوا ارحامكـــم اى صلوهـــا)[2] .

(وقيل لوهب بن منبـه اليس مفتاح الجنة لا اله الا اللـــه ؟ قال : بلى ، ولكن ليس مفتاح الا له اسنان فان جئت بمفتاح له اسنان فتح لك ، والا لم يفتح لك .

قال الزيـن بن المنير : فمراد وهب بالاسنان التزام الطاعة . وأمـــا قوله " لم يفتح له " فكان مراده لم يفتح له فتحا تاما ، او لم يفتـــح له فى أول الامر . قال الداودى : قول وهب محمول على التشديد ، ولعله لم يبلغــه حديث ابى ذر[3] ، والحق ان من قال لا اله الا اللـــه مخلصا اتى بمفتاح وله اسنان ، لكن من خلط ذلك بالكبائر حتى مـــات مصرا عليها فربما طال علاجـــه .

---

(١) صحيح الامام البخارى المجلد الثانى ج٤ كتاب الوصايا باب الوصايـا ص٧ ، ج٦ كتاب التفسير باب تفسير سورة الشعراء ص ١٤٠ .
* صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الاول ج٣ ـ كتاب الايمان باب من مات على الكفر لا تلحقه الشفاعة ص ٧٩ ، ٨٠ .
انظر الشرح الجديد تحت عنوان غرور بعض الناس بالشفاعة ص١٤٣ ، ١٤٤ بتصـرف .

(٢) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الاول ج٣ ـ كتـــاب الايمان باب قوله تعالى (وانذر عشيرتك الاقربين) ص٨٠ .

(٣) ســبق ذكره فى ص ٨١

قال ابن رشيد : يحتمل ان يكون مراد البخارى الاشارة الى ان من قال لا اله الا الله مخلصا عند الموت كان ذلك مسقطا لما تقدم له ، والاخلاص يستلزم التوبة والندم ويكون بالعذاب وهذا لابد من تاويله لما جاء في ظواهر كثيرة من عذاب بعض العصاة فلابد من تأويل هذا لئلا تتناقض نصوص الشريعة وفى قوله صلى الله عليه وسلم وهو يعلم اشارة الى الرد على من قال من غلاة المرجئة ان مظهر الشهادتين يدخل الجنة وان لم يعتقد ذلك بقلبه وقد قيد ذلك فى حديث اخر بقوله صلى الله عليه وسلم (غير شاك فيهما) وهذا يؤكد ما قلناه .

وفى رواية معاذ عنه صلى الله عليه وسلم (من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنه) وفى رواية عنه صلى الله عليه وسلم (من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة) وعنه صلى الله عليه وسلم (ما من عبد يشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله الا حرمة الله على النار) ونحوه فى حديث عبادة بن الصامت وعتبان بن مالك وزاد فى حديث عبادة (على ما كان من عمل) .

وهذه الاحاديث كلها سردها مسلم رحمه الله فى كتابه فحكى عن جماعة من السلف رحمهم الله منهم ابن المسيب ان هذا كان قبل نزول الفرائض والامر والنهى وقال بعضهم هى مجملة تحتاج الى شرح ومعناه من قال الكلمة وأدى حقها وفريضتها وهذا قول الحسن البصرى وقيل ان ذلك لمن قالها عند الندم والتوبه مات على ذلك وهذا قول البخارى وهذه - التاويلات انما هى إذا حملت الاحاديث على ظاهرها وأما اذا نزلت منازلها فلا يشكل تأويلها على ما بينه المحققون فنقرر اولا ان مذهب اهل السنة باجمعهم من السلف الصالح واهل الحديث والفقهاء والمتكلمين على مذهبهم من الاشعريين ان أهل الذنوب فى مشيئة الله تعالى وان كل من مات على الايمان وتشهد مخلصا من قلبه بالشهادتين فانه يدخل الجنة فان كان تائبا او سليما من المعاصى دخل الجنة برحمه ربه وحرم على النار بالجملة فان حملنا اللفظين الواردين على هذا فيمن هذه صفته كان بينا وهذا معنى تاويلى الحسن والبخارى وان كان هذا من المخلطين بتضييع ما اوجب

الله تعالى عليه أو بفعل ما حرم عليه فهو فى المشيئة لا يقطع فى امــــره
بتحريمه على النار ولا باستحقاقه الجنه ما قدمناه من اجماع اهل السنة انــه
لابد من دخولها لكل موحد اما معجلا معافى واما مؤخرا بعد عقابه والمراد
بتحريم النار تحريم الخلود خلافا للخوارج والمعتزلة فى المسئلتين ويجوز فـى
حديث " من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة " ان يكون ـ
خصوصا لمن كان هذا اخر نطقه وخاتمه لفظه وان كان قبل مخلطا فيكــون
سببا لرحمة الله تعالى اياه ونجاته رأسا من النار وتحريمه عليها بخــلاف
من لم يكن ذلك اخر كلامه من الموحدين المخلطين وكذلك ما ورد فى حديث
عبادة من مثل هذا ودخوله من اى ابواب الجنة شاء يكون خصوصا لمن قــال
ما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم وقرن بالشهادتين حقيقة الايمان والتوحيــد
الذى ورد فى حديثه فيكون له من الاجر ما يرجح على سيئاته ويوجب لــه
المغفرة والرحمة ودخول الجنة لاول وهلة ان شاء الله تعالى والله اعلـم
هذا اخر كلام القاضى عياض رحمه الله وهو فى نهاية الحسن • وأما ما حكاه
عن ابن المسيب وغيره فضعيف باطل وذلك لان راوى احد هذه الاحاديـث
أبو هريرة رضى الله عنه وهو متأخر الاسلام ، اسلم عام خيبر سنة سبـع
بالاتفاق وكانت احكام الشريعة مستقرة واكثر هذه الواجبات كانت فروضهـا
مستقرة وكانت الصلاة والصيام والزكاة وغيرها من الاحكام قد تقرر فرضها وكـذا
الحج على قول من قال فرض سنة خمس او ست وهما أرجح من قول مـن
قال سنة تسع والله اعلم • وذكر الشيخ ابو عمرو بن الصلاح رحمه اللــه
تعالى تاويلا اخر فى الظواهر الواردة بدخول الجنة بمجرد الشهادة فقـال
يجوز ان يكون ذلك اقتصارا من بعض الرواة نشأ من تقصيرة فى الحفظ والضبـط
لا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلا له مجيئه تاما فى رواية غيره وقــد
تقدم نحو هذا التاويل قال ويجوز ان يكون اختصارا من رسول الله صلـى
الله عليه وسلم فيما خاطب به الكفار عبدة الاوثان الذين كان توحيدهم للــه
تعالى مصحوبا بسائر ما يتوقف عليه الاسلام ومستلزما له والكافر اذا كان لا يقـر
بالوحدانية كالوثنى والثنوى فقال لا اله الا الله وحاله الحال التى حكيناهـا
حكم باسلامه ولا نقول والحاله هذه ما قاله بعض اصحابنا من أن من قال لا الـه
الا الله يحكم باسلامة ثم يجبر على قبول سائر الاحكام فان حاصله راجع الـى

انه يجبر حينئذ على اتمام الاسلام ويجعل حكمه حكم المرتد ان لم يفعـــل من غير ان يحكم باسلامه بذلك فى نفس الامر وفى احكام الاخره ومن وصفنـــاه مسلم فى نفس الامر وفى احكام الاخرة والله اعلم)[1].

وجاءت روايه للامام مسلم تقول " أدخله الجنة على ما كان من عمـل " فعبارة " على ما كان من عمل " توحى بأن الانسان يجازى على قدر عملــه ففى جملة القول سيدخل الجنة لكن متى لا يعلم الا الله فان كانت له معاصـــى فسوف يحاسب عليها على قدر المشيئه ثم بعد ذلك يسمح له بدخــــول الجنة اما بشفاعة الشافعين واما رحمة من رب العالمين ، حقا ان بعـــض القوم سيدخلون الجنة مع استحقاقهم النار بعد شفاعة الشافعين النطـــق علما على ذلك .

وادخل حديث ابى ذر ليبين أنه لابد من الاعتقاد ولهذا قـــال عقب حديث ابى ذر . قال ابو عبد الله هذا عند الموت او قبله اذا تـــاب وندم . ومعنى قول وهب ان جئت بمفتاح له أسنان جهاد فهو من حذف النعت اذا دل عليه السياق لان مسمى المفتاح لا يعقل الا بالاسنان والا فهـــو عود أو حديـــدة)[2] .

وعن عثمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من مـــات وهو يعلم أنه لا اله الا الله دخل الجنـة "[3].

---

(١) شرح الامام النووى على صحيح الامام مسلم ـ بتصرف ـ المجلد الاول ـ ج ١ كتاب الايمان ـ باب الدليل على ان من مات على التوحيـــد دخل الجنة قطعا من ص ٢١٨ : ٢٢١ .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ـ ج ٣ ـ ٢٣ كتاب الجنائز (١) باب فى الجنائز ، ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله ص ١٠٩ ، ١١٠ باختصـــار .

(٣) (تخريجــه) صحيح الامام مسلم بشرح الامام النووى المجلد الأول ج ١ كتاب الايمان ـ باب الدليل على ان من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ص ٢١٠ .

قال القاضى عياض رحمه الله (محمله على أنه غفر له او اخرج من النار بالشفاعة ثم دخل الجنة فيكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم (دخل الجنة) اى دخلها بعد مجازاته .

ولكن لا يعلم الانسان من اى نوع هو ثم لا يعلم كذلك المدة التى يستغرقها من فزع ورهبه وهول حتى يشفع الشافعون فلا يركن الانسان على ما ميز الله به الامة المحمدية من دخولهم الجنه .

وجاء فى حديث طويل فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى هريره اذهب فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنه فكان أول من لقيت عمر فقلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقيت يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه بشرته بالجنة فضرب عمر بيده بين ثديى فقال ارجع يا ابا هريرة فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهشت بكاء وعمر على أثرى فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا ابا هريرة قلت لقيت عمر فاخبرته بالذى بعثتنى به فضرب بين ثديى قال ارجع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر ماحملك على ما فعلت قال يارسول الله بأبى انت وأمى ابعثت ابا هريرة يقول من لقى يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة قال نعم قال فلا تفعل فانى اخشى ان يتكل الناس عليها فخلهم يعملون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلهم .

وفى رواية اخرى (ما من عبد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا حرم الله عليه النار قال يارسول الله افلا اخبر بها الناس فيستبشروا قال اذا تيكلوا فاخبر بها معاذ عند موته تاثما)[1] .

---

(١) صحيح الامام مسلم بشرح النووى المجلد الاول – ج ١ – كتاب الايمان باب من شهد ان لا اله الا الله مستقينا بها قلبه دخل الجنة ص ٢٣٧ : ٢٤٢ .

والحديث (معناه) اخبرهم ان من كانت هذه صفته فهو من أهل الجنة والا فابو هريرة لا يعلم استيقان قلوبهم وفى هذا دليل على أنه لا ينفع اعتقاد التوحيد دون النطق ولا النطق دون الاعتقاد بل لابد من الجمع بينهما •

اما قوله (ثدى) بفتح الثاء وهو مذكر وقد يؤنث فى لغة قليلة • قال القاضى عياض وغيره من العلماء رحمهم الله وليس فعل عمر رضى الله عنه ومراجعته النبى صلى الله عليه وسلم اعتراضا عليه وردا لامره اذ ليس فيما بعث به ابا هريرة غير تطييب قلوب الامة وبشراهم فرأى عمر رضى الله عنه أن كتم هذا اصلح لهم واحرى ان لايتكلوا وانه أعود عليهم بالخير من معجل هذه البشرى فلما عرضه على النبى صلى الله عليه وسلم صوبه فيه والله تعالى اعلم •

قوله (فاجهشت) لغتان فهو بالجيم والشين المعجمه والهمزة والهاء مفتوختان • هكذا وقع فى الاصول التى رأيناها واخرى بحذف الالف و وهما صحيحان قال أهل اللغة يقال جهشت جهشا وجهوشا وأجهشت اجهاشا قال القاضى عياض رحمه الله وهو ان يفزع الانسان الى غيره وهو متغير الوجه متهيء للبكاء • اما قوله (على أثرى) ففيه لغتان بكسر الهمزه واسكان الثاء وبفتحهما وقوله (فخلهم يعملون) يعنى ان العامة اذا بشروا بهذه البشارة يتركون العمل • بخلاف الخاصة فانهم اذا بشروا يزدادون عملا •

وفى الرواية الثانية (فاخبر بها معاذ عند موته تأثما) تأثم الرجل اذا فعل فعلا يخرج به من الاثم وتحرج ازال عنه الحرج وتحنث ازال عنه الحنث ومعنى تأثم معاذ أنه كان يحفظ علما يخاف فواته وذهابه بموته فخشى ان يكون ممن كتم علما وممن لم يمتثل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تبليغ سنته) [1] •

---

(١) صحيح الامام مسلم بشرح النووى المجلد الاول جـ ١ كتاب الايمان باب من شهد ان لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه دخل الجنه ص ٢٣٦ : ٢٤١ باختصار •

وكذلك فى حديث الشفاعة الطويل (اوكره ان يحدثكم فتتكلوا قلنا له حدثنا فضحك وقال خلق الانسان من عجل ما ذكرت لكم هذا الا وأنا اريد ان احدثكموه .....) (١) .

وبعد :-

فهذا بحثى عن الشفاعة بذلت فيه غاية جهدى وما قصرت فان كنت قد أصبت فذلك من فضل الله ، وان كانت الاخرى فحسبى ان هذا باكورة حياتى واستغفر الله من الخطأ فى القول والعمل .
وأسأله المزيد من العلم والفضل .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب .

(١) صحيح الامام مسلم بشرح النووى - المجلد الاول جـ٣ كتاب الايمان باب الشفاعة ص ٦٣ ، ٦٤ .

فهرس الرسالة

رقم الصفحة

﴿ المبحث الثالث ﴾

﴿ المبحث الرابع ﴾

٭ ٭

